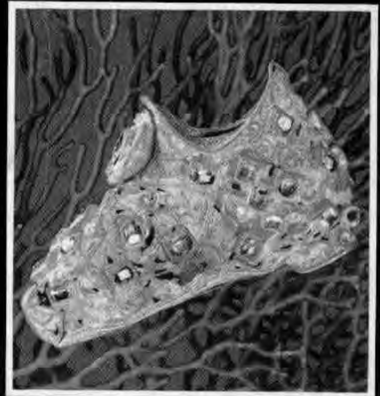
غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية العدد (١٩٧) ـ ذو القعدة ١٤١٣ (مايس) ١٩٩٣م

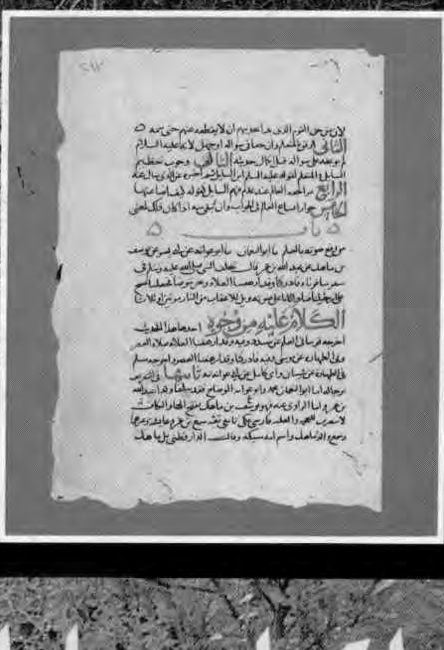
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (197) MAY 1993



كنوز تحت الماء من ثلاثة قرون



النباتات في عسير



الكتاب في الحضارة العربية

اعلام عن الطفولة وليس لها

كُرْبُم بفتح الكاف بن حازم عن جدته سلمى بنت جابر وعلي وعنه ابان بن عبد الله البجلي ذكره ابن حبان في الثقات

كُرَيْب بضم الكاف ابن الحارث بن عمرو السهمي عن ابيه والحارث الاعور وعنه ابنه زرارة وابو اسحق السبيعي قال ابن عدي لا احد عنه سوى ابي اسحق وقال ابن ... وقال ابن ابي حاتم ادخله البخاري في الصحابة وقال ابي يحول منه

كعب بن زيد او زيد بن كعب الانصاري روى قصة الغفارية التي وجد النبي صلى الله عليه وسلم بها بياضا فقال الحقي باهلك وعنه جميل بن زيد

كعب مولى سعيد بن العاص عن مولاه وعنه ابنه روح ... ذكره ابن حبان في طبقة التابعين وقال روى عن صحابي ذكره في المراسيل وقال ... عنه ابنه

كلثوم بن الحصين ابو رهم الغفاري اسلم بعد الهجرة وشهد احدا وهو من اصحاب الشجرة وكان له ... غفار واكثر ... وسلم واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة عام الفتح وعنه ابن اخيه عبد مسعود ... ابو حازم التمار

كميل بن زياد النخعي الصهباني الكوفي عن عمر وعثمان وعلي وابي هريرة وعنه ابو اسحق السبيعي وعبد الرحمن بن عابس والاعمش وغيرهم وثقه ابن معين والعجلي والجمهور وضعفه ابن حبان فقال كان من المفرطين في علي ممن يروي عنه المعضلات منكر الحديث ... لا يحتج به وذكر المزي ان ابن حبان ذكره في الثقات والذي ذكره ابن حبان في الثقات انما هو كميل بن زياد وضعفه بانه روى عن عمر ... روى عنه عابس بن ربيعة

للسادس عشر ...

لبيد بن عبد الله بن طارق اليماني الدمشقي ابو نافع ... وعنه ابنه نافع

كيسان ابو محمد القصار عن مولاه يزيد بن بلال الفزاري وزيد بن علي بن الحسين وعنه عبيد الله بن موسى والقاسم بن الحكم ويحيى بن يعلى الاسلمي ضعفه ابن معين ووثقه ابن حبان

حرف اللام

لبث بن خالد البلخي ابو بكر عن حماد بن زيد وابي عوانة وفرج بن فضالة وعنه عبد الله بن احمد وابو حاتم لا يكاد يعرف

لبث بن ابي رقية الثقفي مولاهم الشامي عن عمر بن عبد العزيز وكان كاتبه وعنه محمد بن راشد ومنصور بن المعتمر ذكره ابن حبان في الثقات

لبث بن سليم الجهني عن عقبة بن عامر وعنه عبد الوهاب بن بخت ابو خالد

لبث بن المتوكل عن ابي قلابة ومالك بن عبد الله الخثعمي وعنه محمد بن عبد الله السعيطي

ومحمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير ذكره ابن حبان في الثقات

حرف الميم

محمد بن ابان بن صالح القرشي مولاهم ويقال له الجعفي لتزوجه فيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (١٩٧) — ذو القعدة ١٤١٣هـ — السنة (١٧) — أيار (مايو) ١٩٩٣م

إطلالة

الأطفال قلبي!

«الأطفال قلبي» عنوان كتاب في تربية الطفل لمربٍّ روسيّ. أطل عليّ عنوان هذا الكتاب ونحن نتابع مهرجان الجنادرية الثامن كمؤشر لحركة واعية نحو مستقبل فاعل، في هذا الوقت الذي تداخلت فيه الأحداث وتشابكت، ووصلت في العديد منها إلى التأزم في أماكن شتى من عالمنا، وبلغت الصراعات مداها بين أيديولوجيات متباينة متنافرة، بعضها في أشكال حروب دامية، والأخرى في صور صراعات فكرية قد تكون أشد وأقسى.

فجاءت إيحاءات هذا العنوان مواكبةً لمهرجان هذا العام، الذي حمل معه مسؤولية مستقبل الأمة بكل أبعادها في صورة جذورها «الأطفال»، فاتحًا باب الحوار من أجل تأثيل هذه الجذور.

والحديث عن الطفل يدفعنا إلى الحديث عن أزمته، أزمة الطفولة في أمتنا، والتي نسجت خيوطها قُوى متعددة منفذة ـ بقصد منها أو دون قصد ـ لأفكار حاقدة، يقف وراءها منْ يحقدون على تاريخنا وأمجاده، ويخشون من مستقبلنا وتطلعاته.

وللإجابة عن تساؤل يطرحه أحد هؤلاء الأعداء الحاقدين ـ وهو موشي دايان ـ فإن الجمود والنظر في مرآة الماضي دون الإسهام الجاد لتوجيه الحاضر وتحديد معالم المستقبل سيحقق ـ لا قدّر الله ـ مايريد أعداؤنا؛ إذ يقول موشي دايان :

«يميل العرب إلى خداع أنفسهم وخداع غيرهم، وهو يقومون بذلك عن غير عمد. فهم يميلون دائمًا إلى التحدث عن أمجاد الأجداد، عن صلاح الدين، عن معارك حطين واليرموك، وبينما يفعلون ذلك فإننا نبتسم لأنهم يرون أنفسهم في مرآة أمجاد الماضي، أما نحن فنراهم في مرآة الحاضر، ليتهم يسألون أنفسهم لماذا يتحدثون دائمًا عن عظماء ماضيهم ولا يجدون في حاضرهم أحدًا من العظماء يتحدثون عنه ؟».

ونحن إذا لم نعرفْ ونعرّف أطفالنا بتاريخ أمتهم وحضارتها وننمّي فيهم أهمية هذه المعرفة وخطورتها، لجاء تكوينهم الفكري هشًّا، بعيدا عن التميّز الثقافي الذي يحمل مقومات ذاتية الشخصية.

إن واقع الحال يكشف لنا يوما بعد يوما امتداد الانفصام بين الأطفال ـ لما يحيط بهم من مؤثرات سلبية ـ وبين انتمائهم الثقافي والفكري، تلك المؤثرات التي لا تمتّ إلى ثقافتنا ولا إلى مرتكزات كياننا بصلة، من أفلام ودعايات وكتب ووسائل ترفيهية، ومناهج تعليمية وأساليب تربوية في العديد من الدول العربية والإسلامية.

إن مهرجان الجنادرية الوطني للتراث والثقافة دعوة مخلصة سيتبعها ـ بإذن الله ـ انطلاقات تأصيل وترشيد وبناء. وإذا كنا نريد ـ بصدق ـ أن نَعْبُرَ حاضرنا بما فيه وكما يجب أن يكون إلى مستقبلنا وما نأمل منه، فطريقنا الطفل، وذلك من واقع المسؤولية التربوية التي تحقق أهدافها من خلال منهج ثبتت فاعليته على مدى الأجيال السابقة التي صنعت أرقى الحضارات وأبلغها أثرًا في تاريخ الإنسانية.

نعم، طريقنا الطفل. ألم يكن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ طفلا فلم يُجِزْه الرسول ﷺ في غزوة أحد لصغر سنه وأجازه في غزوة الخندق ؟ ألم يكن أسامة بن زيد قائدا لجيش العُسرة ولم يتجاوز عمره السابعة عشرة ؟

وإذا كان مهرجان الجنادرية قد أسهم في رفع شعار الكتابة للطفل، فبدايةً، يأتي تطوير نزعة الطفل الذاتية إلى القراءة، والتي لا يشعر فيها بإخفاقات التربية المدرسية الخاطئة أحيانا. ومن ثمّ ينتقل من خلال القراءة إلى التفكير الإبداعي المفعم بحب الاستطلاع والبحث فيما حوله، لتتفتح عيناه وعقله وقلبه على الخير ومعانيه، ليكون ذلك تأسيس بداية انتمائه، وتكوين تفكيره المستقل القادر على الاستدلال. وهذا دور يقوم به كل من الأسرة والمعلّم؛ «المعلّم المربّي» الذي يجسد الأخلاق التي تتوقف عليها رحلة حياة الفرد ومستقبل الأمة، المعلّم الذي يُشعر الطفل أن التعليم ليس نقلا آليا للمعارف، بل هو علاقة إنسانية قبل أي شيء آخر. ثم تأتي المؤسسات لتكمل دور الأسرة والمدرسة بعد أن يكون الطفل قد عرف مساره، فتُقَوّي هذا المسار وتعبّد طرائقه وسبله.

وهنا تكون النتيجة طفلا منتميا إلى أمته، بعيدًا عن المؤثرات التي تقف في طريق إعداده السليم، مقدرًا ذاته، رابطا أبعاد زمنه الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل عبر رحلة تكوينه، ولا يكون هذا الربط بالإحساس المادي وحده فلا يعرف وجهته ولا تُهيّأ له الوسيلة للتحكم في مساره، بل يكون بتفاعل الأبعاد الثلاثة وتكاملها.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

ملاحظات عامة

- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.
- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.
- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

الفيصل

● المراسلات

مجلـــة «الفيصـل» ص. ب: (٣) الريـاض: ١١٤١١ ـ المملكة العـربية السعودية.

هاتف: ٤٦٥٣ . ٢٦ ـ ٤٦٥٣ . ٢٧ ـ تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ـ فـاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١ .

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية: المملكة العربية السعـودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحـدة ٧ دراهم ـ قطـر ٧ ريـالات ـ البحـرين ٦٠٠ فلس ـ سلطنـة عمان ٦٠٠ بيسـة ـ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهـوريـة اليمنية ٢٠ ريـالاً ـ مصر ١٠٠ قـرش ـ السـودان ١٠٠ قـرش ـ المغـرب ٥ دراهم ـ تـونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريالاً سعـوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريـالاً سعـوديًـا تـرسل قيمـة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعـلانات يتم الاتفـاق عليهـا مع إدارة المجلة

● **ALL CORRESPONDENCE TO:**

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● **EUROPE - AMERICA - ASIA:**

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● **ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:**

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

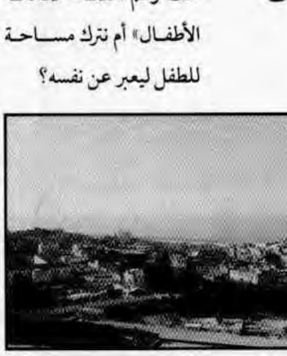
في هذا العدد



ص ٣٢ كـان اشتغـال المسلمين بتفسير القــرآن وجمع الأحاديث النبويـة الشريفة وتصنيفها بداية نشأة الكتاب العربي الأول.



ص ٤٠ هل نستمر نكتب لأنفسنا تحت وهم اسمه «صحافة الأطفال» أم نترك مساحة للطفل ليعبر عن نفسه؟



ص ٧٥ مُستغانم، مدينة جزائرية ذات شـواطئ شـدت الرّحالين والجغرافيين العرب والفرنجة بشمسها اللؤلؤية وطبيعتها الساحرة.



ص ٨٠ تعيش العناكب الطائرة في المناطق الاستوائية، ويبلغ عـدد أنواعهـا أربعمائة نـوع أشهرهـا يـدعى «بـايكـولي بليسكييس».

الرسائل الأدبيَّة

بقلم: وديع فلسطين

يكتب الأدباء عادةً لكي تقرأهم الجمهرة الكبيرة من الناس، وكلما اتّسعت دائرة القراء - أو إن شئت فقل المعجبين - ارتفعت منزلة الكاتب بين الناس في مجتمعه وفي المجتمعات التي تتابع آثاره حتّى وإن ترامت هذه المجتمعات على الخارطة الجغرافية.

ولكن الأدباء قد يكتبون في أحايين أخرى لكي يقرأهم شخص بعينه أو أشخاص مقصودون، وهم يتوسلون في هذه الحال بالرسائل الخاصة يبثون فيها آراءهم، وربّما عواطفهم، سواء بقدر واسع من الانطلاق في التعبير أو بشيء من التحفظ، كيفما كانت الحال، واثقين سلفًا من أن رسائلهم ستظل منحصرةً في هذا النطاق الضيق، لا تتعدّاه إلى نطاق القراء الأعرض. وكثير من هذه الرسائل ينتهي أمره إلى البلى بعد وقت يطول أو يقصر، وقليل منه هو الذي يعرف طريقه إلى النشر، سواء في حياة أصحابه أو بعد غروب دنياهم.

ومن طبيعة الرسائل، وهو ما أقرته المحاكم في بعض أحكامها، أن تغدو ملكاً خالصاً لمتلقّيها لا لمرسلها، وأن تؤول هذه الملكية بعد ذلك إلى ورثة المتلقي لا المرسل، ما دام محرّر الرسالة قد قصد أصلاً توجيهها إلى صاحبه - وربما صاحبته - متنازلا ضمنًا عن كل حق له فيها مطمئناً إلى أن الشخص الذي يتلقى رسائله أهل لثقته واطمئنانه وحسن تقديره. ولو عرفت أديبةٌ مثلاً أن رسائلها إلى شخص استحوذ على إعجابها ستنشر ذات يوم بما يورثها حرجًا أو يورّطها في متاعب، فلعلها كانت تكتم مشاعرها في صدرها ولا تدونها على الورق كلامًا مسطورًا؛ أو لعلها كانت تبثّها مشافهة فتتبخر في لحظتها، أو


جبران خليل جبران


أحمد تيمور

لعلّها كانت تسعى إلى استردادها لتُعمل فيها الإتلاف والإعلام.

ولا بأس هنا من الاستشهاد «بمذبحتين» للرسائل عبّر عنهما الشاعران إبراهيم ناجي ونزار قباني في شعرهما، فقال ناجي في قصيدة عنوانها «رسائل محترقة»:

في ليلـــة ليـــلاء أرّ	قنـــي عصيبُ ظـــلامهـــا
هـــدأت رســائل حبهــا	كـــالطفل في أحـــلامهـــا
فحلفت لا رقـــدت ولا	ذاقت شهـيّ منامهـــا
أشعلت فيهـــا النـــار تـــر	عى في عـــزيـــز حُطـــامهـــا
تغتـــال قصـــة حبّنـــا	من بـــدئهـــا لختـــامهـــا
أحـــرقتهـــا ورميت قلـــ	ـبي في صميم ضرامهـــا
وبكى الرمـــاد الآدمـــ	ـيُّ على رمـــاد غرامهـــا

كما قال نزار:

الرسائل الأدبيـة

غـدًا إذا جـاء أعطيــه رسائلــه　　ونطعم النــار أحلى مــا كتبنــاه

وقد حاولتُ استقصاء ما نشر فعلا من رسائل الأدباء على الصعيد العربي في العصر الحديث، فتبنيتُ ظاهرةً تكاد تكون مشتركةً فيها جميعًا، وهي أن الرسائل المنشورة هي من طرف واحد لا من طرفين وسبب ذلك أن ناشر الرسائل وقع بجهده الخاص على الرسائل المجتمعة لدى طرف الآخر، وهي لازمة لاكتمال الحوار الذي تمثله هذه الرسائل، ومن ثمّ لاكتمال الصورة الواضحة للصلة القائمة بين الطرفين.

وكان من أنشط الأدباء في كتابة الرسائل الآنسة ميّ زيادة، الأديبة التي بهرت عصرًا بأسره فهي قد كاتبت معظم أعلام عصرها، فباتت رسائلها في أيدٍ كثيرة، كما اجتمعت لديها طائفة كبيرة من هذه الرسائل، وإن كان من المؤكد أن قسمًا كبيرًا من رسائليّ قد فُقد. ولكن بعض الباحثين قد أفلح في نشر جانب من رسائلها المتبادلة مع **جبران خليل جبران وعباس محمود العقاد وأمين الريحاني** وسواهم، ومن أولئك الباحثين **سلمى الحفار الكزبري وطاهر الطناحي وجميل جبر ومحمد عبد الغني حسن ووداد سكاكيني ووالدكتور سهيل بشروئي وعامر العقاد والدكتور محمد رجب البيومي**. وقد حاول الباحثون استخلاص قصص حبٍّ استنادًا إلى هذه الرسائل، فذهب بعضهم إلى أنها أحبت **جبران**، وذهب بعضهم إلى أنها أحبت **العقاد**، وربط بعضهم بينها وبين آخرين مثل **مصطفى صادق الرافعي وخليل مطران ووليّ الدين يكن وأنطوان الجميّل** ومَنْ إليهم.

وهناك رسائل **مصطفى صادق الرافعي** التي بعث بها إلى صديقه وتلميذه **الشيخ محمد أبي ريّة**، فقام أبو ريّة بنشرها في عام ١٩٥٠م وإن كان تحرّج من إدراج جميع الرسائل فاحتفظ ببعضها دون نشر، وحذف أسماء وردت في بعضها لأن أصحابها كانوا ما زالوا على قيد الحياة. فلما أعاد نشرها في طبعة ثانية بعد ذلك بعشرين عاما، ارتفع هذا الحرج، فنشرت الرسائل كاملة وأعيدت الأسماء المحذوفة إلى مواضعها.

وكان **الرافعي** يحتفظ لديه بمجموعة كبيرة من رسائل المعجبين، ومن جملتها رسائل مي، فاستطاع الأديب العراقي **مصطفى نعمان البدري** المؤله حباً بالرافعي أن يظفر بها من أسرته، ولعله وفق إلى نشر بعضها أو استعان بها في أطروحاته الجامعية عن الرافعي.

ومّما يذكر أن نشر رسائل الرافعي إلى أبي ريّة، بكل ما اشتملت عليه من شكوى من الدهر وناسه، أتاحت للباحثة الأديبة **الدكتورة نعمات أحمد فؤاد** أن تستخلص منها معجما من العبارات المتواترة فيها استندت إليه في القول بأن الرافعي كان صريع عقدٍ نفسية من شأنها أن تهزّ صورته في أذهان القارئين.

وهناك **رسائل العقاد**، وقد نشر **عامر العقاد** جانبًا منها، كما نشر **محمد طاهر الجبلاوي** جانب آخر.

وهناك **رسائل الشاعر عبد الرحمن شكري** (أستاذ العقّاد والمازني) وقد نشر كل من **الدكتور فؤاد صرّوف ونقولا يوسف وأحمد عبد الحميد غراب** ما تلقّاه من رسائله.

وهناك **رسائل الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي** وقد نشرها **أحمد محمد عيش**.

وهناك **رسائل أحمد تيمور باشا** إلى العلاّمة العراقي **الأب أنستاس ماري الكرملي**، وقد نشرها بتحقيق علمي دقيق **كوركيس عوّاد**.

وكان رائد أبولو الشاعر **أحمد زكي أبو شادي** واسع المراسلات شرقًا وغربًا لما كان يحتفظ بصور كربونية من رسائله الذاهبة فاجتمعت لديه ملفات ضخمة من الرسائل المتبادلة آلت إلى الجناح المخصص لمكتبته في جامعة يوطا الأمريكية. وقد نشر العلامة **روكس بن زائد العزيزي** بعض ما تلقاه من رسائل أبي شادي، كما أن الأديب التونسي **أبا القاسم محمد كرّو** يتهيأ لنشر ما لديه من رسائله.

وهناك **رسائل جبران خليل جبران** وقد نشرتها **سلمى الحفار الكزبري** وناصر سويدان.

وهناك **رسائل الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان** إلى الأديب المصري **أنور المعداوي**، وقد نشرها رضا النقاش كما نشر الشاعر **عبد الخالق فريد** ما تلقاه من رسائل من أرملة الشاعر **إلياس أبي شبكة**.

وهناك **رسائل الشاعر بدر شاكر السيّاب** وقد نشرها **ماجد السامرائي**.

وهناك **رسائل للشاعر السوري بدوي الجبل (أحمد سليمان الأحمد)** إلى **أكرم زعيتر**، وقد نشرها ضمن ما سجّله من ذكريات عن صديقه.

وهناك **رسائل** الرئيس التونسي السابق **الحبيب بورقيبة** إلى صديقه المجاهد العربي محمد علي الطاهر (المكنيّ بأبي الحسن) وقد نشرها الطاهر في كراسة خاصة.

وهناك **رسائل الدكتور زكي مبارك** إلى المعجبات بأدبه، وقد نشر بعضها في كتابه «ليلى المريضة في العراق» كما نشرت ابنته كريمة بعضا منها في كتاب «مجنون سعاد».

وهناك **رسائل ميخائيل نعيمة** إلى أصدقائه الأدباء، وقد ناشدهم إعادتها إليه وقام بنشرها بنفسه.

وهناك **رسائل العلامة العراقي الدكتور مصطفى جواد**، وقد نشرها تلميذه **وحيد الدين بهاء الدين**.

وهناك **رسائل الأمير شكيب أرسلان إلى الشيخ محمد رشيد رضا**، وقد نشرها **الدكتور أحمد الشرباصي**. كما نشر **الدكتور كميل حشيمة** الرسائل المتبادلة بين **الشيخ إبراهيم اليازجي وقسطاكي الحمصي**.

وهناك **رسائل** تلقاها العلامة **محمد لطفي جمعة** من أعلام عصره، فوقف ابنه **رابح لطفي جمعة** على نشرها. كما أن **الدكتور أحمد مكي** نشر طرفًا من **رسائل سيد قطب**.

○ لماذا تقاعست المجلات عن فتح صفحاتها أمام رسائل الأدباء؟


مصطفى صادق الرافعي


عبد الكريم جرمانوس

وهناك رسائل الشاعر التونسي **أبي القاسم الشابي** إلى صديقيْه **محمد الحليوي ومحمد البشروش** وقد نشرها **أبو القاسم محمد كرّو**.

وكان العلامة **عجاج نويهض** ظاهرة فذّة في أدب الرسائل، لأنه كان يحرّر الرسالة الواحدة في ثلاثين صفحة، ثم يجعل لها ذيلاً من عشر صفحات وملحقًا أول وثانيًا من بضع صفحات.

وكانت رسائله مزيجًا من الذكريات والآراء والأخبار والنكت، ولديه ملفات ضخمة تشتمل على جميع ما تلقاه من بريد زائدًا صورًا كربونية من رسائله هو.

وهناك رسائل عاطفية كتبها **إبراهيم عبد القادر المازني** ردًا على رسائل فتاة معجبة به، وعندما نشر **فتحي رضوان (الوزير السابق) هذه الرسائل تبيّن أنه هو الذي كان ينتحل دور الفتاة المعجبة إيقاعاً بالمازني**.

وهناك رسائل المستشرق المجري الدكتور **عبد الكريم جرمانوس** وقد نشر الأديب الأردني **الدكتور عيسى الناعوري** ما تلقاه منها.

والذي نعرفه من المتابعة الشخصية الحثيثة للحياة الأدبية المعاصرة أن عددًا غير قليل من الأدباء كانوا «هواة مراسلة» منهم الشاعران المهجريان **جورج صيدح وإلياس فرحات، والأديب المصري محمد عبد الغني حسن، والأديب العراقي جعفر الخليلي والأديبان الأردنيان يعقوب العودات** (المكنى بالبدوي الملثم) **وعيسى الناعوري والأديب العراقي وحيد الدين بهاء الدين والأديب المصري نقولا يوسف والعلامة أكرم زعيتر والأديب السعودي عبد العزيز الرفاعي والأديبان التونسيان أبو القاسم محمد كرّو والحبيب شيبوب والمجمعيّون عدنان الخطيب وعبد السلام العجيلي ويوسف عز الدين وزكي المحاسني**.

أمّا المنشئ المهجري **نظير زيتون** فكانت رسائله الطوال تتميز بأسلوب مسجوع يضطرد من أول الرسالة إلى آخرها، حتى ولو وقعت في عشر صفحات.

ومن طبيعة الرسائل أن تكون في أيدي أفراد، ومن ثم تصبح موزّعة في أنحاء الوطن العربي وعُرْضَةً للضياع أو التلف سواء ممن هي في حوزته أو من بعده. ولا يعلم إلاّ الله إلى أي مآل تنتهي مصائر هذه الرسائل الخاصة.

على أن بعض الرسائل الخاصة كان يكتسب عموميةً عند توجيهه إلى أصحابه على صفحات الصحف. فكان أستاذنا **أحمد حسن الزيات** يفتح صدر «**الرسالة**» لنشر رسائل أدبية الطابع من أديب إلى أديب آخر، وقد يختلفان مكانا، فواحد في المشرق العربي وآخر في المغرب العربي. وقد توسّع **ألبير أديب** في هذا الباب في مجلتّه اللبنانية «**الأديب**» فصارت تحتفي برسائل الأدباء وما يتبادلونه من مطارحات، وما يتداولونه من آراء، وقد تبارى في الاستفادة بهذا الباب أدباء من أنحاء العالم العربي كله، ومن المهاجر وديار الاستشراق. بل لقد كانوا يتواصلون من خلال هذا الباب بالأدباء الذين يمتنع عليهم التواصل معهم من خلال البريد لأسباب شتَّى.

وقد أطلعتني الشاعرة **جميلة العلايلي** قبيل وفاتها على مجموعة فريدة من الرسائل الأدبية والفنية التي كان يبعث بها الأستاذ **زكي طليمات** عميد معاهد التمثيل والأديب المتمكن إلى أديبة أعجب بشعرها، وقد تواترت هذه الرسائل منذ أن كان في باريس في عام ١٩٣٧م وحتى قبيل وفاته في ٢٢ من ديسمبر ١٩٨٢م فألفيتها ترسم صورة صادقة لنفسه المنطلقة على سجيتها، ولإنسانيته التي زادتها الأيام شفافية ورقّة. ولأن الرسائل استحالت إلى مسرح من مسارح زكي طليمات قام بالأدوار الأولى عليه قلبه ووجدانه وفكره وعاطفته وثقافته العريضة. وقد أوصى بشر هذه الرسائل بعد وفاته، ولكنها ما زالت رهينة المحابس.

وليس من قبيل التفاخر أن أقول: إنني كنت بدوري على اتصال بريديّ بكثير من أعلام عصري من أجيال خمسة، إذا كان الجيل يقاس بعقد من الزمان، ولكن مذهبي الذي لا أتنكّبه هو أن البريد الأدبي حتّى وإن تناول شؤونًا وشجونا عامة، هو في المحصّلة النهائية مكاشفة شخصية بين صديقين لها خصوصيتها الحميمة التي لا يسعني تلقاءها إلاّ الدعوة إلى طيّ هذا البريد كله، ودفنه بإكرام.

الدبلوماسية الإسلامية وتحديات النظام الدولي الجديد

بقلم: د. عبد الله الأشعل

○ يجب إبراز الهوية الإسلامية في إعداد الدبلوماسية لتمثيلنا في العالم على الوجه الأكمل

تتشكل الآن معالم نظام دولي جديد، وتوشك هذه المعالم أن تستقر خلال ما بقي من سنوات هذا القرن، وهذا يثير في الباحثين الرغبة في مقارنة أوضاع العالم الإسلامي الآن وتلك الأوضاع في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. وقد يدفع طرح المسألة على هذا النحو البعض إلى التسرع في استخلاص النتائج وتعميمها، ولذلك يتعين النظر إلى القضايا الإسلامية الكبرى في نهايات القرن الماضي والقضايا الإسلامية المعاصرة ودور العالم الإسلامي على الخريطة السياسية العالمية على أساس أن العالم الإسلامي كان في القرن الماضي يعاني من الاستعمار ولم يكن بوسع الباحثين أن يفردوا له مكانا على خريطة العالم. ولم تكن صيحات المصلحين في العالم الإسلامي في ذلك الوقت سوى محاولات إيقاظ المسلمين على واقعهم ولفتهم إلى مشكلاتهم.

ويبدو لنا أن العالم الإسلامي يستطيع أن يقرر لنفسه دوره الفاعل في النظام الدولي الجديد إذا أحسن إدراك المتغيرات العالمية مثلما يدرك مواطن قوته ومناطق ضعفه، والبحث في دور للعالم الإسلامي يتلازم مع مهمة أخرى وهي **إعداد الكوادر الدبلوماسية القادرة على التعامل مع هذه المعطيات الجديدة، والمسلحة في الوقت نفسه بأدوات ومهارات العمل الدولي، والراسخة القدم في تراثها وأسس حضارتها الإسلامية الخالدة**، فلا أظن أن برامج تدريب الدبلوماسيين وإعدادهم في الدول الإسلامية يمكن أن تغفل حقيقة أساسية أو فلسفة أولية تتذرع بها برامج التدريب وحولها تدور وتتركز، وهي إبراز الهوية الإسلامية للدبلوماسي المسلم، والتي تميزه عن غيره من الدبلوماسيين وبقية أعضاء الأسرة الدبلوماسية العالمية. فلقد ساد اعتقاد خاطئ أن للعمل الدبلوماسي تقاليد وأعرافا يتعين التقيد بها وعدم الحيد عنها، وأن هذه التقاليد قد تطورت في أحضان النظم الغربية المسيحية والعلمانية. ومؤدى التسليم بضرورة التقيد بهذه التقاليد أن يصبح الدبلوماسيون من جميع الدول والمنتمون إلى كل الحضارات أبناء مهنة واحدة تحكمها مبادئ ثابتة وتنظمها قوانين دولية ملزمة. والصحيح في هذه المقولة هو أن قواعد وآداب العمل الدبلوماسي تنقسم إلى مجموعتين الأولى موضوعية تكفل القيام بالوظيفة الدبلوماسية في إطار آداب معينة، والمجموعة الأخرى شخصية تتراوح فيها عادات الشعوب وتقاليدها عبر مسافة واسعة من الاختلاف والتنوع.

وإذا استظهرنا تقاليد الدبلوماسية الإسلامية في عصورها الزاهرة عندما كانت الدبلوماسية إحدى الأدوات الرئيسة للدولة الإسلامية لتحقيق أهدافها المتنوعة، وأجاد المسلمون في ضبط الشروط الواجب توافرها في السفراء والمبعوثين، كانت تلك نقطة البداية في التعرف تاريخ الدبلوماسية الإسلامية ومفاخرها وإنجازاتها في بناء الإمبراطورية الإسلامية وقد يتبادر إلى أذهان البعض أن دعوتنا إلى إعداد برامج خاصة لإعداد الدبلوماسيين المسلمين أننا ندعو إلى الفصل بين دبلوماسيي العالم الإسلامي وأقرانهم في الدول الأخرى، أو أننا ندعو إلى إنشاء نظام خاص يتجافى في بعض قسماته مع ما ألفه العالم من تقاليد وقواعد للعمل الدبلوماسي. ولكنني أبادر إلى التأكيد على أن القانون الدولي المنظم للعمل الدبلوماسي على المستوى العالمي لا يتناقض في شيء مع

○ قواعد العمل الدبلوماسي وآدابه لا ينبغي أن تحكمها النظرة الغربية فقط

تقاليد الشريعة الإسلامية التي أسهمت هي نفسها في إرساء بعض أحكام هذا القانون المتعلقة بالحصانات المقررة للمبعوثين كما يتعين الإشارة إلى أن دعوتي إلى وضع برامج خاصة لتدريب الدبلوماسيين المسلمين يلقي عليهم تبعات إضافية تجعلهم أكثر تميزا وتمثيلا للثقافة الإسلامية. فإلى جانب الإلمام الكافي باللغات الأجنبية المهمة والثقافة السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية الدولية، والمهارات المتنوعة المؤهلة لإجادة الوظيفة الدبلوماسية المتطورة مثل علوم التفاوض وفنونه، ودراسات السياسة الخارجية وإدارة الأزمات وغيرها، يجب أن تتضمن برامج التدريب بعض المعلومات حول الثقافة الإسلامية مثل تاريخ الحضارة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي العام، وتاريخ الشعوب الإسلامية وجغرافيتها البشرية والطبيعية والثقافية، ونظم الحكم في العالم الإسلامي والتيارات السياسية السائدة فيه، وتاريخ المذاهب السياسية والدينية والفلسفية والمدارس الفكرية الإسلامية، وتاريخ الدبلوماسية الإسلامية وتطورها والكتابات المستنيرة في هذا الباب، ودور المسلمين في الحضارة الأوربية والقانون الدولي المعاصر.

ولا شك أن التحلي بالثقافة الإسلامية الرصينة لا تغني عن تمسك الدبلوماسي المسلم بسلوك ينسجم مع الحضارة التي يمثلها خاصة في المسائل السلوكية الجوهرية. فلا يجوز أن يكون السلوك الدبلوماسي المسلم متناقضا مع ما يعلمه أقرانه من المبادئ الإسلامية الأساسية، أو ما يمثله هو نفسه من إطار عام لهذه الحضارة.

كما لا يجوز أن يكون في الإعلان عن الانتماء إلى الإسلام أو إلى العالم الإسلامي ما يستشعر معه أي حرج لا لشيء إلا لأن صورة الإسلام بسبب تصرفات بعض المسلمين لما يأسف له خلصاء المسلمين، أو أن العالم الإسلامي يعاني من الفقر والبؤس والضعف وهوانه على أهله وغيره من الناس، إذ لا شك أن اعتزاز المسلم بتقليد الحضارة الإسلامية يعد مصدرا خصبًا لصورة الإسلام عند الدول الأخرى. فلا يخفى أن التزام الدبلوماسي المسلم بأصول دينه يجعله صورة ناصعة للحضارة الإسلامية، كما أن ذلك يجعله عنصرا محترمًا في أسرة الأمم المتحضرة.

ولعل ذلك الاعتداد بالانتماء إلى الحضارة الإسلامية يتطلب لدى البعض من أبناء العالم الإسلامي الكثير من الشجاعة في مواجهة النفس والكثير من تعديل عناصر إدراكه ومفاتيح شخصيته وتحدي الغزو الثقافي الأجنبي الذي تمكن منهم بشكل مخيف.

إن تدريب الدبلوماسي المسلم وفق برامج موحدة مع التوسع في الجوانب الخاصة بكل دولة سوف يكفل تقديم أجيال من الدبلوماسيين المسلمين الذين تتحقق بهم وحدة أهداف الأمة الإسلامية ويسهل عن طريقهم الوصول إلى دبلوماسية إسلامية بالمفهوم الدقيق لهذا الاصطلاح، كما إن ذلك الأسلوب يجعل من السهل التنسيق اللازم بين السياسات الوطنية للدول الإسلامية، ويبرز لدينا مدرسة دبلوماسية إسلامية نعتز بأجيالها وبثمارها في الوظيفة الدبلوماسية، وتسهم في إزالة اللبس الذي لدى بعض المغرضين في الغرب حول الإسلام وسياسات المسلمين ويجعل للعالم الإسلامي مكانًا في عالم الغد الذي يؤذن بالظهور.

أما الأساليب التي يمكن بها تنفيذ هذا البرنامج فلا حصر لها، ولكني أتصور أن تبادر معاهد التدريب الدبلوماسي في الدول الإسلامية إلى التنسيق فيما بينها من أجل الاعتراف بقاعدة تميز الدبلوماسي المسلم بهويته الإسلامية وما يترتب على هذه القاعدة من آثار عملية في برامج التدريب.

وأما الأسلوب الآخر فهو إقامة أكاديمية دبلوماسية إسلامية يكون مقرها إحدى الدول الإسلامية ويكون بوسعها تقديم برامج التدريب الدبلوماسي للدبلوماسيين المسلمين، بحيث تتسع برامجها لفلسفة التدريب الإسلامية. ويمكن أن يطلق عليها أحد الأسماء اللامعة في الفكر الإسلامي الدبلوماسي وهم كثر يضيق المقام عن حصرهم بدءًا بالكوكبة التي أعانت الرسول ﷺ في صدر الدعوة أو تلك التي ساندت الدعوة ضد حروب الردة، ثم استطال باعها المهني والفني حتى شملت خدماتها عصور الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من السلاطين والأمراء.

وإذا كانت تلك كلمة موجزة في عرض الفكرة في جوهرها فلا أشك أن الكتابة المتصلة فيها والإلحاح عليها قد يفيد في طرح المزيد من الإيضاحات بشأنها، وذلك أن التفصيل أمر يسير بشرط أن يبدأ قبول الفكرة نفسها حتى يتيسر للمختصين وضع البرامج المناسبة التي تحقق الهدف المنشود، ولا أعتقد أن ضياع المزيد من الوقت يمكن أن يكون في صالح العالم الإسلامي الذي يعيش عالما سريع الإيقاع.

من كتاب العدد

● د. عبد الله حسن الأشعل

- مواليد ١٩٤٥ بمحافظة الشرقية بجمهورية مصر العربية.

- حصل على بكالوريوس العلوم السياسية والماجستير من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

- واصل دراسته بالجامعات الفرنسية والهولندية وحصل على دكتوراه من جامعة ليون بهولندا، وعلى دبلوم القانون الدولي العام من أكاديمية لاهاي للقانون الدولي العام.

- أصدر ١٧ كتابًا وثمانين بحثا رئيسا في مجالات القانون الدولي العام والعلاقات الدولية والمنظمات الدولية.



- عمل مستشارا قانونيا لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة من ٨٥ - ١٩٩٠ كان قبلها مندوبا مناوبا لمصر بالمنظمة وقائما بأعمال بعثتها الدبلوماسية في جدة.

- يعمل حاليا نائبا لمدير معهد الدراسات الدبلوماسية بالقاهرة.

المُصطلحُ العلميُّ وعلاقته بنموّ المعارف

بقلم: محمد العربي الخطابي

إنّ الفكرة تسبق اللفظ، واللفظ يُقَيد الفكرة ويَحُدُّها، فأنت - مثلاً - لا تُسمِّي كأسًا قبل أن يكون معنى هذا اللفظِ قائمًا في ذهنك، وإنك لتتصورُ هذا الإناء مملوءًا فتُسميه كأسًا، فإذا كان فارغًا لا شرابَ فيه سميته كوبًا، وقد يستعار اللفظُ للدلالة على معانٍ أخرى يتواضع عليها أناسٌ يجمعهم علمٌ أو مهنةٌ أو أيُّ نشاطٍ إنسانيّ آخر، فأهلُ الرياضة - مثلاً - يستعيرون لفظَ الكأسِ فيطلقونه على إناءٍ من ذهبٍ أو فضّة مصنوع على شكلٍ معلوم لديهم، والغرضُ منه ليس هو الشُّربَ ولا حفظَ المشروب بل مكافأةُ فريقٍ منتصر في منافساتٍ رياضيةٍ تجري وَفْقَ ضوابطَ معيّنة.

هذا وللناس أيضًا أن يستعيروا لفظ الكأسِ لاستعمالاتٍ مجازيةٍ من نحو قولهم: فلانٌ شربَ الكأسَ حتى الثُّمالة، أو تجرّع كأسَ الهوان، مع أنه لا كأس هنا في الحقيقة ولا شراب، وإنما الغرضُ من هذه التعابير المجازية إضفاء مسحةٍ من الرونق على اللغة ومحاولة إفراغها في قالبٍ من التصوير الجماليّ شريطة أن تصادف محلّها عند القائلين والسامعين، وأن يفهم المقصود منها دون عَناء وإلاّ دَخلت في بابِ الألغازِ والمعميّات.

إن للألفاظِ صورةً باطنةً وأخرى ظاهرة، فالباطنةُ هي الأصلُ إذْ هي المعنى القائم في النفس الذي قلّما تختلفُ في تصوُّره أمةٌ عن أمةٍ مهما اختلفت ألسنتها، وأما الصورة الظاهرة أو الخارجة فهي اللفظ الدالُّ بتواطؤٍ على المعنى المرسوم في الذّهن، ويتم الإعرابُ عنه بالنّطقِ والمحاكاةِ الصوتية أو بالرموزِ الكتابية على اختلافٍ في ذلك بين الأممِ واللغات.

وكما أنّ المعاني القائمة في النفس لا تقِف عند حدّ محدودٍ بل تتسع تبعًا لنموّ المعرفة وانصقال الملكات الذّهنية للإنسان، فإن الألفاظ المنطوقة يُصيبها التغيُّرُ وتخضع لسُنن التطور، من أجل أن تفي بالأغراض الإنسانية المتجددة جيلا بعد جيلٍ في ميادين العلم والصناعةِ والثقافةِ والحضارة بوجهٍ عامّ.

خذ - مثلاً - لفظَ **النواة** الذي لم يكن يعني في الأصلِ شيئًا آخر غيرَ عَجَم الزبيب أو التّمرِ أو المشمش، ثم استُعير هذا اللفظُ بحكم تطوُّرِ العلوم التجريبية فصار يَدُلُّ على حقائقَ فيزيائيةٍ أو بيولوجيةٍ كنواةِ الذرة ونواةِ الخَليّةِ الحية ونحو ذلك. وهكذا صار هذا اللفظ من الأسماء المشتركة - كما يقول أصحابُ اللغة والمنطق - والاسم المشترك هو «اللفظ الذي يُطلق على موجوداتٍ مختلفةٍ بالحدّ والحقيقةِ إطلاقًا متساويًا، **كالعين** تُطلق على العين الباصرة وينبوع الماءِ وقُرْصِ الشمس» **كما قال أبو حامد الغزالي**(١).

ومن هذا القبيل أيضا لفظُ **الصوت** وما يُشْتَقُّ منه **كالتصويت والمُصوّت**، (بكسر الواو وتشديدها)، فإن معناه الأصلي مِنْ صاتَ يصوت أي صاحَ يصيح، ثم استُعير اللفظُ في عصرنا هذا للدلالةِ على معانٍ جديدةٍ مستحدثةٍ. جاء في (المعجم الوسيط): «الصوتُ: الأثرُ السمعيُّ الذي تُحدِثه تموجاتٌ ناشئة عن اهتزاز جسم ما» وفيه أيضًا «الصوتُ: الرأي تُبديه كتابةً أو مشافهةً في موضوعٍ يُقَرَّرُ أو شخصٍ ينتخب» هذا فضلاً عن معنى الصوت عند النُّحاة، ومنه علمُ الأصوات المسمَّى عند الغربيين بـ« Phonétique».

وحاصل القول فيما ذُكِر أنّ اللغاتِ - كما يقرِّرُ ابن خلدون - «**ملكاتٌ شبيهةٌ بالصناعة، إذ هي ملكاتٌ في اللسانِ للعبارةِ عن المعاني؛ وجودتها وقصورُها بحسبِ تمام الملكة أو نقصانها**»(٢) وقد نستنتج من هذا القول - لو تدبرناه - أن مسألة القدرة أو العجز عن إيجاد مصطلحاتٍ لفظية لتسمية حقائق علميةٍ أو أدواتٍ وآلاتٍ يصنعها الإنسان ويطوّرها لخدمة أغراضِ الحضارةِ والمعاش، أقول: إنّ هذه المسألة لا ترجع إلى اللغةِ نفسها بقدر ما تعود إلى الأقوام الذين يستعملون هذه اللّغة، إذ متى كان حظّهم من العلوم والمعارفِ أوفرَ وقبولهم للتجديد والتطوّر أعظمَ فإنهم لا يعجزون عن توليد ما هم في حاجةٍ إليه من ألفاظٍ اصطلاحيةٍ تُعبِّر عن أغراضهم، فإن النجّار والحدّاد والبناء - بلْ وحتّى حفّار القبور - لا تعييهم الحيلة في اصطناع ألفاظٍ يتواضعون عليها فيما بينهم من أجلِ التعبير عن أغراضِ صَنْعَتِهم؛ فما من آلةٍ أو حركةٍ أو حيلةٍ تتصلُ بمهمتهم إلاّ وتجد لها عندهم اسمًا معينًا يستعيرونه من اللغة أو يبتكرونه ابتكارا، ثم يألفونه ويروج بينهم حتى ولو كان المصطلح المتفق عليه ثقيلَ المأخذِ أو غريب الوقع على الأذن لمن لم يألفه، وقد علمنا أنّ أربابَ المهنِ يطلقون أسماء مستغربة على أشياءَ وأدواتٍ تتصّل بصناعتهم؛ فالأطباءُ - مثلاً - يسمّون قروحًا تحدث بالرقبة خنازير، هكذا بالجمع، وأصحاب الرصدِ يسمّون جزءًا من الأسطرلاب بالعنكبوت، وقد نسمع عند أصحاب الصناعات اليدوية ألفاظًا اصطلاحية كالذبابة والفأر والرمانة، لا يريدون بها معانيها اللغوية؛ ونحن وغيرنا من الأجناسِ في هذا سواء. فالمسألة كلّها تتوقف - كما

○ الاستعمالات المجازية أضفت مسحة من الرونق على اللغة ومنحتها جمالاً فوق جمال

تـرى ـ على الـواضِع والموضوع، فـالواضعُ هـو المتخصّص المتمكن من علمٍ أو صناعةٍ أو مهنة، والموضوعُ هو المادّة المتنـاولة والأفعال والتصاريف المتعلقة بها مما لا بدّ لـه من تسميةٍ يُعْرف بها. وليـس أيسر على الناس من استنبـاطِ لفظٍ اصطلاحيّ جـديدٍ تدعو إليه الحاجـةُ شريطةَ أن يكون المستنبط عـارفا بالشيء المستحدث الـذي يريد أن يضع لـه اسماً. وهذا الأمر لا يعني العـالِمَ المتبحّر في اللغةِ وحده، فإنّ عالِمَ اللغة لا ينتظر منه أن يُوَلِّد، مصطلحاتٍ جديدةً في علم الكيمياء أو علم الفلك الطبيعي أو غيرهما من العلوم الدّقيقة، لأن الحُكْمَ على الشيء ـــ كما يقـال ـ فـرعٌ من تصـوُّره، فـلا بـدّ إذن من الرجـوع إلى أصحـاب التخصّص العلميّ شريطة أن تكـون لهم معرفةٌ كافيةٌ بقـواعد لغتهم، ويمكن الاستعانة مع ذلك بعالم اللغة متى دعت الضرورة إلى ذلك.

إنّ اللغويّ حينما يطلب منه ـ مثلاً ـ أن يفسر الماء فإنه يكفيه أن يقول: «إنّ الماء سـائلٌ شفّـافٌ لا لـون لـه ولا رائحـة ولا طعم، يستعمل للشربِ والـريِّ والغسيل وما شابه ذلك»، ولكن العالم الطبيعـي ينتظر منه أن يذهب أبعد من هذا التعريـف اللغوي، فهو مطالب بتقديـم بيانات علمية تُوضِّـح ماهيةَ الماءِ وطبيعته وتـركيبه، وهو بذلـك سيكون محتاجًا إلى استعمال مصطلحـاتٍ علميةٍ عديدة تتعلق بالماء كالهيدروجين والأكسجين والكثافة النوعية والوزن الذري وما إلى ذلك، وهكذا في كلّ مادةٍ يكون فيها للعلوم التجريبية دخلٌ ونظر.

هذا، والمصطلحات العلمية والصناعيـة لا تنشأ ـ ضرورة ـ في مجامع اللغة وحدها، إذ لو كان الأمر كـذلك لتعرقلت حركة العلوم والمعارفِ التي تسيرُ في عصرنا هذا بسرعةٍ مذهلةٍ، والمجـامع تؤثِرُ التمهُّلَ في السير؛ والواقع أن العدد الأكبر من تلك المصطلحاتِ ينشأ في المخابر والمصـانع ومدرجات الجامعات، يبتكـرهـا العلماء المتخصصـون والتقنيـون والمخترعـون وغيرهم من أهل العلم والنظر والصنـاعة، فما من نظـريةٍ مستحـدثةٍ تظهـر للوجـود، أو آلةٍ جـديدةٍ تُبتكـر، أو حقيقـةٍ علميـةٍ تنبثق في أيّ ميـدانٍ من ميـادين البحث إلاّ ويجد لها أصحـابها اسماً اصطـلاحيا ينـاسبهـا، وذلك أنّ الحاجـةَ ـ كما يقـال ـــ هي أمّ الاختراع، ولما كانت العلوم كثيرةً ومتشعِّبـة فإن المصطلحاتِ الخاصةَ بكلّ علم تنشأ على وتيرةٍ سريعةٍ جدًّا يصعب اللحاقُ بها على من يُضْطرون إلى نقلِ معاني هـذه المصطلحـاتِ إلى لغـاتهم لفهمِ طبيعـةِ المستجـدات العلميـة ومـراميهـا وتفاصيلها الدقيقة.

وهنـا أستسمح القارئ كي أرجع إلى الـوراء قليلاً للنظرِ في الطريقـة التي اتّبعها السلف لتوليد المصطلحات، حينما اضطروا إلى ذلك بفعل حرصهم على استيعـابِ المعارف العلميـة والفلسفية التـي كانت عنـد أمم سبقتهم إلى ذلك كاليونان والسريان والفرس والهند، فأقول:

لقد كانت العربية عند ظهور الإسلام لغةً ناضجةً غنيةً بمفرداتها وتعابيرها الحقيقية والمجازية، متميزةً بنظامها الاشتقاقي المرن المساعد على استنباط ألفاظٍ كفيلةٍ بـالإعرابِ عن أدقّ الصـورِ المحسوسـة والمعقولـة. ولا أدلّ على ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكـريم من مفرداتٍ غزيرةٍ وصـورٍ مجازيةٍ رفيعة كما يتضح من تصفح المعجم القيـم الـذي صنّفـه الـراغب الأصفهـاني في أوائل القـرن الخامس الهجـري وجَمع بين دفّتيـه المفرداتِ الـواردةَ في كتـابِ الله مع تفسيرهـا وبيانِ معـانيها في الحقيقـة والمجاز (٣)، هـذا فضـلاً عما ورد في الأحـاديث النبوية (٤) وأشعارِ العربِ وأمثالهم وحكمهم حتى قيل: «كلام العرب لا يحيط به إلاّ نبي».

ومع أن العـرب قبل ظهور الإسـلام لم يكن لهم اشتغـالٌ بالعلـوم النظريـة الدقيقةِ، فإنهم كـانوا أهل بصرٍ، يتأملون فيما حولهم من مظاهر الحيـاة وظواهر الطبيعة، وهـم لم يبحثوا في علل الأشيـاء وأصولها بحثـا عقليًا كما فعل قـدماء اليـونـان ـــ مثـلاً ـــ غير أنهم أحسنـوا الاستفـادة من مشـاهـداتهم العينيـة، واحتكـاكهم بالـوقائع الملمـوسة في بيئتهم الخاصّـة، وبذلك اتّسع رصيـدهم اللغوي كما يتبين مع المعاجم الموضوعية العـديدة التي تولى جمعها وتصنيفها في صدر الإسلام وما تلاه من عصورِ رواة اللغةِ المهتمّون بالجمع والتّدوين وتفسيرِ معاني الألفاظ وبيان أصـولها وتصاريفها، **ومن هؤلاء اللغـويين الأوائل الذين قيدوا شواردَ اللغة: النّضرُ بن شميل (٢٠٤هـ) وأبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) ومحمد بن المستنير المعـروف بقطرب (٢٠٦هـ) وأبو عبيدة (٢١٠هـ) وأبو زياد الكلابي (٢١٥هـ) والأصمعي (٢١٦هـ) والقاسم بن سلام (٢٢٣هـ) وابن زياد الأعرابي (٢٣٠هـ) وأبو نصر الباهلي (٢٣٢هـ) وابن السكّيت (٢٤٤هـ) وأبو** حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) ومسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) **وأبو حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ) وابن دُريد (٣٢١هـ)** وغير هـؤلاء من أعلام اللّغة الذين دَونـوا كلام العـرب وصنّفوه في معـاجم منها مـا اختصَّ بخِلْقـة الإنسان وأسماءِ أعضـائه، ومنها ما اهتمّ بأنواعِ الحيوان وأصناف النباتِ والشجرِ والأنواء وما إلى ذلك (٥).

فهذه المؤلفـات المعجمية الغـزيرة التي أشرنا إليهـا مهّدت الطـريق لظهور المعـاجم العـامـة الكبرى من صنف كتـاب العيْن، والبـارع، وتـاج اللغـة، والمخصّص، ولسانِ العرب، والقاموسِ المحيط وغيرها، وفضلاً عن ذلك فإنّ المعاجم الأولى التي اختصّت بموضوعاتٍ معينةٍ قد أمَدّت المترجمين والمشتغلين بالعلـوم الريـاضية والفلكية والطبيعيـة وبالفلسفـة والمنطق برصيـدٍ لغوي مهمّ أعانهم على استنبـاط المصطلحاتِ الـدقيقة الخاصةِ بكل علم كـالفقه وأصـوله وعلم الكـلام والنحـو والصرف والبـلاغة والبيـان والفلك والـريـاضيـات والطبيعيـات، ومـا إلى ذلك مـن المعـارف التي انتشرت في العصـور الأولى للحضارة الإسلامية، بما في ذلك العلوم الخاصـة بنظم الدولة الإدارية والمالية، والمسالك والممالك.

وأمـا الطّـرق التي اتّبعهـا الأسـلاف لإيجاد مـا تـدعـو إليـه الحاجـة من المصطلحات العلمية فقد اعتمد فيها أساسًا على التعريبِ والتوليد.

فالتعريب يتمُّ باقتباسِ لفظ أجنبي ـ يونـاني أو فارسي أو سرياني ـ وإفراغه في صياغةٍ يقبلها منطق العربية؛ وقد اقتبس السلفُ بهذه الكيفيةِ عددًا كبيرًا من الأسماءِ الأجنبيـة كـالأسطرلاب، والهيـولى، والأسطقس، والأقـرابـاذين، والقيفال، والشاقول، والإيـارج، والوردينج، والبيروح، والجغرافيا وغير ذلك

من الألفاظِ والمصطلحاتِ التي وسّعَتْ آفاقَ اللغةِ العربية وراجت بين العلماءِ وظهرت في مؤلّفاتهم وبحوثهم في الطبيعياتِ والرياضياتِ والفلكِ والفلسفةِ، وفي شؤون التنظيم الإداري والمالي من غيرِ أن يُنكرها أحدٌ من علماءِ اللغة برغم تحفّظِ بعضهم إزاءها.

وأما **التوليد** فهو يعني - بصفةٍ عامة - استحداثَ مُصطلحٍ لفظيّ للدلالة على مَعْنى جديد، سواء كان لهذا المصطلح أصلٌ اشتقاقيٌ وصَرفيّ في اللغة العربية أو لم يكن، ومن أمثلة ذلك:

- **البَيْضة**، وأصلها في اللغة نتاج إناث الطّير، واستعارها العرب للكناية عن بيضة السلاح، وهي الخوذة، ثم اصطلح عليها الأطباء فيما بعدُ للدلالة على نوع من الصّداع.

- التوريب أو التأريب، وهو اصطلاح يريد به الأطباء الميلَ والتحريفَ بين الطول والعرض، وقد استعمله الرازي والزهراوي وابن زهر وغيرهم بهذا المعنى الدقيق. وربما يكون هذا اللفظ قد استعير من المواربة - ومعناها المخادعة - غير أن المعنى مختلف.

- **المصادرة**، مصطلح فلسفي رياضي يراد به قضية يطلب التصديق والتسليم بها دون برهانٍ لحاجة العقلِ إليها في الاستدلال.

- **الجبر**، أصلُه من جَبَر بمعنى صَلح، ويستعمله الأطباءُ بمعنى تقويم الكَسْرِ في العظام، أما الرياضيون فقد استعملوه للدلالةِ على فرعٍ من فروع الرياضياتِ، وهو معروف.

الاستسقاء، أصله من سَقى، ومعناه طَلَب السُّقْيا، استعاره الأطباء للدلالة على علّةٍ تتمثل في تجمُّع سائلٍ في التجويف البريتوني.

ذَرَبُ البول: والذّرَبُ في اللغة مرضٌ يعرض للمعدة، إلاّ أنّ المرادَ بذَرَبِ البولِ عند الأطباء مرضُ البول السكّري.

ونَحَتَ الأسلافُ من ألفاظِ اللغة أيضًا مصطلحاتٍ جديدة في الفلسفةِ والمنطق والعلوم ما تزال حيّة بيننا إلى اليوم، مثل **الهُوية، والماهيّة، والبَعْدية** (بفتح الباء) **والقبلية** (بفتح القاف) **والإنّية** (بتشديد النون وكسرها). **وأعطوا لألفاظٍ عربيةٍ أخرى معانيَ جديدةً مثل الجوهر، والعَرَض، والفَيْض، والموضوع، والمحمول، والكون، والفساد، والمقولة، والحِسّ المشترك، والعقلِ الفعّال، وغير ذلك.**

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي سُقناها للإشارة إلى أنّ السّلف لم يتحرّجوا من توسيع مجالِ اللغةِ العربية، لمواكبة تقدّم العلوم وازدهارِ الحضارة، وأن هذه اللغة قد أعطت الدليل على مرونتها وقابليتها للنموّ والتطوّرِ واستيعابِ المعارفِ الجديدة، وبذلك أمكن نقلُ أعدادٍ كبيرةٍ من المؤلفات العلمية والفلسفية من عدّة لغات، ولم يتأخر الدارسون عن توليد ما تدعو إليه الحاجة من مصطلحاتٍ في كلّ علمٍ وفنّ، وقد شاعت هذه المصطلحاتُ وذاعت في جميع أنحاءِ العالم الإسلامي بفضل رواج المؤلّفاتِ العلميةِ والفلسفية وإقبالِ الناس عليها واعتمادِها في حلقات الدّرس.

ولما كانت المعاجمُ العامةُ المتداولة بين الناس لا تفي في الغالب بشرح المصطلحات المولّدة والمعرّبة فقد دعت الضرورة إلى تأليف معاجمَ موضوعيةٍ ومؤلفاتٍ تعنى بشرح المفرداتِ الخاصةِ بالفلسفة وعلوم الطبيعة والفلك والرياضيات وما إلى ذلك، ونذكر فيما يلي جملةً من هذه المؤلفات المعجميةِ الخاصّةِ التي وَصلت إلينا:

١ - «**كتاب النّبات**» **لأبي حنيفة الدينوري**، وهو أول موسوعة مختصّة بالعشب والشجر وما يتّصل بهما؛ يحتوي على ستّة مجلدات، ومنه قسم معجمي مرتّبٌ على أوائل الحروف يتضمّن أعيانَ النبات ويشرح ماهيتها وأجناسها. ولم يصلنا من هذا المعجم الفريد في بابه سوى قطعة[٦]. وقد بقي كتاب النبات لأبي حنيفة مصدرًا يستمدّ منه واضعو معاجم اللغة والعلماءُ المهتمون بالمفرداتِ النباتية خاصة.

٢ - «**كتاب التنوير**» **تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري** (توفي نحو سنة ٣٩٠هـ)، وهو معجم في تفسير المصطلحات الطبية[٧].

٣ - **شرح الأسماء الواقعة في كتب الطبّ لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي** (نحو عام ٤٠٤هـ)، وهو قسمٌ من أقسام الموسوعة الطبية المسماة بكتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» من تأليف هذا الطبيب الأندلسي[٨].

٤ - «**كتاب الصيدنة**»، **لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني** (٤٤٠هـ) وهو في تفسير مفردات الأدوية[٩].

٥ - «**عمدة الطبيب في معرفة النبات**»، **لأبي الخير الإشبيلي** (القرن السادس الهجري)، وهو أوسع كتابٍ في علم النّبات وتفسير ماهيته وتعيين أماكن وجوده، رتّبه المؤلف ترتيبًا أبجديًّا[١٠].

٦ - «**مفيد العلوم ومبيد الهموم**» **تأليف أبي جعفر أحمد بن الحشا**، (القرن السابع الهجري)، وهو معجم لتفسير الألفاظ الطبية الواقعة في الكتاب المنصوري للرازي[١١].

٧ - «**التعريفات**» **تأليف علي بن محمد الشريف الجرجاني** (٨١٦هـ)، وهو معجم لتفسيرِ المصطلحات الفقهية واللغوية والفلسفية[١٢].

٨ - «**خَلْقُ الإنسانِ في اللغة**» **لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن** (ربما يكون من أهل القرن السادس أو السابع الهجري)[١٣]، ومعلوم أنّ المصنّفات الخاصة بخلق الإنسان كثيرةٌ تقارب الخمسين، لكن هذا الكتاب يمتاز بما يُضيفه من معلومات في علم التّشريح نقلا عن الطبيب اليوناني جالينوس، فضلاً عن ترتيبه البديع وعنايته بمسائل اللغة.

٩ - «**كتاب المُبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلّمين**» **لأبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد التغلبي، المعروف بسيف الدين الآمدي** (٦٣١هـ)، وهو معجم في تفسير مصطلحاتِ الفلسفة والمنطق وعلم الكلام[١٤].

١٠ - «**الكليات**» **لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي** (١٠٩٣هـ) وهو مُعجم جامع في مصطلحاتِ الفقه واللغة والحكمة والفلك[١٥].

١١ - «**التوقيف على مهمات التعاريف**» **تأليف محمد عبد الرؤوف المُناوي** (٩٥٢هـ)، وهو من جنس كتابِ التعريفات للجرجاني[١٦].

١٢ - **مفردات أبي عبد الله لسان الدين محمد بن الخطيب السلماني الأندلسي** (٧٧٦هـ) وردت في ذيل كتابه «**الوصول لحفظ الصحة في الفصول**» يُفسر فيه ما

ورد في الكتاب من مصطلحات طبية وغيرها (١٧).

وفضلا عن معاجم المصطلحات التي ذكرنا جملةً منها **عرفت الخزانة العربية مؤلفاتٍ عني أصحابها بتفسير المفردات العلمية، ومنها على سبيل المثال : كتاب «إحصاء العلوم» للفارابي، و«مفاتيح العلوم» للخوارزمي، وكتاب «التفهيم» لأبي الريحان البيروني**، وهو موضوعٌ على طريقةِ السؤال والجواب، يَشْرح فيه المؤلِّف المفاهيم الخاصَّةَ بعلوم الرياضياتِ والفلك والتنجيم.

وحاصلُ الكلام أن الاشتغالَ باستنباط المصطلحات العلمية والتكنولوجية في عصرنا هذا أمرٌ لا يمكن فصله عن حركة تقدم العلوم نفسها، وذلك أن الذي يجهل المعلوماتِ الضرورية المتعلقة بأيِّ علم من العلوم الدقيقة لا يمكنه أن يُوَلِّد مصطلحًا عربيًّا مناسبًا يفي بالدلالةِ على الغرضِ المقصود حتّى ولو كان من يحاول التوليد والاستنباط متبحِّرًا في علوم اللغةِ العربية حافظًا لدواوين شعرائها. **هذا وإن عالمَ الطبيعة أو الكيمياء أو غيرهما لا بدّ أن يكون له إلمام واسعٌ بقواعدِ اللغة العربية وأصولها إذا أراد أن يبتكر أو يُتَرْجِم مصطلحًا في العلم الذي هو متخصِّصٌ فيه ومُطّلعٌ على كلِّياته وجُزئياته**، حتى لا يقع فيما يقع فيه العوامُّ عادةً (وأقصد بالعوام غيرَ المتخصصين) من مثلِ قولهم : **العقل الإلكتروني** لآلة الحاسوب ـ **والقمر الصنّاعي** للتوابع الصناعية التي تدور حول الأرض **والصُّداع النصفي** للشقيقةِ، وغير ذلك.

هذا وكلُّ مصطلح علميّ جديد لا بدّ أن تتهيأ له الظروف الملائمة ليروجَ وينتشر على أوسع نطاقٍ من طريق الكتب والمجلات المتخصصة ووسائل الإعلام والمدارس والجامعات حتى لا يكون للمفهوم الواحدِ عدّةُ تسميات ؛ ولا بدّ كذلك من وضْعِ معاجم لشرحِ المصطلحات الخاصة بكلِّ علم وفنّ وصناعةٍ مع إضافة ما يقابلها في اللغات الأجنبية، ولا سيما الإنجليزية التي لها السبقُ وسعةُ الانتشار في هذا العصر.

ولا بأس من تعريب ما ينبغي تعريبه من المصطلحاتِ الشائعة في مختلف لغاتِ العالم، فقد ثبتت في الأذهان ألفاظٌ علميةٌ دقيقة وعمّ استعمالها كالأزوت، والأكسجين، والفيتامينات، والأنزيمات، والميكروبات، والليزر، والتلفاز وما إلى ذلك من الألفاظ التي تتسع لها لغةُ العربِ ولا تضيق بها.

واللغة العربية لا تحتمل التركيب المزجي إلاّ في حالاتٍ نادرة جدًّا، فلا داعي إلى التكلّف إذ في الاشتقاقِ والإضافةِ مُتَّسَعٌ، وقد فَعل ذلك أسلافنا فقالوا حيلة البرء، أي العلم المختصّ بمعالجة الأمراض، وقالوا **تفرّق الاتصال** يريدون به ما يحدث في الجسم من جرح أو نحوه. وهذا على عكس الكثير من لغاتِ الغرب التي تقبل النّحت والتركيب المزجي وتستعين في ذلك أساسًا باليونانية واللاّتينية ـ وهما لغتان ميتتان ـ على أن لكلِّ لغةٍ منطقها ونظامها الصوتي والصرفي والاشتقاقي.

هذا ولا حاجة إلى التنبيه إلى الأهمية القصوى التي تكتسيها ترجمةُ المؤلفاتِ العلمية من اللغات الأجنبية الحيّة على يد متخصصين متمرسين بالعلم الذي ينقلونه مع المعرفة الواسعة باللغتينِ المنقولِ منها والمترجم إليها. **وحبّذا لو أُنْشِئت في المنظَّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هيئةٌ تختصّ بترجمة الآثارِ العلمية المعاصرة، ونشْرِها وفق خطّةٍ منهجية تنتظم بها جهودُ الترجمة العلمية بصورةٍ تسهم في نشر لغة العلوم وتُمَهّد للقارئ والدارس سُبُلَ التدرّب على دقّةِ اللفظ والعبارة، والاستفادة من مناهج البحث والتحليل والتوليف**، ولا سيما أنّ عدد المتخصصين في مختلف فروع العلم والتقنية (التكنولوجيا) يزداد تكاثرًا في الأقطار العربية، وهو ما يؤكد الحاجة إلى تكثيفِ الجهود، وتنظيم العمل، وترتيب الأوليات، وتشجيع الطاقات الحية على الابتكار، وتوفير وسائل البحث لها حتى لا تتحول إلى أدمغةٍ مهاجرةٍ لا تستفيد منها أوطانُها كما يَجب أن تستفيد.

وأختم هذا الكلام فأقول : إنّ العربية ليست لغةً قاصرةً عن شأوِ العلوم، بل هي كسائرِ اللغاتِ الحيّةِ الأخرى متوقفة على هِمّة أبنائها، فهي تستمدُّ الحيويةَ والنموَّ منهم، وتسمو بسموِّهم في مدارج العلم والاجتماع والاقتصادِ والحضارة، وتستجيب لرغبتهم في التقدم والازدهار، وتسايـر قدرتهم على استيعابِ مطالبِ العصر إن هم حَثّوها على ذلك، فهي مطيةٌ وأهلها حُداة، وقد قطعت بفضل حُداتها الجادين أشواطًا بعيدةً، لكن الطريق أمامها وأمامهم ما يزال طويلاً، وكلُّ من حثَّ السيرَ وَصل، وعلى الله قَصْدُ السبيلِ.

الهوامش

(١) «معيار العلم» تحقيق د. سليمان دنيا، ص ٨١، دار المعارف بمصر (القاهرة، ١٩٦٩) الطبعة الثانية.

(٢) «مقدمة ابن خلدون» تحقيق على عبد الواحد وافي، ج٤ : ١٢٦٨. لجنة البيان العربي، (القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م) الطبعة الثانية.

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» تحقيق صفوان عدنان داوودي. دار القلم (دمشق) والدار الشامية (بيروت) ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، وقد صدرت طبعاتٌ أخرى سابقة.

(٤) انظر ـ على سبيل المثال ـ «كتاب غريب الحديث» لأبي سليمان الخطّابي البستي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، صدر في جزأين عن جامعة أم القرى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

(٥) انظر في هذا الشأن «معجم المعاجم» تأليف أحمد إقبال الشرقاوي، دار الغرب الإسلامي (بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(٦) «كتاب النبات» لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق ب. لوين B. Lewin مطبعة بريل (ليدن ١٩٥٣م).

(٧) كتاب التنوير، تحقيق وتقديم وفاء تقي الدين. وقد حَصَلْتُ على نسخةٍ مصورة منه، ليس فيها ذكر لمكانِ النشر ولا تاريخه، وأظنّ أنه نشر بمجلة علمية تصدر في دمشق.

(٨) انظر كتاب «الطبّ والأطباء في الأندلس الإسلامية» تأليف محمد العربي الخطّابي، الجزء الأول، (الفصل الخاص بالزهراوي).

وقد خصصنا أحد أبوابه للكلام على كتاب «التصريف» بعد تعريف وافٍ بمؤلفه، وأوردنا في ذيل الجزء الثاني تفسيرًا للمصطلحات الطبية، بعضها منقول من كتابِ التصريف.

(٩) صدر كتاب الصيدنة للبيروني محققًا بعناية الحكيم محمد سعيد والدكتور رانا إحسان إلهي ؛ منشورات مؤسسة همدود الوطنية (كراتشي، ١٩٧٣م).

(١٠) طبع «عمدة الطبيب» بتحقيق محمد العربي الخطّابي، منشورات أكاديمية المملكة المغربية (الرباط ١٩٩) وهو في مجلدين اثنين.

(١١) نشره ج. كولان (و) هـ. ب. ج رنو؛ مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية (الرباط، ١٩٤١م).

(١٢) نشره فلوجل، وصدرت نسخة مصورة منه عن مكتبة لبنان، (بيروت ١٩٦٩م).

(١٣) حققه وقدّم له د. أحمد خان، وراجعه مصطفى حجازي. منشورات معهد المخطوطات العربية (الكويت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م).

(١٤) صدر كتاب «المبين» محققًا بعناية د. عبد الأمير الأعسم. دار المناهل (بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

(١٥) كتاب الكليات، أعده للطبع د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

(١٦) حقق كتاب «التوقيف» د. محمد رضوان الداية. دار الفكر المعاصر (بيروت) ودار الفكر (دمشق) ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(١٧) عني بتحقيق مفردات ابن الخطيب ونشرها د. عبد العليّ الودغيري. منشورات عكاظ (الدار البيضاء ١٩٨٨م).

العباس بن الأحنف
شاعر العفة والغزل المهذب

بقلم: فاطمه الحارثي

الكلمة سحر عجيب تفتح مغاليق الفكر والوجدان، تخاطب فيك الإنسان، فكيف إذا كانت كلمة شعر مجنح، تلمس المشاعر والأحاسيس بأسلوب راق مهذب، تلمس شغاف القلب، تهدهده، تبعث فيه الروح فيهيم في عالم السحر والبيان ؟ !! ولغتنا العربية الأصيلة منحها الخالق منزلة رفيعة بفصاحتها وقوة حجتها، هذا السحر الذي يسيطر على الروح فتسمو، ويخاطب العقل فيرتقي ويعلو، ويترجم الحال فيبدع تصويرًا للحياة فتصفو.

وأنت يا شاعر البيان أوقفتني بإبداعك، أنشدته قبل قرون، لكنه يصافح عينيَّ ويخاطب وجداني، ويلمس مشاعري برقته وفصاحته وعفته وتهذيبه، أغرتني أبياتك، فاسترسلت بالبحث أطلب المزيد.

ألست المنشد عفةً ونزاهةً وترفعًا في ذاتك المؤمنة وشاعريتك الشفافة وغزلك النزيه ؟

هل تذكُرينَ فَدَتكِ النفسُ مَجْلِسَنَا ... يومَ اللقاء فلم أنطق من الحصر
لا أرفع الطّرف حولي حين أرفعه ... بقيا عليك وكل الحرم في الحذر
قالتْ : قعدتَ فلم تنظر ! فقلت لها ... شغلتِ قلبي فلم أقدر على النظر
غطَّى هواك على قلبي فَدَلَّهَهُ ... والقلبُ أعظم سلطانًا من البصر

في يوم ما أنشدت معك بفصاحتك وبلاغتك وحسن تصويرك :

ترف البكاء دموع عينيك فاستعر ... عينًا لغيرك دمعها مدرارُ
من ذا يُعيركَ عينه تبكي بها ... أرأيت عينًا للبكاء تعارُ ؟

ومع الأيام تردد اسمك يا شاعري العربي الأصيل، فشعرت بأن حقك علينا ـ أبناء عروبتك ـ أن نعرف من أنت ؟ وما ثروتك العظيمة التي تخاطب الأجيال جيلاً بعد جيل؟ فشرعت بالبحث المتواضع فكانت هذه السطور تقدمك على استحياء :

هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة بن جَدَّان بن كلدة من بَني عدِي بن حنيفة. وقيل : العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هميان من بني هفاف بن الحارث بن الذهل بن الدُّول بن حنيفة.

وقد نسب إلى اليمامة وهي بلدة في الحجاز، فقيل له : «اليمامي»، ولعله نسب إليها لمولده فيها، وإنه من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد.

كنيته : «**أبو الفضل**»، وقال صاحب الأغاني : حدثني محمد بن يحيى قال : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : «رأيت نسخًا من شعر العباس بن الأحنف بخراسان وكان عليها مكتوبًا :

«شعر الأمير أبي الفضل العباسي».

نشأته : عربي من بني حنيفة، كان آباؤه ينزلون في خراسان واتصلوا بالعباسيين، ولمع منهم عمه الحاجب إذ انتظم بين رجال الدولة.

ومنشأ العباس ومرباه ببغداد، ويظهر أنه نشأ في نعمة وثراء جعلاه ينصرف عن شعر المديح، الذي كان يجذب إليه عامة الشعراء طلباً للنوال والعطاء، وقد عاش حياة مترفة يختلط فيها بالشعراء من أمثال أبي نواس وغيره، ولكن دون أن يتردى في خلاعتهم ومجونهم، وقد يحضر مجالس الأنس ولكن دون إمعانٍ ودون إثم. وفي ذلك يقول ابن المعتز :

«كان يتعاطى الفتوّة على ستر وعفة، وله مع ذلك كرم ومحاسن أخلاق وفضلٍ من نفسه، وكان جوادًا لا يُليق درهمًا ولا يحبس ما يملك». وفي أشعاره وصف للكرة والصولجان يدل على أنه كان يمارس هذه الرياضة، ويقولون : إنه كان فيه «ظَرْف»، وكأنه كان مثال العربي البغدادي المهذب في عصره، الذي أخذ بأسباب الترف والنعيم أخذاً كان له أثره في ذوقه المصفىٰ المهذب،

وشعوره الرقيق المرهف، وقد مضى ينفق حياته في التغني بعواطفه وحبه.

قال صاحب الأغاني: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد ابن يزيد قال: حدثني صالح بن عبد الوهاب: «أن العباس بن الأحنف كان من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين ولا تزال ترى له الشيء البارع جدًّا حتى تلحقه بالمحسنين».

ويدل شعر العباس على أنه اتصل بالمهدي والرشيد، ولكنه اتصال ألفة لا اتصال غايته التكسب على أنه وإن لم يكن يتكسب بالمدح أو بالتهديد بالهجاء، فِعْلَ غيره من الشعراء العباسيين، فإن الإعجاب بشعره العربي سنَّى له سنيَّ الجوائز.

حبه وعشقه

انعقدت الصلة بينه وبين محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر، وتصادف أن رأى عنده جارية جميلة تسمى «فوز» فوقعت في قلبه، وأخذ يكثر من زياراته وهو إنما يريدها، وعرفت حبه فكانت تصد عنه وهو يزداد حبًا وشكوى من أنها لا تقبل عليه، وأكثر من تصوير إعراضها عنه بمثل قوله:

قالت ظلوم سمية الظلم ... مالي رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبي فأقصده ... أنت العليم بموضع السهم

وأخذ يكثر من شكواه وتضرعه مصدراً لسهاده وما أشعلتْ نيران العشق في قلبه، وغدا مستهاماً بها يحبها، كل الحب ويفتن بها كل الفتون حتى لكأنها غدت ليلى وغدا المجنون، فهو دائماً يصف صبابته بها ووجده وجداً لم يجده أحد، وجدًا يتعمقه حتى ليصطلي بناره المحرقة وقد مضى يصور ذلك، لا في قصيدة أو قصائد معدودة، وإنما في ديوان رائع تجد فيه النفوس غذاء روحيا ممتعًا؛ لأنه يرتفع عن الحس والمادة ارتفاع الشعر العذري الأموي بما يصف من حب لا يخمد أواره من مثل قوله:

الحب أول ما يكون لجاجة ... تأتي به وتسوقه الأقدار
حتى إذا سلك الفتى لجج الهوى ... جاءت أمورٌ لا تطاق كبارُ
نزف البكاء دموع عينك فاستعر ... عيناً لغيرك دمعها مدرارُ
من ذا يعيرك عينه تبكي بها ... أرأيت عينا للبكاء تعارُ ؟

وقوله:

أحْرَمُ منكم بما أقول وقد ... نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني «ذبالة» نصبت ... تضيء للناس وهي تحترق

وكانت تكثر بينه وبينها المراسلات، وربما زارته زورة قصيرة ومضت مخلفة وراءها حسراته وآلامه وعذابه، وربما اضطرت إلى أن تهجره أمدًا طويلاً أو قصيرًا، أو أن تزوّر عنه في بعض زياراته لها، فكان يجزع أشد الجزع ويبكي أحر البكاء بمثل قوله:

أبكي الذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
جاروا عليّ ولم يوفوا بعهدهم ... قد كنت أحسبهم يوفون إن عهدوا
لأخرجن من الدنيا وحبكم ... بين الجوانح لم يشعروا به أحدُ

وقوله:

لما رأيت الليل سدّ طريقه ... عني وعذبني الظلام الراكد
والنجم في كبد السماء كأنه ... أعمى تحيَّر ما لديه قائد
ناديت مَنْ طَرَدَ الرقاد بصدِّه ... مما أعالج وهو خِلْو هاجدُ
ألقيت بين جفون عيني حرقة ... فإلى متى أنا ساهر يا راقدُ

وفي هذه المقطوعة يقول:

والله لو أن القلوب كقلبها ... ما رق للولد الصغير الوالدُ

وخرجت من مُلك محمد بن منصور إلى مُلك بعض أمراء البيت العباسي وحجّ بها، فمضى يبكيها بدموع غزار مصوّرًا حبه لها وهيامه في أشعار كثيرة من مثل قوله من رسالة شعرية أرسل بها إليها:

كتبت كتابي ما أقيم حروفه ... لشدة إعوالي وطول نحيبي
أخط وأمحو ما أخط بعبرة ... تسحُّ على القرطاس سحَّ ذَنوب
أيا فوز لو أبصرتني ما عرفتني ... لطول نحولي بعدكم شحوبي
وأنتِ من الدنيا نصيبي فإن أمت ... فليتك من حور الجنان نصيبي
أرى البين يشكوه المحبون كلهم ... فيارب قرِّب دار كل حبيب

وعادت وعاد له عذابه بها، كما لم يتعذب أحد، وقد ظل يهتف باسمها وحبها حتى وافته المنية.

فوز .. من ؟ !

ذكر العباس في شعره أسماء فوز، ظلوم، زلفاء، نرجس، نسرين، سحر، ضياء. على أن معظم تغزله كان بـ «فوز». ويكاد غزله بها يستغرق ثلاثة أرباع ديوانه، وكان لظلوم كذلك نصيب وافر من شعره. ويستدل من قوله:

ظلوم يا منية مولاها ... يا زينة الدنيا ومهناها

على أن «ظلوم» جارية قد تكون من جواري المهدي أو الخيزران بدليل قوله:

طال ليلي بجانب البستان ... مع جواري المهدي والخيزران

أو من جواري الرشيد أو غيره من الأمراء والوزراء. ويظهر من قوله:

إني أجل ظلومًا أن يكون لها ... بين الجواري إذا قوّمتها ثمن

إن «ظلوم» كان لها منزلة سامية عنده، على ذلك لم تكن لتحجب فوز، ولعله كان حين يتغزل بها وبسواها يثير غيرة فوز فتعطف عليه وترضى عنه.

ولكن من تُراها كانت فوز ؟!

يقول في قصيدة نظمها يوم فارقته «فوز»:

أيها السائلي عن ابنة عوفٍ ... فكأني من شأنها محزون

ففوز إذًا هي ابنة عوف، ولا نعلم من هو عوف، غير أن للعباس بيتًا يقول فيه:

غداة رأيت الهاشمية غدوة ... تهادىٰ حواليها من العين رَبرَبُ

العباس بن الأحنف

شاعر العفة والغزل المهذب

فهل كان عوف هاشميًا أم أن «فوز» إحدى جواري الهاشميين ؟ والذي يحملنا على الظن أن «فوز» كانت إحدى بنات كرام القوم هو أن عباسًا يصرح في بيتين من قصيدة لـه أن هذا الاسم لم يكن اسمها وإنما سماها هو به، قـال :

كتمت اسمها كتمان من صار عرضة   وحـاذر أن يفشـو قبيح التسمعِ

فسميتها فـوزاً ولـو بحتُ بـاسمهـا   لسميت باسم هـائل الذكر أشنعِ

ففوز إذًا اسم مستعار للفتاة التي ملأ ذكرها شعر العباس، استخدمه على ما نظن ليخفي اسمها الحقيقي؛ خشية من أن يعرّض نفسه لما لا يحمد، لا سيما إذا صحّ أنها هاشمية، والذي يدعونا إلى الشك في أنها جارية قوله :

إن فـوزاً لما أتـاهـا الجواري   يتبـاكينني لـما قـد شجـاني

أرسلت باللبـان قـد مضغتـه   فـوق تفـاحـة على ريحانِ

على أننا إذا زعمنا أنها جارية، فهي ولا ريب من الجواري المقدمات عند مواليهن، الغالبات عليهم، من اللواتي لهـن جوارٍ يخدمنها. وشعر العباس يبين لنا أن «فوز» كانت ترضى عنه حينًا وتظهر الغضب حينًا، وكثيراً ما كانت تعبث به دلالاً عليه أو تعتب لتشبيبه بسواها، فيسترضيها ويتنصل من ذنبه، وكثيراً ما كانت تحبس رسولها وكتبها عنه فيثور حزنـه وكمده ويشكو ويتظلم حتى لتكاد الشكوى ويكاد التظلم يسوّدان شعره.

سمات شعره

كان العباس شـاعرًا غَزِلاً ظريفًا مطبوعًا من شعراء الدولة العباسية ولـه مذهب حسن، ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف، لـم يكن يتجاوز الغـزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني، هـو شاعر غزل عفيف لـم يـهجُ ولـم يمدح. وقدمه أبو العبـاس المبرّد في كتاب الروضة على نظرائه، وأطنب في وصفـه، وقـال : رأيت جماعة مـن الـرواة للشعر يقدمونه، قال وكان العباس من الظرفاء ولـم يكن من الخلعاء وكان غزلا ولم يكن فاسقًا، وكان ظاهر النعمة شديد الترف وذلك بَيّنٌ في شعره، وكان قصده الغزل، وشُغلـه النسيب، وكان حلوًا قبولاً غـزير الفكـر واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده، ولـم يكن هَجَّـاءً ولا مَـدَّاحًا، والعباس من الشعراء الـذين قصروا شعرهـم على الغـزل ولم يتجاوزه إلى غيره من الفنـون الشعريـة، فكان يفتخر بأنه لا يهجو ولا يمدح وقـال :

لحاني في القـريض فقلت ألهـو   وَمَـا مِنِّـي الهجـاء ولا المديـحُ

وعلى ذلك رويت له أربعة أبيات قيل : إنه مدح بها الرشيد قال فيها :

زادك الله سروراً إن مـن   كنت مشتـاقًـا إليـه قـد قَـدِمْ

عش قـريـر العين مسروراً بـه   فيـزيـد الله بـالشكـر النعـم

يـا أمين الله والسـاعـي لـه   خير داع قـام في خير الأمـم

حبـذا الأرض التي أوطنتهـا   أرض عـز وجهـاد فـأقـم

ولـه ما عـداها ثلاثة مقـاطع رثاء رثى بها عن الرشيد ثـلاث جوارٍ فقدهن الخليفـة، إحداهن «هيـلانة» رثـاها بأربعـة أبيات، والثـانية «حنيـاء» رثاهـا بثلاثة، والثالثة لـم يذكر اسمها رثاها بأربعة، وله في غير المدح والرثاء قصيدة في وصف الكرة والصولجان، وبيتان قيل : إنه هجا بهما أبا الهذيل العلاّف أحد شيوخ المعتزلـة.

وغزل العبـاس عذري طاهـر نقي، يمتاز بجزالـة اللفظ مع عـذوبته، كما يمتـاز بغـزارة المعـاني والخواطـر، حتى لكأنما يستمـد من معين في نفســه لا ينضب، وكان يعمـد أحيانًا إلى شيء من صور البـديع، غير أنها تأتي عفوًا ولا تؤثر أي تأثير في قوة العاطفة وانطلاقها كالسيل المندفـع.

وغزل العبـاس نزيـه شريف مطبوع، سـواء أكان في «فــوز» أم في غيرها، وشعـره يتنـاهى في اللطف ورقـة الشعـور وجمال الديباجـة ومتانـة التركيب، ومقاطعـه كلها من السهل الممتنـع. على أن بعض قصائده لا تخلو مـن ألفاظ يحتاج معهـا مطالعها إلى المعجم، أمـا معانيه فهي تلك المعـاني التي كانت في أيامه، غير أنه أبرزها في حلة جميلـة صافية، حسنة الإيقاع تلذ القلب والأذن وتعلق بالأذهان في سهولـة.

وفـاتـه

قيل وافته المنية سنة مـائة واثنتين وتسعين، وفي رواية مات سنة ثمان وثمانين ومائة، ومـات في ذلك اليوم الكسـائي النحوي والعبـاس بن الأحنف وهشيمة ابن الخمارة، فَرُفع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلي عليهم فصُفّوا بين يديه فقـال : من هذا الأول ؟

قالوا : إبراهيم الموصلي. فقال أخّـروه وقـدّموا العباس بن الأحنف فقدموه فصلى عليـه، فلما فرغ وانصرف دنـا منه هشـام بن مـالك الخزاعي فقال : يـا سيدي، كيف آثرت العباس بن الأحنف بالتقدمة على من حضر ؟ فأنشـد :

وسقى بها نـاسٌ فقـالـوا إنها   هي التـي تسقـي بها وتجاهـد

فجحدتـم ليكـون غيرك ظنهـم   إني ليعجبنـي المحب الجاحـدُ

ثـم قال : أتحفظهـا ؟ قلت نعـم، وأنشدته فقـال المأمون : أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمـة ؟ فقلت : بلى والله يا سيدي.

بيد أن موت الكسائي في الرَّيّ لا في بغداد يوقع الشك في هذه الرواية. ثم إن هناك رواية لسعد بن محمد يقول فيها : إنه رأى العباس ببغداد بعد موت الرشيد وكان منزلـه بباب الشام وكان لي صديقًا. ومات وسنّـه أقلّ من ستين.

وثمـة حكايـة في موتـه رواهـا صاحب معـاهـد التنصيص عن أبي زكريـا الصـولي، حدثـه بها رجل من قـريش ورواها المسعـودي في مروج الـذهب عن جماعـة من أهل البصرة، وكلتا الـروايتين تتفقان على أن جماعـة من أهل البصرة خرجوا يريدون الحج، فلما كانوا في بعض الطريق عرجوا ليصلوا وإذا هم بغلام جاءهم وقـال لهم : هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟ فأجابـوه : كلنا من أهل البصرة فما تريد : قال : إن مولاي من أهلهـا ويدعـوكم إليه وهو لما به يريد أن يوصيكم. فقاموا إليه فإذا هو مُلقى تحت شجرة قرب عين ماء فجلسوا حولـه، فأحس بهم فرفع رأسه وهو لا يكاد يرفعه ضعفًا وأنشأ يقول :

يـا غـريب الـدار عن وطنـه   مفـردًا يبكـي على شجنـه

كلما جـدّ البكـاء بـه   دبت الأسقـام في بدنـه

ثم أغمي عليه طويلاً، وبينما هم جلوس حوله إذ أقبل طائر فوقع على أعالي الشجرة التي كان تحتها وجعل يغرد، ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم أنشأ يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجًا   طائر غنّى على فننه
شفّه ما شفني فبكى   كلنا يبكي على سكنه

ثم تنفس نفسًا فاضت نفسه معه، فلم يبرحوا عنده حتى غسلوه وكفنوه وتولوا الصلاة عليه، فلما فرغوا من دفنه سألوا الغلام عنه فقال: هذا العباس بن الأحنف.

ما قيل عن شعره

قال فيه ابن خلكان: إنه كان رقيق الحاشية لطيف الطباع.

وقال بشار: ما زال غلام من بني حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها منا حتى قال:

أبكي الذين أذاقوني مودتهم   حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت منتصبًا   بثقل ما حملوني منهم قعدوا

وقال الجاحظ: لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلامًا وخاطرًا ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرّف، وما نعلم شاعرًا لزم فنًّا واحدًا لزومه فأحسن فيه وأكثر.

وسمع الحرمازي:

لا جزى الله دمع عيني خيرًا   وجزى الله كل خير لساني
نمّ دمعي فليس يكتم شيئًا   ورأيت اللسان ذا كتمانِ
كنت مثل الكتاب أخفاه طيٌّ   فاستدلوا عليه بالعنوانِ

فقال فيه: هذا والله طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه.

وقيل إن إبراهيم بن العباس قال عنه:

كان والله ممن إذا تكلم لم يحب سامعه أن يسكت وكان فصيحًا جميلاً ظريف اللسان لو شئت أن تقول: كلامُه كلُّه شعر لقلت.

وقيل للأصمعي ما أحسن ما تحفظ للمُحدثين؟ قال: قول العباس بن الأحنف:

لو كنت عاتبة تسكن روعتي   أملي رضاك وزرت غير مراقبِ
لكن مَللتِ فلم تكن لي حيلة   صَدُّ المَلُول خلافُ صَدِّ العاتبِ

أُنشد للعباس بن الأحنف:

أتأذنون لصب في زيارتكم   فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء إن طال الجلوس به   عف الضمير ولكن فاسق النظر

فقال الأصمعي: ما زال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئًا حتى أدخلها فأخرج هذا.

وقال الزبير بن بكار في قول العباس:

تَعْتلّ بالشغل عنا ما تكلمنا   الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

لا أعلم شيئًا من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير.

وكان إبراهيم الموصلي شغوفًا بشعر العباس وتغنى به كثيراً وحفظ شعره.

وقال ابنه في مدح شعر له: ما رأيت كلامًا محدثًا أجزل في رقة، ولا أصعب في سهولة، ولا أبلغ في إيجاز من قول العباس بن الأحنف:

تعالي نجدد دارس العهد بيننا   كلانا على طول الجفاء ملوم

وقال الرياشي وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف: والله لو لم يقل من الشعر إلاَّ هذين البيتين لكفيا:

أحرم منكم بما أقول وقد   نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت   تضيء للناس وهي تحترق

وقال مصعب الزبيري: العباس بن الأحنف وعمرو الوراق ما ابتذلا شعرهما في رغبة ولا رهبة، ولكن فيما أحباه فلزما فنًّا واحدًا لو لزمه غيرهما ممن يكثر إكثارهما لضعف فيه.

أصالة الشعر

وبعد، فقد قضيت وقتًا ممتعًا مع الشعر العربي الأصيل، وشاعرنا العباس بن الأحنف، وترحمت على شعر الحداثة وشعر النثر ونثر الشعر والمذاهب المحدثة، التي انسلخت من السليقة العربية الصميمة القادرة على احتواء المتلقي فنًّا وذوقاً وموهبة وإنشادًا.

«الشعر ديوان العرب» مقولةُ صِدق تثبتها الأيام. على الرغم من تحضر العصر العباسي إلاَّ أن علماء اللغة في ذلك العصر - النقاد بمفهومنا الحالي - حوّلوا السليقة العربية السليمة إلى شعراء الحضر، فقد جمعوا لهم اللغة والشعر الجاهلي والإسلامي ووضعوا لهم مقاييسها وضعًا دقيقًا، وظلوا طوال العصر يبعثون فيهم الإيمان بأن الشعر القديم هو القدوة المثلى ولم يَعْرِضوا لهم الشعر القديم السهل، بل عرضوا عليهم نماذجه العويصة المليئة بالحوشي والألفاظ الغريبة، فقاموا بتفسير الشعر الجاهلي والإسلامي وشرحه وتناوله وسجلوه ودونوه، وبذلك انقادت اللغة سلست لمعاصريهم من الشعراء وغير الشعراء.

وكان من أهم ما حفزهم إلى ذلك القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، حتى لا تستغلق دلالتها على أفهام الناس وأفهام العلماء أنفسهم، **فكان اللغويون سدنة الشعر في ذلك العصر وحراسه، فهم قضاة الشعر وصيارفته.**

واللغويون في العصر العباسي هيؤوا للشعراء — مما جمعوه وكشفوا مادته وما وضعوه أقيسة للشعر — مكانة رفيعة جعلته يعيش عصر ازدهاره وخلوده إلى يومنا هذا.

المراجع

(١) تاريخ الأدب العربي (٣) العصر العباسي الأول لشوقي ضيف.
(٢) ديوان العباس بن الأحنف.
(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ج٢.
(٤) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين ج٨.

الفتنة الباهرة

شعر: جرير الصغير

جمـالـك فتنتـه باهـرة — وعينيك نظـرتها آسـره
وسحرك يغزو جميع القلوب — فينتصر السحر والساحرة
تركتِ الفؤادَ يعيشُ الأسَى — ويندبُ حظًّا ودَهْراً قَسَا
وعانيتِ وضع هوىً في الصباح — ليقضي ويُدفن عند المسا
وما كنت تدرين عما يكون — ولا عن فؤادٍ دهته الظنون
ولا عن معذبك المستهام — طريح الفراش قتيل العيون

• • •

دلالكِ فَاقَ ضروب الدَّلال — وحُسنك عزَّ فأمْسَى خيال
وأنت - ولا فخر أنت - المثال — تبارك خالق هذا الجمال

• • •

أحبك من كلِّ أعماقيه — وأنتِ لنفسي المنى الباقية
وأنتِ الرياض التي يشتهي — فؤادي الحياةَ بها ثانية

• • •

صبابك قلبٌ كواه الألم — فمنذ رآك أحسَّ العدم
وساح به الفكر في الكائنات — فلم يستطب لذةً أو يَنَم

• • •

صبابك قلبٌ طوته الدروبَ — وقالت له الشمسُ حَانَ الغروب
وقال له الشوقُ إني هنا — أعذِّب كلَّ رقاق القلوب

• • •

بعينيك أوقعتني في الشباك — فما عدت أقدر منك الفكاك
حياتي بقربك مِنيِّ رهنٌ — ولا يقدر القلب ألا يراك

• • •

فأنت نعيمي وعيشي الخفيض — وفيك سأكتب أحلى القريض
لأني أحبك يا مهجتي — ومازال قلبي بشوقي يفيض

• • •

وأشعر أني بلغت المراد — ونلت السعادة بين العباد
وحققت للقلب آماله — وودَّعت كلَّ الضَّنَى والسَّهاد

نحن هنا.. أين أنتم؟!

د. صلاح يحياوي

○ هل هنالك أرواح أخرى في أعماق الكون لم تُعْرَف بعد؟!

من الثابت حتى الآن أن الحياة في أشكالها التي لا تحصى تمج على الأرض بين ملايين ملايين الشموس التي تشع إلى اللانهاية في ملايين ملايين المجرات.

لكن العلميين يتساءلون عن إمكان افتراض وجود أرواح أخرى في أعماق الكون التي لا تسْبر، وافتراض أن هذه الأرواح تتساءل بدورها حول معنى التطور الكوني، وافتراض أنها تبحث عن جعلنا نعلم بوجودها هناك في مكان ما من الكون!.

يحس بعض العلميين دون جزم بأننا لسنا وحدنا سكان الكون الكبير، وبأن هناك في أعماق الفضاء كائنات تعيش، وأرواحًا تفكر لا نعرف أين هي، ونجهل الشكل التي هي عليه، ولكنها موجودة، وعلينا أن نبحث عنها.

بناء على ذلك فقد أعد برنامج علمي هو من أوسع البرامج وأكثرها فتنة للبحث عن ذلك، وذلك للإنصات إلى رسائل عرضية ترسلها كائنات ذكية خارج أرضية، أي خارج الأرض وجوها. وقد نُصب أكبر منظار راديوي في العالم في أرسيبو -AR ECIBO في القارة الأمريكية للإنصات إلى النجوم.

فإن استطاع البشر على الأرض تبادل الرسائل مع حضارة أخرى فيمكن للأجيال المتعاقبة أن تغني معارفها الجديدة، من فهم ماضي الكون إلى فهم مستقبله، وفهم التطورات الفيزيائية للدقائق الأساسية التي عمل منها، وفهم علوم البيولوجيا الجديدة. ويتاح للبشر التحادث مع مفكرين بعيدين وأجلاء حول أعمق القيم لدى كائنات حية الضمير وعن مجتمعاتهم. لا بل يمكن الارتباط بشبكة واسعة من حضارات قائمة خارج الأرض وجوها، ذات ثقافات غنية لا يمكن تخيلها.

ويتسائل المتسائلون:

- إن كانت حضارات كهذه موجودة فعلاً فلم لم تتصل بنا حتى الآن؟

ويجيب العلميون:

- حاول أن تحادث أطرش يدير لك ظهره. إنه

لن يجيب، ليس لأنك لم توجه إليه الكلام، بل لأنه لم يسمعك. كـذلك الحال مع الكـائنات الـذكيـة خارج الأرض. إن عدم فهمنا لرسائلها لا يعني أنها لم ترسلها إلينا، إن هناك في هذه اللحظة رسائل لا عـديـد لها ترسل من جميع الأنحـاء دون أن نكـون قـادرين على كشفهـا، لـذلك لا يقتصر البرنـامج العلمي الذي يعمل بتقنية شديدة الحنكة والتعقيد على كشفها فحسب، بل يعمل على فهمها أيضًا.

ويضيف العلميون:

ـ إذا رفعنـا عيوننـا إلى السماء فإننـا نتبين أننـا بعيدون عن كل شيء، وأننـا ضائعـون نوعًـا ما في اللانهاية، فإن كـان هناك سفراء كونيـون يرغبون في زيـارتنا فإن عليهم تجاه هـذا الاتساع أن يحلّـوا أولاً مشكلة المسافات مـا بين النجوم، عليهم أن يعرفوا كم مليون سنـة زمنية يحتاجون كي يبلغـوا كوكبنا؟ وكم يحتاجون من الزمن ليعودوا إلى موطنهم.

عند أخـذ الأبعاد التي لا يمكن تخيلهـا للكون بعين الحسبان يكون إرسال ضـوء أو أمواج راديوية أسهل جدًّا من إرسال المادة بحد ذاتها. إن الرسائل الـراديويـة تبدو أكثـر معقـولية وقبـولاً من السفن الفضائية بين النجوم.

إن الذكاء البشري ليس قمة الذكاء في الكون.

يحوي الكـون نحو مـائة مليار من المجرات، ويمثل كل منها تقريبًـا مليار نجم. فالكون يحوي إذًا عـددًا من الشموس لا يمكـن تخيله هـو عشرة آلاف مليـار شمس. فإذا أخـذنا جـانب الحذر في التقديم وقلنا بأن ١٠٪ على الأقـل من هذه النجوم هي من نمط شمسنا نفسـه فيكون هنـاك في الكون ألف مليار مليار من الشموس التي تشبه شمسنا. ولا يعني هذا أن جميع هذه النجوم المطابقة لشمسنا هي بالضرورة حاضنـة للحياة، ولكن من المؤكد أن إمكانـات المواقع المواتية هي من الضخـامة بحيث تعني الشيء الكثير.

فإذا افترضنـــا أن نجمًا واحـدًا مـن كل عشرة مليارات نجم ذو كوكب يُسْكن، فيكون هناك مئة مليار عـالم مسكون، وهذا يعني وجود عـدد هائل من الأنـواع الحية، مخلوقات من جميع الأجنـاس، وذكاء وحضارات، فالكون يضج بالحياة.

نحن هنا.. أين أنتم؟

○ الأمواج الراديوية التي نبثها في الفضاء هل يمكن أن يفهمها غيرنا بعد مسيرة ثلاثين سنة ضوئية ؟!

ويتساءل المتسائلون:

ـ هـل الأنظمة الحيـاتية هنـاك ـ إذا افترضنـا وجودهـا ـ تُشبه تلك الموجودة على الأرض، أم إنها مختلفة عنهـا تمامًا؟ وهل السلسلـة الكربـونية التي تعتمـد عليهـا الحيـاة على الأرض هي الـوحيـدة المحتملـة؟ ألا يمكن الكـلام عن كيميـاء أخـرى تعتمد السيليسيوم (السيليكون) مثلاً؟

ويأتي جواب العلميين:

ـ إن السلسلـة السيليسيـومية أفقـر بكثير من السلسلـة الكـربـونيـة، والـدليل على ذلك أن السيليسيوم هو أكثر وفرة على كـوكبنا، أما الكربون فأقل وفرة بكثير، ومع ذلك فإن كيمياء الكربون هي التي فـرضت نفسهـا وليس كيميـاء السيليسيـوم، ذلك أن بإمكـان ذرات الكـربـون الاتحاد بعضهـا ببعض بسهولة عجيبة، وليس هناك أي عنصر آخر تبدي ذرتـه استطاعـة أجود لتكويـن السلاسل في شبكات.

ويتساءل المتسائلون:

ـ إن كـانت السلسلة الكربـونية هي الـوحيدة التي يمكننها أن تـولد المادة الحية، فماذا تشبـه هذه المخلوقـات (الخارج أرضيـة) النـاشئـة عن تطـور مختلف عن تطورنا؟

ويجيب العلميون:

ـ قد يكون هناك احتمال حيـاة غير بيولوجية أو مختلفـة تمامًا عن حياتنـا، حيـاة ليست في حـدود تخيـلاتنا، ولكن إن كـان هناك عضـويات خـارج أرضية فيجب أن تكون على نماذج كالتي نعرفها على الأرض. يعتمد النظام البيولوجي الأرضي على عدد محدود من العناصر: جَفْرٍ وراثي مـؤلف من أربعة أسس (قواعد) وعشرين حمضًا أمينيا. وانطلاقًا من ذلك فـلا مانع أن تشبـه المخلوقـات الخارج أرضية الـذكية النمـوذج البشري. إن من الصعب تصـور مخلوقـات قد تطورت لـديها ملكة كالـذكاء دون أن تكون مجهزة بنظام عصبـي مركزي، ودون أن تكون مجهزة بدماغ. ويجب أن يكون هذا العضو الجوهري محميًّا في علبة جمجمية، وأن يغذى بالمعلومات من العالم الخارجي. ولتجنب سير الإشارات مسافات طويلة جدًّا فيجب أن تكون العينان والأذنان واقعة قريبًا جدًّا من الـدماغ الذي يجب أن يقع بدوره في قمة الجسم. وكي يعمـل الجسم في محيطه يجب أن يكـون مجهـزًا بأعضاء أخـذ وإمسـاك (اليـدين)، وأعضاء تنقل (الساقين). ويستدعي هذا الوصف أن يكون لهذا المخلوق شكل فريـد هو الشكل شبه البشري: رأس يعلو جذعًا ذا يدين وساقين، وهذا النمـوذج شبه البشري يمثل حـامـلاً جيدًا للحيـاة الذكية.

ويتساءل المتسائلون:

ـ كيف يمكن التأكـد من أن شيئًا ذكيـا كهذا يمكن أن يوجد؟

أين يجب البحث عن بـرهـان تجريبي على أن حضارات أخـرى تشاركنا في السكن في هـذا العالم الضخم الشاسع الواسع؟

ويجيب العلميون:

ـ تنتشر إصـداراتنا التلفـازية في الفضـاء على شكل أمواج راديوية، ولكـن أثرها لا يمكن مطلقًا أن يـكـــون مقروءًا بعـد مسيرة ثـلاثين سنــة ضوئية (★). إن احتمالات أن نلتقط «بـالمصادفـة» إصـدارات من نمط راديـوي أو تلفـازي آتيـة من



هل من عوالم أخرى مأهولة في الكون غير العالم الذي نعيش فيه ؟!

حضارات غير أرضية هي بالفعل معدومة تقريبًا . إن هذه الأمواج هي في الواقع ضعيفة جدًّا، وهي غارقة في ضجة خلفية لكمية من الإشارات الطفيلية . وهذا يعني أننا حتى لو قبلنا بأننا نستقبلها في هذا الوقت فإن هذه الإصدارات الراديوية خارج الأرضية ستكون غير مقروءة، ولا يمكن ترجمتها .

ويضيف العلميون :

ـ إلى أين يجب أن نوجه هوائياتنا في هذا الفضاء الشاسع الواسع ؟ وكيف نعرف أننا ننصت في الوقت المناسب ؟ ومن يحدد لنا قناة الإنصات الجيدة ما بين مائة رسالة موضوعة في قارورة صغيرة جدًّا .

لننظر إلى الصعوبات كل على حدة :

(أ) المشكلة الأولى : إن هناك مائة مليار قناة قادرة على تسيير رسالة . فكيف نختار الجيد منها ؟ وإذا كنا ننصت على قناة وكانت الرسالة صادرة عن قناة أخرى فإننا لن نسمعها مطلقا .

(ب) المشكلة الثانية : إنها العدد الضخم عن النجوم التي علينا أن ننصت إليها، إن هناك على الأقل ألف مليار شمس تشبه الشموس الواقعة في مجرتنا فقط، فإن ذلك يمثل عدة عشرات المليارات من النجوم التي يجب الإنصات إليها . أين الهدف الجيد في هذه الجمهرة ؟

(جـ) المشكلة الثالثة : هي وجوب الإنصات في الوقت المناسب، أي يجب أن تكون مستقبلاتنا منصتة في الوقت نفسه تمامًا الذي تبلغ فيه أمواج إشارة افتراضية الأرض .

(د) المشكلة الرابعة : هي مشكلة «الإشارة الجيدة»، لأنه على الرغم من تناهي الحنكة والتعقيد في وسائلنا التقنية فإننا لا نستطيع أن نتعرف إلا على صفير مستمر أو «بيب ـ بيب»؛ وإن كانت هناك إشارات أخرى أكثر تعقيدًا فلن نعرف ترجمتها . علينا أن نبحث عن الإشارة الجيدة من النجم المناسب في الوقت المناسب، وعلى القناة المناسبة .

ويتساءل المتسائلون :

ـ ما مراحل تطبيق نظام الإنصات خارج الأرضي الجديد ؟

ويجيب العلميون :

ـ بدأ برنامج البحث عن الكائنات الذكية الخارج أرضية رمزيًا في ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٩٢م، وذلك لتدشين اكتشاف كريستوف كولومبس لأمريكا .

وللحصول على إشارة أشد فإن البرنامج الرسمي للناسا NASA يُسدِّد هوائياته إلى آلاف النجوم الأقرب إلى الأرض التي تمثل العدد الأكبر من التشابهات مع شمسنا، يستغرق الإنصات «الهادف» عشر سنوات على مسافة مائة سنة ضوئية .

يبلغ قطر مجرتنا مئة ألف سنة ضوئية، ولا يمكن استكشافها إلا في حدود جزء من ألف جزء من سعتها، في حين لا يمكن أن نحدد إلا نجمًا واحدًا تقريبًا من كل مائة مليون نجم .

وإذا ما امتد برنامج الإنصات عشر سنوات فإن ذلك لا يعني أننا نكرس كل هذا الوقت لنجم واحد . إن زمن الإنصات لنجم على قناة معطاة تواترها هرتز واحد ليس سوى ثلاثين ثانية . وسيكون هذا كافيًا إذا ما افترضنا أن حضارة ما ترسل إشارة مستمرة وذات استطاعة كافية قابلة للمقارنة باستطاعة منارات الإرشاد لدينا .

يستغرق احتمال استقبال رسالة واحدة مدة تتراوح بين أسبوع وقرن . وكي نعوض عن صفر الهدف فإن برنامج بحث آخر سيعمل بالموازاة مع هذا البرنامج، وذلك بفضل أداة بحث تُجهَّز . من الآن إلى عام ١٩٩٦م بستة ملايين قناة، الغرض منها مسح مجموع الكون في جزء من مائة من العقد بحثًا عن منارة راديو في الأغوار ما بين النجوم .

وسيمضي وقت طويل يخيم فيه الصمت إلى أن يأتي اليوم الذي يسجل فيه الحاسوب شيئًا ما . وكما هي الحال في جميع الاكتشافات العظيمة فإنه ما إن تستقبل هذه الرسالة الأولى حتى يتبعها الكثير من الرسائل الأخرى آتية من عشرات، بل من مئات الحضارات المختلفة، وفجأة يتكشف الكون ـ الذي اعتقدنا دائمًا أنه صامت ـ عن وفرة غير عادية بالكائنات الحية، وبمخلوقات ذكية، وبأرواح من كل نوع وبحضارات من كل رتبة .

(★)السنة الضوئية هي وحدة مسافات فضائية، وهي تساوي : ٣٦٥ يومًا × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية × ٣٠٠٠٠٠كم/ ثانية = ٩٤٦٠٨٠٠٠٠٠٠٠كم.

أبو العلاء المعري بين "العقاد" و"طه حسين"

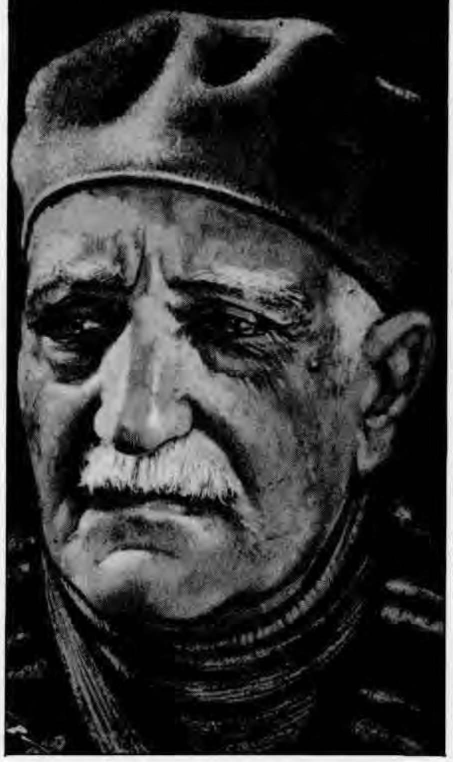
بقلم: د. محمد رجب البيومي

لا تكاد تجد أديبًا من أدباء العربية لم يقض حقبة من حياته في دراسة آثار أبي العلاء المعرّى، شعرا ونثرا، لأن الأديب الكبير قد امتاز بلون مستقل من ألوان التفكير الإنساني يدفع القارئ إلى تتبعه ناقدًا أو مؤيدًا، وقد تستغني بقراءة ديوان عن ديوان لأكثر شعراء العربيّة، ولكنك لن تجد ما يسد مسدّ ديوانيْ سقط الزند، واللزوميات من آثار المعرّي الشعرية، وعلى كثرة الرحلات الخياليّة في الآداب المختلفة من شرقية وغربية، فإنك لا تستطيع أن تهمل دراسة رسالة الغفران مكتفيا ببعض الرحلات المماثلة مهما كان صاحبها عملاقًا ذا دويٍّ كدانتي صاحب الكوميديا الإلهية، لذلك نجد في أدبنا المعاصر عشرات من الدراسات الجادة تخصّ أبا العلاء بالتحليل والنقد، كما نجد أعلام الأدباء من الرواد قد احتفلوا بالمعرّى احتفالاً بارزا، فهم يفردون عنه الكتب الخاصة، كما يجعلون أبياته الشعرية موضع الاستشهاد في كلِّ مناسبة تعن، وقد كان الأديبان الكبيران عباس محمود العقاد وطه حسين في مقدّمة من احتفلوا بتراث الشاعر الكبير، وهما يتباهيان به، ويعتزان بما يدبجانه بشأنه، وطبيعيٌّ أن تختلف بعض آرائهما حوله، وأن يكون هذا الخلاف مصدر إمتاع أدبي لمن يسره أن يجد الأديبين الكبيرين يقفان موقف المعارضة بصدد شاعر كبير يعتزان معًا بعبقريته؛ إذ إنها ليست موضع الخلاف لدى أحدهما، ولكن بعض المناحي المتعددة لهذه العبقرية هي التي تفسح مجال الملاحظة والتأمل.

وقد كان الأديبان كلاهما يلتزم حدود النقد الرقيق الرفيق حين يتناول الرأي المخالف، ولعل **الدكتور طه حسين** - على غير عادته - كان أكثر مراعاة لهذا التلطف مع **العقاد**، لأنّه يعرف أن صاحبه شديد المراس، وليس من السهل أن يعارَض بحدة توحي بالاستعلاء، لأنه يملك من أدوات الاستئصال ما يجعله الفائز المرموق في حلبة الصراع، وقد لمس العقاد هذه الروح الوادعة لدى طه إزاءه. فقابلها بوداعة مماثلة! مع الاحتفاظ بحقّ الخطأ والتصويب من كلا الجانبين، ولو أنّ طه والعقاد سلكا هذا المسلك مع من اشتدا في منابذته، كالأستاذ مصطفى صادق الرافعي مثلا، لما اشتدت حرارة الصراع معه لدرجة الحريق، ولكن هذا ما كان.

خيال أبي العلاء

كتب **الأستاذ عباس العقاد** بضع مقالات تحليلية عن المعرّى جمعها في كتاب (مطالعات) بعد أن نشرها متفرقة في الصحف، إذ تحدث بإمتاع وإقناع عن نظرات المعرّى للحياة، وعن فلسفة التشاؤم في شعره، وعن السخرية في أدبه، وموقفه من المرأة، وكان العقاد كعادته مجادلاً يعتصم بالحجة والمنطق، ويتخذ ثقافته الواسعة معوانًا على الغوص الناقد إلى الباب المستكن، ولكنّه فيما كتبه تحت عنوان (**الخيال في رسالة الغفران**) جنح إلى رأي





مخالف، إذ حكم (١) بأن رسالة الغفران لا تخرج عن كتاب أدبيّ تاريخي يتصل بالعلم، وليس بدعة فنية، إذ سلك المعرّى مسلك التلطف في رواية القصص المشتهرة، والوقائع المسجلة، فهو يتحدث عن الشعراء والنحوين واللغويين بما يعرفه الجميع، كما يلم بمشاهد الجنة والنار فيتحدث عن مسلمات بها جاءت في كتب الدين من قرآن وحديث، فهي إذن أقرب إلى كتب الجغرافية والرحلات، وكل ما صنعه المعرّى، أن قام برحلة في الكتب، ليجمع منها ما تفرق، فلم يقدم جديدا لقارئه، وعلل العقاد هذا التصور بأن ملكة الخيال، ليست من مواهب المعرّى، ولو تمتع بهذه الملكة لأسعفته بنفحة من نفحات الشعر، على نحو ما نرى في القصص الخيالية لكبار الشعراء في الغرب، **فالعقاد لا ينظر إلى رسالة الغفران أثرًا فنيًّا يرفده الخيال، ولكنّه يعدها كتاب تاريخ أدبيّ، يجمع شذورا عن الأدباء، إذ لم يستطع المعرّى أن يولد الصوَر المعبرة، وأن يلبس المعاني المجردة لباس المحسوسات ! وذلك موضع قصور !**

هذا رأي العقاد، وهو مما انفرد به وحده، إذن الشطط كلّ الشطط أن نحكم بأنّ رسالة الغفران أشبه بكتاب الجغرافيا، ومذكرات الأدب! ولكنّ العقاد قد قالها ! وأتاح الفرصة لناقد متحفز كالدكتور طه أن يهجم عليه من ثغرة سهلة الاقتحام، فليس لها بابٌ يمنع، أو قفل يصدّ، ومع اتضاح الحق في هذه القضية، فإن الدكتور طه لم يغب عنه لحظة أنّه أمام العقاد، أمام محام مِدْرَهٍ يدافع عن الظلام فيجعله ضياءً، ويتكلم عن الصحراء فيلبسها وشي الفراديس **لم يغب ذلك عن طه حسين فبدأ حديثه بقوله : أمّا الأستاذ عباس محمود العقاد، فأريد أن أنقده، ولكنّي أعترف بأني خائف متهيب، فلأكن شجاعًا، ولأهجم على كتاب الأستاذ في ثبات وأمن !** أرأيت هذا الاحتراس يتقدم به طه على صفحات جريدة السياسة، تلك الصفحات التي شهدت تعاليه المتكبّر على **محمد حسين هيكل وأحمد ضيف ومصطفى صادق الرافعي ومحمد الخضرى وسلامة موسى**، وإذ كان يتحدث عن مؤلفاتهم حديث من يتفضّل ويمنّ، فإذا جاء دور العقاد، رأينا هذا التواضع الكريم بدءًا ثم رأينا هدوء النبرة فيها بعد البدء، مع أنّ الحق هذه المرة مع طه لا مع العقاد، وأي سلاحٍ أقوى من الحق إذا حارب به ناقد صوّال جوّال ! **لقد تحدث طه عن خيال رسالة الغفران فقال** (٢) :

هو ينكر على أبي العلاء أن يكون شاعرًا عظيم الخيال في رسالة الغفران «سنة سُودة» كما يقول العامة ! هل يعلم العقاد أن «دانت» صار شاعرًا نابغة خالدًا على العصور والأجيال، واثقًا من إعجاب الناس جميعا بشيء يشبه من كلّ وجهٍ رسالة الغفران هذه، أستغفر الله، إنّ من الأوربيين من يزعم أنّ شاعر فلورنسا قد تأثر بشاعرالمعرّة قليلا أو كثيرا، وما الخيال ؟ أمّا إذا كان الخيال ملكة تمكن الكاتب أو الشاعر من أن يخترع شيئًا من لا شيء، أو يؤلف شيئًا من أشياء لا ائتلاف بينها، فلم يكن أبو العلاء على حظ من الخيال، لأنه لم يخترع في رسالة الغفران شيئًا من لا شيء، ولم يؤلف بين متناقضات، ولكننّا نعلم أنّ علماء النفس لا يسمّون هذه الملكة خيالاً، وإنما يسمونها وهمًا، وهم ينبئوننا أن الخيال لا يخترع شيئًا من شيء، وإنما يستمد صوره ونتائجه من الأشياء الموجودة، يؤلف بينهما تأليفًا غريبا يبهر النفس، لم يكن أبو العلاء ملزمًا أن يخترع الشعراء والعلماء والجنّة والنار، فدانتي لم يخترع «فرجيل» ولم يخترع الجحيم، ولا الأشخاص وإنما استمدهم جميعًا من الأدب القديم والدين المسيحى، ومع ذلك فهو صاحب خيال، وخياله هذا مصدر فنّه الخالد، لا تقل إنّ حظّ أبي العلاء من الخيال قليل، بل قل حظه من الخيال عظيم جدا، قيم جدا، خليق بالخلود، لأنه الخيال الخصب المنتج حقا» .

هذا ما ردّ به طه على العقاد في رأيه الخاص برسالة الغفران، والحق أن العقاد كان يكلف أبا العلاء ما ليس في طوق أحد، لأنّ أبا العلاء لو اخترع أناسًا وهميين غير من تحدث عنهم من أدباء العربية كما لو اخترع مكانًا للعذاب والنعيم غير ما تعورف من أنباء الجنة والنار، لما صادف حديثه ارتياحًا من أحد، وإذ يكون الحديث بعيدًا عن الواقع كل البعد، والخيال في وظيفته الأولى أداة تقريب للواقع، كي يكون مقبولا عند الناس، فالفنان يجنح إلى الأسطورة، وإلى المجاز، وإلى التشبيه، ليجعل اقتران الفكرة بالصورة وسيلة لتقريبها، بلْ لإضاءتها وتجميلها وإظهارها في أبهى المشاهد، وإذ ذاك يكون الخيال أداة تمكين، وإثبات لا وسيلة جموح ونفار، وقد أعطى المعرّى فكرته عن الأشخاص والأحداث والثواب والعقاب في إطارٍ تصويري على جناح رحلة من عالم الشهادة

إلى عالم الغيب! هـذه الرحلـة هي الخيال الأدبي في أحسن معارضه، وقد أدى رسـالته حين ترجم عن خـواطـر أبي العـلاء، وأفصح عن مكنــونـه أتم إفصاح!

الحق أن العقـاد قـد ظلم المعـرّي، وأن طـه حسين قد أنصفه، وقد أرسل العقـاد رسالة خاصة تتضمن تعليقًـا على مقـال طـه حسين، ولم يشأ الدكتـور أن ينشرها كـدأبه في إعـلان ما يـرد إليه، ولكنه أشار إليها بقوله[٣] : أنا أتقبل هذه الرسالة شاكرًا ما فيهـا من خير وشرّ، ومن ثناء وذم، وأؤكد لصاحبها أنه لم يصدق في رسالته كلها، كما صدق في آخرها، حيث يقول «إن صوتي يُسمع على ما فيه من نشوز، وأنا أعلم أنّ في صوتي نشوزًا، وأحمد الله أن هذا النشوز لا يمنع الناس من الاستماع إلى هذا الصوت، فقد يكون في الاستماع إليه خيرا».

رجعة أبي العلاء

وقد قـام الأستاذ عبـاس محمود العقـاد برحلـة خيـاليـة كتلك التي قـام بها أبو العـلاء المعـرّي في رسالة الغفران، ولكن رحلـة العقاد كانت في الحياة الدنيـا، لا في الحياة الآخـرة حيث شاء أن يصحب أبـا العـلاء إلى شتى أقطـار الأرض شرقًـا وغـربًـا، ليحـدثـه برأيـه في الأحـوال العـالمية من سياسيـة واجتماعيـة واقتصـاديـة، فـإذا زار أبـو العـلاء مع صديقه إنجلترا فلا بدّ أن يحدثـه عن الديمقراطية، وإذا زار معـه روسيـا فسيستمع إلى حـديثــه عن الشيـوعيـة، وإذا نـزل مـوطنًـا تتصـارع فيـه الآراء الفلسفيـة، والمذاهب الاجتماعية فـلا مناص من أن يبـدي الشيخ رأيـه فيما يـدور حـولـه من المذاهب المتناقضة مما يرى ويسمع، ولكن كيف يتحدث أبو العــلاء عن هــذا كلــه؟ لقــد رجع العقــاد إلى اللّزوميات، والفصول والغايات وديوان سقط الزند ممـا طبع من آثـار أبي العـلاء، وألقى عليهـا نظـرة الفاحص المتيقظ المتفطن لأسرار التعبير وخـوافيه، لأن أبــا العــلاء لم يكن كثيرًا ممن يفصحــون عن أنفسهم في سفور كـاشف، بلْ كان يكنـي ويوري ويومئ، وكـأنه يخشى بعض التصريح، إذا جـابه الناس برأيه الخاص، ولا بد لمن يسبر غوره البعيد، أن يملك مـوهبـة كمـوهبة العقـاد، تكـون مجهـرا كاشفًـا لأدق الخلجات. وأشعـة نافـذةً إلى أعمق

أبو العلاء المعرّي بين "العقاد" و"طه حسين"

الأعماق، وقد وفق الباحث الكبير إلى محصول جيد ممتـاز، لأن أبا العـلاء المفكّـر الفيلسوف قـد ألقى شبـاكـه الفكريـة في مضطـرب فسيح من منـاحي الكون، فعالج قضايا الأمس التي تتفق في كثير من مناحيها مع قضايا اليوم، فأمدّ العقاد بزاد جيد على السير الطويل في رحلـة شاقة ذات وعورة نـاشزة لا يصبر على قطعها إلاّ كشافٌ جسور، هـذا لباب ما قـام بـه العقـاد في كتـابـه المعـروف بـ(رجعة أبي العلاء)، وقد مهـد لحديثه بفصلين رائعين عن أبي العـلاء فكـريًا ونفسيًـا، والحديث عن أبي العـلاء فكريًا أهون سبيلاً، وأسهل متناولاً من الحديث عن أبي العلاء نفسيًا، لأن الحديث عنه في المنحى الأول يجد وسائلـه المتيسرة في كتبه الأدبيـة، وبخاصـة في ديـوان اللزوميات، أما الحديث عن المنحى الثـاني فيستشفُّ استشفـافًا من بطـائن دفينة طيّ الستـور آنًا، ومن مـراجعة ما دونـه الصادقـون من مؤرخين من تـاريخ حيـاتــه، وسجل مـواقفـه، وأقـول: المؤرخون الصـادقون، لأنّ الشاعـر الكبير قد يبتلى بِمن زيف مواقفه، وافترى عليه الكذب، بل بمن نحله ما لم يقل ليهوي به إلى قرار سحيق. وقد طالع الـدكتور طـه حسين مـا كتب العقاد في رجعـة أبي العـلاء، فكتب فصـلا نقـديًـا رائعًـا، اعترف في مقـدمتـه بأن العقاد مـن الأدباء الـذين لا يُقْـرؤون لقطع الـوقـت، وإنما يُقــرؤون لالتماس الفـائدة واجتلاب المتعـة، وآثاره من الآثـار الباقيـة التي لا تنسى لما حملت من أطيب الثمار، كما أنها لا تفهم في مشقـة ويسر بل لا بـدّ مـن صبر طـويل، ورويـة متئدة، وقد أنفق العقاد جهدين في تأليف الرجعة؛ جهــد البحث والمراجعــة والاستقصــاء وســؤال اللـزوميات عما أضمـرت وأسرّت، وجهـد الرويـة والاستنتاج والقيـاس، لأن العقاد في هـذا الكتاب ليس مؤرخًا فحسب، ولكنه مؤرخ ومتنبئ وواصفٌ ومحقق، وبعـد أن أشبع طـه هـذه النـاحيـة مبينًـا صعـوبـة مـا انتحـاه العقـاد من اتجاه، حين عـاد بالرجل من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر بقدرة قادرة، وسطوة قاهرة، بعد أن أشبع طه حسين هذه الناحية، تعرض إلى وجهة نظرٍ معارضة أوضحها في قـولـه [٤] ببعض التـصرف «لقــد أراد ـ العـقاد ـ أن يعطينـا صورة عن أبي العـلاء لـو عاش في هـذا العصر، فأعطانـا صورة من العقـاد الذي يعيش في هذا العصر، وما أحسبنا قد خسرنا شيئًا، بل أعتقد أننـا ربحنا كثيرا، . . . وليـس على الأستاذ العقـاد بأسٌ من ذلك، فقد حاول شيئًا لا سبيل إليه، أراد أن يطـوف بــالمعـرّى في أقطــار الأرض فلم يصنع شيئـا، وإنما ارتحل بـه إلى طـائفـة من الكتب التي قرأها، وفي ألوانٍ من العلـم الذي أحاط به، ذلك لأن الأستاذ العقاد نفسه لم يرتحل في أقطار الأرض، وإنما ارتحل وهو مقيم مستقر، وعـرف الدنيا وهو لم يتجاوز حدود مصر، والله لا يكلف الناس فوق ما يطيقون، وعند الأستاذ العقاد أدبٌ وعلمٌ وفلسفة، ولكنه لم يرحل إلى أوربا ولا إلى أمريكا، فلا يستطيع أن يرحل بك ولا بأبي العلاء إلى أوربا وأمريكا، إنه ينزل بك وبأبي العـلاء في ألمانيا والـروسيا والسـويد والنرويج والدنمارك، وفي بلاد الإنجليز والأسبان، ولكنه لا يريك من هـذه البلاد شيئا، ولا يظهرك، ولا يظهر أبا العـلاء إلاّ على بعض ما عنده من آراء أصحابها وسيرهم. والأستاذ العقاد معجب ببعض الـديمقـراطيـات دون البعض الآخـر، فـلا بـدّ أن يفـرض هـذا على أبي العلاء، وكـذلك أصبح أبـو العـلاء صورة لـلأستـاذ العقاد، ولم يصبح العقـاد صورة لأبي العـلاء، والمسألة التي تحتـاج إلى جواب هي : أيـرضى أبـو العـلاء عن هـذه الصـورة التي فرضها عليه الأستاذ العقـاد لو أنه عرفها أم يسخط عليهـا، أما الأستـاذ العقاد نفسـه فيجيبنا بأن أبـا العلاء لا يرضى عن هـذه الصورة لأن أبا العلاء لا يريـد هذه الصورة، ففيـم إعطاؤنا هـذه الصورة، وفيم عــرضهـا علينــا ؟ وفيم إزعــاج الشيخ عن مرقده».

هذا أهم ما جاء في نقد الـدكتور طه، وقد قال فيما كتبــه «إن العقــاد لا يستطيـع أن يعطيك من أوربـا، ولا من أمـريكــا شيئـا لأنــه لا يعـرفهما، وأستغفر الله، بـل لأنه لم يـرهما رأي العين. وقد ردّ الأستاذ العقاد على اعتراض صاحبه، بادئًا بالشكر على ما أسبغه عليه من ثنـاء، ثم قال أولاً بصدد ما قرره الـدكتور من أن العقاد لم يـرتحل بأبي العلاء في

أقطار الأرض، وإنما ارتحل به في طائفة من الكتب التي قرأها، قال العقاد[٥] : ببعض التصرف الذي لا محيد عنه .

العجيب أن الدكتور يسوق هذا الرأي في معرض الكلام عن أبي العلاء، عن الرجل الذي كتب عن الجنة والجحيم وهو قابعٌ في بيته، فماذا يقول المعرّي للدكتور طه لو أنّه ألزمه هذا الحكم وأبى عليه أن يكتب إلاّ عن المعرّة التي عرفها، إنه لا يقبل منه هذا، حيث نزح بفكره إلى أقصى الربوع! وأبو العلاء لو ساح اليوم ـ وكان حيًّا ـ في أطباق الأرض لا يكون من غرضه أن يكتب دليلاً سياحيًا وإنما تعنيه مشكلات العقائد والأخلاق التي كان يعنى بمثلها في الحياة، وليست هذه المشكلات مقصورة على السائحين دون المقيمين، ثم إننا نتساءل : أين المشاهد التي لا يراها الإنسان إلاّ بالانتقال، وهو في عصر السينما والمطابع والمذياع، والعالم كلّه معروض عليه! أيكون ذهابي إلى أوربا وأمريكا وآسيا واجبا قبل الكتابة عنها؛ فهل كان ذهاب أبي العلاء إلى الدّار الآخرة واجبًا عليه، ليكتب رسالة الغفران ؟ وماذا نقول عن الذين يكتبون عن المدن البائدة من أمثال بابل ونينوى وطيبة ومنف، وقد استحالت الرحلة إليها ؟ ألا يجوز لنا أن نكتب تاريخها لأنها بادتْ ولا نستطيع الرحلة إليها ؟ إنّ على الدكتور أن يعدل عن رأيه فهو خير له من الحجر على رحلات الأفكار في الواقع أو الخيال .

هذا ما قرره العقاد عن الاعتراض الأول، أما قول الدكتور طه بأن العقاد أعطانا صورة منه ومن عصره، ولم يعطنا صورة من المعرّي فقد ردَّ عليه العقاد بقوله :

«إنني اجتهدت ألا أسند إلى أبي العلاء فكرة من الفكر، أو كلمة من الكلمات، إلاّ شفعتها ببيت أو أبيات قالها في مسألة قديمة تقرب من مسائلنا الحديثة، وهذه هي حجتي في إسناد تلك الفكرة أو الكلمة إلى أبي العلاء، فالوجه الصواب في النقد أن يقول لنا الدكتور طه : إن أبا العلاء لا يمكن أن يقول ذلك، لأن كلامه السابق يأباه، ولا يوافقه، وإن المتكلم إذن هو العقاد !» .

وواضح أن العقاد قد استشهد بنصوص صريحة لا شبهة في نسبتها إلى أبي العلاء ! فالمعرّي حينئذ هو المتكلم، وجهد العقاد محصور في اختيار هذه النصوص، وتطبيقها على الواقع المشهود بيننا الآن .

تعقيب قارئ حصيف

نشر الدكتور فقرة لكتاب (رجعة أبي العلاء) بمجلة الثقافة في أوائل ظهورها، فعقبّ عليه الأستاذ علي زكي بك وكيل مديرية القليوبية تعقيبًا يقول فيه مخاطبًا الدكتور طه حسين[٦] .

لكنّي أراك قد خرجت على مألوفك حين عرضت لكتاب الأستاذ العقاد (رجعة أبي العلاء) إذ

○ عندما استأنس طه حسين قلم العقّاد، والسبب رهين المحبسين

عرضت له مترفقا محاذرًا، مجانبًا صراحتك المدوية، متجاوزًا الهوادة واللّين إلى طبقة أدنى إلى الدعابة والرخاوة، وقد وعدت في أوّل عدد من (الثقافة) أن تهاجم ولو أصميت وأن تنقد ولو أغضبت أقرب المقربين منك وأعزهم عليك !

وقد أجاب الدكتور طالبًا من المعقّب ألاّ يتعجل الحوادث، وألاّ يثير نار الخصومة الحادة قبل أوانها، إذ ليس على الخصومة العنيفة بينه وبين الأستاذ العقاد من بأس، فربّ إشارة أجزأت عن عبارة، والأستاذ العقاد بعد رقيق الحسّ دقيقه لا يكاد يقرأ فصلا في نقد كتاب من كتبه حتى يسرع إلى الرد، وإلى الردّ الذي يتكلف فيه التأويل والتحليل، فالخير كل الخير أن نطرق عليه الباب في رفق، وأن ندخل عليه بعد أن يأذن لنا في رقة وظرف، والله أعلم بعد ذلك كيف يكون مقامنا عنده، وكيف يكون انصرافنا عنه » وكلام الدكتور هذا واضح لا يحتاج إلى تعقيب .

(مع أبي العلاء في سجن)

بعد فترة قصيرة من ظهور (رجعة أبي العلاء) أخرج الدكتور طه حسين كتابه الشهير (أبو العلاء في سجنه) وهو مجموعة خواطر حول آراء المعرّي حللّها الدكتور تحليل الصديق المحب لا الناقد المحايد، وقد قال في المقدمة : إنه لا يقدم بحثًا عمليا ولا نقدًا أدبيًّا، وإنما يتحدث عن صديق لا يرجى نفعه، ولا يتقى شرّه، ولا يصدر المتحدث عنه إلاّ من الحبّ المبرأ من الرغب والرهب، وقد قرأ العقاد كتاب صاحبه، وحيّاه تحية طيبة، وقال فيما كتبه عنه إن الدكتور يؤثر المعرّي بحبّه ويحابيه ! ومن المصادفات أنّي ـ والكلام للعقاد ـ أحابي أبا العلاء وأوثره على النحو الذي يذهب إليه الدكتور، ثم قال العقاد : أنا لا أذكر أني كرهت أحدًا أحبّه أبو العلاء أو أحببت أحدًا كان هو من كارهيه، ولكن الدكتور طه يعرف مقدار حب أبي العلاء للمتنبي ومع ذلك يكرهه، وأنا بهذا أقرب إلى أبي العلاء من صاحبي .

وكان الدكتور قد وازن في كتابه بين أبي العلاء والمصور الفرنسي (ديجاس) وجعلهما شبيهين في القسوة على نفسيهما، ففتح المجال للعقاد لتحليل دقيق، نحو الشبيهين الكبيرين، حيث انتهى إلى أنّ قلق المعرّي أشدّ قسوة من قلق ديجاس، فأين قلق الفنان المتطلع، من قلق الزاهد الناسك ؟ أين رياضة الفقير الهندي حين يزهد عن الطعام من رياضة الحسناء الجميلة حين تزهد عن الطعام محافظة على قدها الممشوق ؟ هنا زهد وهنا زهدٌ، ولكن النبعين يختلفان . وأين الزهد في المال انصرافًا إلى الغِنَى، من الزهد في المال انصرافًا عن الدنيا .

وهكذا استطاع الدكتور طه حسين أن يستأنس يراع العقاد فسلس وانقاد، ولكن ليس على الدوام .

الهوامش

(١) المطالعات للعقاد ص ٧٠ وما بعدها .

(٢) حديث الأربعاء جـ٣ ص ١١٦ .

(٣) حديث الأربعاء جـ٣ ص ١١٩ .

(٤) فصول من الأدب والنقد لطه حسين ص ٢٤ وما بعدها .

(٥) ساعات بين الكتب للأستاذ العقاد ص ٥٤١ وما بعدها .

(٦) مجلة الثقافة العدد السادس ٧/ ٢/ ١٩٣٩م .

(٧) يسألونك للعقاد ص ١٤ وما بعدها .

ديريك والكوت

الكاريبي الذي يواجه عالم البيض!

بقلم: إيهاب فايق

عندما حصل الشاعر ديريك آلتون والكوت **Derek Alton Walcott** (من جزر الهند الغربية والمولود عام ١٩٣٠م) على جائزة نوبل للآداب العام الماضي وذلك عن مجموعة أعماله الشعرية التي رأت لجنة الجائزة أنها «تتميز برؤية تاريخية عميقة وتُعَدّ نِتاجَ التزامٍ ثقافيٍّ متعدد الجوانب»، كان ذلك يعد لفتة إلى الأصول الوطنية في الكاريبي بعد محاولات مستمرة من السكان الجدد، لطمسها!

و لا يُعد ديريك والكوت شاعرًا وكاتبًا دراميًا بارزًا من جزر الهند الغربية فحسب، ولكنه بلاشك من أفضل كُتّاب اللغة الإنجليزية في الوقت الحالي. وهو بجانب كونه شاعرًا وكاتبًا دراميا يعمل بالتدريس ويهوى الرسم.

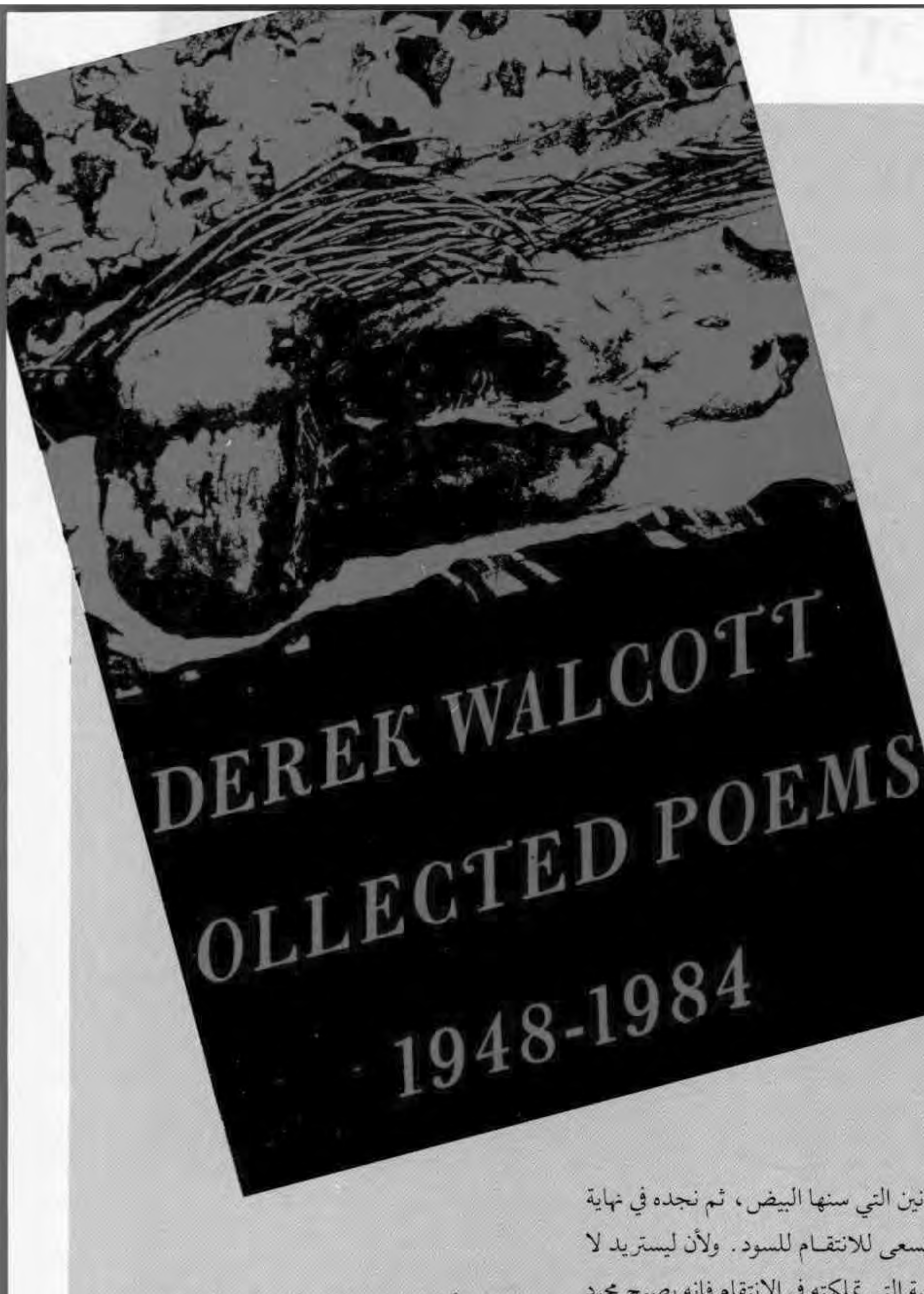
ومن المفارقات العجيبة أن يتواكب حصول الشاعر والكوت على الجائزة مع الاحتفالات بالذكرى نصف الألفية لوصول كولومبس إلى الأمريكتين أو الأراضي الجديدة. فالشاعر والكوت له ميول وطنية قوية، وقد أوضح مرارًا وتكرارًا أن السكان الأصليين في الأمريكتين (والذين يُسمَّون بالهنود الحمر من قبيل اللبس) يحاولون استعادة هويتهم التي عمل الاستعمار الأوربي للأمريكتين على طمسها.

ولد ديريك التون والكوت في مدينة كاستيرز عاصمة جزيرة سانت لوشيا St. Lucia إحدى جزر الهند الغربية في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠م وقد ظهرت موهبته الشعرية منذ الصغر. وفي سن الثامنة عشرة طبع والكوت ديوانه المسمى **(٢٥ قصيدة)** بمبادرة شخصية وعلى نطاق محدود. وبعد عامين عُرضت مسرحية **(هنرى كريستوفي)** وهي أولى مسرحياته على مسرح سانت لوشيا. وبعد أن أنهى والكوت تعليمه الجامعي في جامعة جزر الهند الغربية في جامايكا عام ١٩٥٣م عمل بالتدريس لفترات قصيرة في سانت لوشيا، وجرينادا وجامايكا. ثم حصل على منحة من مؤسسة روكفلر أتاحت له دراسة المسرح في نيويورك عامي ١٩٥٧، ١٩٥٨، ثم استقر به المقام في ترينداد حيث أسس حلقة دراسية تابعة لمسرح ترينداد، وبدأ يكتب في جريدة (ترينداد جيرديان)، وبعد سبعة عشر عاما نال فيها نجاحا كبيرا في الكتابة والإخراج والإنتاج، انتقل والكوت نهائيا إلى الولايات المتحدة في أواخر السبعينيات. وهو يقوم حاليا بالتدريس في جامعة بوسطن ويسافر كثيرا ليكتب ويشرف على إنتاج مسرحياته في منطقة الكاريبي وإنجلترا ومناطق عديدة في الولايات المتحدة.

تقدير كبير

حصل والكوت على جوائز عدة؛ من أهمها:

جائزة هينهان من الجمعية الملكية للأدب (١٩٦٩م)، **وسام الإمبراطورية البريطانية** (١٩٧٢م)، **عضوية الأكاديمية الأمريكية ومعهد** الفنون (١٩٧٩م)، جائزة الكتّاب الدوليين من



مجلس الفنون في ويلز (١٩٨٠م) جائزة ماك آرثر (١٩٨١م) كما حصلت «قصائده المختارة» Collected Poems التي نشرت عام ١٩٨٦ على جائزة جريدة (لوس أنجلوس تايمز) للشعر لعام ١٩٨٦م وأخيرا تُوج كل هذا التقدير بحصوله على جائزة نوبل في الآداب العام الماضي (١٩٩٢م).

فن الجلاء والقتمة

ليس والكوت شاعرا وكاتبا دراميا مرموقا فحسب، بل إنه يُعد فنانا أصيلا، فإذا تجاوزنا الإشارات العديدة التي تزخر بها أعماله إلى أسماء الفنانين التصويريين وحركاتهم وأساليبهم فإننا نجد أن الفنون المرئية تدخل في كل ما يكتبه.

يستخدم والكوت الضوء والظلال أو ما يُعرف بفن الجلاء والقتمة chiaroscuro في أعماله الأدبية على نطاق واسع. وترجع أهمية هذا الفن إلى أنه ضروري لتمثيل البعد الثالث على المستوى المجرد أو الملموس. ولا يستغني والكوت عن هذه الأداة الفنية بل إنها هي المحك لفهم أغراضه الشعرية والدرامية وتطور أسلوبه في الكتابة.

وبحلول أواخر الستينيات برع والكوت في الجمع بين ثقافته المحلية والمتطلبات المسرحية الشكلية لتحقيق تركيبة تجريبية مستحدثة، وقد تحقق هذا في مسرحيته **(حلم على جبل مونكي)** بطريقتين. فقد تعلم من **برتولت بريخت** B. Brecht الكثير عن المسرح الشرقي الكلاسيكي واستخدم ما تعلمه جنبا إلى جنب مع التقاليد والطقوس المحلية في حبكة المسرحية، كما إنه لم يصور لنا العقل الأوربي والروح الأفريقية كشيئين متعارضين.

وفي هذه المسرحية نجد **ماكاك** يحتل أدنى مراتب المجتمع ويعيش في إهمال تام ويحلم بأن يُتوج ملكا على أفريقيا الموحدة، ويوفّق ماكاك بين القوى المتصارعة داخل نفسه عن طريق الانغماس في التربة المحلية. وعلى النقيض من ماكاك نجد **ليستريد** وهو الشاب الذي ينتمي إلى كلتا الثقافتين فأبوه من البيض وأمه من السود يعمل جاهدا ليباعد بين الثقافتين. فنجده في بداية المسرحية يلتزم القوانين التي سنها البيض، ثم نجده في نهاية المسرحية يسعى للانتقام للسود. ولأن ليستريد لا يقاوم الرغبة التي تملكته في الانتقام فإنه يصبح مجرد رقم ويصبح بلا هوية. إن ميزة ماكاك هو أنه يصحح من تراثه الأفريقي بطريقة إيجابية ولا يسعى للانتقام. وتتصاعد درجة العنف في المسرحية حتى نجد ماكاك يحلم بأنه يقطع رأس الشبح الأبيض الذي جعله يرضى بالسواد ويحب الماضي، ويتكامل هذا الكابوس مع مشهد الضباب في نهاية المسرحية عندما يرتل ماكاك أنشودة الشكر والنصر ويهديها إلى أبناء جلدته في وطنه الجبلي، وطنه الذي لم يعد أوربيًا ولم يعد أفريقيًا ولكنه أصبح وطنًا ينتمي بحق إلى جزر الهند الغربية.

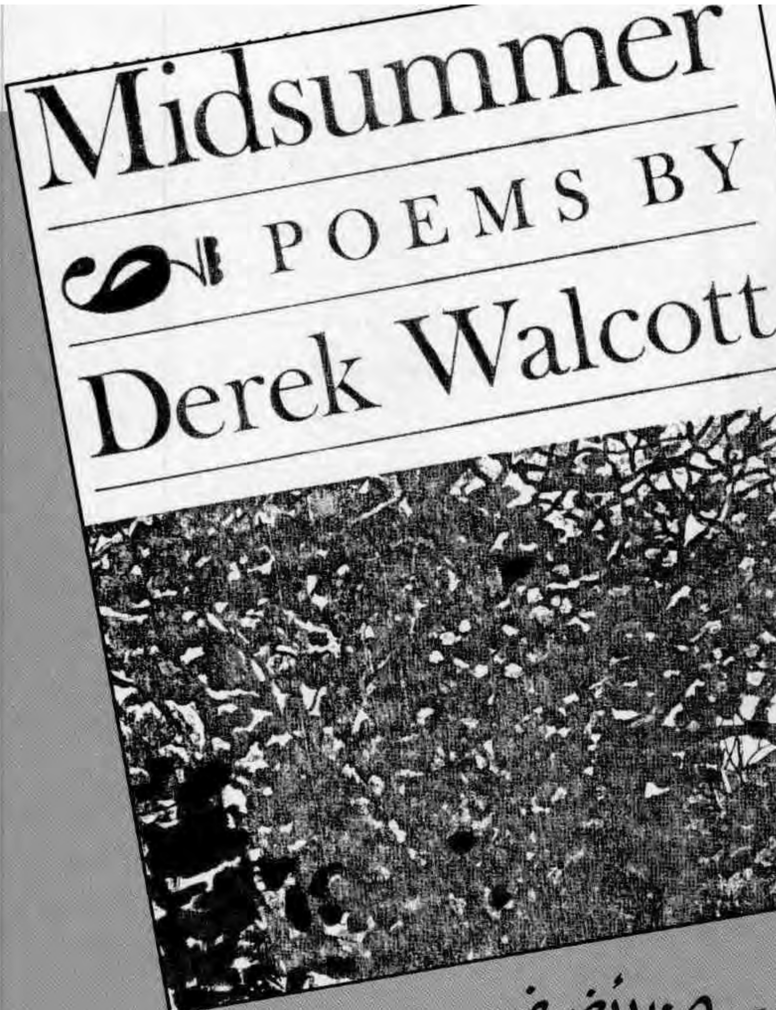
ويعتمد الصراع في مسرحيات **والكوت** المبكرة على لعبة اللون بصورة كبيرة، ولأن والكوت وُلد في ثقافة تنتقص من قيمة كل ما هو محلّي فقد كان طبيعيا أن تعتمد موضوعاته على التعارض بين وجهتي النظر المحلية والأوربية.

إن والكوت كاتب مسرحيّ ناجح وغزير الإنتاج، وهو يكتب معظم أشعاره بالإنجليزية الفصحى، غير أننا نجده يستخدم في مسرحياته اللهجة المحلية للتفاهم creole idiom في جزر الهند الغربية كما يستخدم اقتباسات عديدة من اللغة الفرنسية التي يتحدث بها الكثيرون في المنطقة.

إن التعارض بين البياض والسواد وبين الضوء والظلام يظهران بجلاء في الخلفية الاجتماعية لأعماله لدرجة يمكننا أن نقول معها: إن هذا التعارض قد أصبح ضرورة سياقية في أعماله.

ديريك والكوت

الكاريبي الذي يواجه عالم البيض!



أبعاد جديدة

تأخذ ابتكارات والكوت الأسلوبية أبعادًا جديدة في شعره. وهذا لا يبدو جليا في شعره المبكر، لأنه كان يريد أن يكون امتدادًا «لأشعار مارلو وملتون القوية». فنجد أن أشعاره ـ خصوصا في المرحلة المبكرة ـ تتمشى مع الأنماط القائمة مثلما هو الحال في قصائد ديوانيه «**قصائد**» و «**في ليلة خضراء**» التي يلعب فيهـا الماضي دورا حيـويـا. ويظهر التوتر والصراع في هذه القصائد عندما يضع والكوت الماضي والحاضر في موقف تعارض.

وعلى الرغم من أن والكوت يحرص على مراعاة التقاليد الغربية في الكتابة فإن شعره يعتمد بشكل كبير على بيئته المحلية لدرجة أن هذه المرحلة من التطور يمكن أن يطلق عليها المرحلة الحسّيّة. فنجد البقايا في قصيدة «**بقايا منزل عظيم**» تطل على مقابر العبيد المنسية، كما نجد الشاعر في قصيدة «**صرخة بعيدة من أفريقيا**» يشعر أنه مسموم بدماء الجنسين المتقاتلين.

وفي ديوان «**الخليج وقصائد أخرى**» يتناول (والكوت) قضاياه الشخصية، فنجده في قصيدتي «**قرب الأربعين**» و«**النزهة**» يتناول أثر السن المتقدمة في ملكاته الإبداعية وإمكان فقدانه لهذه الملكات.

وعلى الرغم من أن هذا الديوان يعكس الشك الداخلي لدى الشاعر، إلا أنه يوحي أيضا بالثقة، وبقدرة الشاعر على تصوير هواجسه في أشعاره.

ويؤرخ ديوان والكوت التالي وهو بعنوان «**حياة أخرى**» والذي صدر عام ١٩٧٣ المرحلة الثالثة لتطوره كشاعر. وهذا الديوان يُعد فعلا «صورة الفنان كشاب من الهند الغربية». وفي هذا الديوان وفي ديوانيه «**عنب البحر**» و«**مملكة التفاح النجمي**» يستخدم (والكوت) أحداث حياته الشخصية وسيلة أولى للتعبير الشعري.

وكما هو الحال في مسرحياته يتناول (والكوت) في أشعاره الصراع بين المؤثرات المستوردة والمؤثرات المحلية. وهكذا ينتقل الشاعر من وصف النباتات والمناظر الطبيعية ليتناول مشكلة لون بشرته.

«كم مرة لم تتردد
بين البشرة الوردية اللون وتلك البنية الداكنة
إن دمك مثل أفعى تهمس
لجنس غير قادر على رسم لوحات جميلة
أو عـزف الموسيقى أو إقـامة المنشآت المعمارية أو ابتكار أفكار معقدة»

وقد اخترت إحدى قصائده المعبرة وترجمتها إلى العربية، وهي بعنوان «صرخة بعيدة من أفريقيا» من ديوان «في ليلة خضراء» (١٩٦٢م).

○ «لقد كنت هنا لأضفي بعض الحيوية على المسرح البريطاني ولكن السود لا يمكنهم أداء مسرحيات شكسبير فليس لديهم الخبرة»

«ديريك والكوت: ديوان منتصف صيف»

الهوامش

* قبائل الكيكنو: قبائل زراعية تعيش على مرتفعات كينيا، وهي أقوى المجموعات العرقية هناك، وقد تصدت للاحتلال الأوربي في الخمسينيات في ثورة الماوماو.

المراجع

1. Drabble, Margaret (ed.) *The Oxford Companion to English Literature.* (fifth edition) London: Cambridge University Press, 1985.
2. Walcott, D.A. *The Star-Apple Kingdom* New York: Farrar, Straus, and Giroux, 1977.
3. -- *Midsummer.* New York: Farrar, Straus, and Giroux, 1981.
4. -- *Collected Poems 1948-1984.* New York: Farrar, Straus and Giroux, 1986.

صرخة بعيدة عن أفريقيا

ثمة ريح تزعج البشرة السمراء
لأفريقيا . إن قبائل الكيكتو * سريعة مثل الذباب
تحيا بترف على حساب أنهار الدم في المروج الخضراء
الجثث مبعثرة عبر فردوس
فقط الدودة، زعيمة القذارة تصرخ :
«لاتبدِ أي شفقة على هذه الأشلاء!»
إن الإحصاءات تبرر والمثقفين يتمسكون
بكل ما هو بارز من السياسة الاستيطانية
ماذا يعني هذا للطفل الأبيض الذي يهدهده الكبار في مخدعه؟
أو للمتوحشين ذوي النزعة التوسعية مثل اليهود؟

* * *

بعد أن تعرَّضَتْ للضرب تتكسر النباتات الطويلة
وفي الجثث البيضاء لطيور أبي منجل التي كانت صرخاتها
تُسمع منذ فجر الحضارة
من النهر الجاف أو الوادي يعج بالوحوش
إن عنف الحيوان مع الحيوان يُعتبر الآن
قانونا طبيعيا، ولكن الإنسان المنتصب
يبتغي قدسيته بواسطة الألم الذي يبتليه
مهتاجًا مثل هذه الحيوانات القلقة، حروبه
ترقص للهيكل الضيّق لطبلة
بينما ينشد هو الشجاعة لا يزال هناك هذا الخوف المحلّي
من السلام الأبيض الذي عقده الأموات

* * *

مرة أخرى تعلق الحاجة الوحشية آثامها
على شماعة قضية قذرة . . مرة أخرى
غابت الشفقة من عندنا، مثلما كان الحال في إسبانيا
الغوريلا تتصارع مع إنسان خارق
أنا من تسممت من جراء دماء الطرفين
أين يمكن أن أتحول وقد انقسم كياني حتى النخاع؟
أنا من لعنت
الضابط المخمور للحكم البريطاني، كيف يمكن أن أختار
بين أفريقيا هذه واللغة الإنجليزية التي أحبها؟
أأخون كليهما أم أرد ما يمنحانه؟
كيف يمكنني أن أرى مثل هذه المذبحة وأظل هادئا؟
كيف يمكنني أن أدير وجهي لأفريقيا وأظل حيًّا؟

أعمال والكوت المنشورة

١ ـ دواوين شعر

- ٢٥ قصيدة (١٩٤٨) 25 Poems
- مرثية للشباب (١٩٤٩) Epitph for the Young
- قصائد (١٩٥١) Poems
- في ضوء أخضر قصائد ١٩٤٨-١٩٦٠ (١٩٦٢) In a Green Light: Poems 1948-1960
- قصائد مختارة (١٩٦٤) Selected Poems
- الناجي من الغرق وقصائد أخرى (١٩٦٥) The Castaway and other Poems
- الخليج وقصائد أخرى (١٩٦٩) The Gulf and Other Poems
- الخليج (١٩٧٠) The Gulf
- حياة أخرى (١٩٧٣) Another Life
- عنب البحر (١٩٧٦) Sea Grapes
- مملكة التفاح النجمي (١٩٧٩) The Star-Apple Kingdom
- تذكر وإيماء (١٩٨٠) Remembrance and Pantomime
- المسافر المحظوظ (١٩٨١) The Fortunate Traveller
- منتصف صيف (١٩٨٤) Midsummer
- قصائد مختارة (١٩٨٦) Collected Poems
- ميثاق أركنساس (١٩٨٧) The Arkansas Testament
- أومروس (١٩٨٩) Omeros

٢ ـ مسرحيات

- هنري كريستوفي (١٩٥٠) Henri Christophe
- هاري ديرنير (١٩٥٢) Harry Dernier
- إيون (١٩٥٧) Ione
- حلم على جبل مونكي ومسرحيات أخرى (١٩٧٠) Dream on Monkey Mountain and Other Plays
- مهرج أشبلية وأوه بابيلون (١٩٧٨) The Joker of Seville and O Babylon
- ثلاث مسرحيات (الاحتفال الأخير، لحم بقري لا دجاج، وفرع للنيل الأزرق) (١٩٨٦) Three Plays (The Last Carnival; Beef, No Chicken; and A Branch of the Blue Nile)

مناهج البحث العلمي وجهود المسلمين فيها

د. محمد عبد الستار نصار

الوصول إلى نتائج صحيحة في أي مجال من مجالات البحث، يتوقف على سلامة المنهج الـذي يتخذه الباحث طريقًا له في بحثه، حتى يصل إلى النتائج التي يبتغيها، بل يمكن أن يكون ذلك أمرًا عامًّـا في كل أنواع النشاط الإنساني، مع التفاوت في طبيعة المنهج المستخدم في كل نشاط من هذه الأنشطة، لاختلاف درجات الثقافة التي يكون عليها الأفراد المستخدمون له، وطبيعة المجالات التي يطبق فيها.

ويمكن أن يقال أيضًا: إن الإنسان منذ وجد وهو يفكر، لأن التفكير من خصائصه، ويضع لنفسه طرائق ومناهج توصله إلى الحقائق التي يريدها، ولولا ذلك لما تقدم خطوة عن صورته الأولى التي نشأ عليها، ويرينا القرآن الكريم في مشهد مؤثر، كيف أن الإنسان ـ وهو المخلوق المكرم المزود بالعقل والإدراك ـ قد استفاد من بعض الطيور، عندما عاين صورة قد غابت عنه، يقول الله تعالى في تصوير هذا المشهد: ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحقّ إذ قرّبا قربانا فتقبِّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنّما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله ربَّ العالمين * إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوَّعت له نفسُه قتلَ أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غُرابًا يبحث في الأرض ليريَه كيف يواري سَوْءَةَ أخيه قال ياوَيْلَتَى أعجزتُ أن أكونَ مثل هذا الغرابِ فأواريَ سَوْءة أخي فأصبح من النّادمين** ﴾[1].

والشاهد هنا أن القاتل قد استفاد من الطائر حين وجده يبحث في الأرض، فاهتدى إلى أن يواري القتيلَ التراب.

وإذا كان هذا شأن الإنسان مع غيره من الحيوانات، فأولى به أن يكون هذا شأنه مع نفسه يتأمل وينظر، ويضع القواعد التي تقوده إلى غايته، في كل مجال يريد. ولا بأس في أن يعدل ويطور في تلك المبادئ حسبما تمليه الظروف والملابسات، والمهم ألا يقف عند صورة معينة، يظن بعدها أنه قد وصل إلى نهاية الشوط، سواء أكان ذلك في موضوعات تفكيره وتأمله، أم في المنهج الذي يتخذه سبيلاً له للوصول إلى أهدافه.

والإنسانية في عصر الحضارات الزاهرة، قد عرفت مناهج للتفكير، كما عرفت طرائق للعيش والحياة، ولولا ذلك لما وصلت إلى ما وصلت إليه، إذ من المعلوم أن الحضارة لا توجد إلا إذا سبقها منهج صحيح تكون أثرًا له. وإذا ثبت هذا، فإننا نقول باطمئنان: إن الشرق قد عرف للتفكير مناهجه وطرائقه في البحث، قبل أن يوجد ذلك في الحضارة اليونانية، وأؤكد هذا لأن كثيرًا من الباحثين في المناهج، بل والفلسفات والحضارات عمومًا، يجعلون نقطة البدء في بحوثهم، هذه الحضارة، بما أفرزته من نظم في التفكير وطرائق في العيش والحياة إلى آخره، وأستند في ذلك إلى ما يأتي:

أولاً: إن جهود الباحثين المنصفين من الشرق والغرب على السواء، قد أقرت بها للشرق من سبق في ميدان الحضارة، كحضارة مصر وما بين النهرين، وأنبأتنا أن مدنية الشرق وحضارته قد سبقت مدنية وحضارة الإغريق بعدة قرون، وهذا هو الواقع الذي لا ينكر.

ثانيًا: إن علماء الأنثروبولوجيا قد قرروا أنهم التقوا أثناء بحوثهم بأدلة قاطعة على أن بعض النظريات الإغريقية لا يمكن أن تكون من أصل إغريقي، لأنها توافرت فيها جميع شرائط العقلية الشرقية.

ثالثًا: إن علماء الآثار قد عثروا على بعض الاصطلاحات الأخلاقية في بلاد الشرق، قبل وجودها في بلاد الغرب بعدة قرون، مثل العدالة ـ الفضيلة ـ النفس ـ الحياة الآخرة... إلخ[2].

وتأتي بعد ذلك الحضارة اليونانية لتبدأ عصرًا جديدًا في التفكير العقلي، ويظهر في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد **عباقرة اليونان: سقراط وأفلاطون وأرسطو**، ويشيد الأخير منطقه كبناء شامخ في مجال المنهج، مستفيدًا إلى حد كبير بما خلفه أستاذه وأستاذ أستاذه، ويدل هذا المنطق على عبقرية فذة ما في ذلك شك، ويتناوله الشراح من بعده بالبيان والإيضاح والتعليق

وقد اتبع أغلب الباحثين في تاريخ المناهج طريقة غير علمية، لأنهم ينتقلون من دراسة المنهج عند أرسطو ومن شابهه إلى دراسة المناهج الحديثة في أوربا، ضاربين صفحًا عن مناهج البحث العلمي عند المسلمين. **ويعتبرون أن «الأورجانون الجديد» الذي وضع أسسه «فرنسيس بيكون» هو بداية التاريخ للمناهج بالمعنى الصحيح، وسيتبين لنا من خلال الدراسة، كيف كان للمسلمين دور مهم في هذه السبيل، وكيف أنهم كانوا أصحاب نظرات مستقلة مبتكرة، بل يمكن أن يقال: إنهم كانوا أصحاب السبق في وضع عناصر متميزة في مجال المنهج، سواء أكان ذلك في مجال الدراسات النظرية أم في مجال الدراسات العملية التجريبية**، وقد انتهت دراسة المناهج الظاهرة: الاستدلالية، التاريخية، التجريبية دراسة مقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر الحديث إلى هذه النتيجة لدى الباحثين المنصفين من الغربيين، وأملنا أن ينتفع بذلك الدارسون، كل في مجال اختصاصه، وألا يقفوا في بحوثهم ـ وبخاصة في مجال المنهج ـ عند الصورة التي وقف عندها الأسلاف، فالعلوم تتطور وتتقدم والبحث الذي لا يرتكز على منهج علمي صحيح، لا يعطي نتائج صحيحة بل يكون أشبه بمن يقيم البناء على رمال الصحراء.

معنى كلمة منهج

أولاً: المعنى اللغوي: النهج والمنهج والمنهاج، كلها تدل على الطريق الواضح الذي استبانت معالمه وظهر أمام السالكين، ومنه قوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[3] وقد جاء في الصحاح: « النهج الطريق الواضح وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق أي استبان وصار واضحًا »[4].

ثانيًا: معناها الاصطلاحي: تعني هذه الكلمة في اصطلاح الباحثين في العلوم المختلفة «الخطوات المنظمة التي يتخذها الباحث، لمعالجة المسائل التي يتعرض لها، حتى يتمكن من الوصول إلى نتائج صحيحة»[5] وهذا المعنى، يفيد أن الباحث إذا أراد أن يصل إلى نتائج يقينية في مجال بحثه، عليه أن يراعي القواعد الموضوعة التي تمثل منهج البحث في الدائرة التي يبحث فيها، كما يفيد

أيضًا أن لكل علم من العلوم منهجًا يختص به بحسب موضوعه ومسائله، وإن كان هناك قدر مشترك بين مناهج العلوم كلها، وهذا القدر هو الذي تفسره قوانين الفكر الأساسية

معنى المنهج لدى المحدثين

يعتبر ما قدمه «فرنسيس بيكون» في كتابه «الأورجانون الجديد» و«ديكارت» في كتابه «مقال عن المنهج» وأصحاب منطق «بورروبال» خطوات حاسمة وجديدة في النظرة إلى المنهج بمعناه العلمي الدقيق، فبيكون يضع في كتابه المشار إليه آنفًا قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح، وديكارت يكشف عن المنهج المؤدي إلى حسن السير بالعقل، والبحث عن الحقيقة في العلوم، وفي دراسات مناطقة «بورروبال» نلاحظ أن منطقهم يعني «التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين» (٦)

ولا يعني هذا أن هذه الأفكار حول تأصيل المنهج وتقدمه كانت وليدة الفكر الحديث، بحيث كانت مقطوعة الصلات عن أفكار السابقين في هذا المقام، وإنما يعني أن صورة المنهج الحديثة، قد بدأت بهؤلاء، وقد أشرنا من قبل إلى أن مفكري الإسلام كانت لهم نظرات ثاقبة في هذا السبيل، لا في العلوم النظرية فحسب، بل في العلوم التجريبية كذلك، وحسبنا أن نقرأ في هذا المقام تراث: ابن حيان وابن الهيثم والبيروني والكندي، وغيرهم في مجال العلوم العملية التجريبية، من كيمياء وفيزياء وفلك وطب ورياضة وهندسة . . . إلخ، لنرى كيف كان المسلمون سبّاقين في هذه النواحي، ولم يكن سبقهم هذا إلا بفضل المنهج الذي اكتشفوه وطوروه، وما يقال هنا يقال كذلك في مجال الدراسات النظرية: من فقه وحديث وتفسير وتاريخ وسير ومغازٍ . . . إلخ، وهذا كله قد شهد به المنصفون من الدارسين الغربيين، ومنهم على سبيل المثال: «فون كريمر» الذي قال في وصف النشاط العلمي عند المسلمين: «إنهم كانوا يبدون نشاطًا واجتهادًا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون. وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة أو أخذوه من الرواية» (٧)

نوعا المنهج

يقسم المنهج تقسيما أول قسمين: **الأول: المنهج التأملي. الثاني: المنهج التلقائي.**

فأما الأول: فهو الذي يكون قد استقرت قواعده، واستخدم في التطبيق، وآتى أكله، ويلاحظه الباحثون في أبحاثهم بطريقة عملية تحتاج إلى التأمل عند تطبيقها، كما يراعي الباحث - مثلاً - في الأحكام الشرعية قواعد علم الأصول عند النظر فيها لاستنباط الأحكام منها، وكما يلاحظ الباحث في العلوم العقلية، كالفلسفة وعلم الكلام، قواعد المنطق، سواء أكان ذلك في مجال التصورات أم في مجال التصديقات، وبمدى مراعاة هذه القواعد وتأملها تأتي النتائج تبعًا لذلك.

وأوضح مثال لذلك ما أجاب به معاذ بن جبل رضي الله عنه، حين وجهه الرسول ﷺ إلى اليمن قاضيًا، ثم سأله: بم تقضي إنْ ظهر لك قضاء، قال: بما في كتاب الله، قال: فإن لم تجد، قال أقضي بما في سنة رسول الله، قال: فإن لم تجد، قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فربت رسول الله ﷺ على كتفه، وقال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله إلى ما يرضي الله ورسوله. ومعنى هذه الإجابة: أن على الباحث أن ينظر فيما أمامه من قواعد تفيده في الوصول إلى النتيجة التي يريدها، والقواعد في المثال الذي سقناه، هي ما في النصوص الشرعية من أحكام تحتاج في استنباطها إلى اجتهاد، وهذه مرحلة أولى من مراحل العمل العلمي، فإذا لم يجد المجتهد نصًّا مباشرًا يسعفه، كان عليه أن ينظر في علة الحكم الذي ورد به النص، فإذا أمكن تعديتها إلى واقعة جديدة قاسها على الأصل الذي ورد فيه النص بجامع اتحاد العلة بينهما، وهذه مرحلة متقدمة من مراحل الاجتهاد، فإذا لم يستطع التأكد من أن علة الحكم في الأصل يمكن تعديتها إلى الفرع، فعليه أن يتحرى الحكم المناسب، بملاحظة قواعد الشريعة مثل: لا ضَرَرَ ولا ضرار، درء المفاسد مقدّم على جَلْبِ المصالح . . . إلخ، وهذه أقصى مراحل الاجتهاد.

وأما النوع الثاني: فهو ما كان قائمًا على سير العقل بطريقة طبيعية من غير مراعاة لقواعد معينة نحو تحقيق هدفه، بترتيب الأفكار وتنظيمها، وينشأ هذا المنهج من طبيعة العقل نفسه كملكةٍ للتفكير. وعمل العقل على هذا النحو ظاهرة إنسانية طبيعية، ولو لم نقل بها، لما تقدم العلم في شيء أبدًا، إذ لو توقف البحث في كل الأحوال والأزمان على مناهج مرسومة بطريقة تأملية، لكان معنى ذلك أن الإنسان قد وجد على ظهر هذه الأرض، فوجد أمامه هذه المناهج، والعكس هو الصحيح، إذ بفضل هذه المناهج التلقائية تقدمت المناهج التأملية

تنوع المنهج من حيث طبيعة الموضوع المستخدم فيه

استقر علماءُ المناهج المعاصرون، على وجود ثلاثة مناهج رئيسة هي:

١ - المنهج الاستدلالي. ٢ - المنهج التجريبي. ٣ - المنهج التاريخي.

وهذا التحديد في عدد المناهج لا يعني أنه ليس هناك مناهج أخرى، إذ من المعروف أن لكل علم منهجه الخاص به، ومن ثم فإن المناهج تتعدد بتعدد العلوم، بل إن العلم الواحد قد يستعمل فيه أكثر من منهج، ثم هناك من ناحية أخرى مناهج خاصة كالمناهج الذوقية، في الفن والأدب. . . إلخ. ومن هذا القبيل مناهج الصوفية، الذين يقرون بأن الطرق التي توصل السائر إلى الله تعالى، إنما تتعدد بتعدد السالكين، كما أن هناك المنهج الجدلي، الذي يقوم على الإلزامات.

ولما كانت هذه المناهج، ليست عامة، كما يمكن من ناحية أخرى أن تعود إلى غيرها من المناهج فقد اكتفى الباحثون في هذا العلم بالمناهج الثلاثة الرئيسة، وكل واحد من هذه الثلاثة يحتاج إلى دراسة مستوعبة، حتى تظهر طبيعة كل منها، ومجال تطبيقه، والأثر الواضح الذي يحدثه في التقدم الفكري والتطبيقي، لكل أمة تريد لنفسها مكانًا في موكب التاريخ، حتى لا ينساها في غمرات احتفائه وتقديره لكل من يحدوه منهج من الثلاثة المشار إليها، أفرادًا كانوا أو أممًا.

الهوامش

(١) سورة المائدة: الآيات من ٢٧ - ٣١.

(٢) د. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، ص ١٧، ط. القاهرة، ١٩٥٠م.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٤) الصحاح في اللغة والعلوم، ص ١٢٠٩، ط. بيروت ١٩٧٥م.

(٥) المصدر السابق (نفسه).

(٦) د. عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، ص ٤، ط. الكويت ١٩٧٧م.

(٧) فرانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص ١٠، ط. رابعة، بيروت ١٩٨٣م.

إسهام العرب في نشأة الكتاب والخزانة العربية

بقلم: عبد المالك الحمصي

كانت اللغة العربية قبل الإسلام محصورة في جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق وتدمر وفي بادية الجزيرة ، وفي جزيرة سيناء ، وبمجيء الإسلام أصبح في أيديهم من الكتب القرآن الكريم ، يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون إليه ، وقد أعجبوا بأسلوبه ودهشوا لبلاغته بما حواه من الشرائع والأحكام . فأخذ المسلمون في تفسير آياته وشرح نصوصه وأحكامه وضبط معاني ألفاظه ، وتفهم أساليب عباراته ، فجرهم البحث إلى تدوين أنساب العرب ، وأقوالهم وأشعارهم ، وقصصهم ، وقال عبد الله بن عباس : (إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في الأشعار لأن الشعر ديوان العرب) .

التدوين عند العرب

وقد ثبت أن العرب لم يدونوا في الجاهلية شيئاً من مآثرهم ، ولكن رغم كل ذلك اكتنزوا في أفكارهم نوعاً من التاريخ الشفهي والقصصي الشعبي ، فقد كانت القبائل العربية تروي قصصها وأيام حروبها وانتصاراتها لتفخر بها على القبائل الأخرى . سواء كان ذلك شعراً أو نثراً . وأحيانا يكون النثر شرحاً للقصيدة ، وأحيانا يكون الشعر مرتجلاً على لسان أحد أبطال الخبر . وكانت كل قبيلة تحفظ نسبها وتحفظه أبناءها ليظل نقياً بعيداً عن الشوائب ولتستطيع أن تفخر به على القبائل الأخرى ، وكل قبيلة تعد هذا تاريخاً لها . ولما اشتغل المسلمون بتفسير القرآن وجمع الأحاديث ، احتاجوا إلى تحقيق الأماكن والمناسبات التي نزلت بها الآيات ، أو قيلت فيها الأحاديث فعمدوا إلى جمع **السيرة النبوية الشريفة** ، ودونوها ، ثم أخذ أهل القرائح والفكر بشرح الحديث النبوي وسنده وتأويله ، فكان لكل علم من هذه العلوم رسائل ومصنفات فتألف من ذلك طبقات العلماء والفقهاء والمفسرين والحفاظ والنحاة والأدباء والنسابين وغيرهم .

من هنا نشأت فكرة الكتاب العربي الأول فاتسعت تصانيف رواة الحديث والسير والمغازي عند رجال الصحابة والتابعين الكرام الذين روى عنهم **ابن إسحاق ، وابن سعد ، والواقدي** وغيرهم . ويتنازع أسبقية هذه التصانيف **زياد بن أبيه** المتوفي سنة ٥٣هـ والذي ألّف كتاباً في مثالب العرب ، **ودغفل النسابة البكري** المتوفي سنة ٦٠ هـ ألف كتاب « التظافر والتناحر » في خلافة **معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الله بن عباس المتوفي عام ٦٨هـ الذي كان يلقب بترجمان القرآن . وعبيد بن شريه الجرهمي** المتوفي عام ٧٠هـ الذي استدعاه معاوية بن أبي سفيان من اليمن وسأله عن الأخبار المتقدمة وعن ملوك العرب والعجم وطلب إليه أن يدون هذا في كتاب وينسب إلى مؤلفه (وقد طبع الجزء الأول الذي وجد من هذا الكتاب في حيدرآباد باسم (**أخبار عبيد بن شريه الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها**) وقال **ابن حجر** في كتابه « **تهذيب التهذيب** » إن **عروة بن الزبير** المتوفي سنة ٩٤هـ أحرق كتباً ألفها في الفقه في **يوم وقعة الحرة** . كما كتب بعض الأحاديث الشريفة ومسائل كان قد طلبها منه **عبد الملك بن مروان** ذكر فيها هجرة الحبشة ، وموقعة بدر ، وفتح مكة المكرمة ، ووفاة السيدة خديجة ، وهجرة **النبي صلى الله عليه وسلم** والصحابة إلى المدينة ، ووقعة القادسية واليرموك ، وفتوح الشام . **وأول من اشتهر بكتابة المغازي والسير (ابان بن عثمان بن عفان) المتوفي عام ١٠٥هـ وكان ابان من علماء الحديث والفقه . ذكره ابن سعد في طبقاته قال : إن أبان ثقة قليل الحديث إلا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمر بتعليمها .**

وكتب **وهب بن منبه** المتوفي عام ١١٠هـ في المغازي والفتوحات : واجتماع قريش في دار الندوة والهجرة وغزوة بني خيثم ، كما ذكر أخبار الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وأشعارهم وقبورهم وقد شاهد هذا الكتاب **ابن خلكان** في القرن السابع وقال : إنه من الكتب المفيدة .

وروى **عاصم بن عمر بن الخطاب** المتوفي عام ١٠٩هـ عن أبيه واشتهر بأحاديثه عن حياة **الرسول صلى الله عليه وسلم** عامة ، وقال فيه **ابن قتيبة** بأنه (صاحب السير والمغازي) وروى عنه **محمد بن إسحاق والواقدي** ، كما أخذ عنه ابن سعد في الطبقات ، الفترة المكية والمدينة من حياة **النبي صلى الله عليه وسلم** وأخبار الخلفاء الراشدين .

دور الزهري

ويعد **الزهري** (محمد بن مسلم بن شهاب) المتوفي عام ١٢٤هـ من أعلام التابعين وأشهرهم وله الفضل الكبير في تدوين الكتاب العربي ونشره ، إذ كانت معرفته بالأنساب والقبائل العربية واسعة ، لقد كتب الزهريات في الحديث الشريف ، وصنف نسب قومه وأسنان الخلفاء ، وهي عبارة عن قائمة يذكر فيها تأريخ وفاة الخلفاء وأعمارهم ومقدار ملكهم ، ودون كتاباً خاصاً في التاريخ : وأنه أول من قابل بين الأحاديث المختلفة المصادر في موضوع واحد لدمجها في حديث واحد جماعي يصدره بأسماء الرواة مجتمعين . وكانت هذه خطوة إلى الأمام في العرض التاريخي ،

وكان الزهري أيضا أول من عني بتدوين الأنساب ، فاتجه بذلك وجهة جديدة في التاريخ كما كان له فضل كبير على الحركة التاريخية إذ نشر كتبه بين الجمهور ، وحث على ذلك بقوله : إياك وغلول الكتب (أي حبسها عن أهلها) وقال أيضا : **(ما صبر أحد على العلم صبري ، ولا نشره أحد نشري) .**

وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله مشتغلاً بها عن كل أحد . فقالت له يوما زوجته : والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر . وهذا دليل على تكاثر الكتب المدونة في زمانه .

تتابع الحلقات

ومن الرجال المتقدمين الذين ساهموا في نشأة الكتاب **موسى بن عقبة** المتوفي سنة ١٤١هـ وقد اشتهر بمعرفة المغازي وألف فيها كتباً ، وقد اقتبس ابن سعد كثيراً منه عن طريق أستاذه الواقديّ كما كانت له دراية واسعة في التاريخ الجاهلي .

وسليمان بن طرخان المتوفي سنة ١٤٣هـ كتب في المغازي والسير ذكره **الطبري** في تاريخه .

وعوانة بن الحكم المتوفي عام ١٥٨هـ من مؤرخي العراق ، وقد نسب له **ابن النديم** في الفهرست كتابين : (كتاب التاريخ) وكتاب (سيرة معاوية بن أبي سفيان وبني أمية) وقد ذكره الطبري **والبلاذري . ومحمد ابن إسحاق** المتوفي عام ١٥٠هـ الذي نال شهرة عظيمة بكتابه المغازي ويقال : إن سبب تأليفه (كتاب المغازي) أنه دخل ذات يوم على **المنصور** وبين يديه ابنه **المهدي** ، فقال له المنصور : أتعرف هذا ياابن إسحاق قال نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين . قال له : اذهب وصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا .. فصنف ابن إسحاق هذا الكتاب فحفظه المنصور في خزانته .

ويمتاز ابن إسحاق بأنه وسع أفق كتابه وجعله تاريخاً للرسالة الإلهية فأدخل فيها تاريخ الأنبياء والمتقدمين والتاريخ الجاهلي وتاريخ مكة القديم ، وأورد أخبار أهل الكتاب والقبائل العربية التي ذكرها القرآن الكريم والبعثة النبوية الشريفة : وحياة **النبي صلى الله عليه وسلم** في مكة المكرمة والهجرة ، ومن أسلم من الصحابة ، بدعوة **أبي بكر** ، وحياة **النبي صلى الله عليه وسلم** في المدينة المنورة ، وجميع الغزوات التي حصلت في حياة **الرسول صلى الله عليه وسلم .**

أول خزانة

وقد أخذت مدرسة المصنفين تزداد ، وكتب تفسير القرآن الكريم ، وعلم الحديث الشريف ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين ، وأخبار المغازي والفتوحات ، تتوالد وتتكاثر بسرعة وكان لابد لهذه الكتب العديدة من خزن تحميها من التلف والضياع ، **وكان أول خزانة أنشئت في الإسلام بدمشق ، أنشأها خالد بن يزيد بن معاوية المتوفي سنة ٨٥هـ** ولاشك أنها كانت تحوي بعض العلوم التي ترجمت من النبطية واليونانية والسريانية إلى العربية ، في الطب والكيمياء والنجوم وغيرها ، وربما كان فيها بعض الكتب الجغرافية ، لأنه ثبت مما قاله **ابن السندي** الذي زار **خزانة الكتب بالقاهرة في سنة ٤٣٥هـ** إنه كان فيها كرة من نحاس من عمل **بطليموس** ، كتب عليها حملت هذه الكرة من خزانة الأمير خالد بن يزيد بن معاوية . وقال أيضا : إنه كان في تلك الخزانة كتب في النجوم والهندسة والفلسفة .

بيت الحكمة

وقد تكاثرت هذه الخزن ، وجمعت في دور سميت **(دار الحكمة ، أو بيت المعرفة) .**

وكانت دار الحكمة أشبه بجامعة فيها دار كتب يجتمع فيها طلاب العلم للبحث والمطالعة ، ويدير شؤون تلك الدار من يثق الخليفة بعقلهم وأمانتهم . وعلمهم .

وظلت بيت الحكمة في القرنين الرابع والخامس في بغداد مفتوحة الأبواب ينشط فيه العلم وتزداد به المعرفة وقد أنشأ أحد وزراء العباسين في القرن الخامس الهجري دار كتب **بالكرخ** في بغداد سماها **(دار العلم)** أوقفها على العلماء ، وقد نقل إليها كتبا كثيرة ، **وأنشأ الفاطميون في القاهرة داراً للكتب** في القرن الرابع تشبهاً بالعباسين في بغداد ، وفرشوها ونقلوا إليها الكتب الكثيرة في مختلف الفنون .

وشهدت **الشام** دار حكمة في القرن الخامس أنشأها **بنو عمار في طرابلس ، وكان في كل من كفر طاب ، والمعرة** في زمن **أبي العلاء** خزانة كتب وقد زارها المعري ، كما زار **خزانة طرابلس . وكانت خزانة الكتب الصوفية** في حلب من أشهر الخزانات وبقيت عامرة إلى القرن السابع ، ويقال إن هذه الخزانة أنشأها **سيف الدولة** ، وجمع فيها من نفائس أمهات الكتب الجيدة ، وقيل إنه **أعطى أبا الفرج الأصفهاني** ألف دينار على تأليفه كتاب الأغاني .

ومن أشهر خزائن الملوك والسلاطين والأمراء في القرن السادس والسابع خزانة الكتب التي أوقفها بحب السلطان **(نور الدين محمود ابن زنكي)** على مدرسته ، كما وقف على البيمارستان بدمشق جملة من الكتب الطبية المفيدة ، ومن الخزن التي كانت بالشام خزانة ـ **علي بن طاهر السلمي النحوي** . وكان **لتاج الدين الكندي** في جامع بني أمية بدمشق خزانة فيها عدد كبير من أهم الكتب النفيسة . ومن الخزن المهمة ، **خزانة بني جزوة** العلماء في حلب سنة ٥٤٨هـ ومات **موفق الدين بن المطران** سنة ٥٨٧هـ وفي خزانته من الكتب الطبية النفيسة وغيرها مايناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه ، وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له أبدا .

وقد اقتنى **مهذب الدين الداخوار صاحب مدرسة الطب بدمشق :** العديد من نفائس الكتب الطبية النادرة ، وأوقفها على طلاب العلم مع دارة لهذه الغاية .

وجمع **جمال الدين القفطي** عام ٦٤٦هـ في **حلب** مالا يوصف من الكتب القيمة وكانت خزانته تساوي خمسين ألف دينار ، وكانت خزانة **قطب الدين النيسابوري** مهمة أوقفها على إحدى المدارس بدمشق وأوقف **الملك الأشرف موسى** سنة ٦٣٥هـ كتبه **بالمدرسة الأشرفية بدمشق** ، واشتهرت في هذا القرن **بخزانة ابن أبي أصيبعة** ، وتلميذه **ابن القف** .

إسهام العرب في نشأة الكتاب والخزانة العربية

ومن أهم **خزن** القرن الثامن والتاسع والعاشر **خزانة أبي الفداء صاحب مدينة حماه** فإنه جمع فيها الكثير من الكتب النادرة والنفيسة وأوقفها على **جامع الدهشة** ، وكانت سبعة آلاف مجلد .

ومن خزائن الكتب المهمة **خزانة ناصر الدين العسقلاني** ٧٢٣هـ وقد خلف ثماني عشرة خزانة مملوءة كتبا نفيسة .

واقتنى **ابن قيم الجوزية** تلميذ شيخ الإسلام **أحمد بن تيمية** خزانة كتب مهمة ، **وملك زين الدين عمر القرشي الدمشقي** سنة ٧٩٢هـ الكثير من نفائس الكتب النادرة .

وأوقف تقي الدين اليلداني سنة ٦٥٥هـ معظم كتبه ومجاميعه **بالخزانة الفاضلية بالكلاسة** بدمشق سنة ٦٥٥هـ واقتنى **شمس الدين البعلي** سنة ٧٧٤هـ مكتبة عظيمة متنوعة الفنون ، كما كتب بخط يده شيئاً كثيراً ، وكانت **خزانة الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب** سنة ٧٣١هـ عامرة بالكتب النادرة والنفيسة .

ومن الخزن المشهورة **خزانة ابن فضل الله العمري ، وخزانة ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، وخزانة ابن مالك النحوي** وقد اقتنى بعض ولاة العثمانيين في الشام كتباً نفيسة بطرق مختلفة ، ومنهم **سنان باشا** صاحب الجامع المنسوب إليه بدمشق (**باب الجابية**) قد ترك مائة وستين مصحفاً مرصعاً بالدر والجواهر وخمسة وثلاثين صندوقا مملوءة بنفائس الكتب النادرة التي لا تقدر بثمن .

وكانت هذه الصناديق مرصعة باليواقيت والمعدن . وعمد بعض الرجال الأجلاء من الترك في العهد الأخير إلى نقل بعض الكتب الثمينة من الآستانة إلى المدينة المنورة منهم شيخ الإسلام (**عارف حكمت**) وقد أوقف خزانته التي تضم بضعة آلاف من المجلدات بالخطوط المنسوبة ، وجعلها في مكان خاص في طيبة الطاهرة ، ومازال إلى الآن إحدى المكتبات المهمة في المملكة العربية السعودية .

وكان في القرن العاشر الهجري في الجامع الأموي بدمشق خزانة كتب خاصة بالمالكية ، وكان الأمين عليها مفتي هذا المذهب (**محمد بن عبد السلام التونسي**) .

وقد جاء زمن على دمشق من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر لا تخلو فيه مدرسة من مدارسها الكثيرة من خزانة كتب مهمة تفي بغرض الأساتذة والتلاميذ .

ومن أهم هذه المدارس التي حوت هذه الكتب **المدرسة العمرية ، المدرسة الناصرية ، المدرسة العادلية ، المدرسة الأشرفية ، المدرسة النورية .**

هجمات التتار والصليبيين

وقد تتالت على الديار الشامية في الحقبة الأخيرة هجمات صليبية وتترية تناولت معظم خزن كتبها ودورها بالسلب والنهب والحريق ، ومن أهمها حملة هولاكو التي أحرقت معظم مدارس بغداد ودمشق وجوامعها ، وقدر ما نهب هذا الطاغية من الشام والعراق وغيرها بأربع مائة ألف مجلد . ولا تقل فتنة غازان التتري سنة ٦٩٥هـ عن سابقتها .

ومن أهم النكبات التي أصيبت بها الكتب في الشام نكبة طرابلس حين فتحها الصليبيون وأحرق أحد أمرائهم (**صنجيل**) كتب دار العلم فيها . وقدرت الكتب التي كانت في خزانة بني عمار ودار حكمتهم في طرابلس بمائة ألف مجلد .

وقال ابن الفرات إن عدد الكتب التي أحرقها الصليبيون في مدينة طرابلس لا تقل عن ثلاثة ملايين كراسة وكتاب سنة ٥٠٣هـ ومن الخزن التي أحرقت في الحروب الصليبية خزانة (الأمير أسامة بن منقذ) أحد أصحاب قلعة شيزر فإنها كانت تضم أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة .

ومنذ دخل الصليبيون بلاد الشام أخذوا يقتنون الكتب العربية وحمل باباوات إيطاليا إلى روما من ديار لبنان من كتب الدين والعلم كما **حمل يوسف السمعاني من لبنان سنة ١٧٦٨م كتباً في العربية والسريانية في ثلاثة مراكب إلى روما ملأها بالمخطوطات العربية وغيرها فغرق منها مركبان .**

وفي وقعة **تيمور لنك** سنة ٨٠٣هـ ظلت النار تلتهم وتعمل في دور دمشق ومدارسها وجوامعها طيلة أيام ثلاثة ، أتت على كتب **المدرسة الضيائية** ، والمدرسة العادلية وغيرها من المدارس الدمشقية . ومن الخزن المشهورة التي بعثرت ، خزانة صحن الجامع الأموي بدمشق وكانت مملوءة برقاق نفيسة فتحت سنة ١٣١٧هـ بأمر **السلطان عبد الحميد الثاني** إجابة لطلب **الامبراطور غليوم الثاني الألماني** فعثروا فيها على قطع من الرقاق كتبت فيها سور من القرآن الكريم بالخط الكوفي ، ومنها مصاحف وربعات وقطع من الأشعار المقدسة بالآرامية الفلسطينية ، وكتابات دينية وأدبية وقصص رهبانية ، ومزامير عبرية مكتوبة بالحروف اليونانية ومقاطع شعرية **لاوميروس** ، وكراريس وأوراق بالقبطية والكرجية والأرمنية في موضوعات دينية .. وجذاذات عبرانية وسامرية فيها نسخ من التوراة وتقاويم وأعياد السامريين وصكوك للبيع والأوقاف وعهود زواج ، وبينها مقاطيع لاتينية وفرنسية قديمة وقصائد شعرية يرتقي عهدها إلى الصليبيين .

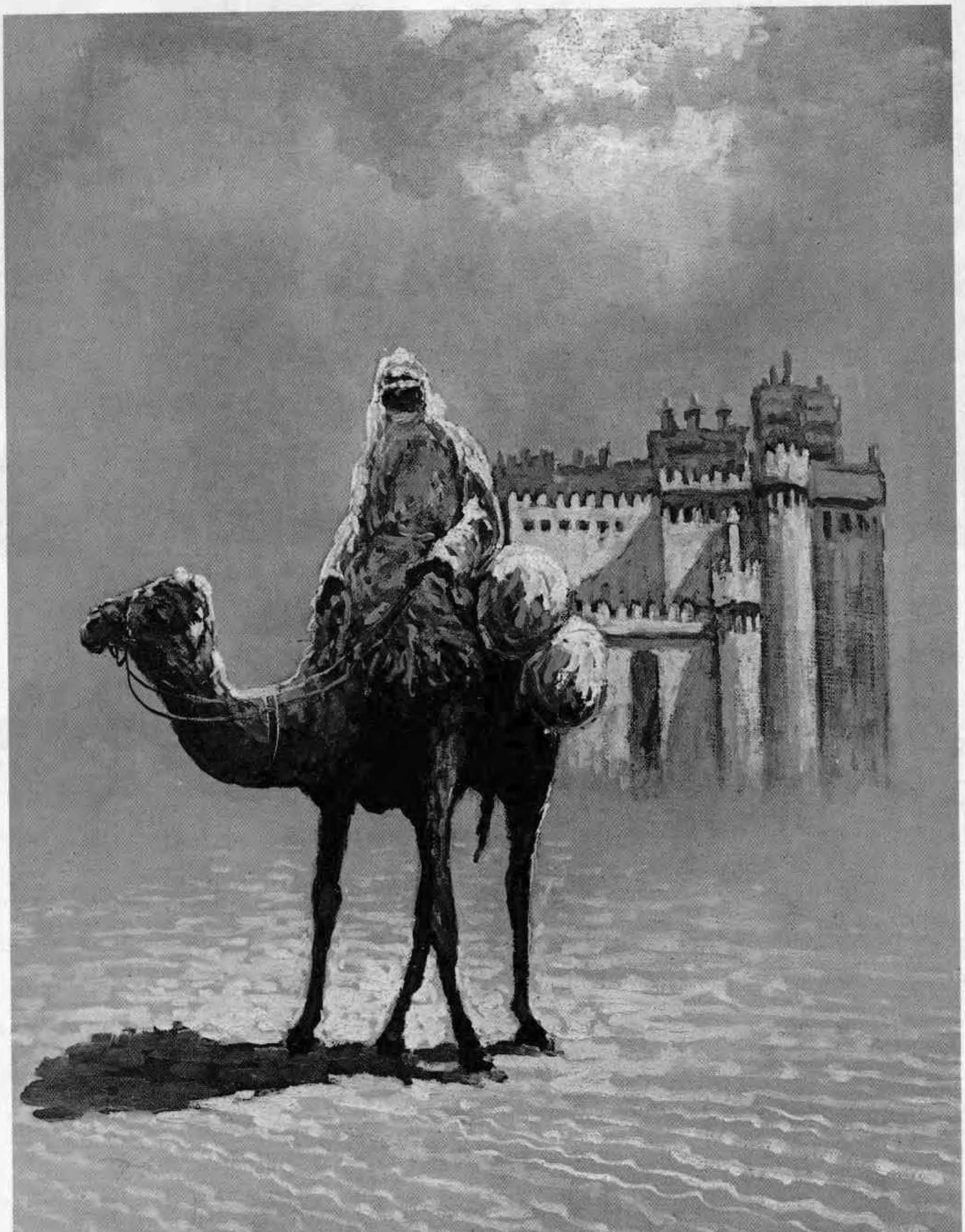
فأهدى السلطان عبد الحميد معظم محتويات هذه القبة إلى عاهل ألمانيا ووزع قسماً منها على بعض رجال الآستانة ورجال دمشق والباقي حفظ في دار الآثار بدمشق .

مصادر البحث

(١) تهذيب التهذيب : ابن حجر .
(٢) تاريخ الطبري : ابن جرير .
(٣) الطبقات : ابن سعد .
(٤) الفهرست : ابن النديم .
(٥) كشف الظنون : حاجي خليفة .
(٦) خطط الشام : محمد كرد علي .
(٧) الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني .
(٨) تاريخ اللغة العربية : جرجي زيدان .
(٩) نشأة التدوين التاريخي : حسين نصار .
(١٠) سيرة ابن هشام .
(١١) البداية والنهاية : ابن كثير .
(١٢) وفيات الأعيان : ابن خلكان .
(١٣) فتوح الشام : الواقدي .



الشرق في عيون الغرب





النباتات في عسير

إعداد: علي عمر عسيري

● أخطأت بعض المعاجم في وصف نباتات منطقتنا فاقتحمت المجال لأصحح الخطأ.

هذا الباحث السعودي ينتظر مواسم المطر باعتبارها فترة «حصاد علمي» بالنسبة له يتتبع خلالها النبات في منطقته: أجناسها، ألوانها، أزهارها، روائحها، أوراقها، كل شيء عنها، حتى سبقته شهرته في هذا المضمار بدرجة كبيرة، جعلته نافذة ضوء على النباتات في البلاد، وخاصة منطقته عسير.

اسمه: محمد حسن غريب الألمعي. أثبت أن الفرد يستطيع أن يكوّن نفسه، ويثقف ذاته بالقراءة والصبر والمثابرة على التحصيل الخاص حتى ولو خارج أسوار الجامعة.

والظاهرة التي استرعت النظر لمن تعرف وعرف هذا المواطن وجد أنه لم يركز اهتمامه في جانب من جوانب المعرفة، بل إنه استطاع أن يجمع بين الاهتمام الفكري الثقافي، والاهتمام العلمي، وهو في هذا لم يكن متلقيًا فحسب، بل استطاع الإسهام بإضافة أعمال فكرية وعلمية إلى المكتبة السعودية.

فلديه الآن مخطوطة معجم قضى في إعداده ثلاثة عشر عامًا تقريبًا تمكن فيه من حصر قبائل الجنوب قديما وحديثا مع ذكر الأصول والأنساب، وهذا المعجم يركز على قبائل المنطقة الواقعة من «بيشة» شرقًا، إلى «الليث» شمالاً، إلى البحر الأحمر غربًا، إلى نجران جنوبًا. واسم المعجم «معجم قبائل الجنوب». وله كتب أخرى منها كتاب «اللغة العربية في عسير كائن حي»، وكتاب «النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية لمنطقة عسير»، وكتاب «أنساب آل عطا».

وإلى جانب هذه الكتب بل أهمها في رأيه كتاب «النبات في عسير» الذي يجمع في معلوماته بين مطالعاته في الكتب العلمية التراثية وغير التراثية ومطابقتها بالواقع على الطبيعة، هذا الواقع الذي عاشه بنفسه خلال عقدين من عمره قضاهما بين السهول وفوق الجبال، ووسط الأودية والشعاب، وفوق التلال والآكام. وهذا ما تطلق عليه المناهج التعليمية الحديثة «العمل الميداني» الذي يشكل الركيزة الأساسية في المجالات العلمية.

وفي هذا اللقاء يحدثنا المواطن **محمد حسن غريب الألمعي** عن دوافع توجهه لدراسة النبات في منطقة عسير، والنتائج التي توصل إليها من خلال المنهج الذي اختاره في دراسته أو رصده للنبات خاصة في منطقة «**رجال المع**» بعسير. . وقد استطاع أن يؤلِّف ـ كما يقول ـ «**أرجوزة**» شعرية بلغت حتى الآن قرابة ألف وستمائة بيت في وصف النبات .

وعن الدوافع التي جعلته يهتم بدراسة النبات في منطقة عسير، يقول: هناك عدة دوافع جعلتني أتجه إلى التعريف بأهمية النبات في حياة إنسان هذه المنطقة، ولم يكن يدور بخلدي أن أقوم بمثل هذا في يوم من الأيام ولولا أنه قُدِّر لي قبل بضع سنوات أن أطلع على ملتقطات من كتاب (النبات)، مما نُسب إلى (**أبي حنيفة الدِّينَوَري**) فألفيته يقول عن شجر (**الضَّجاج**): إنه ثمر نبت أو صمغ تغسل به النساء رؤوسهن، كما نُقِل عنه قوله: هو بكسر الضاد صمغ شجرة مثل شجر اللبان. فعلمت أن الرجل لم يتمكن من وصفه لعدم معرفته به، ومع كونه قد أحرز قصب السَّبْق في هذا المِضمار بما لا يُبلغ شأوه، إلا أنه قد فاته الكثير والكثير مما لم يُعانيه أو يقف عليه، فشجر «الضَّجاح» إنما هو بفتح الضاد لا بكسرها وهو شجر سام معروف في منطقة«**رجال المع**» إذا أكلته الإبل تقلَّصت مشافرها وأصيبت بداء في رؤوسها وبطونها حتى إنه ليقضي على البعير أحيانا، والسكان يضربون به المثل للإنسان الهزيل فيقولون: كأنه جمل مُضجّج . ، أي أكل (الضَّجَاج) من هنا يتضح أنه ليس بثمر نبت ولا هو بصمغ ولا يصلح ورقه للغسول كما زعم (الدينوري) ولعل هذه هي النبتة الأولى التي انبثقت منها فكرة هذا البحث .

وقد شجعني على المُضِيّ في هذا البحث أيضا موقف آخر يتلخص في أني لاحظت من خلال مطالعاتي أن كتب (النبات) ومعاجم اللغة العربية مثل (لسان العرب) وغيره تشير إلى أن (**النَّبع**) (**والشَوْحط**) و(**الشِّرْيان**) و(**النَّشَمْ**) شجرة واحدة وإنما تختلف باختلاف منابتها، وهذا لا يصح إطلاقًا، فأنا أعرف هذه الأشجار مجتمعة بحكم بيئتي كما أعرف أبنائي، وهناك عالم آخر من علمائنا السابقين زعم أن (الشَّثّ) و(الطُّبّاق) و(الْبَشَم) و(الْعَفَار) و(الْعُثْم) و(الصُّوْم) و(الْحَبَج) و(الشَّدَن)



الغزرة نبات سام ويبدو لبنه



نبات الرنف

و(الْحَيْهل) و(الْهَيْشَر) و(الضِّرْم) كل هذه تُدعى (الْغَرْف)، بينما (الْغَرَف) نبات بعينه، والسُّكان هنا يفتحون راءه، وهو نبت له ورقة خشنة الملمس ويُعْلَف للأبقار في السنوات الشديدة المحل وقد علفته .

كما أن بحثي هذا ليس مقتصرًا على منطقة دون أخرى، فأنا أُتابع مواسم الأزهار ومساقط الغيث في أي جزء من أجزاء المنطقة؛ لأن الغيث بالنسبة لي كباحث عن النبات يعد موسم حصاد علمي، لكني أعترف أن بحثي ـ حاليًا ـ منصب على منطقة (رجال المع) والتي تعد من أغنى مناطق المملكة من حيث تعدد أنواع النباتات، من هنا جاء عسلها من أجود أنواع العسل في (منطقة عسير) .

وراء الهدف

● **ما طبيعة البحث وهل يقتصر على توثيق أسماء وأنواع النبات، أم أنه يتعرض لأوصافه وألوانه ومذاقه وفوائده؟**

ـ توثيق الأسماء أمر وارد ومهم، والإشارة إلى وصف النبات وجنسه ولونه وطعمه ورائحته وحمله وزهره وصمغه وفوائده الاقتصادية والدوائية والغذائية ، كل هذه عناصر مهمة ولولاها لما كان هناك ضرورة أو أهمية للكتابة عن نباتات المنطقة .

ـ ومنهجي الذي اتبعته في بحثي ينحصر في الأُمور التالية :

(١) الوصول إلى النبات في مكانه وتصويره على عدة مراحل (إبَّان إزهاره و إثماره وتحات ورقه وأعلاقه) .

(٢) ارتياد مناجع البدو ومرافقة الحطَّابين والفحَّامين في الفجاج والخلوات لمعرفة أجود الأشجار وقودًا .

(٣) الاحتكاك بأصحاب النحل لسماع آرائهم في الأشجار التي تعسل منها النحل .

(٤) متابعة المواشي في مراعيها وملاحظة ما ترعاه من النبات وماذا تتجنب؟

(٥) اصطحاب بعض البدو من قبائل المنطقة مقابل أجر يومي أدفعه إليهم وذلك للاستفادة والاستزادة في معرفة أسماء النباتات وصفاتها ومواقعها .

(٦) الرجوع إلى المصادر القديمة من معاجم لغوية ودواوين شعرية، هذا بالإضافة إلى كتب الطب والنبات .

أسماء النبات

● **هل ستتعرض إلى أسماء النبات المتداولة شعبيا بين المزارعين وربطها بأسمائها العلمية الصحيحة؟**

ـ الأسماء الشعبية هنا للنبات يغلب عليها الطابع اللُّغوي الفصيح (كالقَرَض) و(المَض) و(الحَنْظَل) و(النَّشم) و(العُجرُم) و(الشَّوْحَط) و(الرَّنف) و(النَّبع) و(السَّحاء) و(الشِّرْيان) و(الشُّبْرُم) و(الشَّثّ) وغيرها مما لا يتسع المجال لسردها، ولا غرابة في ذلك فسكان المنطقة عرفوا بالفصاحة منذ القدم، أما تحديد الأسماء العلمية للنبات فأمر وارد لكنه لا يصل إلى درجة الشُّمول إذ تركت ذلك لغيري من المختصين في هذا المضمار، أما الاستعانة بكتب التراث من أمثال وأشعار إضافة إلى الأحاديث النبوية فأمر لم أُغْفِلْه .

الفوائد

● **ما الفوائد التي كان يجنيها المواطن في منطقة عسير من النبات؟**

ـ يجيب هذا الباحث المهتم بالنبات :

كلنا نعرف أن هذه النباتات كانت في يوم من الأيام مصدرًا اقتصاديًّا مهمًّا يعتمد عليه أغلب سكان المنطقة في بناء منازلهم وأثاث بيوتهم ودوائهم وعطورهم وغذائهم، وكانوا ينقلون غراسها ويزرعونها قرب منازلهم طلبًا للظل وتلطيف الجو وامتصاص الأتربة ومصداة تقي منازلهم ومزارعهم من السيول العارمة لأن أوديتهم منحدرة نحو الغرب والشرق انحدارًا شديدًا مما يجعلها تجرف التربة وتهدد حياة السكان الآمنين، وكانت أسواق المنطقة ـ وإلى عهد ليس بالبعيد ـ تكتظ بمنتجات النباتات كالمحاريث (والهراوات) و(العِصي) الجياد (والأسرة) و(الحِبال) و(الأصباغ) (والمُر العربي) و(الخُمرَ) وهو التَّمْر الهندي والنَّبق و(النَّام) وهو التُّوت البري (والحِنَّاء) (وحاء النَّعْب) (والبَهْش) (والخُضُر) التي تصنع من شجر (الـدَّوُم) (والرياحين) البرية وغيرها.

هذا، بالإضافة إلى ما لهذه النباتات من فوائد جمالية فريدة تتمثل في أزهارها وثمارها وتشكيلاتها الهندسية التي لا يدرك سرها إلا من عاش مع الطبيعة في شتى صورها وألوانها.

أما تأثيرها على حياة إنسان المنطقة فإننا لو بحثنا عن هذا التأثير لوجدناه في أمثالهم وأشعارهم الفصيحة والشعبية، ومن الأمثلة التي يضربونها بالنبات قولهم للإنسان الهزيل: كأنه جمل مُضَجج أي أكل من شجر الضَّجاج، وقولهم إذا انزلق من يد أحدهم شيء: كأن بيديه (فِحْول) والفِحْول «والضَّرْسة، والخَطْمَة» من الأشجار التي كانوا يتخذون منها غسولاً لرؤوسهم ومفعولها في تنظيف الشَّعر وتنعيمه يُعادل هذه المستحضرات الحديثة من أنواع الشامبو، ويضربون بشجرة (الهَطَفَة) مثلا في النذالة فيقولون فلان (هَطَفَه) والهَطَفُ نبت ضعيف يتسطح على الأرض، وكذلك فإن أشعارهم الشعبية لم تخل من الإشارة إلى ذلك، مثل قول شاعر شعبي من (ربيعة عِتود) يصف دَيْمة سحاء أعقبها سيل عارم اقتلع ضخام الأشجار.

طيْفى مَخيْضِرْ بالْخَيَاقد قَبْلِي
بنَوَّه على لَعْزَل تَرادَفْ واحْتَمَلْ
سَحَّ سِمَيْكي مِرِنِ لَهْ غَفَر
مَلْكَ التَّهْم واضْفَى على لَطْواد
وجا بِسيْلٍ حاشِرٍ مِتْقَلِل

النباتات في عسير

يِذوي بِعَرْعَره وسِدْره والنَّكَر
والشَّثْ والعِلْعِل بزَلْفِي والأثْب(١)

أما في الشعر الفصيح والنثر فما أكثر الشواهد على تأثر إنسان هذه المنطقة بالطبيعة كقول **أبي الحسن التهامي**:

أهوى الحِجازَ وطلْحه وسيالَه
وأراكه وبَشَامه وعُضَاه

وقول **مُعَقَّر البارقي**(٢) لابنته بعدما كُفَّ بصره، وقد سمع صوت رعد:

أي بنية وائلي بي إلى جانب قَفْلَه
فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل

ولشاعر آخر يصف تعرج الغيل وأعلاق الأشجار بعد الغيث:

ترى الغيل يزحف زحف الكسير
يُعَرِّج يمينا ويلْوي شِمال
ودبّ الحياء بغرس ذوى
فأورق سَلْمٌ وطلْحٌ وضال(٣)
وأوبصت الأرض بالنَّبت حتى
كسى السهل مغها وغطى الجبال
سقى الله أرضًا إذا أبشرت
تضوع منها سَذَابٌ ووال(٤)

يقول آخر:

بلاد إذا شمت من الغيث نفحةً
تضوَّع منها طيبُ النَّبتِ بالعِطر

وقد استعنت بالكتب العلمية في حدود ضيقة ولأن المادة العلمية تتصف دائما بالجفاف.

أشجار متنوعة

● **ما أطول شجرة في المنطقة؟ وما أصغر شجرة؟ وما الأشجار المعمِّرة؟**

ـ أطول أشجار المنطقة (النَّعْبَة) وهي من الأشجار المعمِّرة التي تتحمل الجفاف وقساوة المناخ إضافة إلى أشجار الجُمَّيْز والخُمَر والسِّدر التي يصل عمر بعضها الزمني إلى القرنين والثلاثة. وأصغر شجرة هنا من الفصليات هي (القُنْبُوَة).

وأنا لا أعتبر ما حصرته حتى الآن يشكل نسبة كبيرة، فهناك نباتات فصلية رأيتها تنبت عند مواسم الأمطار فقط تعد بعشرات المئات بعضها لا يزيد عمره الزمني على أسبوع واحد وقد وجدت صعوبة كبيرة في تصويرها، أما مدى الدِّقة من حيث صحة الأسماء فما تركت سبيلاً يوصلني إلى صحة الأسم إلا سلكته، وقد أحمل النبتة الواحدة في سيارتي وأقطع بها المسافات الطويلة حتى أبلغ بها مناجع البدو أينما كانوا، أسألهم عن اسمها وأُناقشهم عن فوائدها، ومع هذا فأنا لا أعتمد على خبرتهم إلا بعد التدقيق والتمحيص حرصا مني في الوصول إلى صحة الاسم وضمان عدم التشابه.

أعداد النبات وأنواعها

● **النباتات التي دونتموها كم عددها وأنواعها؟**

ـ ما تم تدوينه وتصويره حتى الآن يقارب **السبعمائة نبتة** كلها من منطقة (رجال المع) ومن أودية (ضِلَع) ومن سواحل (القَحْمَه) و(الشُّقَيْق) و(البِرك) ووادي (ضهْيَاي) وجبل (حَضْحَض) و(قَنَا ومَحَايِل) و(خميس البَحْر) و(الرَّقَبَة) و(عَرَمْرَم) و(المَجْمَعة) و(أَفْكَا) ووادي (قِدْران) وحَمَضة (وجَنْدَلة) و(رُوام) و(عِبَل) و(حِسْوة) و(الجَرْفات) و(مَرَبَة) و(الغَيْنَاء) و(الحَفَافَة) و(الخَدَع) و(الجَنْبَيْن) وغيرها.

ومن **النباتات العطرية** التي تقع ضمن دائرة بحثي (الشَّاف) وعبير زهره لا يكاد يُماثله شيء في سطوعه، (السَّكَب) زهره وأوراقه وأغصانه، (السَّيْمَران) زهره وأوراقه وأغصانه. (الشَّار) زهره وأوراقه وأغصانه، (النَّعْفَا) زهرها وأوراقها وأغصانها وعروقها أشد عطرًا من سائر أجزائها وتُباع بالدراهم إلى وقتنا الحاضر. (اللصْقَه) لحاء عروقها فقط.

أما **النباتات الدوائية** فمنها (الخِرْوع) (العِشْرِق) (السَّنا) (الحنْظَل) (الخُمَر) (المَسقْر) (الاراك) (القُنْبُوة) (القرَظ) (الحَرْمَل) (العرْعَر). كل هذه النباتات تدخل ضمن دائرة **الطب الشعبي** في المنطقة.

أما **النباتات السامة** فمنها (العُشَر) لبنه فقط (الصَّاب) لبنه فقط، وعسل «الصَّاب» مفسد للعسل (الغَزْرَه) لبنها فقط (الألْب) لبنه وثمره (الضَّجَاج) جميع أجزائه قاتلة أو معطبة للمواشي خاصة الإبل، (البَنْج) صنف منه أوراقه وأزهاره وسيقانه (الحنْظَل) ثمره يعد من السموم إذا أسيء استعماله.

أما **النباتات المخدرة** فمنها (العِبب) حبه

(والمَجّ) ويعرف علميًّا (بالداتورا) وأصنافه موجودة في منطقة سراة وتهامة وله صفات سامة ومنومة وقاتلة أحيانا للإنسان والحيوان.

أما النباتات التي تسبب حساسية للإنسان أو الحيوان فمنها (السَّلَع) ماؤه إذا لامس جلد الإنسان أحرقه (والجَلْطَة) أو (الحرَّاق) كما يسميه البعض إذا لامس جسم الإنسان سبب له حكة شديدة، وكذلك لبن (العُشر) فإنه ملهب للجلد وللأغشية المخاطية وقد ثبت علميًّا أن له مادة سامة للقلب.

أما النباتات التي تتأثر بالظل والضوء منها (الـرَّنْف) ويعرف في كتب الطب القديمة باسم (بَهْرامج البَرّ) ينضم ورقه إلى قُضبانه إذا جاء الليل وينتشر بالنهار وكذلك (الضَّرْسَة) ولها أسماء عديدة تختلف باختلاف مناطقها زهرها ينغلق في الضوء ولا يفتح في الظِّل إلا نصف ساعة عند الأصيل وقد راقبتها عدة أيام.

أما النباتات التي تتحمل الجفاف وقساوة المناخ فمنها (الثَّعْب) و(الأثَب) و(الجُمَّيز) و(الحُمَر) وهو التمر الهندي و(الخِرْوع) و(الصَّبِر) و(النَّكـرَ) و(السِّدْر).

أما النباتات المتطفلة التي تنبت في فروع الأشجار فمنها (الهَدَال) ويقع في الطَّلْح و(السَّيَال) (والهَذَاليل) وتقع في أشجار (الأثَب) (والسِّدر).

أما النبات الجبلي الذي لو أمكن تلقيحه لأصبح ذا فائدة اقتصادية عظيمة هو (العُتُم) أو الزيتون الجبلي.

وهناك نبات لم أتوقع وجوده في هذه المنطقة وفيما عداها من مناطق المملكة ووجدته فعلا بمحض الصدفة في جبل يُسمى (حَضْحَض) ذلك هو شجر (البَـان) الذي يوصف به قوام الحِسان، وكدت أجزم حينما رأيته أن الشُّعراء لا يعرفون عنه شيئًا على الإطلاق، إذ ليس فيه ما يصلح للتشبيه أبدا، فأغصانه ملتوية متداخلة ليس فيها شيء من الاستقامة، وخشبه رمادي اللون وأطراف خيطانه بُنيَّة وثمره كالثَّعابين المتعلقة يثير الإشمئزاز، ثم تبين لي في قصة طويلة ليس هذا محلها أن عوده ليِّن لاعضم فيه، من هنا جاء التشبية ولم أكن أعرف عن ذلك شيئًا إلا بعد أن تسلقت شجرة من أشجاره الضخمة بغية الحصول على ثمرها ثم سقطت منها مع جزء كبير كان يحملني إلى الأرض وذلك من علو شاهق، وعلى الأرض تذكرت قول الشاعر القديم يصف محبوبته

كأنها خُوط بانةٍ قَصِفُ: أي ليِّن.

الغابات في عسير

● وأين مواقع الغابات في منطقة عسير وما الأشجار الغالبة على هذه الغابات؟

ـ هناك غابات متعددة في المنطقة منها غابات «السُّودة» والشجرة الغالبة فيها (العَرْعَر) وكذلك غابات (خيْشَعة) والتي يغلب عليها (العَرْعَر) (والشَّثّ) وقليل من الطَّلْح على أن هناك غابة كثيفة في (الجُرَه) وغيرها.



شجرة البان

أما في **تهامة عسير** فتوجد عدة غابات منها غابة في **(وادي حلي)** يغلب عليها شجر (السَّيَال) و(المَض) وأخرى **(بوادي رحَب)** ويغلب عليها (الثَّعْب) وثالثة **«بوادي ريم»** ويغلب عليها (السِّدْر) الذي يُنسب إليه عسل السِّدرة، على أن من أعظمها غابتين كثيفتين تقع إحداهما (بوادي ضهْيَاي) والأخرى (بِريم المِجْزَاع) يغلب عليهما (الدَّوْم) و(الأراك) وبعض النباتات العارشة، وأكاد أجزم أن الشمس لا تُلامس مرتادهما لكثافة نباتها، وقد قمت بتصوير النباتات والأشجار بآلة تصوير عادية مزودة بجهازين أحدهما مكبِّر، والآخر مقرِّب.

آثار المنطقة

● ما الأشياء التي اكتشفتها خلال رحلاتك لرصد نباتات المنطقة؟

ــ وجدت في إحدى قمم الجبال بمنطقة (رجال المَع) بمحض المصادفة أثناء بحثي عن نبتة تُسمى (عَرابَة) ـ وجدت، نقوشًا وكتابات قديمة كلها بخط المُسْنَد الحِمْيَري، وهو أول نقش من نوعه يُعثر عليه في منطقة (رجال المع) بالذات وأتوقع أن يكون له شأن عظيم لدى المهتمين بمثل هذه الدراسات.

ويختتم هذا الباحث حواره قائلا:

ـ أود أن أؤكد أن نوعًا من الأشجار يتعرض لحرب إبادة من قبل الحطَّابين والفحَّامين وأصحاب خلايا النحل، وإني لأعرف مناطق تعد مساحتها بعشرات الكيلوات يغلب على نباتها «السَّمْـر» أصبحت شبه خالية تماما بسبب طرق الإبادة المختلفة التي يلجأ إليها من لا يعرفون قيمة هذه الأشجار. ولقد وجدت الكثيرين منهم بحكم تجوالي في أودية المنطقة وجبالها وفجاجها وخلواتها ولهم في ذلك طرق مختلفة، لعل أكثرها خطرًا ما رأيته بأُم عيني حيث يعمدون إلى ربط الشجرة الخضراء بمؤخرة سيارات «الشَّاص» ثم يجرونها حتى تسقط فإذا سقطت انتقلوا إلى غيرها. وهكذا.

ولعل في الصور المنشورة مع هذا الحديث خير دليل على ذلك، على أن هناك شجرة أُخرى تُسمى (عَرابَة) لم أر أجمل منها وهي تُلاقي المصير نفسه من أصحاب خلايا النَّحل الذين يبتاعونها في أسواق المنطقة، وقد أصبحت شبه منقرضة تماما، ولا أعرف منها حاليا في المنطقة سوى عدد قليل لا يتجاوز خمس شجرات، عثرت عليها بعد جهد وعناء شديدين لهذا أوجه ندائي إلى وزارة الزراعة والمياه عبر صفحات هذه المجلة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ووضع ضوابط حماية صارمة في مواجهة العابثين بالأشجار الخضراء وتوفير الحراسة اللازمة لهذه الثروة الوطنية.

الهوامش

(١) الطيف.. الخيال، مخيضر.. اسم منزلة ماطرة من المنازل يستبشرون بدخولها، الحيا.. مقصود به المطر والخصب، قبلي.. بمعنى أقبل، نوه.. ظل سحابه الكثيف، الأعزل.. جبل بوادي عتود ترادق: تتابع وهي فصيحة.. وتأتي بمعنى الصب والسيلان، سميكي.. مرتفع وهي من الفصيح، مرن.. من الرنين صوت الشيء ـ الفقر.. السحاب ـ ملك.. عم ــ التهم.. تهامة والفتح والكسر لغة فيها، أصفى.. مأخوذ من قولهم صفا الجو لم يكن فيه غيم، الأطواد.. فصيحة واحدها «طود» الجبال، الحاسر.. العظيم متقلل.. مرتفع، يُدوي ـ تسمع لصوته دوي. العرعر السدر والنكر والشث والعلعل والأثب هذه كلها من ضخام الأشجار.

(٢) من بارق: القبيلة المعروفة اليوم والتي تقع ديارها شمال محائل.

(٣ ــ ٤) السلم والطلح والضال والسداب والوال كلها من نباتات المنطقة.

ياكتّاب الأطفال، انتبهوا: إعلام عن الأطفال وليس لهم..!

بقلم: د. مرعي مدكور

الفيلسوف الذي قال - ذات يوم - لأميره الحاكم: «سلّمني يا مولاي، قياد التربية؛ أغيّر لك وجه الأرض في جيل واحد من الزمان» هذا الفيلسوف لو عاش زماننا لاختصر زمن التغيير الذي يتطلع إليه اختصارًا كبيرًا؛ بشرط أساسي هو: توجيه وسائل الإعلام على النحو - التربوي - الذي يريد، خاصة وأن التلاحق التقني أغرقنا بوسائل اتصالية، جعلت الدنيا تحت أصابعنا بلمسة بسيطة إلى قرص ليزر، أو إدارة «هوائي» تلفاز، أو تصفح مطبوعات متلاحقة.



فلم تعد زرقاء اليمامة عين أهلها، ولا الطبلة الأفريقية جرس تنبيه القبيلة، وحتى الستار الحديدي المفروض بفعل الأيديولوجية قد انهار - من داخله - على أصحابه، وأصبح الروسي عُرضةً لعشرات المحطات التلفازية والإذاعية التي تمطر عليه من الفضاء، مثل حالنا وحال أطفالنا بالتمام والكمال!

فماذا أعددنا لأطفالنا وسط هذه الغابة المتداخلة الوسائل والغايات؟ وماذا قدمنا لهم لنحصّنهم ضد هذا السيل الجارف عبر وسائل الإعلام؟

عدد محدود

المسألة تحتاج دراسات وتنفيذًا، وربما تكون (ندوة وسائل الإعلام والطفل) التي أعدتها جامعة الملك سعود «في الثاني من ذي الحجة من العام الماضي» بداية فعلية للاهتمام بثقافة الطفل العربي، ومحاولة معرفة احتياجات الأطفال فكريا و إعلاميا، والبدء من حيث انتهى الآخرون.

فالمطلوب أن نبدأ من حيث انتهى غيرنا؛ باعتبار المعرفة تراكمية، يضيف فيها اللاحق إلى السابق بعد أن يأخذ منه ما يناسب ويتوافق مع قيمه ومعتقداته وأعرافه وتقاليد بيئته، ولا تكون الندوات والمناقشات والحلقات العلمية والأبحاث والدراسات والكتب مجرد كلمات وإنشاء خطابي حماسي، وبعدها: انتهى!



فما أكثر ما تحدثنا عن الطفولة؛ وبلسان الطفولة، وما أكثر ما كتبنا عن الأطفال وليس لهم، لدرجة أن هذه الكتابات - في أغلبها - لا صلة لها بطفولة ولا أطفال!

هكذا أصلاً إذا وجدت تلك الكتابة النوعية التي؛ في عناوينها؛ تخاطب الأطفال.

أما التقصير الإعلامي في نقل مضامين وأفكار تناسب الأطفال؛ فحدث ولا حرج:

صفحات الأطفال في الصحف العامة والمجلات غير المتخصصة في دولنا العربية - دون استثناء - تكاد تقترب من الصفر، وإن وجدت بعض أركان أو زوايا فباهتة ولا تكاد تذكر، ناهيك من أن تؤثر أو تصنع تيارًا مع أو ضد في عالم الأطفال، وبالتالي فتأثيرها المحتمل؛ حتى على المدى البعيد؛ يكاد يقترب - أيضا - من الصفر.

أما مجلات الأطفال في دولنا العربية مجتمعة فلم تتعد ست عشرة مجلة؛ بل إن أغلب هذه المجلات توقفت إثر كارثة حرب الخليج، وخاصة المجلات الكويتية والعراقية.

ودول الخليج العربي - مثلا - تصدر ٧٧١ دورية جارية (١)؛ ما بين صحيفة يومية أو أسبوعية أو نصف شهرية، ومجلة أسبوعية أو نصف شهرية أو شهرية أو كل شهرين أو ربع سنوية أو سنوية، ومع هذا الكم الكبير من الدوريات العامة والنوعية والمتخصصة لا تجد سوى مجلات: (ماجد) الإماراتية، و(الشبل) و(باسم) السعوديتين، بعد أن توقفت أو انقطعت مجلات (افتح يا سمسم) و(سعد) الكويتيتين و(حسن) السعودية ومجلات: (العصفور) و(مجلتي) و(المزمار) و(المسيرة) العراقية!

حتى هذا العدد المحدود من المجلات أصابته آفة القصص المصورة والخرافات التي لا تمت لواقعنا بصلة، ولا تفيد في تنشئة أطفالنا تنشئة إسلامية عربية من قريب أو من بعيد.

○ ظاهرة جديدة اسمها: إعادة نشر المجلات القديمة للصغار!

أخطار متعددة

أما عن التليفزيون فالمسألة أخطر وأفدح بكثير، خاصة القيم السلبية التي تهدر بها الدراما ـ الشكل المحبب لمشاهدي التليفزيون ـ من عنف، ورعب، وعداوة، وعدوانية، ومشاغبة، وأنانية، وتقليد سلبي، وسرقة، وتهريب، وإكراه، وقسوة، وتسلط، وإسراف، واغتصاب ممتلكات عامة، وتسرّع، وظلم، وإزعاج، وتحايل واحتكار، واستخدام لهجات عامية، وهروب من العدالة، وكذب وغير ذلك مما تبثه هذه التمثيليات، واحتمال ترسخ هذه القيم لدى الصغار نظرا لتكراراتها المتعددة، هذا بالإضافة إلى الإعلانات التليفزيونية ـ المحببة للأطفال ـ والتي أصبحت تشكل مادة أساسية في الحصيلة المعرفية لدى الأطفال.

وإذا عرفنا أن الإعلان التجاري قد تنوع وتعدد وأصبح فنا مستقلا له سطوته على المشاهد، وخاصة الأطفال من خلال مؤشرات متعددة تبين لنا تأثيره الكبير المعرفي والسلوكي، وإلا لماذا يتزايد التهافت على هذا النوع من الإعلان لدرجة أن دخل التليفزيون السعودي وحده منه وصل ١٥٠,٨٣٧,٧٨٣ ريالا في الفترة من الأول من جمادى الأولى ١٤٠٦هـ (بدء الإعلان في التليفزيون السعودي) حتى ٢٩/١١/١٤١١هـ (٢)! إذا عرفنا هذا التأثير التفتنا إلى المؤثر، وهو هنا: الإعلان.

ندرة أم ماذا؟

ووسط الضجيج الإعلامي العام والنوعي، كان لا بد أن يساير الناشرون هذا الصخب، فوجدنا صخبا آخر يتمثل في قيام بعض دور النشر بإعادة إصدار أعداد المجلات الخاصة بالأطفال التي صدرت منذ ما يقارب نصف قرن بثوبها القديم نفسه، فأصدرت مجلة (أكتوبر) المصرية الأعداد الأولى لمجلة (سندباد) بشكل دوري كملحق لمجلة أكتوبر، وصدر العدد الأول من (سندباد: مجلة الأولاد في جميع البلاد) مرة ثانية في الخامس من نوفمبر ١٩٨٩م أي بعد صدوره بـ٣٧ عاما بالتمام والكمال، وكأن الدنيا لم تتغير أو تتبدل بل هي جامدة جمود الصخر البعيد حتى عن عوامل التعرية!

والحال نفسها سارت عليه مجلة (سمير) بإعادتها إصدار الأعداد الأولى من المجلة نفسها كملاحق داخل أعدادها الجديدة!

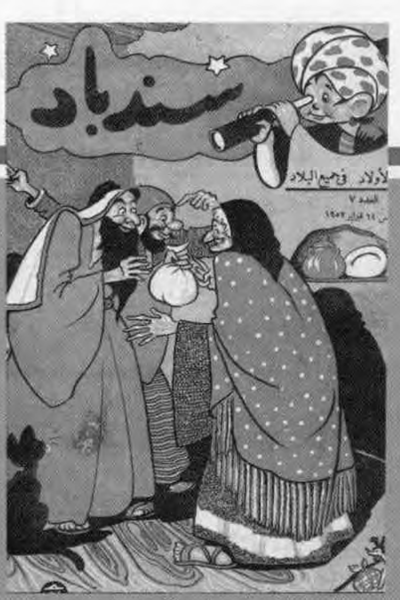
هكذا؛ وكأن مجلات الأطفال ترف، نعيدها ونكررها وننشرها حتى بعد نصف قرن من زمانها، أما أن تكون صاحبة دور في تقديم الخبرة الأولى في عالم القراءة واكتشاف الدنيا والتذوق الفني والجمالي والتثقيف والترويه؛ فلا!

حتى مجلة (المختار) التي تفتق ذهن «المجلس العربي للطفولة» عنها ما هي سوى شتات من المجلات القليلة الموجودة، مجرد نصوص معادة تنشر كما هي دون تخطيط أو ضابط أو رابط.

تفكهوا.. ولكن

إن ثقافة الطفل في عالمنا الإسلامي والعربي لها تاريخ طويل ولكنه مشّوش، لدرجة أن أولى الدوريات الثقافية العربية (مجلة «روضة المدارس») التي صدر عددها الأول في ١٨ من أبريل ١٨٧٠م يؤرخ لها على أنها أول مجلة للأطفال في بلادنا





العربية، مع أن هذه المجلة كانت «ثقافية عامة» ذات مستوى رفيع على مستوى عصرها، ورأس تحريرها علي فهمي رفاعة، نجل رفاعة الطهطاوي؛ واتخذت شعارا لها بيتين من الشعر هما:

تعلّم الشعر واقرأ ... تَحُزْ فخار النبوة

فالله قال ليحيى ... خذ الكتاب بقوّة

وللأسف فالتاريخ الطويل لصحافة الأطفال يتضاءل ويصبح خطرًا وبيلاً على أطفالنا نظرًا لهذا التدفق غير المتلائم مع قيمنا والذي يرد إلينا تحت مائة لافتة ولافتة، وعلينا أن نستدرك ما فاتنا من نقص كبير في الصحافة الموجّهة للأطفال في بلادنا، بإيجاد صحافة تعرف أهدافها وتعمل جاهدة على تحقيق هذه الأهداف عبر مضمونها ومحتواها الإعلامي الخاص بهؤلاء الأطفال في المجالات المختلفة: تربوية وتثقيفية وسياسية وترويحية، وأن نترك مساحة كبيرة لهؤلاء الأطفال يعبرون عن أنفسهم باعتبارهم عيوننا الناقدة.

أم سنبقى كثيرًا نكتب لأنفسنا تحت وهم اسمه: صحافة الأطفال؟!

الهوامش

(١) دليل الدوريات الخليجية الجارية، مجلس التعاون لدول الخليج العربي، ص م.

(٢) إحصائية أوردها صالح الحماد في (الرياض) في ١٥/١/١٤١٢هـ (٢٦/٧/١٩٩١م) عن تقرير إدارة الإعلان بالتليفزيون السعودي.

صداع العقول



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

التلاعب بالإعراب!!

من صيغ التعجب قولهم: «أبصر بزيد»! قال جمهور النحويين في إعراب هذه الجملة:

أبصر: فعل ماض جاء على صيغة الأمر لإنشاء التعجب، وهو مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره السكون الذي اقتضته صيغة الأمر.

والباء: زائدة.

وزيد: فاعل أبصر مجرور لفظًا بالباء الزائدة - مرفوع محلاً لأنه فاعل.

وعلل السمين زيادة الباء بإصلاح اللفظ!

وفسر إصلاح اللفظ بأن صيغة «أفعل» أمر لا يكون فاعلها إلا ضميرًا مستترًا (١). ووجه ذلك الغلاييني في كتابه جامع الدروس العربية وهو يضرب المثال بأقبح بزيد! - فقال: «لما غيرت صورة الماضي إلى الأمر لإرادة التعجب قبح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر».

قال أبو عبد الرحمن: جاء الفعل «أبصر» بصيغة الأمر فقالوا: هو فعل ماض وتكلفوا إعرابه. وجاءت الباء لتلصق شيئًا فقالوا: هي زائدة! وزيد الموضع الذي وقع عليه العجب فجعلوه فاعلاً!

فأي تلاعب بالكلام أكثر من هذا؟

وصار مآل الكلام: أبصر زيد، فأي رائحة للعجب في هذا، والجملة قبل التأويل تعجبية؟!

وتحويل هوية الفعل من الأمر إلى الماضي سماه السمين إصلاح لفظ!

ولا نعرف للفظ إصلاحًا غير تركه يدل على مقصد قائله.

وتعليل الغلاييني زيادة الباء عجيب جدًّا لأمرين:

أولهما: دعوى أن الأصل صيغة الماضي، وهي دعوى بلا برهان.

وثانيهما: قبح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر.

قال أبو عبد الرحمن: هب أن المثال: أكرم بزيد! فهل يقبح حينئذ إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر؟!

قال أبو عبد الرحمن: لا ريب أن مآل «أبصر بزيد» أن يكون زيد ذا بصر، ومن كان ذا بصر فقد «بصر» بصيغة الماضي.

إلا أن صيغة التعجب تقتضي خصوص بصر، وبذلك تكون جملة «بصر زيد» قاصرة عن الغرض، وهو مدلول صيغة التعجب.

ومن حدود التعجب قول ابن عصفور: «هو استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها»(٢).

قال أبو عبد الرحمن: وذهب غير الجمهور إلى أن فعل الأمر في التعجب على ظاهره إلا أنهم أختلفوا في الفاعل على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: أن الفاعل المتكلم مضمرًا، والمجرور بعده في محل نصب.

قال السمين يعزى للزجاج (٣).

وقد مثل الزمخشري بقوله: أكرم بزيد!

وجعل الزمخشري الفاعل أنت، وعزا ذلك إلى جماعة منهم الزجاج.

قال أبو عبد الرحمن: التقدير: أكرم أنت أيها المتكلم، فهو يأمر نفسه.

وهذا مذهب من الإعراب أخرق، لأن المتعجب ما أمر بالعجب إلا وقد ائتمر.

والمذهب الثاني: أن الفاعل ضمير المخاطب.

قال الزمخشري في المفصل: صيره ذا كرم، والباء للتعدية، والفاعل أنت.

أخذ به الفراء والزجاج وابن كيسان وابن خروف.

وليس هو ذا كرم فحسب، ولكنه ذو كرم يتعجب منه.

والمذهب الثالث: أن الفاعل ضمير المصدر.

قال: احتمل أن لكل أحد أن يصف زيدًا بالكرم.

قال أبو عبد الرحمن: غير واضح لي تقدير الإعراب ليكون ذا كرم.

ومثل السمين لذلك بقوله: أحسن بزيد! وجعل التقدير: أحسن يا حُسْن بزيد (٤).

قال أبو عبد الرحمن: هذا خلاف معنى التعجب، لأن زيدًا حينئذ ناقص الحسن، فهو يرثي لزيد إذ يطلب من الحسن أن يمد زيدًا بحسن. قال أبو عبد الرحمن: كل مامر من إعراب تكلف، وكله خلاف معنى التعجب، ولكي نحيط بوجه الإعراب الصحيح علينا أن نفهم معنى الجملة التعجبية وهي «أبصر بزيد»، فنرى أن زيدًا بلغ الغاية في البصر، البصر العيني أو القلبي أو العقلي حسبما يريده المتكلم.

وهذا سر العجب، فأنت تجعل البصر ادعاء بزيد لبلوغه الغاية من المعتاد من بصر المخلوقين، أو مبالغة في قوة بصره.

وإذا كان العجب من بصر الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى: ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ الكهف ٢٦، فالعجب لبلوغ غاية الكمال حقيقة، والآمر بالعجب هو العليم الأعلم بنفسه سبحانه.

قال أبو عبد الرحمن: وإذ اتضح المعنى فالإعراب الظاهر الوافي بتفسير كلية الجملة التعجبية كالتالي:

أبصر: فعل أمر، والفاعل المأمور المخاطب، وضميره أنت.

وهمزة أبصر همزة الجعل، أي أجعل البصر كله بزيد.

بزيد: الباء حرف جر، ومعناه إلصاق البصر بزيد.

وقد ذكر الألوسي همزة الجعل، وهي غير همزة الصيرورة.

قال أبو عبد الرحمن: وعلى فرض أنه لم يذكر همزة الجعل أحد من السالفين فينبغي أن تذكر، لأن هذا المعنى لها استنباط حتمي من صيغة أفعل به.

تحشيات

(١) الدر المصون ٧/ ٤٧١ و ٦٠٢. (٢) شرح المكودي للألفية ص ١٢٥.
(٣) الدر المصون ٧/ ٦٠٢ و٤٧١. (٤) الدر المصون ٧/ ٦٠٣ و٤٧١.
(٥) انظر روح المعاني ١٥/ ٢٥٥.

قصة قصيرة

ال.. ك

بقلم: دينو بوتزاني ★ ترجمة: عبدالعزيز سعيد المطوع

عندما بلغ ستيفانو روا الثانية عشرة من عمره، رجا أباه أن يجعل هديته له اصطحابه على ظهر السفينة. كان أبوه ربانًا للرحلات البحرية البعيدة، ويملك سفينة شراعية جميلة.

قال: عندما سأصبح كبيرًا، أريد أن أبحر وسأكون قائداً لسفن أكثر جمالاً وأكبر من سفينتك.

أجاب الأب:

-بارك الله فيك يا صغيري.

وبما أن السفينة كانت على وشك الإقلاع في هذا اليوم، فقد أخذ الصبي معه على ظهرها.

كان يوما رائعًا، مشمسًا، وكان البحر هادئًا.

ستيفانو لم يركب الباخرة قط في حياته. ولذا، أخذ يركض على ظهرها سعيدًا، وكله إعجاب بحركة الأشرعة المعقدة. طرح على البحارة العديد من الأسئلة. وأعطوه، مبتسمين كل ما يتمنى من الشروح.

عندما وصل الصبي إلى مؤخرة السفينة، وقف يراقب - مندهشًا - شيئاً كان ينبثق من البحر أحيانًا، وكأنه يقتفي أثر السفينة.

كانت السفينة تشق طريقها سريعًا، تدفعها رياح مواتية. إلا أن ذلك الشيء ظل يتبعها، محتفظًا بالمسافة نفسها. لم يدرك الصبي ما هو، غير أن ثمة أمرًا غير محدد فيه، سَحَرَ الصبي بقوة.

لم يعد الأب يرى **ستيفانو.** نادى عليه بصوت مرتفع دون جدوى. هبط من مركز القيادة، في الأعلى لكي يبحث عنه.

رآه، أخيرًا، في مؤخرة السفينة واقفاً ينظر إلى الأمواج نظرات ثابتة. قال له:

- ماذا تفعل ماكثًا هنا، يا ستيفانو؟

-بابا، تعالى وانظر.

جاء الأب، ونظر في الاتجاه الذي أشار إليه الصبي. ولكنه لم ير شيئًا على الاطلاق.

قال الصبي:

- ثمة شيء يقصّ أثرنا. وهو يظهر بين الفينة والفينة.

قال الأب:

- لم أبلغ الأربعين عبثًا، وأعتقد أني ما أزال أحتفظ بعينين جيدتين. ولكني لا أرى شيئا على الإطلاق.

أخذ الأب منظاره نزولاً على إلحاح الصبي. ورصد به سطح الماء في اتجاه خلف السفينة. رآه **ستيفانو** يصفر.

قال له:

- بابا، ماذا هناك؟ لماذا تتخذ هذه الهيئة؟

صرخ القبطان:

- يا ليتني لم أصغ إليك. سأكون منشغل البال من أجلك.

إن ما تراه منبثقا من الماء ويتبعنا، ليس شيئاً من الأشياء، ولكنه ال . . ك ★★ بالتأكيد. إنه الوحش الذي يخافه البحارة في كل بحار العالم.

إنه القرش المريع والغامض. وإنه لأكثر مكرًا من الإنسان، ولأسباب لا يعلمها أحد، وربما لن تعلم أبدًا، فإنه يختار ضحيته، ثم ما إن يختارها حتى يتبعها خلال سنوات وسنوات. بل وقد يتبعها طوال الحياة إذا اقتضى الأمر ذلك. ويظل هكذا إلى أن تأتي اللحظة التي ينجح فيها بابتلاعها. والأكثر غرابة أن أحدًا لم يستطع قط أن يلاحظه، اللهم إلا أن يكون الضحية الآتية أو أي شخص من العائلة نفسها.

-هذه مزحة ترويها لي يا بابا

- لا، لا، أنا لم أر أيضاً هذا الوحش قط. ولكن من خلال الأوصاف التي سمعتها غالبًا، تحققت منه فورًا. إن هذا الثور الفظ، إن هذا الفم الذي لا يكف انفتاحًا وانغلاقًا بتشنج، وإن أسنانه الرهيبة . . . لم يعد ثمة شك ممكن **يا ستيفانو** للأسف! لقد وقع اختيار **ال . . ك** عليك. وإنك ما بقيت في البحر قائماً، فلن يترك لك لحظة راحة. اسمع إليَّ يا صغيري: سنعود فورًا إلى الميناء، وستنزل فيه، ولن تغامر أبدًا إلى أبعد من الشاطىء مهما كان السبب، ويجب أن تعدني



قصة قصيرة

ال.. ك

بـذلك . مهنة البحار ليست لك يـا صغيري . وعليك أن تقبل الأمـــر الـواقع . آه ! وتستطيع أن تغتني على الأرض أيضاً .

لنضرب صفحًا عن هـذا . فلقد أمـر القبطانُ السفينـةَ أن تعـود لكي تـدخل إلى المينـاء . وادعى أن ثمـة مرضاً مفاجئاً ألـمَّ بهم .

أنزل ابنه على رصيف الميناء، ثم سافر بدونه .

بقي الصبي على الشـــاطئ، مضطـربـاً اضطـرابًا عميقًـا . وظل يــلاحـظ حتى تـــوارى قـــرن أعلى الصـواري في الأفق . غير أنــه كـان يـلاحظ عن بعــد . نقطـة سـوداء، تستوي الماء، بين لحظة وأخرى : كان ذلـك **«كافـه»**، يجول ببطء، طـولاً وعرضاً، وينتظره بعناد .

غدت كـل الوسائل، منـذ تلك اللحظة، جيدة لمقـاومة ميل الصبي وما يكـابده نحـو البحر. ولقـد عمد الأب إلى إرسالـــه لكـي يـــدرس في مـدينة داخل البـلاد، تقع على بعـد مئات الكيلو مترات من هنا . وخلال بعض الـوقت، لـم يعـد **ستيفانو** ، وقد شغله هذا الوسط الجديد، يفكر في وحش البحر. ومع ذلـك، كان في العطل المدرسيـة الكبرى، يعـود إلى البيت .

وإذ ذاك، لا يستطيـع أن يمنـع نفسه من أن يركض إلى أقصى المرفأ، ما إن يمتلك حـريته لدقيقـة . وإنه يفعل ذلـــك ليجـــري نـــوعًـــا من الكشف، غير ضروري كما يـراه، أو تـافـه . وبعد مـرور كل هـذا الـزمن الطويل جدًا، فإن «**ال . . ك**»، هذا إذا كانت القصـة التي رواها لــه أبوه حقيقية، لابد وأن يكون قد عزف عن الهجوم عليه بالتأكيد .

ولكن **ستيفانو** بقي مذهولاً، كما ظل متأثراً قلبه، فعلى بعد مائتي متر من رصيف المينـاء، في عمق البحر، كـــان الـوحش المشـــؤوم يجول ببطء مخرجًا رأسه من الماء حيناً بعد حين، وناظـرًا نحو الشـاطىء لكي يرى إذا جاء ستيفانو أخيراً .

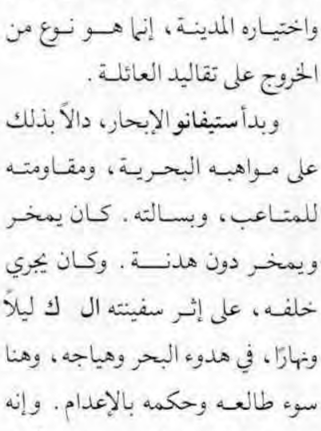
وهكـذا، فقد غـدا التفكير بهذا المخلوق المعـادي، الذي ينتظر ليلاً ونهاراً، بالنسبة لستيفانو، استحواذاً سريـــاً . وكـان في المدينـــة البعيـــدة يستيقظ قلقاً في عمـق الليل . إنه في مكـــان أمين، أجل . وتفصل بينـــه وبين «**ال . . ك**» مئات الكيلـو مترات . ومع ذلـك، فإنه يعرف، أن خلف الجبـال، وخلف الغـابـات، وخلف السهـــول، كـــان الـــوحش يستمـر في انتظاره . وهـو وإن ذهب لكي يعيش في القـارة الأكثر بعـدًا، فإن «**ال . . ك**» سيراقبه من البحيرة الأكثر قرباً، حاملاً معه عنادًا شديدًا لأدوات القدر .

ولما كـان **ستيفانو** صبيًا جادًا وطموحًا، فقد تابع دراسته بنجاح، ووصل إلى سن الرجال . وحصل على عمل مهم، أرباحه جيدة، في شركة من شركات المدينة . وقد مات أبوه في أثناء ذلـك . فباعت أرملتـه السفينة الرائعـة . وهكذا، وجـد الابن نفسه مـالكًـا لثـروة عظيمـة . فعـاش في عملـه، وبين أصدقـائه ومسراتـــه، ومغامراته الغرامية الأولى : لقد باتت حياة **ستيفانو**، من الآن فصاعدا، مرسومة، غير أن ذكرى «**ال . . ك**» كـانت تعـذبه . وتنفـذ إليـه كسراب مشؤوم وساحر في الوقت نفسه .

ومع مـرور الأيام، كانـت تزداد الذكرى كثافـة بدلاً من أن تتلاشى .

إن المباهج التي نجنيها من وجود نشيط، ومنعــــم وهـــادئ، لكبيرة بـالتأكيـد . ولكن الانجـذاب نحـو الهاويـة أكبر. فقــد ودع ستيفــانـــو أصحـابه، وغـادر عملـه . وعندمـا وصل إلى مـدينته، لـم يكن قـد بلغ الثـانيـة والعشرين من عمـره . أعلن لأمـه عن نيتـه في القيام بمهمـة أبيـه نفسها . فاستقبلت الأم الطيبـة قراره بفرح، لأنـه لـم يبح لها بكلمـة عن الوحش . وكان ممـا بدا لها، وحدثت به نفسهـا أن عزوف ابنهـا عن البحر واختيـاره المدينـة، إنما هـو نـوع من الخروج على تقاليد العائلـة .

وبدأ **ستيفانو** الإبحار، دالاً بذلك على مـواهبـه البحـريـة، ومقـاومته للمتـاعب، وبسـالته . كـان يمخر ويمخـر دون هدنـــة . وكـان يجري خلفـه، على إثـر سفينته **ال ك** ليلاً ونهارًا، في هدوء البحر وهياجه، وهنا سوء طالعـه وحكمه بالإعدام . وإنه ليعـــرف ذلك، ولكـن ربما من أجل هـذا السبب، لـــم يجد القـوة لكي



يتخلص . ولـم يلحظ أحـد ممن هم على ظهر السفينـة الوحـش، اللهـم إلا هـو .

«يسأل رفـاقـه في بعض المرات، مشيراً إلى إثر السفينة :

أما ترون شيئًا من هذا الجانب ؟

ـ لا، نحن لا نـرى شيئًـــا على الإطلاق . لماذا ؟

ـ لا أدري . . . إنـه ليبـدو لـي . . .

كـــان الآخرون يهزؤون بـــه وهم يمسكون السلاح :

ـ ألـم تـر **ال ك** يا هذا ؟

ـ لماذا تضحكون ؟ ولماذا تمسكون بالسلاح ؟

ـ لأن **ال ك حيوان لا يسامح . وإذا صادف أن تبع السفينـة، فهذا يعني أن أحدًا قد ضاع**» .

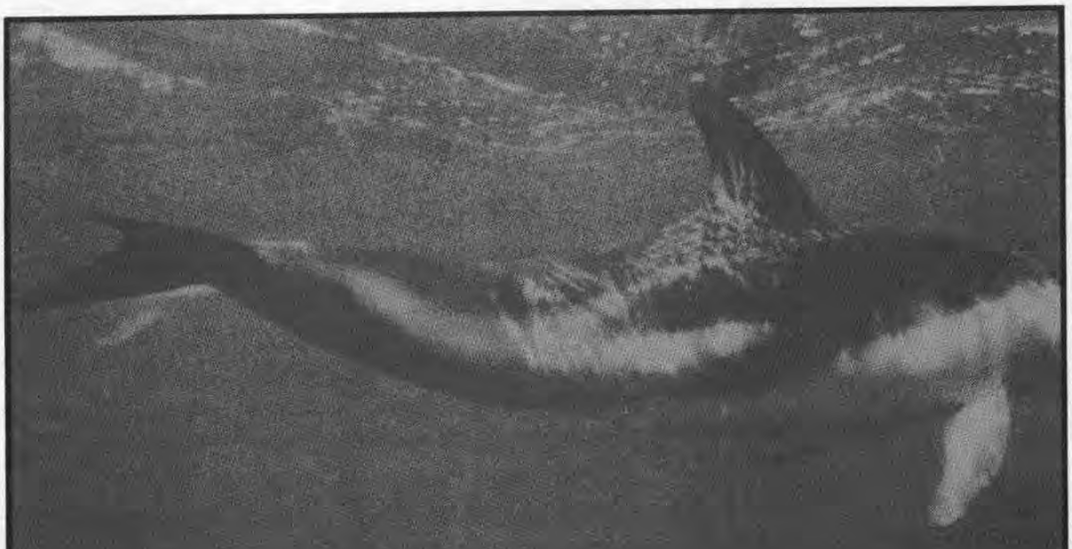
ولكن **ستيفانو** ما كان ليعبأ بهذا . وإن التهديد الذي كان يتبعه دائمًـا، وقع الحافر على الحافر، كان يزيد من إرادتـه عشرة أضعـاف، ومن حبـه للبحـر، ومن حميّاه سـاعـة الخطر والمعركـة .

وعندما شعر أنـه يسيطر جيـدًا على مهنتـــه، اشترى منـاصفـــة مع شريك لـــه سفينـــة صغيرة، وذلك بالإرث الذي تركه لـه أبوه .

ثم صار ـ بعد مدة قريبة ـ المالك الأوحـــد . وبفضل سلسلـــة من الـرحلات المحظوظة، استطـاع أن يشتري باخرة حقيقيـة . وصار هدفه أن يتقدم إلى الأمـام بطموح . غير أن النجاحات لـم تعد تستطيع أن تطرد من ذهنـه مـا استحـوذ عليـه على الدوام . وهـو من جهته لـم يفكر، ولو لثـانية واحـدة، في بيع السفينة، أو في التـوقف عـن الإنجـاز لكي ينطلق في مشاريع أخرى .

الإبحار، الإبحار. كانت تلك فكرته الوحيدة. فما إن يلامس الأرض في أي ميناء كان، وإن كان قد أمضى شهورًا طويلة في البحر، حتى تدفعه قلة الصبر إلى السفر ثانية. وكان يعلم أن **ال ك** ينتظره في عرض البحر، كما كان يعلم أن **ال ك** مرادف للمصيبة. ولكن ليس ثمة شيء يستطيع أن يحول دون رغبته. فهناك ميل غريزي لا يقاوم، يشده دون هوادة، فينتقل من محيط إلى محيط.

وعاد **ستيفانو**، في يوم من



الأيام، إلى وعيه. وأدرك أنه أصبح عجوزًا، عجوزًا جدًّا. ولم يكن أحد ممن حوله يقدر أن يعرف لماذا لا يهجر غني مثله حياة البحارة الشقية هذه؟ إنه عجوز وتعيس تعاسة مرة، وهو قد استهلك وجوده كله في هذا الهروب المجنون عبر البحار، وذلك لكي يفر من عدوه. ولكن سحر الهاوية كان بالنسبة إليه أقوى من مباهج حياة رخية وهادئة.

شعر بنهايته القريبة. حدث هذا في إحدى الأمسيات، بينما كانت سفينته الرائعة راسية في عرض الميناء الذي ولد فيه. نادى **القبطان**، الذي يثق به ثقة تامة. وأمره أن لا يعترض على ما سيقوم به. فوعده ذلك وعد شرف.

وعندما حظي **ستيفانو** بهذا الوعد الأكيد، كشف حينئذ **للقبطان** الذي كان يصغي إليه فاغر الفم، عن قصة **ال ك** الذي تبعه باستمرار خلال خمسين سنة من غير جدوى.

«قال:

ـ لقد رافقني على مدى طول العالم وعرضه، بوفاء لا يصدر عن أكثر الأصدقاء نبلا. وإني الآن لعلى حافة الموت. ويجب أن يكون هو أيضًا قد تعب بعد أن بلغ من العمر عتيًّا. ولا أستطيع أن أخدع ما ينتظره.

وما إن انتهى من قوله، حتى ودع صاحبه، وأنزل قاربًا صغيرًا إلى البحر، ثم استقر فيه، بعد أن صنع لنفسه خطافًا.

«أعلن قائلاً:

ـ سأذهب للقائه الآن. وإنه لمن العدل ألا أخيبه. ولكنني سأناضل بكل قواي ما أوتيت إلى ذلك سبيلاً.

ابتعد مجدفًا. ورآه الضباط والبحارة يختفي هناك، فوق البحر الهادئ، وفي ظلال الليل. وكانت السماء مشعة بنور هلالها.

لم يجدف زمنًا طويلاً. فقد ظهر **ال ك** الغليظ الكريه فجأة في مواجهة الزورق.

قال **ستيفانو**:

ـ لقد قررت أن آتي إليك. وإن المواجهة الآن لهي بيننا.

جمع حينئذ آخر قواه، وهز الخطاف ليضرب به.

«جأر **ال ك** بصوت متوسل:

ـ بو هوهو! أي طريق طويل كان عليّ أن أقطعه لكي أجدك. وأنا أيضًا، كابدت كثيرًا، فكم جعلتني أعوم، بينما أنت تهرب وتهرب، ولقد يُظن بأنك لم تفهم شيئًا قط!

قال **ستيفانو** بانزعاج:

ـ **أفهم ماذا؟**

ـ لم تفهم أني لا أطاردك حول الأرض لكي أبتلعك كما فكرت. إن ملك البحار قد حملني هذا فقط لكي أعطيه لك».

ومد الوحش لسانه، مقدمًا للعجوز كرة فوسفورية صغيرة.

أخذها **ستيفانو** بين أصبعيه وفحصها. كانت لؤلؤة ذات حجم عظيم. ولقد عرف فيها لؤلؤة البحر العجيبة التي تهب لمن يملكها الثروة، والقوة، والحب، وسلام الروح. غير أن وقتها قد تأخر الآن.

قال وهو يهز رأسه بحزن:

ـ للأسف! أي رحمة! لقد نجحت فقط في تبديد وجودي ووجودك...

قال **ال ك**:

ـ إلى الوداع يا رجلي الطيب.

وغطس إلى الأبد في المياه السوداء.

بعد مضي شهرين على هذا الأمر، غرق زورق صغير ارتطم بصخور وعرة، وراحت الأمواج تتقاذفه. وقد لاحظه بعض الصيادين الذين أثار فضولهم فاقتربوا منه. يجلس في الزورق هيكل عظمي أبيض:

يمسك بين أصابعه الرقيقة حصاة صغيرة مدورة.

الهوامش

★ روائي وكاتب قصة قصيرة إيطالي معاصر، من أشهر رواياته «صحراء التتار» وهي مترجمة إلى العربية ونشرت بالقاهرة، بجانب مجموعة قصصية نقلت إلى العربية مؤخرا بعنوان: الطابق الثاني عشر.

★★ ال ك سمك عظيم الحجم، رؤيته مخيفة، وهو نادر جدًّا ويُسمى بحسب البحار والشطآن من غير اهتمام: كولومبي، كوهلو بلاها، كالو، بالو، شالونغ ـ غرا. وكان الطبيعيون، وهذا أمر عجيب، يجهلونه. وكان بعض منهم يؤكد أن لا وجود له.

برقية شعرية
إلى المجاهدين الأفغان

حيدر الغدير

أعرني يا فتى الأفغان قلبًا   نقيًّا مثل منهلٍ الغمام
فإن المسلمين إليك ترنو   نواظرهم بآمال عظام
وقد عصبوا بها منك الأماني   من الأقصى إلى البلد الحرام
ومن مثوى الرسول وكل صقع   تعطّر بالصلاة وبالصيام
لقد طربوا لنصرك خالديًّا   وكنت السهمَ والرحمنُ رام
وخافوا أن يمزّقك اختلاف   فتذرو الريح نصرك في الرغام
فتى الأمجاد والنصر المجلّي   حذار من النزاع على الحطام
حذار فإنه سم زعاف   وأشداق مكشرة دوام
حذار فأنت أعظمنا بلاء   وأنت اليوم فارسنا المحامي
وأنت على القلوب لها رجاء   وأنت منارنا وسط الظلام
وأنت الغيث في زمن جديب   وأنت حسامنا والخطب دام
تبوأت الأعالي والغوالي   وباء الغادرون بكل ذام
غلبت الكفر والدنيا بلايا   وهول الموت كالإعصار طام
فغالب جاهليات تداعت   عليك اليوم كالموت الزؤام
وغالبها نفوسًا ظامئات   إلى جاه كذوب واغتنام
وحاذرها دعاوى خاسرات   تبين زيغها من ألف عام
كن العف الذي لله يسعى   ويطوي الدهر ميمون الزمام
وكن لأخوة الإسلام حصنًا   وسورًا من غطارفة كرام
ولا تشمت بنصرك وهو غض   شراذم من ملاحدة لئام
فتى الأفغان محضها نوايا   لرب منَّ بالنعم الجسام
وأطلقها بشائر نحن صف   تداعى للجليل من المرام
توحد بين أهوال البلايا   وأنياب الرزايا والحمام
يوحده الكتاب على سواء   وتجمعه العهود على وئام
فتى الأفغان أحقاد ضخام   تسير إليك في لُجَجٍ ضخام
تريد لنصرك الغالي فناء   وأن تطويه أمواج الخصام
نيوب الغدر منها داميات   وغرثى مشرئبات ظوام
تطوّف إذ تطوف وهي تعوي   تساقط حول صرحك كالسهام
وأنت لها إذا أخلصت قلبًا   وأسرجت العزيمة باعتصام
إذا رمت الإله أتاك نصر   يرفرف مثل غادية الغمام



فتى الأفغان ألجم كل دعوى ... لغير الله فهي من السِّمام
وأهوال النزاع على سراب ... وأوهام الصراع على رمام
فتى الأفغان صُنْ نصرًا عزيزًا ... تلألأ في يمينك كالوسام
فكل بطولة وهبتك عزًّا ... وفتحًا بعد داجية القتام
تناديك احترس فالله أبقى ... ونحن الصائرون حطام هام
وأنت أجل من دنيا كذاب ... تراقص كالسراب على رجام
وتعبث كالهلاك بعاشقيها ... وتقتلهم وهم أسرى مدام
فلا تطع الأماني زائفات ... فإن الزيف أفتك من ضرام
يظل الحر نجمًا في علاه ... إذا صان العهود على ذمام
وتقتله مطامعه فيغدو ... أسير غواية وحليف جام
تعيش مبادئ ويموت ناس ... فمت لكريمة وانهد لسام
وعند الله تجزى كل خير ... وتيجان الكرامة للكرام
أخا الأفغان والدنيا رحيل ... وقافلة تسير على الدوام
تغذ السير تهلك مَنْ بَنَوْها ... وتذروهم حطامًا في حطام
ويبني الراحلون بيوت وهم ... على دمن ستبلى كالثمام
ويفنى الواهمون وما تمنوا ... كريح زلزلت واهي خيام
ويمضي الناس والإسلام باقٍ ... يظل الدهر مرفوع الدعام
فكن من أجله بطل الغواشي ... وكن من أجله بطل السلام
وعش من أجله نارًا ونورًا ... وأنت أبو المروءات العظام
وعفّ عن السفاسف واجتنبها ... ودعها للسوام وللطغام
ومثلك سيد وأخو بلاء ... ومثلك فارس وذري سنام
كبير أنت فابق لنا كبيرًا ... كريم أنت فابق أخا كرام
همام أنت والدنيا شهود ... تشير إليك فابق أخا همام
تشبث باليقين ودع سواه ... وأحرق بالسماحة كل ذام
أقم للحق دولته وصنها ... على نهج الرشاد والاعتصام
وكن للناس والدنيا ربيعًا ... وبشرى بالمطيرات الهوامي
وفجرًا صادقًا بعد البلايا ... ونورًا ضاحكًا بعد الظلام
لقد كنت الزئير على الأعادي ... فكن لذويك أحلى من بغام

□ □ □


زكي نجيب محمـود


إبراهيم ناجي

الأدب

بقلم: إبراهيم النويري

الأدب من القنوات والروافد الحسنة التي تصب في بحر الحياة الخضم. ولعل عظمة الأدب تستمد قيمتها الذاتية من طبيعة الأدب ذاته، الذي يمثل جزءًا مهمًّا وحيويًّا من النفس البشرية.

والحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان هي أن الأدب تعبير عن أسلوب الحياة لدى كل شعب من الشعوب، أو عند كل أمة من الأمم، أي إنه تعبيرٌ عن كيفية الشعور بتلك الحياة، وأسلوب لبيان طريقة الاستمتاع بالحياة والحب والخير والجمال.

وصلة الأدب بالقلب والشعور أوضح من صلته بالفكر والعقل؛ وبصمات الجانب العاطفي من النفس البشرية فيه ألصق من بصمات العلم والمنطق!

وحتى المهمة والرسالة التي يرغب الأدب أن يؤديها في الحياة الإنسانية، فنزوعه فيها إلى تنشيط الخيال، وإخصاب الوجدان، وتليين القلوب أكثر من نزوعه إلى إثبات القواعد العلمية، وكشف العلاقات الفيزيائية بين مختلف الأجناس المعدنية، أو وصف العمليات والتجارب الكيماوية، ولا غرابة في ذلك فإن الأديب أثناء معاناته، أو إبّان تفاعله مع العملية الإبداعية يستهلك من قلبه وروحه أكثر مما يستهلك من مخه وعقله. ولعلَّ هذا هو الفرق بين الأديب والعالم، أو بين الفنان ورجل العلم.

لقد قرأت منذ سنوات أن الجامعة الأمريكية لا تمنح الأطباء شهادة التخرّج النهائية، إلاّ إذا نجحوا في مادة الأدب الأمريكي، والأمر ذاته تطبقه أكثر الجامعات في أوربا.

إن الفهم القائم ـ خطأً ـ والذي يتخذه البعض حجةً هو أن العصر عصرُ «التخصصات». ولكني أسارع إلى القول: **«هل التخصص يعني التهجم على بقية التخصصات الأخرى واستهجانها؟ أم إنه على العكس من ذلك يعني محاولة الاطلاع على جوانب المعرفة الإنسانية، إلى جانب إتقان تخصُّصٍ مَّا في مجال من المجالات؟**

إن الاهتمام بالمعنويات كالاهتمام بالماديات سواء بسواء، وهذا هو النظر الصحيح، والتفكير الحصيف.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود ـ وهو صاحب تعثرات منهجية تراجع عنها أخيرًا ـ «إن الحياة في عصر الصناعة والعلم قد تؤدي بنا إلى ركام من حطام، وإلى حالة من اليأس والضياع..»(١).

> ”علاقة حميمية بين حرفة الطب وهواية الأدب“

ونحن نرى مدى صحة ما ذهب إليه الدكتور زكي نجيب محمود إذ إننا إذا غلّبنا الجانب العلمي أو العقلي الذي يعتبر الإطار المناسب للحياة على الجانب الأدبي أو العاطفي الذي هو الصورة الملائمة للحياة فإن النتيجة تكون خطيرة بيقين جازم، لأن الفشل سيكون حصيلة طبيعية لسلوكنا ذاك. ولا أنكر أن الحرب العالمية الأخيرة كانت مسؤولة عن إحداث ذاك الانفصام بين الأدب والعلم بعد أن كان بينهما وئام والتحام.

فأغلب الدول التي منيت بالهزيمة في تلك الحرب الكونية أولت عناية كبيرة ـ عقب تلك الحقبة التاريخية ـ لخدمة الجانب التقني في حين قلَّصت من الاعتناء بالجانب المعنوي، أو بما له علاقة بالدراسات الإنسانية والثقافة الذاتية عموما.

ويمكن أن أوضح الآن العلاقة التكاملية بين الكثير من الجوانب العلمية والمعرفية:

الأدب والبيولوجيا

قد يبدو للقارئ العادي أنه لا وجود لأية علاقة بين الأدب والطب، غير أن الحقيقة عكس ذلك، فالطبيب الذي يتمتع بإحساس عاطفي مرهف، وشعور أدبي ووجداني راقٍ يرى المريض (وهو على مائدة العمليات) إنسانًا يحب الجمال والخير والحب، وتختلج في نفسه عواطف إنسانية نبيلة، وقيمٌ رفيعة راقية، أي ينظر إليه على أساس أنه (إنسان) بكل ما للإنسانية من معان، ومن ثم فإن هذا الطبيب سيبذل قصارى جهده وطاقته في سبيل إنقاذ مريضه، وإبعاد شبح الموت والهلاك عنه، بينما الطبيب الذي هو غُفْلٌ من الجانب العاطفي، وخِلْوٌ من العواطف الإنسانية السامية

والعلاقة التكاملية بين المعارف



يوسف إدريس



مصطفى محمود



نجيب الكيلاني

يرى مريضه على طاولة العمليات مجرد كتلة بيولوجية عضوية لا غير! وعليه فإن محاولة العلاج وما يصحبها من بذل للجهد، وسعي للإنقاذ ستكون على قدر الزاوية ذاتها التي ينظر منها الطبيب إلى مريضه.

بين الأديب والطبيب

إن العاطفة هنا وفي هذه الحالة هي العامل المشترك بين الأديب والطبيب، ولذلك فإن التاريخ يحدثنا ويخبرنا بأن أعظم الأطباء كانوا في الأصل أدباء. **فابن سينا** الطبيب المسلم المشهور جمع بين المهنة والموهبة، أو بين الحرفة والذوق، وبذلك قدّم خدمات طبية وعلمية جليلة أفادت الإنسانية كثيرًا، وفي الوقت نفسه كان أديبًا وفنانًا من طراز عالٍ رفيع، والأمر نفسه يمكن أن يقال أيضا عن **ابن النفيس والرازي** الذي جمع بين الموسيقى والطب، وغير هؤلاء كثير في تاريخنا وحضارتنا الإسلامية.

وفي العصر الحديث والمعاصر نجد كثيرًا من الأطباء الذين فارقوا مهنة الطب ليتفرغوا لموهبة الأدب، ومن هؤلاء الأطباء **الدكتور إبراهيم ناجي**، والطبيب الجراح **يوسف إدريس** الذي نبغ في فن الكتابة القصصية، **والدكتور مصطفى محمود** صاحب المواهب المتعددة، الذي كتب الكثير من المسرحيات.. بل وكتب أيضا حتى في أدب الرحلات التي يحكي فيها المؤلف مشاهدته في عدة مناطق في أفريقية وغيرها.

والدكتور مصطفى محمود قبل هذا كله، هو طبيب مختص بالأمراض الصدرية. ومن هؤلاء الأطباء أيضا **الدكتور نجيب الكيلاني** رائد الأدب الإسلامي المعاصر (تنظيرًا وإبداعًا)، **والدكتور حسان حتحوت وعبد السلام العجيلي**.. وعندنا في الجزائر أيضا **الدكتور أحمد عروة، والدكتور محمد الصالح باوية** وغير هؤلاء كثير.

والحقيقة أن العلاقة بين حرفة الطب وهواية الأدب علاقة قديمة جديدة، وهي أيضا مثمرة لا سيما من الجانب الإنساني، ولا تَشِي بأي معنى من معاني التناقض، وفي هذا الإطار يقول الطبيب الشاعر **الدكتور إبراهيم ناجي**:

والناس تسأل والهواجسُ جمة
طِبٌّ وشعرٌ كيف يتفقانِ؟
الشعرُ مرحمة النفوس وسرُّه
هِبةُ السماء ومِنحَة الديّان
والطب مرحمة النفوس ونبعه
من ذلك الفيض العليّ الشان (٢)

وكان **الدكتور إبراهيم ناجي** يقول مدافعًا عن التوفيق بين مهنة الطب، وموهبة الأدب: «إنني كنت أزاول الطب كأنه فن، وأكتب الأدب كأنه علم، أي أراعي فيه المنطق والتحديد والوضوح»(٣).

الأدب والظواهر الكونية

ونعني بذلك أنه وُجد من الشعراء والأدباء وأهل الفكر والنظر من تكلم عن بعض الظواهر الطبيعية والكونية بمنأى عن التجربة واليقين العلمي، إلا أن المنهج التجريبي ــ الذي هو ثمرة من ثمرات العقل المسلم ـ وهو عين المنهج الذي يأخذ به البحث العلمي الحديث قد أثبت صحة ما قال به هؤلاء الشعراء والأدباء، ومن هؤلاء ـ مثلا ـ صاحب الرباعيات عمر الخيام الذي قال:

إن تؤخذ القطرة من بحرها
ففي مداه منتهى أمرها
تقاربت يا رب ما بيننا
مسافة البعد على قربها!

ثم يأتي العلم الحديث ليقرر هذه الحقيقة الواقعية العلمية، فالماء ـ عنصر الحياة الأول ـ لم تنقص منه قطرة واحدة، كما لم تضف إليه قطرة واحدة أيضا، وذلك منذ أن خلق الله الحياة على ظهر هذه الأرض، وفي هذا الكون المثير. وكان عالم الرياضيات الفرنسي الشهير «بوانكاريه» يقول: «أيًا كان وحيُ عالم الرياضيات فهو يبدع ويَزِنُ الأمور بإحساس رياضي متجانس كحساسية الموسيقى والأديب والفنان التشكيلي» ثم عقّب على ذلك بقوله «والرياضي في هذا فنان أكثر منه عالمًا يناجي نفسه مناجاة تختلف اختلافًا كبيرًا عن التفاعل العلمي».

وقد قيل أيضا في هذا المقام: إن أدباء كثيرين قد حلّقوا بخيالهم فوق سطح القمر قبل أن يحلّق على سطحه علماء الفقه الفضائي والكوني المعاصرين!

ولعل مما يفتخر به الأدباء في الغرب ـ إلى اليوم ـ ويعدونه من الإنجازات الحضارية التي حققها «أدب الخيال العلمي» ما جاء في رواية «أول رجل

> ”القمر عرفه خيال الشعراء قبل أن يحلّق على سطحه أهل العلم!“

الأدب والعلاقة التكاملية بين المعارف

على سطح القمر» للأديب **ويلز**، وقد نَفَّذَ خيالاتِ الرواية وحققها بالفعل العالم والرائد الفضائي الإنجليزي (**نيل أرمسترونج**). وهكذا ـ قارئي الكريم ـ تتراءى لنا العلاقة البارزة بين العلوم والمعارف، وتتجلى هذه الحقيقة التي لا تزال غامضة حتى لدى الصفوة المثقفة، لذلك نجد فيلسوفا ومفكرًا في منزلة **الدكتور زكي نجيب محمود** يقول عن هذا الغموض:

«لو كان هذا الخلط مقصورًا على عامة الناس، لالتمسنا الأعذار، ولكنه خلط رأيناه عند خاصة الخاصة من «العلماء»! فما أكثر ما نسمع أو نقرأ لواحد من هؤلاء العلماء قوله: لقد كنت في صباي مولعًا بكتابة القصة أو قرض الشعر، وأردت الالتحاق في المرحلة الجامعية بكلية الآداب، لولا أن والدي قد أرادني على دراسة الطب أو الهندسة أو غيرهما من فروع العلم، نسمع ذلك من خاصة الخاصة: كأنهم نظروا حولهم فوجدوا كلية الآداب ـ أو إن شئت فقل الكليات الأدبية عامة ـ تخرج للناس زمرًا من القصصيين والشعراء، وكأن هذا الإبداع الأدبي ليس موهبة إلهية يهبها الله من شاء من عباده، بغض النظر عن طريق التعليم كيف سار بصاحبه!» (٤).

شمولية العلاقة بين المعارف

وهناك علاقات أخرى متعددة بين الأدب وعلم السياسة والاقتصاد، والاجتماع والبيئة . . . إلخ، وقد كانت لهذه العلاقات ثمرات حضارية، وإنجازات معرفية وإنسانية نافعة. وفي حضارتنا الإسلامية: ألم يكن الجاحظ إلى جانب الأدب ـ من البارعين في علوم الدين والفلسفة والتجارة والسياسة والاقتصاد وعلم الحيوان، وقد كتب في ذلك بأسلوب يملأ القلب إعجابا والعقل معرفة وإدراكا. وكذلك الأمر بالنسبة لأدباء المهجر، دون استثناء تقريبا؟



حافظ إبراهيم



محمود سامي البارودي

وعلم القانون ألم يخرج لنا أمثال **أحمد شوقي، وأحمد زكي أبي شادي، والشاعر أحمد لطفي مرسي** الذي لا يزال إلى يوم الناس هذا يشغل منصبا قضائيا مهما؟

وعلم الفنون الحربية والعسكرية ألم يخرج لنا أمثال **حافظ إبراهيم ومحمود سامي البارودي؟**

«« تزدهر الحضارات عندما تتمازج الأفكار والعلوم »»

إن العلاقة بين المعارف ثابتة في التاريخ والحضارات ولا سبيل للحد من مساحة «خارطة» التثقيف بدعوى الاختصاص!

ألم يكن علماء الشريعة الإسلامية العظام يجمعون بين علوم الدين وعلوم الدنيا؟ بل إن أكثر هؤلاء العلماء يتحرج من هذا الفصل والفصام غير المبرر في بعض الأحيان، إذ إن المجال واحد، والقضية تعود إلى ترتيب معين للأولويات في الذهن والفكر.

إن ابن القيم وابن الجوزي والرازي، وغيرهم كانوا يجمعون بين علوم الشريعة والطب والأدب والتجارة والكثير من المواهب والفنون.

الحقيقة الصارخة!

والحقيقة أن الحضارات والمدنيات لا يمكن أن تزدهر إلا إذا تداخلت المعارف، وتمازجت الأفكار والعلوم، وآزر بعضها بعضا.

ألم تقم حضارة اليونان القديمة على أساس مجهودات متنوعة، أدبية وعقلية وعلمية؟

ألم يكن فيها **هوميروس** في مجال الأدب والثقافة الذاتية، وسقراط **وأفلاطون وأرسطو** في مجال الفلسفة والعقليات وعلوم المنطق، **وأبيقراط وجالينوس** في مجال الطب والاستشفاء **وأرخميدس وفيثاغورس** في مجال الهندسة والفنون العمرانية؟

وهذا التكامل يثبته ويجليه التاريخ في كل الحضارات القديمة، الهندية والفارسية، والرومانية، وكذلك المدنية الغربية اليوم.

يقال: إن واحدًا من كبار المثقفين العرب الراحلين زار في أحد أسفاره ـ كلية للهندسة في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي قسم «الدراسات العليا» حضر محاضرة في الأدب الإنجليزي كانت تلقى على طلبة هم على وشك التخرج في فرع الهندسة، وحين استفسر هذا المفكر عن هذه الظاهرة الغريبة ـ في نظره كواحد من أبناء العالم الثالث ـ أجابه مدير الكلية إجابة فيها من الحكمة ما فيها، حيث قال له:

«إن الطلبة في كليتنا لا ينالون دبلوم التخرج إلاّ بعد إثبات حضورهم لكل محاضرات الأدب الإنجليزي»!

إن الحضارة ـ مهما كانت صحيحة في أصولها ـ لا يمكن لها أن تزدهر إلاّ إذا استطاعت أن تجمع بين مختلف العلوم والمعارف، كما يجمع البستان بين الأزهار المختلفة الألوان والأشكال.

هوامش

١ ـ الدكتور زكي نجيب محمود، هذا العصر وثقافته، ط دار الشروق ص ٤٥.

٢ ـ مجلة الكاتب «المصرية» العدد ١٩٢، آذار (مارس) ١٩٧٧م ص ٩.

٣ ـ مجلة الكاتب «المصرية» العدد ١٩٢ الشهر نفسه والصفحة نفسها.

٤ ـ الدكتور زكي نجيب محمود، مجتمع جديد أو الكارثة ط دار الشروق ١٩٨١ ص ٤٣.

حوار مع:

الدكتور حسن الساعاتي الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

هذه الجائزة حفز لأهل الفكر على العطاء والإبداع

حاوره: محمد عبد الشافي القوصي


بسم الله الرحمن الرحيم

براءة جائزة الملك فيصل العالمية

للدراسات الإسلامية

الأستاذ الدكتور حسن الساعاتي عبد العزيز


سمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز يتوسط الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام ويظهر في الصورة (الثاني من اليسار) د. حسن الساعاتي

أهم برقية تقدير لإنجازاته المهمة في علم الاجتماع تلقاها العالم الدكتور حسن الساعاتي من سمو الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، وكان نصها:

«السيد الأستاذ الدكتور حسن الساعاتي عبد العزيز الكاشف؛ يسرني أن أحيط سيادتكم بأن لجنة الاختيار بجائزة الملك فيصل العالمية قد اختارتكم فائزا وحيدًا لجائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية لهذا العام ١٤١٣هـ، كما أقدم التهاني المخلصة لكم بهذه المناسبة السعيدة، وسوف تمنح الجائزة في الحفل الرسمي الكبير تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، حفظه الله».

فكان لهذا التقدير آثاره الطيبة على العاملين في هذا المجال في عالمنا العربي وفي المجالات العلمية الأخرى، حيث أثبتت هذه الجائزة العالمية أن الجهود المخلصة؛ مهما بعدت عن الأضواء؛ لها من يقدرها ويضعها في موضعها الصحيح..

هكذا يبدأ الدكتور حسن الساعاتي حواره مع مجلة «الفيصل» بعد فوزه بالجائزة... ويعود إلى بدايات اهتمامه بعلم الاجتماع مع الناس والمجتمع والبيئة، قائلا:

حصلت على بكالوريوس «الاقتصاد والعلوم السياسية» من جامعة لندن، فقمت بعمل معادلة لليسانس الاجتماع، ثم حصلت على دبلوم التربية وعلم النفس عام ١٩٣٩م من معهد المعلمين الذي تحول إلى كلية المعلمين بعد ذلك. ثم أعددت بحثًا ميدانيًا في جامعة لندن أي أثناء الحرب العالمية الثانية، وحصلت عن طريقه على درجة الدكتوراه في أغسطس ١٩٤٦م، وعدت بعدها إلى الوطن في سبتمبر من العام نفسه، ليستمر عطائي في هذا المجال. ومن حُسن حظي أنني عندما عدت إلى مصر، كان وزير المعارف آنذاك الأستاذ محمد حسن العشماوي، الذي أنشأ المعهد العالي للخدمة الاجتماعية للفتيات، واتصلت بوكيل الوزارة ليعيد زوجتي لتعمل عميدة لهذا المعهد، ولكن أرسلوها في بعثة لتدريس علم نفس الطفولة بلندن لكي تزور معاهد ومدارس الخدمة الاجتماعية هناك. بعدها عملت مع زوجتي التي عملت عميدًا للمعهد، وقال لي الوزير: ما دمت سوف تعمل فسأعينك بدرجة مستشار للمعهد، تحت رئاسة عميدته «زوجتي»!

ثم تم تعييني في جامعة الإسكندرية بمعهد العلوم الاجتماعية الذي أسهم في إنشائه أنثربولوجي عالمي بريطاني الجنسية اسمه «بالركليزر» الذي كتب إليّ يقول: سمعت عنك كثيرا، فهل تقبل أن تعمل معنا في المعهد، ثم انتقلت إلى عضوية التدريس في كلية الآداب، جامعة الاسكندرية من ١٩٤٩ - ١٩٥٥م، ثم أستاذًا مساعدًا بقسم الاجتماع. ومنذ

نوفمبر ١٩٥٥م وأنا مقتصر على التدريس في كليتي (آداب عين شمس) والتي كنت وكيلاً لها لمدة ثلاث سنوات، ثم عميدًا لها لمدة أربع سنوات، ثم تمت إعارتي عميدًا لكلية الآداب في جامعة بيروت العربية لمدة خمس سنوات، ثم رئيسًا لقسم الفلسفة والاجتماع ٦٨ ــ ١٩٧٣م ثم عدت رئيسًا لقسم الاجتماع في آداب عين شمس. حتى سنة ١٩٧٧م، ثم أستاذًا متفرغًا حتى الآن، لكني اشتهرت بالبحث العلمي، فكنت أول من نادى بإنشاء المعهد القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية سنة ١٩٥٥م وعملت مستشارًا له وعضوًا بمجلس إدارته حتى عام ١٩٨٣م، وأشرفت على الكثير من البحوث فيه، أشهرها بحث عن مدينة القاهرة، كما أنجزت مسحًا اجتماعيًّا لمنطقة أسوان، وبحثًا لمنطقة «باب الشعرية» أحد الأحياء الشعبية بالقاهرة، وغير ذلك من البحوث الميدانية.

وظهرت معظم هذه البحوث في كتابي الشهير: «تصميم البحوث الاجتماعية ومناهجها وطرائقها وكتابتها» وبحوثي كثيرة جدًّا في هذا المجال، منها كتاب **«علم الاجتماع الجنائي»** سنة ١٩٥١م، و**«علم الاجتماع الثانوي»** سنة ١٩٥٢م، و**«علم الاجتماع الصناعي»** سنة ١٩٧٠م، و**«علم الاجتماع الخلدوني»** سنة ١٩٧٢، وكتاب بالاشتراك **«دراسات علم السكان»**، و**«التكنولوجيا والمجتمع»**، وهذا الكتاب عن مؤتمر عقد في مصر بين جامعة الدول العربية واليونسكو، حيث اختِرتُ مقررًا عامًّا، فجمعت كل البحوث، وقد كتبت مقدمة للكتاب. **والحمد لله أن وجدت هذه البحوث تقديرًا تُوج بجائزة الملك فيصل العالمية.**

تأصيل إسلامي

□ عن مفهومه لعلم الاجتماع الإسلامي واختلافه عن غيره من علوم الاجتماع... يقول د. الساعاتي:

إذا تناولت ظاهرة اجتماعية من وجهة النظر الإسلامية، أي بالاعتماد على قيم وتوجيه من القرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة الصحابة والتابعين فهذا تناول إسلامي للظاهرة، ونقصد ـ أيضًا ـ بهذا **«علم الاجتماع الإسلامي»**، أي تأصيل إسلامي للظواهر، وبما أنني مسلم فلا بد أن أستقي فكري من ينابيع الوحي والرسالة التي نزلت على سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ. وشيخنا الأكبر **«عبد الرحمن بن خلدون»** يقول عن علم الاجتماع: إنه علم مستقل ذو موضوع، هو الاجتماع الإنساني والعمران البشري، وهو علم المعاشرة.

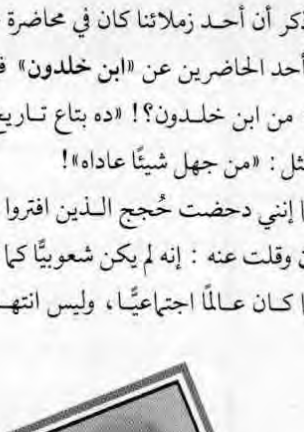
واستطاعت ابنتي **الدكتورة «سامية ساعاتي»** ـ بتوجيهي لها ـ أن تكشف الكثير في علم الاجتماع الإسلامي، وأصبح الآن لها باعها في تحليل كثير من الظواهر في هذا المجال تحليلاً إسلاميًّا.

□ وعن الحملات الضارية التي وجهها المستشرقون لابن خلدون وسرّ عدائهم البغيض له يقول:

العداء لابن خلدون لم يكن من قبل المستشرقين فحسب، بل قام ـ للأسف ـ كل من تحمس لما يكتبه المستشرقون! فمنهم من يكتب عن جهل، ومنهم من يكتب بوعي وإرادة لإفساد تفكيرنا وازدراء مفاخرنا وعلمائنا.

وأذكر أن أحد زملائنا كان في محاضرة عامة، وسأله أحد الحاضرين عن **«ابن خلدون»** فردَّ عليه قائلاً: من ابن خلدون؟! «ده بتاع تاريخ! وكما يقول المثل: «من جهل شيئًا عاداه»!

كما إنني دحضت حُجج الذين افتروا على **ابن خلدون** وقلت عنه: إنه لم يكن شعوبيًّا كما تزعمون ــ وإنما كان عالمًا اجتماعيًّا، وليس انتهازيًّا أو وصوليًّا يصادق أصحاب النفوذ، بل كان مخلصا لنظريته، ولو كان كما يزعمون لقتلوه في عصره، كما قُتل غيره.



د. حسن الساعاتي

”يجب أن نكشف جهودنا لدعوة الأقليات غير المسلمة إلى الإسلام“

وقد أظهرت ذلك في كتابي **«علم الاجتماع الخلدوني»** وقلت: إن **«ابن خلدون» كان صاحب نظريات وحقائق لم يسبقه بها أحد، وقد تناول ظواهر المجتمع كلها بشتى طبقاته ليعللها، وذكر ـ أيضًا ـ حديث القرآن عن الأقوام السابقة كيف عاشت وفسدت فبادت:**

□ وعن روّاد علم الاجتماع العرب ومشاهيره يقول:

في تاريخنا العربي أُناس كان لهم إرهاصات اجتماعية منهم **أبو حامد الغزالي** في كتابه **«إحياء علوم الدين»، وأبو الحسن الماوردي** في كتابه **«أدب الدنيا والدين»، وابن مسكويه** العلامة المشهور.

وجاء ـ أيضًا ـ بعد ابن خلدون **ابن الأزرق** وكتابه **«السياسة الاجتماعية»**، وللأسف ليس لدينا استمرارية في البحث والدراسة والتنقيب مثل غيرنا.. فقليل جدًّا من كتب عن **«ابن خلدون»**، ولذلك أتمنى أن يأتي من يواصل أبحاثي وتجاربي الميدانية، وكلها كتابة إسلامية تفيد أجيالاً وأجيالاً...

استفادات متعددة

□ وعن الاستفادة المرجوّة من علم الاجتماع ودراسته في هذا الوقت بالذات.. يؤكد د. الساعاتي هذه الفائدة، يقول:

نستفيد الكثير والكثير من علم الاجتماع، فهو يشترك في كل العلوم، الطب، والهندسة والعمران، اللغة، الديانات والعقائد، الفلسفة، وعلم النفس، القانون، الطبيعة والكيمياء والأدب و...

فمثلاً نستفيد منه في علم الجريمة.. إذا نظرنا إلى هؤلاء الذين يحبون أن يكثر الفساد أكثر وأكثر لتتضاعف أعدادهم «الشُّلّة».

وقد تقدمت بأحد أبحاثي في الجزائر جاء تحت عنوان **«أصول التنظير الخلدوني من القرآن والحديث»**. أُعجب أحد العلماء هناك بالبحث، وسألني: «أنت تخرجت في الأزهر الشريف؟ فقلت إن المسلم ملتزم بتعاليم دينه سواء تخرج في الأزهر أو

« ماتقدمه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مجال الدراسات الإسلامية يجب أن يحتذى في بلادنا الإسلامية جميعها »

في السربون أو أكسفورد. وتقدمت ببحث آخر في تونس بعنوان «تصنيف العلوم عند العرب وأصنافها عند ابن خلدون» ، ولي كتاب «بحوث إسلامية في الأسرة والجريمة والمجتمع»، ولي نظرية مهمة وهي موضوع رسالة الدكتوراه عن «التحليل الظرفي للجريمة أو الانحراف» وأقصد به أنه : عرف الشخص مسبقا هذا الظرف لما وقع في الجريمة .

فهذا سيدنا يوسف - عليه السلام - عندما اشتراه العزيز قال لزوجته : ﴿ أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا ﴾ يوسف ٢١، ثم أخبر القرآن الكريم عنه عند مرحلة زمنية معينة : ﴿ فلما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا ﴾ يوسف ٢٢ .

فلو نظرنا إلى امرأة العزيز التي أُعجبت بسيدنا يوسف وقالت ﴿ هيت لك ﴾ يوسف ٢٣ فهذا في علم الاجتماع «ظرف» فلو تنبأ العزيز لهذا الظرف لجاء عند سن معين وعزل يوسف عن زوجته، ولذلك ورد في الحديث الشريف عند سن معين ما معناه «وفرقوا بينهم في المضاجع» .

ويمكن أن أوجز حديثي في مدى الاستفادة من علم الاجتماع في حياتنا في كلمات معدودة : «**إن علم الاجتماع يتلمس مبادئ الطبيعة البشرية والسلوك البشري والتنظيم البشري** وذلك في حد ذاته هدف، بل يتعين تطبيقه من أجل تعزيز الإسلام في نفوس الأفراد وفي مجتمعاتهم من حولهم وبينهم وبين هذه المجتمعات، بل وفيما بين المجتمعات أنفسها، وترتيبًا على ذلك فإن علم الاجتماع الإسلامي شأنه في ذلك شأن أي علم آخر، ذو جانبين يتعين عليه المضي خلالها هما : الجانب البحث (النظري) والجانب التطبيقي .

إطار أشمل

□ وعن دور عالم الاجتماع المسلم في هذا المجتمع خاصة تجاه الدعوة الإسلامية وأحوال المسلمين يقول عالم الاجتماع د . الساعاتي :

أتصور أن من واجب عالم الاجتماع المسلم أن يقترح لنا الوقت الذي تكون فيه الثورة الثقافية أو النهضة الحضارية ليست مرغوبة فحسب، بل ممكنة أيضًا، وعليه أن يبين لنا الزمان والمكان الذي يتيح الفرصة الفضلى لنجاح الأنشطة التطويرية، سواء أكانت عامة أم تحت إشراف الدولة والمسؤولين، وقد يكون من العسير أن نجد في الوقت الحاضر مسلمين - أفرادًا - يشاركون في الدعوة الإسلامية بجهد منتظم وكبير، بل إن بعض الحكومات الإسلامية التي لديها القدرة والفرصة لكي تقوم بمثل هذه الجهود النشطة، تمارس جهودها داخل الدولة الإسلامية، وبالتالي فعلى الرغم من وجود بعض الجهد في مجال الدعوة إلا أنه محدود المدى والفاعلية لتركيزه في الداخل، فمثل هذه الأمور ليس هناك أفضل من عالم الاجتماع لكي يوضحها لنا ويكشف النقاب عنها بصراحة وبجدية .

وبالإضافة إلى ذلك، فإن علماء الاجتماع يجب عليهم أن يحللوا المشكلات وكشف مشاعر الإحباط تجاهها، والأحلام التي لم تتحقق لأولئك الذين اعتنقوا الإسلام تحت تأثير المد الإسلامي وقيمه الإنسانية، إننا نرفض دعاوى المستشرقين القائلة بأن الإسلام انتشر بحد السيف، كما **علينا أن نعرف كيف نظر المسلمون الأوائل في آسيا وأفريقيا وأوربا إلى الإسلام باعتباره حلًا لمشكلاتهم وقلقهم،** وماذا قدم المسلمون في بلادنا لهؤلاء، وماذا يجب أن نقدمه حاليًا .

وأود أن أذكر في هذا الصدد أن هناك نوعين من الناس يجب أن تتجه إليهم الدعوة الإسلامية : النوع الأول هو الأقليات غير المسلمة في الدول الإسلامية، والنوع الثاني، الغالبية غير المسلمة في الدول التي يعيش بها أقليات إسلامية في يومنا هذا، ويجب أن نتجه إلى النوعين معًا لدعوتهم إلى الإسلام .

□ وفي كلمة أخيرة وهو يختتم حديثه، يقول د . الساعاتي :

أتمنى تدريس علم الاجتماع الإسلامي في جامعات الوطن العربي من الخليج إلى المحيط، بل في عالمنا الإسلامي مثلما فعلت جامعة الإمام «محمد بن سعود الإسلامية» بالرياض وهو اتجاه يجب أن يحتذى في هذا المجال .

الهيئات التي أسهم فيها د . الساعاتي بجهوده العلمية

- عضو لجنة الفلسفة والاجتماع في المجلس الأعلى للثقافة في مصر منذ أوائل الستينيات، ومنذ خمس سنوات أصبح مقررًا لها .
- عضو المجلس القومي للثقافة والإعلام والآداب، وعضو شعبة الثقافة والشؤون الإنسانية به .
- وعضو «المجمع العلمي المصري»، أقدم هيئة علمية في مصر أنشأها علماء الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م .
- وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

أما الأوسمة والجوائز التي حصل عليها :

- وسام الجمهورية من الطبقة الثانية سنة ١٩٧٧م
- الدكتوراه الفخرية في الدراسات الإسلامية من كلية الإمام الأوزاعي الجامعية للدراسات الإسلامية/ بيروت سنة ١٩٩٠م .
- جائزة الدولة التقديرية في مصر في مجال العلوم الاجتماعية/ ١٩٩٢م .
- جائزة الملك فيصل العالمية في علم الاجتماع الإسلامي/ عام ١٤١٣هـ وقد رشحته لها جامعة عين شمس والمجلس الأعلى للثقافة ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

□ □

مكانة العلم في القرآن

إن الإسلام كما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ينوه كثيرا بالعلم ويعتبره الأساس في نهضة الأمم ورقيها الصناعي وازدهارها العمراني، ونموها الزراعي، واتساعها التجاري. فهو الذي يرقى بالحياة، ويجعلها جديرة بأن يحياها الإنسان وينعم بها، باعتبار الإنسان خليفة في الأرض كما جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة ﴿ وإذ قال ربُّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ الآية ٣٠ - وعن معاذ ابن جبل - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لله قربة.

لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء والزينة عند الأخلاء، يرفع به الله أقواما فيجعلهم في الخير قادة تُقتَفَى آثارُهم ويُقتَدَى بفعالهم، وينتَهَى إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كلُّ رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والتفكير فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعة يُلْهَمُهُ السعداء ويُحْرَم منه الأشقياء »[1].

العلم الذي يطلبه الإسلام

والعلم الذي يطلبه الإسلام من المسلمين هو الوحي كتابًا وسنة، عقيدة وشريعة، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة» وفي العقيدة يقول القرآن الكريم: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ محمد ١٩.

وفي الشريعة يقول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وفي رواية أخرى وكل مسلمة[2].

والعلم المفروض على المسلم هو العلم الذي يطلب العمل به: فالعلم مثلا بأحكام الصلاة فرض. والعلم بمعرفة الحلال والحرام فرض، وهكذا كل ما وجب عمله على المسلم وجب عليه العلم به، وأية عبادة من العبادات في الإسلام لا تقوم على علم بأحكام تلك العبادة فهي عبادة باطلة، لا تقبل بحال من الأحوال، فالله سبحانه وتعالى لا يعصى بمعصية أشد من معصية الجاهل.

العلوم المستمدة من الوحي

ومن المعروف أن العلوم المستمدة من الوحي الإلهي يمكن إجمالها في العلوم التالية:

١ - التوحيد (توحيد الله سبحانه وتعالى)
٢ - علم التفسير.
٣ - السنة النبوية.
٤ - السيرة النبوية.
٥ - علم الفقه (العبادات، والمعاملات، والحدود).
٦ - التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية.
٧ - العبادات (الصلاة - الصوم - الزكاة - الحج).

وما وراء ذلك من علوم الكون، والعمران، فهو مما يدعو إليه الإسلام ويحث عليه؛ لكي يعرف الإنسان سنن الله سبحانه وتعالى في الكون وأسراره في الخلق وحكمته في الوجود. ومن ثَمّ يستطيع السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لسعادته ورفاهيته، وتطوره وتقدمه.

العلوم الكونية والإنسانية

ودراسة العلوم الكونية والإنسانية لا تقل في أهميتها - في نظر التربية الإسلامية - عن دراسة العلوم الشرعية، وهي العلوم التالية:

علوم الطبيعة، علم الفلك، علم الكيمياء، علم الأحياء، علم النبات، علم طبقات الأرض، علم الجغرافيا، علم التربية، علم النفس، علم الاجتماع، علم التاريخ والحضارة إلى آخره.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَم ينظرُوا إلى السَّماء فوقهم كيف بنيناها وزيَّنّاها وما لها من فُرُوج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي، وأنبتنا فيها من كل زَوج بهيج، تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب ونَزَّلنا من السماء ماءً مباركًا فأنبتنا به جنَّات وحَبَّ الحصيد، والنخل باسقات لها طلْع نضيدٌ رزقا للعباد، وأحيينا به بلْدة ميتا ﴾ ق الآيات ٦ - ١١، وقوله تعالى: ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ الروم ٢٢.

أليس في هذه الآيات ما يقطع بأن تحصيل علوم الكون من طبيعة، وحياة ونبات، واجتماع، ونفس، وتاريخ من صلب الإسلام وصحيحه وبالإضافة إلى هذا فإن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في أكثر من آية أنه سبحانه وتعالى قد

والسنة

بقلم: د. تركي رابح

سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض جميعا، والتسخير هو التهيئة للانتفاع بها، وهل ينتفع بها مع الجهل بها، والغفلة عنها (٣)؟

مكانة العلم في الإسلام

أ ـ العلم أساس العمران:

الإسلام دين القوة والحياة، ولذلك يدعو المؤمنين إلى الأخذ بأسبابها، ومن هنا كانت حكمة الحديث الشريف «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل، قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان» (٤).

ب ـ الإسلام ضد الرهبانية:

فالإسلام لا يرضى للإنسان أن يسلك مسلك الرهبانية لما في ذلك من تعطل يتنافى مع عمران الأرض التي استخلفه الله فيها. كذلك يأبى الإسلام تكالب الإنسان على جمع المال لنفسه فقط لما فيه من أثرة وطغيان مادي، وإنما يقيم نظامه الاجتماعي والاقتصادي على الاعتدال والقصد بين الدين والدنيا، إلى الحد الذي يوفق بين حظوظ الجسد المعتدلة، وحظوظ الروح المعتدلة، بلا إفراط ولا تفريط.

جـ ـ العلم في الإسلام قوة:

والعلم في الإسلام قوة لأنه يحقق للمسلمين الأغراض المذكورة؛ فالعلم يكشف عن أسرار الكون، ويسخرها لمنفعة الإنسان ويستخرج كنوز الأرض من بترول وغاز طبيعي، ومعادن مختلفة، ويستغلها لخير البشرية، وبحكمة العلم تستقيم السياسة العامة للناس، وتتجه وجهة الخير والإصلاح الاجتماعي والثقافي، والعدالة بين الناس. كما أن العلم يحفظ على الصناعة قوتها، ويجدّد شبابها، ويعمل على إنهاضها وتقدمها، ومن هنا يتضح لنا أن العلم في مفهوم التربية الإسلامية ـ منذ ظهور الإسلام ـ هو أساس التقدم في كل أوجه النشاط الزراعي والصناعي، والمالي، والتجاري، والاقتصادي، والعلم من جهة أخرى هو أمضى سلاح في محاربة الآفات الاجتماعية الثلاث وهي:

١ ـ الجهل.
٢ ـ المرض.
٣ ـ الفقر.

القرآن والعلم

ومن أجل ذلك كله ـ أي كون العلم في الإسلام قوة ـ حث القرآن الكريم على تعلم العلم، ووجه أنظار الناس إلى بحث الكائنات، وتعرف خصائصها، وأسرارها، والانتفاع بها في إقامة الحياة السعيدة الكريمة للإنسانية. كما وجه الفكر الإنساني إلى التأمل في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، بقصد معرفة نواميس الحياة الطبيعية من أجل السيطرة على ظواهرها وتسخيرها لفائدة الإنسان وسعادته ورفاهيته في هذه الحياة.

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تمجد العلم، والعلماء، مثل قوله تعالى:

﴿ وقل ربّ زدني علما ﴾ طه ١١٤، وقوله تعالى: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ الزمر ٩، وقوله تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتُوا العلم دَرَجاتٍ ﴾ المجادلة ١١، وقوله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فاطر ٢٨، وغيرها من الآيات التي تمجد العلم والعلماء في القرآن الكريم.

وقوله تعالى: ﴿ وكذلك أوحينا إليك رُوحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتابُ ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به مَنْ نشاء من عبادنا، وإنك لَتَهْدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ الشورى ٥٢، ٥٣.

ومن الآيات الداعية إلى النظر والتفكير في رحاب الكون الفسيحة قوله تعالى: ﴿ إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفُلْك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد مَوْتها وبثَّ فيها مِنْ كلِّ دابَّةٍ وتصريف الرياح والسحاب المسخَّرِ بين السماء والأرض لآياتٍ لِقوم يعقلون ﴾ البقرة ١٦٤.

منهاج العلم في القرآن

منهاج العلم في القرآن الكريم هو منطق النظر والاستقراء، وهو منهج يقوم على المشاهدة والبرهان الحسي، والتفكير المنظم المبني على الواقع، أي على الحقيقة الخارجية الموضوعية.

والقرآن في هذا الميدان حافل بالآيات التي تأمرنا بالنظر في الظواهر المحيطة بنا. وهو يحضنا على استخدام العقل والحواس معًا، والتأمل في ملكوت الله سبحانه وتعالى.

وقد سفَّه القرآن التقليد والإذعان، وجَرْي الخَلَفِ وراء السلف دون برهان أو تفكير. يقول القرآن في هذا الصدد: ﴿ وإذا قيل لهم اتَّبعوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالوا بل نَتَّبِعُ ما ألفينا عليه آباءنا، أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ البقرة ١٧٠، ولذلك لم يحتكم الإسلام في إثبات رسالته إلا إلى التأمل والعقل والتفكر، ومنع اتباع الهوى والظن، وجعل البرهان والحجة أساس الإيمان، يقول الله ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، إنْ تتبعونَ إلا الظنَّ وإن أنتم إلا تَخْرُصُون ﴾ الأنعام ١٤٨، ويقول سبحانه: ﴿ وما يتَّبع أكثرُهُم إلا ظنا إنَّ الظنَّ لا يغني من الحق شيئا ﴾ يونس ٣٦، ويقول عز وجل: ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ الإسراء ٣٦.

ويلاحظ أن القرآن الكريم يأمرنا كثيرا باستخدام العقل وسائر الحواس

مكانة العلم في القرآن والسُنّة

استخداما أساسه المشاهدة والاختبار. فالعين يجب أن ترى، والأذن يجب أن تسمع، والعقل يجب أن ينظر ويفكر، وهذا هو منطق الاستقراء ومنهاج العلم الصحيح، وهو ما تقوم عليه فلسفة التربية الإسلامية وعملية تكوينها للأفراد والمجتمعات.

وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الحواس، ودلّ على نعمة الله على الإنسان، حيث منحه إياها بخلاف بقية المخلوقات الأخرى. يقول تعالى: ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ النحل ٧٨، وقوله ﴿ ألم نجعلْ له عينين، ولسانًا وشفتين، وهديناه النَّجْدَين ﴾ البلد ٨ ـ ١٠.

والعلم في القرآن الكريم يشمل كل أنواع المعرفة. ومجالاته تتصل بكل ما ينفع البشر في دينهم ودنياهم وفي معاشهم ومعادهم، وفي أجسامهم وأرواحهم، وهذا أمر طبيعي باعتبار الإسلام نظامًا كاملاً خالدًا للبشر كافة، ينتظم شؤون الدين والدنيا معًا، يقول الرسول ﷺ: ﴿ إن الله أنزل عليَّ القرآن آمرًا وزاجرًا، وسنة خالدة، ومثلا مضروبا، فيه نبؤكم وخَبَرُ ما قبلكم ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم لا يُخلِقُهُ طول الردّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صَدَقَ، ومن حكم به عَدَل، ومن خاصم به فلح ومن قسم به أقسط، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، عصمة لمن تمسّك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيُقوّم، ولا يزيغ فيُسْتَعْتَب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد ﴾ [٥].

وقد اشتمل القرآن الكريم على (٦٢٣٦) آية منها نحو (٧٥٠) آية كونية، وعلمية، احتوت أصولاً وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة وما وراء الطبيعة، والأحياء، والنبات، والحيوان، وعلم طبقات الأرض، والأجنة، والوراثة، والصحة، والصحة الوقائية، والتعدين، والصناعة، والتجارة، والمال، والاقتصاد... إلخ.

أما بقية الآيات الأخرى فقد احتوت على الأصول، والأحكام في المعاملات وعلاقات الأمم والشعوب، في السلم والحرب، وفي سياسة الحكم، وإقامة العدل، والعدالة الاجتماعية والتضامن الاجتماعي، وكل ما يتصل ببناء المجتمع. وفي رسم شخصية المسلم الكامل، خُلقا وأدبا وعلما، وفيما يجب أن يحتذ يه من المثل العليا، وما يتحلى به من مكارم الأخلاق، وهذا كله بخلاف العبادات والعقائد، والتكاليف، وبخلاف القصص، وما احتواه من مواعظ وأمثال وغير ذلك من شتَّى أمور الدين والدنيا، مما كان محلا للدراسة والاستنتاج والتخريج والتأصيل. والبحث والتنقيب، وكان أساسًا لعلوم الفقه، والتفسير والحديث، والأصول، والأخلاق، والاجتماع، والبلاغة، والأدب وغيرها من العلوم سواء أكانت عقلية أم نقلية[٦].

مكانة العلم في القرآن والسنة

وخلاصة القول في مكانة العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن تعلم العلم وتعليمه هو الخير كله. وذلك بالذهاب إلى العلماء، ومعاهد التعليم المختلفة والبحث عن دقائقه. والعلم سبب الخشية من الله سبحانه وتعالى، وتمام الثقة به، وفيه الهداية والإلهام إلى الرشد وتنوير القلب، ويدعو إلى الورع، ويبعد عن الفتن، والكبرياء والخيلاء والعُجُب، وطالبه يسلك طريق الجنة، وكذلك من ساعده وأمده وأعانه. واجتماع قوم لدراسة القرآن سبب رحمة الله وفيضه، وغوثه، هذا إلى أن كل شيء يطلب المغفرة للعالم العامل بعلمه، والعلم عنوان العز، وباب العلاء، ونور الحق، والخلّ الوفي، وهو خير مكتسب، وأعظم مطلب، يهدي إلى الحق، ويزيل الأذى. وطلبه أفضل من صلاة النافلة، والعالم يشفع فيمن يجب له الخير يوم القيامة. والله سبحانه وتعالى وعد ألا يعذبه، وخير العلم ما قربك إلى ربك. وإن موت العالم خسارة على الأمة، وخلل في بنيانها، وكوكب غاب في سمائها [٧] يميز الإنسان بين الحق والباطل. والخير والشر، والصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح. والنافع والضار، فهو للعقل كالنور للعين، لا يستغنى عنه بحال من الأحوال، ومن ثم كانت قيمة الإنسان على قدر تحصيله منه. قلّ ذلك أو كثر.

الإسلام ليس عقيدة فقط

ويلاحظ في هذا الصدد أن الإسلام باعتباره خاتم الأديان ليس مجرد عقيدة فقط مثل بقية الديانات السابقة عليه، ولكنه عقيدة وشريعة في وقت واحد إلى جانب أنه علم وعمل، وعقل وخلق، وعبادات ومعاملات، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾ الأنعام ٣٨، ولذلك فهو يعالج حياة الإنسانية من جوانبها كافة.

أمّا الديانات السابقة على الإسلام فقد كانت تعالج جانبًا واحدًا من جوانب الحياة البشرية وغالبا ما يكون جانبا خاصًا، فاليهودية مثلا كانت تهتم بالجوانب الروحية المحضة، وقلما تتعرض لغيرها من مشكلات الحياة، وكذلك الديانة المسيحية.

وأما الإسلام فقد امتاز عن غيره من الديانات السماوية بأنه تناول جميع مشكلات الحياة المادية والروحية في وقت واحد، ووجه عنايته إلى الأجسام كما وجهها إلى الأرواح، واهتم بالوصايا الخلقية كما اهتم بالعلاقات التشريعية، وعُني بالأفراد كما عُني بالجماعات، ولم يترك جانبًا من جوانب الحياة أو مشكلة من مشكلاتها الأساسية إلا عرض لها، بالوصف، والتحليل، والتشريع، ثم بالعلاج إن احتاجت إلى علاج.

القرآن الكريم قدّر العقل

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجده قد قدر العقل الإنساني كل التقدير، وجعله ميزة للإنسان استحق بها خلافة الله في أرضه، وبها احتمل الأمانة التي عجزت عن حملها الأرض والجبال والسموات.

وقد أشار القرآن إلى العقل ومشتقاته، ومترادفاته في نحو ٣٥٠ آية في

مختلف السور، فسماه العقل والفكر والنظر. والرأي والفقه، والرشد والذكر، واللُّب، والنهى، والحجر، والقلب، والفؤاد، والحكمة، والبرهان والبينة والهدى (٨).

نظام تربوي شامل للإعداد للدنيا والآخرة (٩)

ويلاحظ أن الدين الإسلامي نظام شامل للتربية والإعداد للحياة الدنيا وللآخرة، وذلك طبقا للآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوْا إلى ذكر الله وذَرُوا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإذا قُضِيت الصَّلاةُ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ الجمعة ٩، ١٠. وقد جاء في الأثر «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»، وجاء في الحديث النبوي الشريف «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا خيركم من ترك الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه». وجاء في القرآن ﴿ وابتغ فيما آتاك اللهُ الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ القصص ٧٧. والواقع أن تاريخ الأديان السماوية ما هو إلا سجل لتربية الله سبحانه وتعالى للناس على يد رسله وأنبيائه، وهم أعمدة الإنسانية، ومصلحو الأجيال. وإن الصفات التي نجدها في رسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ كما تتجلى في القرآن الكريم، وفي كتب السيرة النبوية يجعلنا معجبين به غاية الإعجاب، ومكبرينه غاية الإكبار، على القدوة الحسنة التي ضربها لنا في صبره وحلمه، أو عطفه وحزمه، أو علمه وقيادته الحكيمة على السواء، وبهذا يتصف النبي ﷺ بالمعلم الناجح الذي بهر أصحابه، كما بهر قومه، وغيّر مجرى حياتهم، فهو معلم ممتاز أتقن مادته وطريقته كما أنه مربٍّ ممتازٌ تجلت في ذهنه أهدافه التربوية التي ربى عليها أتباعه إلى يوم الدين (١٠).

الهوامش

(١) رواه ابن عبد الله في كتاب العلم إلى النبي ﷺ ورواه موقوفا على معاذ بن جبل رضي الله عنه - انظر جـ ١ من كتاب الترغيب والترهيب للحافظ أبي محمد ص ٩٤-٩٥ المكتبة العصرية لبنان سنة ١٤٠٨.

(٢) رواه ابن ماجه وغيره - انظر كتاب الترغيب والترهيب جـ ١ المرجع السابق ص ٩٩.

(٣) راجع الأستاذ سيد سابق في كتابه ﴿ عناصر القوة في الإسلام ﴾ دار الكتاب العربي - ط ٢ بيروت سنة ١٩٧٨ ص ٧٩-٨٠.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة من كتاب رياض الصالحين.

(٥) رواه الحاكم من رواية صالح بن عمر عن إبراهيم الهجري - وقال تفرد به صالح بن عمر عنه وهو صحيح انظر جـ ٢ من كتاب «الترغيب والترهيب» من الحديث الشريف - ص ٣٥٤ المكتبة العصرية - بيروت ١٩٨٧.

(٦) سيد سابق - عناصر القوة في الإسلام - دار الكتاب العربي - بيروت ط ٢، ١٩٧٨ ص ٧٨-٧٩.

(٧) انظر كتاب ﴿ الترغيب والترهيب ﴾ من الحديث الشريف جـ ١ طبعة ١٩٧٨ المكتبة العصرية - بيروت ص ١٠٧.

(٨) سيد أبو المجد ﴿ الملكات العقلية في القرآن الكريم ﴾ كتاب المحاضرات العامة للموسم الثقافي الثاني ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠ الجامع الأزهر ص ٧٧-٨٠.

(٩) أحمد حقى الحلي ﴿ التربية والتعليم في الحضارة الإسلامية ﴾ مجلة دراسات عربية وإسلامية - العدد الثاني - السنة الثانية ١٩٨٢ بغداد ص ١٧٣.

(١٠) راجع كتاب «دراسات في التربية الإسلامية» للدكتور تركي رابح ط ٢ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٧٨ من ص ١٠ إلى ص ٣٤.

صبّارة جدلي



في السنوات الأخيرة ازداد إقبال حركة الترجمة في بريطانيا على الأدب الذي تكتبه المرأة العربية، ولا سيما في الرواية والقصة القصيرة. وإذا أخذنا الترجمة كشاهد إثبات على الجودة والقيمة الأدبية فمن المؤكد أن الذين يترجمون للمرأة العربية لا يتعاملون مع بضاعة كاسدة. وهذا الكتاب دليل على ما نقول على الرغم من أنه يأتي من بلد عربي واحد هو مصر، ومن جيل أدبي ما زال يشق طريقه في عالم الكتابة، ومن جنس أدبي معين هو القصة القصيرة.

ويضم الكتاب ١٩ قصة قصيرة انتخبتها المستعربة الشابة مارلين بوث، وترجمتها وصدرتها بمقدمة ضافية. وهذه القصص التسع عشرة لثماني كاتبات مصريات جديدات، هن على التوالي: سلوى بكر، سهام بيومي، منى رجب، اعتدال عثمان، ابتهال سالم، نعمات البحيري، رضوى عاشور، سحر توفيق. أما المترجمة نفسها، مارلين بوث، فجديدة أيضا على عالم الاستعراب، نالت الدكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة أوكسفورد عام ١٩٨٥م، وتعيش حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية، مع أن الكتاب نشرته في لندن دار كورتيت.

وفي مقدمتها الضافية لقصص الكتاب معلومات مفيدة للقارئ الإنجليزي عن الكاتبات الثماني وتجربتهن في الكتابة، وكذلك عن تطور فن القصة القصيرة في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر، وهو فن نشأ مع ظهور الصحافة والمجلات بصفة خاصة، وتأثر بأساليب القص الموروثة من التراث العربي والأدب الشعبي مثلما تأثر بأساليب القصص الأوربية الوافدة، في بناء العقدة ورسم الشخصيات، على عكس ما تعتقده المستعربة وكثير من الباحثين الذين نسبوا نشأة القصة القصيرة في أدبنا الحديث إلى الاستيراد المباشر من الثقافة الغربية على حد تعبير المترجمة.

وتعتقد المترجمة أيضا أن هذا الجيل الجديد من الكاتبات قطع علاقاته مع طرق التعبير الواقعي. فهن متمردات - كما تقول - على الواقعية والكتابة التقليدية، وساخطات على وضع المرأة واتكالها على أريحية الرجل. وهن أيضا يكشفن الغطاء عن الجانب المجبر على الصمت في المجتمع، أو النصف المهمش في هذا المجتمع. وهن أخيرا مختلفات الأسلوب والأفكار والأداء، ولكنهن ميالات إلى التجريب في الشكل إلى حد التجريد. ومع أنهن قاهريات أو من المدن عموما فصلتهن بالريف واضحة. وجميعهن من خريجات الجامعة، ومنهن أستاذة جامعية هي رضوى عاشور، وأربع صحفيات.

ومن الصعب - بالطبع - أن نلخص قصة قصيرة، أو عملاً أدبيا. ولكن من الممكن الحديث بشكل عام عن موضوعات هذه القصص، ومن الملاحظ أنها جميعا تركز على حياة المرأة المعاصرة في مصر بمختلف طبقاتها واهتماماتها. وتدور حول صراع المرأة وعنائها داخل مجتمع غير ساكن، وهو مجتمع يقوده - على حد تعبير المترجمة - انفتاح رأسمالي متسيب، وتحيز سياسي للغرب، وروح استهلاكية مفرطة، وتضخم مالي مرتفع، وزحام سكاني، وتلوث بيئي متزايد، وضغوط اقتصادية من كل نوع. ومع ذلك، أو ربما بسبب ذلك، لا نجد بين الكاتبات الثماني واحدة تكتب للتسلية، أو تروي حكاية مسلية مثل حكايات شهرزاد.

ومع أنه لا توجد إشارة داخل الكتاب إلى نبات الصبار الذي جاء في عنوانه، فالقصص ذاتها لا تخلو من المرارة والأشواك التي تميز ذلك النبات الصحراوي المعمر.

د. علي شلش

«عَينَينِ وَلِسَانًا وَشَفَتَينِ»

د. إبراهيم الراوي

قال الله تعالى: ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ فصلت٥٣. مشيرًا إلى أن هناك أسرارًا في هذا الجسم البشري العجيب، نبه الله الأذهان إلى أن المستقبل سيكشف هذه الأسرار المدهشة يومًا بعد يوم (سنريهم - للزمان المستقبل - آياتنا «عجائب خلقنا» - في الآفاق - علوم الكون - وفي أنفسهم «علم الطب وفسلجة الجسم البشري» حتى يتبين لهم «للمعاندين المصرّين على الحنث العظيم - على الكفر والإلحاد العظيمين - أنه الحق! وهذا تحدٍّ لعقول الجبابرة من علماء القرن العشرين يجعلهم يسجدون لخالقهم العظيم صاغرين، عندما يتبين لهم أنه الحقيقة الصادقة التي دحضت كل نظرياتهم التي كانت تعتمد على الاحتمال والظن ﴿ إن هم الا يظنون ﴾ الجاثية ٢٤، ﴿ إن يتبعون إلا الظن وأن الظن لا يغني من الحق شيئًا ﴾ النجم ٢٨.

يقول الله تعالى: ﴿ ألم نجعل له عينين، ولسانًا وشفتين ﴾ البلد ٨، ٩.

يريد الباري - عز وجل - بهذه الآية أن ينبه العقول إلى معجزة ظلت خافية أربعة عشر قرنًا على البشر حتى اكتشفوا العلم الحديث اليوم. والله أعلم بكل خلية تتمتع بالحياة وتعمل في جسم الإنسان ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ الملك١٤. لماذا ركّز في قوله على العينين وربطها باللسان والشفتين؟ إن النظر بعين واحدة يرى فيها الإنسان الأشياء في صورة تختلف عما يراها عليه في كلتا العينين. النظر بكلتا العينين يعطي للأشياء تجسيمًا وروعة ووضوحًا لا يوجد في النظر بعين واحدة. اشتراك العينين سوية في رؤية الأشياء يشكل جهازًا خاصًا ومهمًا في الرؤية. ويوضح هذه الحقيقة استعمال العينين في آن واحد للنظر إلى الأشياء بواسطة الناظور المكبّر. أما إذا نظرت بعين واحدة خلال جهاز الناظور فإنك ستحرم من كثير من روعة النظر المجسّم وهيبة المنظر وجمال المنظورات وتناسق أجزائها وألوانها. قال «عينين» ولم يقل «أذنين» لأن الإنسان إذا ما فقد السمع بإحدى أذنيه استطاع أن يسمع بأذن واحدة دون أن يؤثر ذلك في عملية السمع أو يحدث خللاً أو اضطرابًا أو تغييرًا في سماع الموجات الصوتية والنبرات والنغمات وتحسس درجاتها أو اتجاهاتها أو أنواعها أو التلذذ والتمتع بها. مثلاً: إذا سمعت صوتًا يطربك منبعثًا من بلبل يغرد أو طفل محبّب ينشد أو يضحك فإنك تتمتع بهذه النغمات إذا استعملت أذنيك سوية أو أذنًا واحدة فقط، غير أنك إذا جربت النظر إلى طفلك الجميل، وهو يلعب في حديقة غنّاء بين الورود الزاهية، أو إلى مناظر طبيعية خلابة وألوانًا زاهية من نافذة سيارتك، وأنت تسير في نزهة، أو لعبة أو مسابقة في ملعب، إذا نظرت بعينيك الاثنتين إلى ذلك فسترى الروعة والجمال والبهجة والأنس. ولكن جرّب أن تغمض أو تربط إحدى العينين واستعمل عينًا واحدة فسترى الفرق الشاسع وأنت تخسر نصف نعمة الله عليك في التمتع بالمنظورات، فأنت ترى الأشياء وكأنها على غير حقيقتها، قد فقدت هيبتها وروعتها وجمالها. أما قوله تعالى: ﴿ ولسانًا وشفتين ﴾ فإن الجهاز الذي يصنع الكلام البشري بقدرة الله ليس اللسان وحده. فإن جهاز صنع الكلام يتركب من عضوين رئيسين هما (اللسان والشفتان). إن الكلام يتكون من كلمات، والكلمة تتركب من حروف، وإن كل حرف يصنعه بقدرة الله إما اللسان وإما الشفتان. فإن نطق الإنسان بكلمة (زار) تحرك اللسان وحده ليصنع هذه الحروف الثلاثة، ويستطيع أن ينطق بها حتى لو كان الناطق لا يملك شفتين، أما إذا اراد أن ينطق بكلمة (باب) فإن الشفتين وحدهما ستتحركان لتصنعا هذه الحروف دون أن يشترك اللسان في صناعتها، ويستطيع الناطق أن يتلفظ بها ولو كان لا يملك لسانًا. فجهازا صناعة أصوات الحروف لتشكيل الكلمة وتركيب الجملة المفيدة بعد ذلك هما اللسان والشفتان، ولكل منهما وظيفة مستقلة في تركيب أصوات الحروف الخاصة بكل منهما على انفراد، ولا يشترك أحدهما في وظيفة الآخر أو يتدخل في واجب صاحبه، بل ولا يستطيع أحدهما أن يصنع حرفًا واحدًا هو ليس من اختصاصه، فاللسان مجردًا من الشفتين عاجز عن لفظ كلمة (باب)، والشفتان وحدهما من دون اللسان عاجزتان عن لفظ كلمة (زار). وهكذا فإن الكلمة المركبة من حروف متنوعة مثل كلمة (زبر) لا يمكن لفظها إلا باشتراك اللسان والشفتين في صناعتها في آن واحد وجنبًا إلى جنب وكل منهما يؤازر الآخر. فكلام الإنسان الذي يتكون من آلاف الكلمات والجمل والسطور لا يمكن له أن يتم إلا إذا اجتمع اللسان والشفتان سوية وفي آن واحد لصناعة أصوات حروفها، فيتمتع بروعة اللفظ ويحس بنعمة النطق. أما إذا حدث أي خلل في عضلات أو أعصاب اللسان أو الشفتين فإن الإنسان يفقد نعمة النطق والكلام العذب، كما يفقد روعة الرؤية ويحرم من بهجة جمال الطبيعة لو عجزت إحدى العينين عن الرؤية وقام الإنسان بالنظر بعين واحدة. ﴿ ألم نجعل له عينين ولسانًا وشفتين ﴾. ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ سبأ ١٣.

نظرات في فكر «الأميري» وشعره



عمر بهاء الدين الأميري

بقلم: مصطفى تاج الدين

عن أستاذي الراحل عمر بهاء الدين الأميري - يرحمه الله - كنت أرجع لنفسي في أحايين كثيرة، أسائلها من أين أبدأ جولاتي ؟ وعم سأتحدث فيها ؟ وكيف أقول ؟

إن ما بأيدينا من المراجع عنه قليل، وإن إمكاناتنا المعرفية ووسائلنا النقدية أضعف من أن تحيط بتجربة فكرية شعرية كتجربة الأميري، ولذلك أعترف منذ البداية بأن هذه الدراسة لا تدعي لنفسها إلا ما يجهر به عنوانها، والعناوين إرهاصات للمقاصد ودلائل عليها، إن هي إلا نظرات في فكر الأميري الفذِّ وشعره الثرِّ، مرادها الوفاء ولو بالقليل المتيسِّر، والنزر المتحصل لعَلَمٍ من أعلام الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة .

الأميري بين الفكر والشعر

يلحظ الدارس لإنتاج الأميري ذلك التمازج بين الفكر والشعر، لا يحضر أحدهما إلا ويستدعي الآخر لأهميته وركنيته في ذات المبدع، فلا قيام للشعر بمعزل عن الفكر، ولا نهوض للفكر في غياب الشعر، وإنما هما متعانقان متعاشقان - بتعبير الأميري نفسه ما داما يصدران عن ذات واحدة ومصدر واحد تحكمهما «علاقة انبثاق من ذات الإنسانية الموحدة» (١) وكثيرا ما تجد له أشعارًا مبثوثة هنا وهناك في أحناء كتبه الفكرية كما في «رحاب القرآن» (٢) و«الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري» (٣) ومزجًا بين الشعر والفكر في ديوانه «حجارة من سجيل» (٤).

وسبب هذا التنوع في إبداع الأميري شمول التربية التي تلقاها منذ صباه حيث رسخ في نفسه الولوع الشديد بكل مظاهر الجمال المحيطة به، ونمت بينه وبين الطبيعة والناس علاقة عشق وهيام زاد من حرارتها واشتعالها طبعهُ الرقيق ومزاجه الوديع، وذوقه الأنيق، وسرعة انقداحه التلقائي كلما عرض له عارض من هموم الحياة ومشكلاتها .

لقد تربى الأميري تربية شاعرة، فلا جرم أن تتفجر ينابيع شعره الفوارة منذ الصغر وفي سن التاسعة عشرة تحديدًا، ولَعَمْري إن البداية المبكرة سبب في النضج المبكر وعامل من عوامل نضج الملكة وقوة العارضة ورسوخ القدم في مجال القول الشعري . ولا يخفى أثر الزمن في الإبداع إذا انتهزت سوانح فُرَصه وملئت فراغاته، ولعل اهتمام الأميري بالتحصيل العلمي ألزمه الانشغال بالقضايا الفكرية المرتبطة بتخصصه وغيره مما شغل كل ذات موحدة محترقة بنار الغربة، مصلية بلهب الواقع الإسلامي المتردي، فمال إلى االبحث عن أسباب تخلف المسلمين عن الركب الحضاري ووسائل النهوض بهم، وما يستلزم ذلك من انشغال بالصراع الحضاري الدائر بين الغرب والإسلام، وبهموم الصحوة الإسلامية ومشكلات الدعوة وعوائقها، فكان شعره صدى لأفكاره جاهرًا بها مفصحًا عنها . وفكره لحمةً لأشعاره وصدى لها، وهذا ما يتيح لنا الحديث عن الأميري الشاعر المفكر، والمفكر الشاعر دون تردد أو شك ودون تمحل وتقعر في البحث عن الشواهد والاستدلالات .

الأميري المفكر الشاعر

ليس قصدي، ، وأنا أتناول فكر الأميري، التطرّق للقضايا التي ضمتها كل كتبه، وإنما سأقتصر على ما ورد في كتابه الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة، متخذاً منه نافذة أطل منها على مجموع عطائه الفكري، ومبتعدًا قدر الإمكان عن إطلاق الأحكام والتصنيفات لأن ما بأيدينا من إنتاج لا يغني في ذلك شيئًا .

تدور مجمل أفكار الأميري حول ما سماه «الفقه الحضاري»، وجعله وسيلة في البحث عن الطريق اللاحب المستقيم في كل مجالات المعرفة، ويشير الأميري تلميحًا إلى أنه صاحب المصطلح ومبدعه، فـ«الفقه الحضاري



نظرات في فكر الأميري وشعره

اصطلاح جديد لمنهج سديد في البحث والفهم والسلوك يتوخى توفير الضمانات اللازمة لمعرفة الحقيقة وممارسة الحياة السوّية» (٥) فما المقصود بالفقه الحضاري إذًا؟

الفقه عند الأميري فقه كلي، شيء أعمّ من فقه العقائد والأحكام والمعاملات إنه: «فقه الحياة، كل الحياة، إنه الفقه الحضاري، وهو المنهج الأسدّ في البحث والعلم والفهم والسلوك، فهو ملكة وثقافة وخطبة وأسلوب وممارسة ومنهجية سلوكية عامة» (٦) وهذا هو الفهم المقصود من مثل هذه الآيات ﴿وإن مِن شيء إلاّ يسبِّح بحمده ولكن لا تفقهونَ تسبيحهم﴾ الإسراء ٤٤ ﴿ فلو لا نفر مِن كل فِرقَةٍ منهم طائفةٌ لِيَتَفَقَّهوا في الدين ولِيُنذِروا قومهم إذا رَجَعُوا إليهم لعلهم يحذَرُون﴾ التوبة ١٢٢، ومن حديث رسول الله ﷺ «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» (٧).

«لا يمكن للأرض المحتلة أن تفك أغلالها إلا بسلاح الإيمان»

وأما الحضارة عنده فهي تحقيق غرض الوجود البشري في إعمار الأرض وفق نواميس الله بأسمى شكل تتجلى فيه إنسانية الإنسان الخليفة (٨) وهي خلاصة تركيبية لمعطيات الثقافة والمدنية.

ولقد جعل الأميري للفقه الحضاري عناصر أربعة مفسرة لمعانيه، مفصلة لمراميه مما يعطي للقارئ إحساسًا بعمق ما يقول ما دام مبنيا على الحجة والبرهان، مجانبًا للسطحية والابتذال على الرغم مما يجهر فيه من بساطة التناول وسهولة المأخذ وهي:

أ ـ **الاستيعاب الحضاري**: أي تحصيل المعارف الإنسانية بكل ملابساتها وأجوائها وتفرعاتها.

ب ـ **النظر الحضاري**: وهو البحث والنظر فيما تم استيعابه لانتخاله والاستفادة منه نظريا وعمليا.

ج ـ **الإدراك الحضاري**: وهو خلاصة التجربتين الأوليين وحصيلتهما.

د ـ **السلوك الحضاري**: الخروج بالفقه الحضاري من الحيز النظري إلى التطبيق العملي، ولعل إحاطة الأميري باللغة الفرنسية ودراسته بالمجتمع الفرنسي أعانه على الإلمام بمعطيات الحضارة الغربية، فقد قرأ لألكسيس كاريل وجارودي وآلان بوزنس واستشهد بأمثال شبنجلر، ترومان كايوت وماكس مولر وغيرهم، فأتى على هذه الحضارة من القواعد نقدًا وتعرية وإبرازًا لتعارضها مع الحضارة الإسلامية جماليًّا وإنسانيًّا، مع تأكيده على عنصر الحوار بين الحضارات المعاصرة، وفي هذا يبدو لنا تأثره الواضح بجارودي، ولعل الفكرة لاقت قبولاً في نفسه ذات النزوع الإنساني المتفتح. يقول: «وفي اعتقادي أن حوار الحضارات قد أصبح ضرورة ماسة يحتمها تفاقم البلاء والشقاء في ظل سيطرة الحضارة المادية المعاصرة، التي تعالت وتوالت صيحات العلماء والمفكرين يحرمونها ويعلنون نذر الخطر منها داعين إلى تدارك الأمر قبل فوات الإبان والإمكان (٩).

حضارة الطين تستوفي نهايتها	في الشرق والغرب من قانونها الوبق
عاشت وعشنا بها القرنين في كبدٍ	حربَ الفناء، وسِلمَ الهمّ والأرق
قد أفلس العلم عن إسعاد عَالَمِهِ	ها نحن رغم عطاء العلم في رهق
حضارة الكدح للتصنيع تطحننا	تريق ذاتية الإنسان في خَرقِ
يا ابن الهدى يا فتى القرآن دعك من	الأوهام جَلْجَلَ أمرُ الله أن أَفِقِ
أنت الخليف لما آتته من أكل	أنت الطهور على أدرانها اندفق (١٠)

الأميري الشاعر المفكر

عرف الأميري شاعرًا أكثر منه مفكراً. والحقيقة أن هذا سر عبقريته ومدار تميزه من غيره، فهو نوع «من الشعراء الذين يصنعهم الشعر وليس يصنعون الشعر؛ ذلك بأن الفنان الذي لا يحقق كينونته إلا من خلال الفن، يكون الفن من غير شك هو صانع الفنان وليس العكس» (١١) بل إن ذات الأميري الشاعرة تتمدد وتتشعب في كيانه الكلي لتصبح المغذي الإنساني لرؤيته لكثير من القضايا الفكرية والسياسية.

ولنا هنا أن نتساءل عن مفهوم الشعر ـ والشعر الإسلامي تحديدًا ـ عند عمر بهاء الدين من خلال تجربته له وقصته الطويلة المشبوبة بالوله والعشق والهيام مع الإبداع والتي دامت ما يزيد على نصف قرن من الزمان.

يشغل الاشتعال الوجداني والانقداح الجناني حيزا مهما في تعريف الأميري للشعر، ولعل هذا يبرز أثر ما للحركة الرومانسية فيه مع تقابله معها في عدم الإغراق في الذاتية المنعزلة والنزوع الفردي المنكمش، والإيمان بهدفية الإبداع ووظيفيته، متأثرًا بثقافته الإسلامية بشكل يختلف أيضًا عن نظرة الكثيرين من الأدباء الإسلاميين، فقيمة الشعر عنده تتجلى في «عمق انقداحه من الداخل منسجمًا مع سجيته» (١٢) دون «أي تقصد يراعي عقله وفكرهُ» (١٣) وكأني به هنا يفك معضلة شغل بها النقد والإبداع الإسلاميان هو ثنائية الإلزام والالتزام، ذاتية الإبداع ووظيفيته، ويظهر الأميري في شعره وقد نجح إلى حد بعيد في القبض على طرفي المعادلة في توازن وتعادل عجيبين مثيرين فالذي يقول:

أنا في الجهاد أخوض لل	إيمان معترك الكفاح
أنا في فلسطين الطهو	ر مع الفداء بكلِّ ساح
أنا في صراع الدهر أط	لب للعلىٰ ما لا يتاح
الصبر دين مذهبي	والصبر مفتاح الفلاحْ

هو نفسه الذي يقول وفي القصيدة نفسها:

وأنا على هذا أغرد	للجمال ولا جناحْ
أهز من سحر اللحاظ	أميل ما أهتز الوشاح

"الشعر عنده يستمد قيمته من قيمة الإنسان المسلم"

عَـــفّ على ظمـــأ وفي	متنـــاولي الغيـــد الملاح
أهفـــو وأحجـم والتُّقىٰ	بين التبـــاسٍ واتضـــاحْ
شعـــري وذوبُ حشـــاشتي	شعـــري زئير في نـــواحْ
أغفـــو على حلم الهوىٰ	والمجـــد في عينيَّ صـــاحْ (١٤)

الشعـر الإسـلامي إذن شعـر ذاتي في المنطلق والعمق، جماعي في الهدف والرسالة لا تقصد فيه ولا تمحـل ولا تقعر ولا إلزام، وإنما هو انسيـاب عفوي للمشاعـر والأفكار، وفي هذا النـوع من الإبداع تفرد وتميـز وإشراق لا يتمتع به أغلب النتـاج الإسـلامي الذي يـرزح تحت ثقل الإغـراق في التعبير عن الهمـوم الجماعية والمشكـلات المصيرية، وكأن ذات المبدع لا حق لها في جلاء معـاناتها الفردية ومشكلاتها الخاصة، وكأن الإبـداع لا يعتبر إسلاميًّا إلا إذا شممت منه رائحة البارود والنـار، وانبعث منه هدير المدافع والدبـابات، وانطلق من زحفه النقع المثار كما في أدب الالتـزام الاشتراكي الذي لا تقرؤه حتـى يزكم أنفك من دخان المعامل وعرق العمال على حد تعبير أندريه جيد.

فالشعـر عند الأميري ـ وإن تعـددت مضامينه وتنوعت مـوضوعاتـه ذاتيًّا وجماعيًّا إنما يستمـد قيمته «مـن قيمة الإنسان المسلـم، ولو قـال في أي غرض معنى من المعاني كان» (١٥) ويَمتحُ إشراقتهُ من إشراقة الإسلام وجدارته في ذات الشاعر (١٦). ومن هذا المنطلق يعـرف الأميري الشعر الإسـلامي تعريفـًا وافيا فهو غير الشعر المرتبط بالفقه أو الـدعوة أو التحرك الإسلامي، وإنما كل شعر يعبر عن العواطف الإنسانية وجمال المخلوقات وجلال الله وكمال الوجود في أية ناحية من نواحي الإسلام هو شعر إسلامي» (١٧).

والواقع أن شعـر الأميري لا يفتأ يغرينـا بتناوله بـالبحث والدراسـة والنقد والمقارنـة وإجراء حفر وسبر في أغواره العميقـة المتشعبة وقد اخترنـا الكلام على المحاور الآتية :

أ ـ اللغـة.

ب ـ تعدد المضامين وتنوعها.

ج ـ ذاتية الانتماء وذاتية الوعي عند الأميري.

د ـ الروية والارتجال.

أ ـ اللغـة :

يظهـر من شعـر الأميري ـ يـرحمه الله ـ رسـوخ في معـرفـة اللغـة، وإلمام بأسرارها وخباياها، فهي في يده مطـواع يشكلها كيف يريد، وفي خياله منقادة يوجهها كيف يشاء، يتكلم من سِلْخِهَـا ويتحدث من عمقها، لا تـرهبه ولا تعجـزه، ورغم ذلـك فهي ليسـت غايـة في ذاتها، وإنما هي وسيلـة للإبـلاغ والإيصال. وبمعنى آخـر نقول : إن الشاعر يعتبر لغتـه لغـة توصيلية إشارية ولا يهتم بها من حيث تشكيل جمالي، ولهذا فهي تغـرق في أمـواج الشعـور المتلاطمة وتتحول الحروف إلى أشباح في قـدر كبير من الانزياح عن المواضعات القاموسية والشروح اللغـوية المجردة (١٨) ومن هـذا المنطلق يـرفض كل تقعـر لغوي وتمحل في جلب المصطلحات الصعبـة وتسكع لقرضة الكلمات المبهمة، وإذا كنا نتفق مع الأستـاذ عبد الرحمن حـوطش في أن اللغـة الشعريـة الأميرية بلغت الأوج والقمة واستحقت بذلك مركز القدوة للشعراء الإسلاميين الآخرين يحلون في ضوئها مشكلة اللغة الشعرية (١٩) فإن هذا لا ينسحب على كل إنتاج الأميري، فتركيزه على وظيفية اللغة أوقع بعض أشعاره، وهي ليست بالقليلـة، في الـوضـوح والمباشرة فجـاءت مفتقـدة للكثير من رونق الشعـر وجمال البنـاء يقول :

اللّـــه أكـــبـــر دوّت	تـــزلـــزل الكفـــار
هـي الغيـــوب تنـــادي	أن الـــزمـــان استـــدارا
فصحـــوة تتنـــامى	قـــدعّمت الأمصـــارا
وفي فلسطين زحـــف	يشتـــد ليـل نهارا
صـــار النســـاء رجـــالاً	قـــاد الصغـــارُ الكبـــارا (٢٠)

ب ـ تعدد المضامين وتنوعها :

الحقيقة أن شعر الأميري ـ في مجموعه ـ تنتظمـه رؤية موحدة للكون والحياة والذات، إلا أن المقـارنة التحليلية تقتضي نـوعًا من التقسيم الإجـرائي الذي لا مناص منه لتتم عملية الفهـم والاستيعاب لمكونـات النص الشعري المدروس، وعليه يمكن التمييز عند الأميري بين مجموعتين من القصائد :

★ واحدة يصدر فيها الشاعر عن تجربة شعورية فردية خاصة.

★ وأخرى يصدر فيها عن تجربة شعورية جماعية عامة.

تمتد التجربة الفردية عند الشاعر من ذاته ووجدانه لتشمل محيطه الصغير : نفسَهُ، والديـه، زوجته، أبناءه ومعارفه، ويوغل الأميري في شفـافية الإبداع، فإذا نفسه نفس مضطربة، يتنازعهـا الإقبال والإحجام، وتتقاذفها نوازع الطين وفيـوضات السماء، قلقـة تنزع إلى الهوىٰ، منكمشـة باردة، فإذا شعـاع الإيمان المشرق ينتشلها فتمضي صُعُدًا مشتعلـة مشبوبة. إنها النفس اللوّامـة الخافقة في حنايـا كل إنسان، فـذاتية الأميري ـ كما سنرىٰ ـ ذاتيـة مفتوحـة تشمـل الأنا والغير، وتتجاوز الفرد إلى الإنسـان الكل، ولهذا استحـق الشـاعر لقب شاعر الإنسانيـة المؤمنـة.

إن هذا التقابل بين لوحتين نفسيتين تظهـران طبيعة الإنسان انجلى واضحاً في ديوانيه «مع الله» و «ألوان طيف» وكـان الدافع لإصدار هذا الأخير تصحيحُ تصور خـاطئ للناس عن حقيقـة الشـاعر البشرية رسخه فيهم ديـوانه الأول، وإظهار الـذات في جانبهـا الواقعي الأرضي بعيـدًا عن المثال الصـوفي الخالص المفارق لجوهر الإنسان. يقـول :

يـا ضميري كم ذا تنغِّص أنسـي	عَمـــرك الله لـــو رأفت بنفسي
فحيـــاتي العنـــوت عبء رَزَاحٌ	وهمومي رحى تـــدور بـــرأسي



نظرات في فكر الأميري وشعره

والمروءات حـــافـــز مستبـــد   وليـــالي الخواء تـــوهن بـأسي
فـإذا مـــا المحتُ بـــارق لَهْوٍ   من حـواشي الحياة يـرحمُ بُـؤسي
واشرأب الصبـا المكـبل بـالأعبـاء يـرنـو إلى عـلالــة كأسي
وسرت في اللّهـــاة نشـــوة ريٍّ   متمنّى، لما تـــزل رهـن حبس
دبّ منـك التـأنيب فيّ دبيبـــًا   يا ضميري، ورحت تحتزّ أنسي (٢١)

وتختلج نفس الشاعر ثائرة متوثبة بين إسار الكائن وانطلاقات الممكن ومن أروع ما عبر به عن هذا المعنى قوله :

أغفـــو على حلـم الهوىٰ   والمجـــد في عينيّ صـــاحْ (٢٢)

وقولـه :

نفسي تثـــور على نفسي وتسألني   هدىً يفوق سجايـا الناس أخلاقًا (٢٣)

وهنـاك شعــر صــدر فيــه عن احتراق جماعي فتحـدث عـن هموم الأمـة ومشكلاتها، وأدخل الشعر إلى ساحة المعركة الحضارية متغنيا بالأمجاد الأثيلة، ساخطاً على الأوضاع الخبيثة، ومبشرًا بإشراق وانبـلاج، ويربط الشاعر في هذا النوع من القصائد بين قضايا الوطن الصغير والكبير في غير عصبية وضيق أفق، فقد وصف الوحدة المصرية السورية الفاشلـة قائلاً :

أجل إنــه فقــر الــرجــال أتى بهم   قــديما فأقض حَظَّهم في العلى الفقــر
فإن وُسِّـدوا أمـرَ البـلاد ومـا ارعـوت   سيـاسـاتهم فـالشر مُعقبـه ضُــرّ
هموم البرايـا كلهــا هَـــمُّ مهجتي   وقلبي وأوطاني هي البـؤبؤ الـوفر (٢٤)

وأفرد للقضيـة الفلسطينية ديوانًـا كاملاً، سماه حجـارة من سجيل، وهذا الاهتمام بـالقضية في شعـره مرده إلى ركنيهـا في فكره ووعيـه، كما رأيناه يقـول في قصيدة هي عنده أعمق قصائده الفلسطينية :

قـد كـابـروا الله واستعلـوا على سَفَـهٍ   مُنى كــواذِبُ، دعـــوى غير معتنقِ
وأعلنـوهـا ومـا خـاضـوا معامعهـا   ولا أعـــدّوا لها إعـــداد ذي حـــذقِ
فكـان من أمرنـا مـا كان من فشـل   هـــذي محافلهـــم مهـــزومـــة المزقِ
جـــرح، وأعمق من صبر ومن جلـــد   خـــرق وأكبر من عَمْـــرٍ ومـن رَتَقِ
بلى نُكِبنـــا بها قـــد نـــاب أمتنـــا   والخطب من قلبنا في أعمق العُمُقِ (٢٥)

ويمتح الأميري من رؤيـة إسلاميـة مشبعة بالتفاؤل والأمـل والثقـة بنصر الله :

ليـل بهـم مــــــدلهمْ   مُ بيـــد أن الـــديك صـــاحْ
الصبـح موعدهـــــم بكـم   ستعـــود تزدهـــر البطـــاحْ
ويهزكـــــم ويهز كـــــلْ   لَ الكـون : حـيَّ على الفـلاحْ (٢٦)

ج : ذاتية الوعي وذاتية الانتماء عند الأميري :

سمحت لنفسي استثمار هـذين المصطلحين باقتباسهما مـن د. محمد أحمد حمدون (٢٧) والذي بدوره استفادهما من إريك إريكسون وآدم كيبرل. ولا تعني الذاتية هنا مذهب التعبير الفردي المقـابل للمذهب الموضوعي، بقدر ما تعني «التصور للذات في جانبيها الفردي والجمعي» (٢٨) وأما ذاتية الانتماء فالمقصود بها أن الذات المبـدعة تكـون دائما تحت تأثير أشياء حسية ومعنـوية مـرتبطة بها ارتباطًا وثيقًـا، وتشكل هذه الأشياء إرثًا يحتضن الذات احتضـانا واعيا أو غير واع وسرعان ما تنفجر معبرة عن مضامين هذا الإرث معجبة به متغنية بأمجاده، وقد تثور عليه وتتنكب طريقـه فتعبر عن ذلك أيضا ولكنها في كلتا الحالتين لا تخرج عن إساره أو تندّ عن سلطته، وبالنسبة للذات المسلمة يُكون هذا اللإرثُ تاريخهـا ودينها وعقيدتها وهموم أمتهـا وقضاياها. وهـو ما نجده عنـد الشعراء الإسلاميين دون استثناء.

وأما ذاتيـة الوعي ـ وهـو ما يهمنا هنـا ـ فإنها «تحتل أقصى الطـرف المقابل لذاتية الانتماء، إنها الصفة التي يملكها الجميع ولا يستطيع أن يعبر عنها سوى الندرة(٢٩) وفيها تقوم الـذات المبدعة بفك جميع الارتباطـات المذهبية الانتمائية

الهـوامش

(١) من حوار لـه في برنامج شعر وفكر بتلفزة الإمارات العربية المتحدة.
(٢) ط ١ ـ دار القرآن الكريم بيروت ١٤٠٦ هـ.
(٣) ط ١ مؤسسة الشرق للنشر والترجمة ـ الدوحة ـ قطر ١٩٨٣ م.
(٤) ط ١ ـ دار الثقافة ـ الدوحة ـ قطر ١٤٠٩ هـ.
(٥) الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة السابقة ص ١٤.
(٦) المرجع السابق ص ١٦.
(٧) الأميري : الإسلام وأزمة الحضارة ص ١٦.
(٨) نفس المرجع ص ١٤.
(٩) نفس المرجع ص ١٣.
(١٠) نفس المرجع ص ٢٥ ـ ٢٦.
(١١) عبـد الرحمن حـوطش : نظرات في الشعـر الأميري من خـلال «ألوان طيف» مجلـة الإحيـاء ع ١ من السلسلة الجديدة ص ١٩٨ المغرب.
(١٢) من حواره برنامج فكر وشعر بالتلفزيون الإماراتي.
(١٣) نفس المرجع.
(١٤) انظر سلسلة شعراء الدعوة الإسلاميـة في العصر الحديث ج ٢ ط ١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٨ م ص ٢٦ ـ ٢٧.
(١٥) من حواره البرناج السابق.
(١٦) نفس المرجع.
(١٧) نفس المرجع.
(١٨) عبد الرحمن حوطش المعطيات نفسها ص ١٩٩.
(١٩) نفس المرجع ص ـ ٢٠٣.
(٢٠) الأميري : ديوان «حجارة من سجيل» المعطيات السالفة ص ٧١ ـ ٧٢.
(٢١) عبد الرحمن حوطش نفس المرجع ص ٢٠٢.
(٢٢) سلسلة شعراء الدعوة المعطيات نفسها ص ٢٧.

للتعبير عن أشد الحالات النفسية عمقا وبرؤية كونية جامعة مما يتطلب احتراقًا خاصًا، وانقداحًا فريدًا، كما نجد عند محمد إقبال الإسلامي وطاغور الهندوسي وجوتـه المسيحي ولوتسو الصيني الذين بلغوا بإبداعهم مبلغًا إنسانيًّا تختفي فيه كل الارتبـاطات والانتماءات، وهـو ما توافـر لدى الأميري في كثير مـن أشعاره حتى حظي من خلالها بلقب شاعر الإنسـانية المؤمنـة. واتضح هذا الاتجاه في أبياته وقصائده عن أمـه الحبيبـة وأولاده يقول معبرًا عن اتجاهه الإنساني الخالد حيث احتوى «قلبه الكبير حب الأبناء، جميع الأبناء»(٣٠).

مـــا لك يـــا قلبي على الـــدروب تبحث عـن كل حشـــا منكـــوب
تصنع مـن أنـــاتـــه وجيبـــي هل أنت يا قلبي أبـو القلوب؟! (٣١)

د ـ الرويـة والارتجـال:

الروية حـالة طبيعية في الشعر، لما تتيحـه من وقت كاف لاستقصاء المعنى المقصود، واستجداد العبارات والتأنق فيها بتعبير حازم القرطاجي (٣٢) وأغلب شعـراء العصر الحاضر مـروّون؛ لما يتطلبـه الارتجال من امتلاك لـزمـام اللغـة وعمق في الخيال وسرعـة استجابة لـلاستفزاز، وهـذا ما لا يتوافـر إلا لقلـة من الشعـراء جعل الأميري لنفسه مكـانًـا بينهم، مما يعطينـا انطبـاعا واضحًـا عن شاعريته المنسابـة وسموقـه الفني.

ففي محاضرة لـه عن مقام الإنسان في الإسلام سـأله سائل «ما رأيك في قول بشار بن برد.

إبليـس من نـــــار وآدم طينـــــة والطين لا يسمـــو سمـــوّ النـــار

وسـاد تجهم وصمت لم ينفـرجا إلا بعـد قليل، حيث جـاء الجواب المفحم وصفق له جمهور الحفل طويلا:

إبليـس من نـــــار وآدم طينـــــة والنـــــار لا تسمـــو سمـــوّ الطين
النـــــار تفنـي ذاتها ومحيطهـــــا والطين لـــلإنبـات والتكـــوين (٣٣)

يرحـم الله الأستـاذ عمر بهاء، فقـد كان مثالاً في شعـره، قدوة في حيـاته، ذواقًـا في كل شيء.

(٢٣) عبد الرحمن حوطش نفس المرجع ص ٢٠٣.
(٢٤) عبد الرحمن حوطش نفس المرجع ص ٢٠٠.
(٢٥) الأميري: حجارة من سجيل المعطيات نفسها ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٢٦) حجارة من سجيل ص ١٥٠.
(٢٧) محمد أحمد حمدون نحو نظرية للأدب الإسلامي ط ١ إصدارات المنهل جدة المملكة العربية السعودية ١٩٨٦ ص ١١٩ ـ ١٢٤.
(٢٨) نفس المرجع ص ١٢٠.
(٢٩) نفس المرجع ص ١٢٣.
(٣٠) سلسلة شعراء الدعوة ص ١٥.
(٣١) نفس المرجع ص ١١.
(٣٢) حـازم القرطاجني المنهاج تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجـة ط ٣ دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٦ م ص ٢١٢ ـ ٢١٦.
(٣٣) الأميري: الإسلام وأزمة الحضارة ص ـ ٢٨.

قاعدة العمل



يحرص كل مسلـم أن تكبر قـــاعـــدة العمل الإسـلامي، ويهتم المسلمون في كل مكـان بأن يكـون لهم صوت مسمـوع، وذلك من أجل مـزاحمة الآخـرين في دعـواتهم، والوقـوف أمـام من يتعمـدون تحدي المسلمين والإضرار بهم.. وهذا شعور طيب، لكنه في حاجة إلى منهج مرسوم، وقاعدة صلبة ينطلق منها.

والأمـر في مبـادئ الإسـلام سهـل ميسر. ووفق تعـاليم وتنظيم شريعته بين وواضح. ودور مفكري المسلمين ومهمة قـائدي التـوجيـه أن يفهمـوا ذلك جيـدًا ويسيروا في خطين متوازيين في توجيه الشباب ورعايتهم:

ـ خط مخاطبة عقـول الشبـاب بشرح الفكر الإسـلامي العـام في الأمور العلميـة التي تخاطب وجدانيـاتهم، وتتطلع إليها أفئدتهم لأنها شعـار الانبهار في حضارة الغـرب اليوم: كالاقتصاد والسياسة والتكنولوجيا، والأحياء، والفيزياء، والتكافل الاجتماعي. وغيرها من وسـائل التقـدم العلمي في الدول المتطـورة.. بـاعتبـار أن هـذه الأمـور التي تركـز عليهـا أيديولوجيات العصر الحاضر، وتخاطب بها عقول الشباب، مع إبانة أن الإسلام قد سبق إلى هذه الأمور وعالجهـا، وبرز فيها علماء المسلمين من قبل، واهتمت بذلك تعليمات وشرائع هذا الـدين أخذًا من قول الله تعالى: ﴿مـا فرطنا في الكتـاب من شيء﴾ الأنعام ٣٨. ومن قـول رسول الله ﷺ: «تـركت فيكم مـا إن تمسكتم بـه لن تضلـوا بعـدي أبدًا: كتـاب الله وسنتي».

وفي هـذا الخط يجب أن يستفيد الشبـاب ممـا حدث لإخـوانهم المتسرّعين والمتحمسين بدون علم ولا بصيرة، في أي مكان، ليتلافوا ما وقعـوا فيه من أخطاء باعدت بين الشباب، وبين مفهـوم الإسـلام والعمل وفق شريعتـه، حيث اتخذه بعضهم كحـزب سيـاسي ينتمي إليه، ويغضب له، وكعصبية قبلية يتحمس لها كما تحمس الجاهليون من قبل. مما نتج عنه زيادة الخلاف، وبعد المسافة بين الإسلام، وبين اتجاه هؤلاء.

وقد نتج عن ذلك، أن جـاءهم من يدعي العلم ليفسر لهم الأمور حسب هـواه، وما يصف لسانـه، لأن النية الصادقة مـا كانت مستقرة في قلبه، وإنما كـان يبحث عن جاه أو مال، لذا لم تثمر الأعمال، ولم تتحقق النتائج المطلوبة. ولو كان العمل مقصودًا به وجه الله لكـانت النتـائج طيبة، فـالله مع العـاملين المخلصين. وفي الحديث القـدسي: «من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه».

ـ أما الخط الثـاني: فهو خط تربية الناشئـة.. وهؤلاء هم ما بين السـادسـة إلى الثامنة عشرة: بنين وبنات.. هذه الطبقة. هي التي أرى كثيرًا من المجتمعات الإسلامية تهملها، مع أن الإسلام أولاهم عنـاية خاصة. ومـا ذلك إلا أن الأعمال الفردية التي ترعـاهم ضعيفة الجهـود أو جاهلـة.. خـاصة في المدن التي يختلـط فيها أبنـاء المسلمين بغيرهم في التعليم العصري، طلبًا للوظيفة، وتسهيلاً لمجالات العمل المختلفة.

ولو أن المفكرين المسلمين في كل منطقة، ممن حمّلهـم الله أمانة العلم والتبليغ، وصفوا برنـامجًا مسـائيًّا يجتمع فيـه أبناء المسلمين في كل يوم بعـد العصر ولمدة ساعتين فقط، ويأتي القادرون من المسلمين علميًّا لمساعدة هؤلاء الناشئة تبرعًا، وإن كان في ذلك مشقة عليهم، إلا أن المسلم يجب أن يعطي من علمـه وجهده، وينصح من تجربتـه، فهذا ممـا فرضـه الله كجـزء من حق المسلم على أخيه المسلم، وخصـوصا المتعطّشين للعلم، والـراغبين في فهم الـدين. وكاتم العلم، والبخيل. متـوعـد على لسان رسـول الله ﷺ بالعقـاب الشديـد في الآخرة. من ذلك أنه يلجم بلجام من نار يوم القيامة، ولذا يجب أن يركز المسلمون في هذا التعليم على القرآن الكـريم والحديث الشريف، لأنهما أساس العلوم الشرعية ومصـدراها. ومن استظهـارهما تعرف العقيـدة والعبادات والمعـاملات.. وغير ذلك ممـا يربط الشبـاب بخالقه.

أما الأفكار والصراعات فلا تعطى لهم، بل يجب أن تصفّى أذهانهم في هذه السن من ذلك.. وخاصـة في النصف الأول من هذا العمـر حتى لا تتغلب أثرة الحيـاة على مطالب الدين، والمصالح المادية على الأمور العقدية.

د. محمد بن سعد الشويعر

مؤسس الحزب الشيوعي الفرنسي عندما تقلّب في قبره!

عاش طفولته وسنوات شبابه المبكر تتردد على مسامعه مقولة **كارل ماركس**: «**الدين أفيون الشعوب**»، وفي منزل جدّه يلتقي الشيوعيون كل يوم ليفرغوا قيئًا من الشعارات والأفكار التي تهدم ولا تبني.

ولم يكن بالأمر العجيب أن يشب **كليون توريز** معتنقًا أفكار **كارل ماركس** ورفيق دربه في الضلال **لينين**، ذلك أن «**كليون**» هو حفيد مؤسس الحزب الشيوعي الفرنسي **موريس توريز**، وأول من روّج ترويجًا منظمًا لأفكار الشيوعية المنحرفة التي قادت بلاده ـ فرنسا ـ إلى عوالم الانحلال والإجرام والتفكك الأسري.

لقد نجح **موريس توريز** في إفساد الكثير من شباب فرنسا، وأن ينقل إلى تلك البلاد العريقة في رأسماليتها أفكار الشيوعية، وينصب كارل ماركس ربًّا لشبابها من دون الله.

وفق توريز في مهمته وأسس أول حزب شيوعي فرنسي، واستطاع أن يجتذب حوله بعض أصحاب النفوس الضعيفة الإيمان، وصار سادن الشيوعية ليس في فرنسا فقط، وإنما في كثير من بلدان أوربا الغربية، وعلى الرغم من هذا النجاح إلا أنه لم يستطع أن يقضي على الفطرة السليمة لدى أقرب الناس إليه، فأسلم حفيده «**كليون**» وتسمى «**عبد الرحمن**»، وأسلمت حفيدته «**كاترين**» وصار اسمها «**فاطمة**».

سنوات في تونس والجزائر

إن رحلة عبد الرحمن توريز من عالم الضلال إلى عالم الإيمان رحلة طويلة أسهمت في تيسيرها إقامته مع والده في شمال أفريقيا لمدة تصل إلى اثني عشر عامًا، إذ عمل والده أستاذًا في تونس لمدة ست سنوات ومثلها في الجزائر، فكان لاحتكاك عبد الرحمن بمسلمي هذين البلدين الإسلاميين بداية تعرفه الحقيقي على الإسلام.

وأسهم في إقباله على التعرف على الدين الإسلامي **عدم اقتناعه بما روج له جده من أفكار شيوعية كان يرى فيها تناقضًا كبيرًا وتحليلاً ماديًّا خاطئًا نابعًا عن جهل بحقيقة الأديان وجوهر الكون** الذي يعمل في تناسق بديع يدل على أنه لا يسير بذاته ولا بد من وجود قوى مسيِّرة له تنظمه: ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾ يس ٤٠.

منارة مسجد القيروان في تونس



وتذكر ما كان يسمعه في أثناء إقامته في المغرب العربي من قول الحق تبارك وتعالى في حكم التنزيل: ﴿ **قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبُهِتَ الذي كفر** ﴾ البقرة ٢٥٨.

الإسلام قواعد منظمة

لقد جذب **عبد الرحمن توريز** إلى الإسلام ما لمسه فيه من موافقة لطبيعة البشر، وتلبيته لمطالب الآدمي الروحية والمادية، فهو ـ أي الإسلام ـ لم يعتبر الإنسان آلة من آلات البشرية تعمل بلا كلل دون حافز لمصلحة الجماعة، ولكنه أعطى كل إنسان على قدر عمله، وأشعره بقيمته فردًا وعضوًا في مجتمع، ولم يغفل في الوقت نفسه أن ينظم علاقة الفرد بغيره ومجتمعه في معادلة يندر أن يوجد لها مثيل في غيره من الديانات السماوية أو النظم الاجتماعية الوضعية، وهو ما لم يغب عن فطنة عبد الرحمن الذي درس الأديان الأخرى دراسة متعمقة، فلم يجد فيها ما وجده في الإسلام من هداية ربانية تقوم على أسس قوية وقواعد منظمة تتميز باليسر والوضوح.

دراسة الأديان السماوية والوثنية

أتاحت دراسات عبد الرحمن للعقائد السماوية والنظريات البشرية الأخرى ـ وفي مقدمتها الشيوعية ـ إدراك محاسن العقيدة الإسلامية، وكونها الشريعة الوحيدة التي تعالج مختلف جوانب حياة البشر بشمول منقطع النظير، تحقق العدالة الدنيوية وتضمن العدالة في الآخرة، كما أن الإسلام قدم

مفهومًا محددًا وواضحًا لفكرة الألوهية، مفهومًا يفهمه العالم والإنسان العادي، مفهومًا لم يتغير ولم يتبدل على الرغم من مرور أربعة عشر قرنًا على بعثة محمد عليه الصلاة والسلام، في وقت تعرضت فيه هذه الفكرة في العقائد الأخرى لتبديلات ذهبت بأصلها، وقادت أصحابها إلى الشرك بالله.

قارن عبد الرحمن توريز بين الإسلام والشيوعية والنصرانية واليهودية والعقائد الوثنية، فوجد الشيوعية التي تنكر الأديان وتنفي وجود الله، أوجدت لأتباعها بدلاً من إله واحد عشرات الآلهة، ممثلين في أعضاء اللجان المركزية في الأحزاب الشيوعية، ففيما يشقى العامل البسيط في المصنع والمزرعة من أجل نيل أدنى مطالب الحياة لأسرته، تبارى كبار قادة الشيوعية في اقتناء أفخر السيارات وأكبر القصور، وخصوا أنفسهم بكل ما حرّموه على أتباعهم من وسائل الترف، وقتلوا فيهم كل حافز للإبداع أو الحياة، وعاملوهم كما تعامل الآلة.

أما النصرانية فلم يكن أتباعها بأحسن حالاً من أتباع الشيوعية، حقيقةً إن وضعهم المادي جيد، بل ممتاز موازنة بغيرهم، لكنهم **روحيًا يعيشون في خواء دفع شبابهم إلى عالم المخدرات والجنس والفراغ الروحي**، فيما الآباء والقسس ما يزالون يناقشون ويختلفون حول طبيعة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، وحول إذا كانت واقعة الصلب المزعومة قد وقعت على الجانب الناسوتي فيه فقط أم على الناسوت واللاهوت معًا، وغير ذلك من الخزعبلات التي حرفت النصرانية وذهبت بها بعيدًا عما دعا إليه النبي الكريم عيسى ابن مريم عليه السلام.

وكشفت له خساسة طبع **اليهود** ما في العقيدة اليهودية المحرفة من تناقضات لا حصر لها، **فالزعم بأنهم شعب الله المختار يكشف عن مدى عنصريتهم واستخفافهم بغيرهم من خلق الله، ونزعتهم إلى السيطرة والسمو على الآخرين**، كما أن تحريفهم للتوراة قد أحال ما أنزل الله عليهم إلى غير ما عناه الخالق عز وجل، فصارت التحريفات تناقض الآيات الصحيحة، وامتدت افتراءاتهم إلى مس الذات الإلهية - تعالى الله عما يقولون - بنسب خرافات لا صحة لها إليه - عز وجل - وتشويه صور الأنبياء الكرام عليهم صلوات الله وسلامه بما فيهم أنبياؤهم.

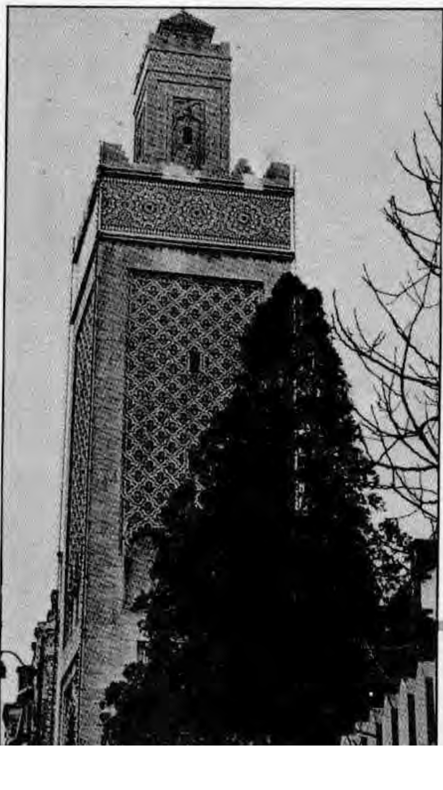
كذلك فإن **العقائد الوثنية** حفلت بمغالطات متعددة، **فلم يستسغ عقله فكرة تعدد الآلهة** أو ارتقاء بعض الزهاد إلى مرتبة الألوهية، ومن دراسته للتاريخ لم يصعب عليه أن يكتشف كون هؤلاء مصلحين اجتماعيين غالى أتباعهم في الارتفاع بهم حتى عبدوهم في نهاية الأمر متناسين طبيعتهم البشرية التي لا يختلف عليها اثنان.

ولم يفته أن يلحظ وجود عناصر تشابه بين النصرانية واليهودية المحرفتين وبين العقائد الوثنية التي اطلع على أصولها، ففكرة التثليث في النصرانية تلتقي مع فكرة الإله المثلث «فو» في البوذية وآلهة الهندوسية الثلاثة «براهما، فشنو، سينا»، كما أن الصورة التي تعلقها الكنائس زاعمة أنها للسيد المسيح عليه السلام مع والدته البتول مريم لها مثيل لدى البوذيين الذين يصورون بوذا مع والدته.

الاقتناع بالإسلام

انتهى عبد الرحمن من موازنته بين الأديان إلى الاقتناع الكامل بالإسلام دينًا من عند الله، ففيه توحيد لفكرة الألوهية والربوبية تقتنع به الفطرة السليمة، وفيه صفات إله يتوافر له الكمال في أرقى صوره، كما أن الإسلام لا ينكر ما سبقه من ديانات ويوقر أنبياء الله جميعًا ويعترف بهم، ولا يجعل مفاضلة بين البشر، ففيه أروع صور المساواة حين جعل عمل الإنسان أساس قيمته عند خالقه فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

مسجد باريس



وتذكّر وهو يدرس القرآن الكريم قول **العلامة فييني**: إن القرآن ليس بكتاب ديني فقط، بل علم وآداب، فيه بيان للحياة السياسية والاجتماعية، بل إنه يرشد الإنسان إلى وظائفه اليومية والأحكام السياسية التي تكمل شرحها السنة المطهرة إن لم توجد في القرآن الكريم.

غضب الضالين

لم يكن في مقدور عبد الرحمن إزاء كل هذه الحقائق إلا أن يشهر إسلامه حين بلغ الخامسة والعشرين من عمره، فأعلن ذلك في باريس أمام حشد من المسلمين في مسجدها عام ١٩٨٦م، وصار أحد أنشط أعضاء جمعية «صوت الإسلام» الفرنسية، وأسلمت أيضا شقيقته «كاترين» وتسمت «فاطمة» كما أسلفنا.

وكان لإسلامهما صدى كبير، إذ استقبله المسلمون بفرحة مكبّرين، فيما تعالت صرخات غضب النصارى والملحدين، وكان أعلى الأصوات غضبًا العنصري اليميني **جان ماري لوبون** الذي أوعز لصحيفة حزبه بنشر مقال حافل بالتجريح ضد **عبد الرحمن وفاطمة**، جاء فيه أن «ابن الشعب موريس توريز تقلب في قبره حين سمع أن حفيديه تنكرا له وصارا من أبناء محمد».

إلا أن هذه الحملات الظالمة لم تنجح في زعزعة إيمان عبد الرحمن وشقيقته قيد أنملة، وأقبلا في حماسة على أداء فروضهما الدينية، وممارسة شعائر الإسلام، وتعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم وصولاً لتدبر آياته أكثر.

وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه المحكم **﴿ يُخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنّى تؤفكون ﴾** الأنعام ٩٥.

التوبة وحدها لا تكفي

● رجل تسبب في مظلمة رجل آخر فسبَّب هذا الظلم على ذلك الرجل خللاً في سمعته على الأقل، وقد ندم الأول جدًّا حينما أدرك مع مرور الأيام أنه لم يستفد شيئًا وحينما كبر سنه وضعف بصره وانتشر ولده فهل يكفي الاستغفار ؟

س . م . ب . ض . م ـ القصيم ـ بريدة

□ الظلم مُحَرَّمٌ وقد جاء في الحديث القدس : «يا عبادي، إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا . . . الحديث» والظلم يتخذ صورًا كثيرة، منها تشويه السمعة بالتصريح أو التعريض، ومنها اقتناص الفرص للإيقاع، ومنها التضييق، ومنها القتل المعنوي وذبح الإمكانيات، ومنها التطاول، والظلم قد يتخذ صورة الحسد أو الكره أو النفور، والذي أعلمه هنا أن الاستغفار، وتقصد به التوبة لا تكفي بل لا بد من شيئين ضروريين :

١ ـ استباحة المظلوم وطلب صفحه .

٢ ـ رد اعتباره على وجه صحيح، أو رد حقه إليه كاملاً .

وبالنسبة لسؤالك فإن التسبب في تشويه السمعة لا بد أن يقابله ضده؛ ذلك أن السمعة لعلها من أهم أمور الشخص المسكين، ولعله لا يكفي في هذا التحايل على المظلوم بمجاملته، فهذا ظلم آخر، بل لا بد من الإقدام على الحق وإحقاقه وبيان الإخلاص جدًّا في طلب العفو منه ورد حقه سواء كان عرضًا ماديًّا أو معنويًّا .

وقولك في السؤال : وقد ندم الأول جدًّا حينما أدرك مع مرور الأيام أنه لم يستفد شيئًا . . . إلخ، هذا دليل على ضعف الإنسان وغلبة شيطانه ونفسه وهواه، وأن الإنسان مهما ظلم وكسب وبطر فلا بد أن يندم يومًا ما قرب أو بعد، والانتصار هنا غالبًا يكون للضعيف الغائب، والغائب له الله، وهذا ما يلزم الإنسان أن يكون منه على بينة قال تعالى : ﴿ **وأورثكم أرضهم** ﴾ وهذا حينما غُلب أصحابُ الحق فمرت الأيام فانتصر المظلوم، ولهذا فإن واجب المسلم النبيه أن لا يظلم فيهلك هلكة سيئة، بل يتجنب الظلم بجميع أنواعه . فإن ضعفت نفسه وغلبه هواه فظلم أحدًا بقصد أو بغير قصد فإن الواجب ما ذكرناه، وبهذا يريح نفسه ويعيش يوم يعيشْ ويموت يوم يموت وهو قرير العين مطمئن القلب .

كتابة التاريخ بين الحقيقة والتحريف

● هل ترون أن التاريخ كتب حسب الحقيقة منذ فجر الإسلام الأول ؟

حمود . م . أ ـ العراق ـ الموصل

□ كل أمة من الأمم، وكل شعب من الشعوب، وكل حضارة من الحضارات لا بد وأنها كتبت شيئًا بنفسها كتابة رسمية لإثبات خطواتها وتطوراتها وأحداثها ومبدأ أمرها الأول، ولا بد أنه كتب عنها بشكل أو بآخر كتابة مطلقة تخضع للشواهد والأدلة مما حصل، وكان وفي هذه الناحية فإن أية أمة من الأمم قد حفظ لنا منها ما يشير إلى قيامها، وما حصل فيها ابتداءً وانتهاءً، وهذا كله بصرف النظر عن تفصيل الحوادث في أية أمة خلت منذ أقدم الأزمان .

والتاريخ في جملته فيه صدق وفيه مبالغة، فيه تطويل وفيه اختصار، فيه رضا كما أن فيه غضبا . وتاريخ الإنسانية على وجه مجمل جدًّا كتب عنه مؤرخون أفذاذ مع ما في كتاباتهم من ملحوظات، فقد كتب في هذا : **الطبرى/ والمسعودي/ وابن كثير/ وابن خلدون/** وصاحب كتاب «الكامل» **ابن الأثير** وسواهم خلق ليس بالقليل .

وهناك من كتب فترة من الفترات فقط، وهناك من كتب واقعة حصلت، وهناك من كتب عن ناحية يدخل تحتها كل ناحية تشابهها ولا تختلف عنها، كحال من كتب عن الخلافة أو الأشخاص أو القضاة أو المدن أو الحروب والغزوات والفتوح . . . إلخ، كنت أرى أنه من الضروري تدوين هذه الأسطر قبل الإجابة على السؤال وذلك أن مقدمة مثل هذه المقدمة يشملها بحث يطلبه جواب كهذا الجواب .

فأذكر أن التاريخ الإسلامي منذ البعثة وحتى زمن (علي) رضي الله عنه مكتوب حسب حالتين :

١ ـ الاختصار

٢ ـ التطويل

وفي هاتين الحالتين كلتيهما نستخلص حقيقة تاريخ المسلمين إبان تلك الفترة العظيمة من تاريخ الإسلام المديد، لكن الملاحظ هنا وعلى ما دونته في كتاب «الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع» ط ٤ أن التاريخ في فجره الأول اعتمد على السرد والرصف والجمع فحصل بسبب هذا : إيراد أحاديث موضوعة وضعيفة وما لا أصل له ومنكرة وبدعية، فبهذا أصبح التاريخ حلقة طويلة من حلقات طوال يدخل فيها مصارع ومصارع فهم الذكي الحي النزيه وفهم المتكسب، وفهم ذي الهوى وفهم الناقل على العلات .

وعلى هذا فإن التاريخ كُتب ولم يكتب، كُتب مختلطا ومتداخلا ومسرودا، ولم يكتب بعد حسب السند الصحيح والنزاهة وتواتر الحاصل عن ثقات أمناء، ومن الصعب فصل التاريخ الإسلامي منذ فجر الإسلام الأول عن السنة الصحيحة الثابتة، والقرآن الكريم تنزل خلال هذه الفترة حتى وفاة الرسول ﷺ، وفيه حقيقة المراد عن هذه الفترة ما بين جهاد وتقرير وبيان وأحكام ودعوة . . . إلخ .

وهذه مداخل لا بد منها بل هي ضرورية للتدوين الحقيقي لهذا التاريخ . ولعلي بهذا أكون قد أشرت فقط إلى ملامح الجواب إذا لم يكن ما كتبته هو الجواب .

ردود خاصة

● الأخ . فالح . ن . ن . ل . . سورية :

قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه قيل : في [حمص] والله أعلم .

● الأخ س . م . م ـ الأفلاج :

يلزمك التقيد بتعليمات البلدية للمصلحة العامة، ويمكنك إذا لم تقتنع مناقشتهم .

من تجاربهم

تجربتي الشِّعرية

أحمد سويلم



يـومًـا . . توقفت عنـد هذه الكلمات التي كتبها الشاعر المجري ـ شندور بيتوفي ـ والتي تقول :

ليس الشعر قاعة استقبال
يجتمع فيها المتحذلقون من حثالة المجتمع
بقصد الثرثرة والمهاترة . .
إنما الشعر أعظم شأنا من ذلك
إنه مسكن مفتوح على مصراعيه
للسعداء والأشقياء على السواء
ـ يا من تود أن تكون صاحب قلم
تناول القلم إذا آنست من نفسك القوة
ثم تقدم إلى حيث لم يَخْطُ أحد قط
وإلا . . خذ محراثا أو قالب إسكاف
وألق من يديك عودك الجاف الحقير!

أدركت كم أن الشعر ـ صعب وطويل سلمه ـ وأنه معـركة نضال طويلـة بين الشاعر والـوجود بما يحمل من ماض وحاضر ومستقبل، هو إذن تجربة حياة وصراع، وموت، تجربة نجاح وإخفاق.

وهو إلى جـانب ذلك قلعة عظيمـة مطلّة على جميع أنهار وبحـار العالم، وفيهـا يمكننـا أن نلتقي بتلك الـوجـوه التي تتحـدى الـزمن، منـذ كتب هوميروس ملحمته الشعـرية العظيمة، حتى ذلك الجنين المنتظـر في بـاطن المستقبل، والـذي ينبئ بالجمال المثالي.

وقصتي مع الشعـر لا تخرج عن سـاحـات ودهـاليـز هـذه القلعـة التي تبـدو قلعـة حصينـة مسلحة، بالرغم من أنها مفتحه الأبواب والنوافذ.



ولا أدري ـ تمامًـا ـ متى كـانت أول طـرقة على باب هـذه القلعة، وإن كنت متأكـدًا من محاولاتي الأولى لهذه المغامرة، منذ فتحت عيوني على قراءات التراث الشعـري العـربي في تلك الكتب الصفـر القديمة التي كان والدي الشيخ ـ يرحمه الله ـ يحتفظ بها في خـزانته الخاصـة، بعيدًا عن عبث الصغـار، وكنت أتسلّل إليها في أثناء غيابه عن البيت، وأنهل منها ما أستطيع، حتى إذا أحسست بخطاه، أسرع بإعادتها والخروج لاستقباله، نافضا عقلي وقلبي من تأثيرهـا حتى لا يفطن إلى (جريمتي)، لكن يبـدو أنني كنت أحيط هذا الرجل الطيب بهالة من الهيبة المخيفة التي لم تكن فيه، ففي أحـد الأيام، فاجأني في غرفتـه، مستلقيا فوق صدري، وواضعًـا ديوان ابن الفارض أسفل وجهي، وأدمعي تملأ عيني من شدة التأثر بما أقرؤه، وحينما شعرت به فوق رأسي، قفزت من مكـاني، لكنه نظـر إليّ في حنان وحب، وأدرك كل شيء، فضمنـي إلى صـــدره، وبـــدأ يشجعني على القراءة في الشعر والتراث الشعبي.

وكعادة أبنـاء الريف، كان المسجد بـالنسبة لي مـدرسة ثقـافيـة جـامعة إلى جـانب المدرسـة التي تسقينا العلم، ومكتبتها التي نقرأ فيها دائمًا ما نميل إليه، وأذكـر أنني كنت حـريصًا على قضـاء ما بين العصر والمغرب في المسجد.

وأذكر أن أول علاقتي بالكتـابة كانت في صورة روايـة طويلـة بعنـوان (حب في الظلام) ثم تبعتهـا بقصص قصيرة ـ على قدر سِنّي وخبرتي المحدودة ـ مستمدًّا مضـامينها من الحيـاة في الريـف في بلدتي (بيلا) والتي تقع بالقرب من ساحل المتوسط شماليّ الـدلتا، إلى أن جـاء عـام ١٩٥٦م، وتلقّت مصر تهديدًا بعد تأميم قناة السويس، وامتنعت كل دول العالم عن مساعدة مصر عسكريا، وبدأت الدعوة للتبـرع لتسليـح الجيـش المصـــري وغنـى محمـد عبد الـوهاب أيامها أغنيـة (سلّح جيش أوطانك، واتبرع لسلاحه) فـانهالت التبرعات من أجل إنقاذ الكرامة المصرية، ووجدتني أكتب ـ بالعامية ـ على غرار هذه الأغنية متحمسًا، مشاركًا في هذا الشعور القومـي، ثم عـرضت مـا كـتبت على صـديقـي الأزهري ـــ حسن محرم الحويني ـ وهـو الآن مدرس بجامعـة الأزهر ـ فوجـدته يحفزني على إعادة كتـابة هذه المقطوعة بالفصحى.

لقد فجر صديقي في داخلي الشعر، ولا بد أنه أحسّ يـومها بهذا الاشتعال الكـامن الـذي لم أنتبه إليه، فاستفزّه، وحركه من ركوده ومكونه.

كـان الشعر لـديّ هو الكـلام الموزون المقفّى، وكان عليّ ـ كما فعل خلف الأحمر مع أبي نواس ـ أن أحفظ ألف بيت من الشعـر، ثم أنسى ما حفظت حتى أكـون شاعـرًا جيدا، وكـان عليّ أن أنهل من تـراث الشعـراء على مدى التـاريخ الشعـري حتى أحدث مدارسه :

المهجر وأبوللـو والديوان . . وأعجبني كثيرًا في قراءاتي الأولى : صعلكـة عروة بـن الورد، وبطـولة

من تجاربهم



عنترة، وشموخ امرئ القيس، وتجديد أبي العتاهية، وروميات أبي فراس، وفلسفة أبي العلاء، وقدرة ابن الرومي، وتفرد المتنبي، وتمرد أبي نواس، ودراما ابن أبي ربيعة، وشعبية البهاء زهير، وتحدّي البارودي، ومعاصرة شوقي وحافظ، ورومانسية ناجي وعلي محمود طه وجماعة أبوللو ـ وتأملات مدرسة المهجر وتجديد مدرسة الديوان.

سكن كل هذا في وجداني طوال سنوات ثلاث (١٩٥٦ ـ ١٩٥٩م) وحاكيت شيئًا منه في قصائدي وأنا أطالب في المرحلة الثانوية، تغمرني البراءة الثورية والحماسة الشفافة التي أستمدها من الإعلام السائد وقتها، ومما كنت ألقاه في الفصل الدراسي من الشعور الوطني الخالص، فكان شعري انعكاسا تلقائيا لا يحيد إلى دروب أرحب من هذا!

وأرحل إلى القاهرة حاملاً شهادة إتمام الثانوية العامة، وستة عشر عامًا لم أبرح خلالها هذا الريف التقليدي.

ويصل الشاب الريفي إلى القاهرة، تلك المدينة الصاخبة، التي صبغت شعرها بالقهوة السوداء، وانطفأت فيها براءة الطفولة، وتفككت مفاصلها، وبدت تجاعيدها، وامتلأت بالمفارقات والتناقضات.

ووجدت نفسي في قلب المدينة، ألتحق بعمل لأعول أسرة مكونة من أم فقدت زوجها من سنوات، وثلاثة أطفال صغار.

ترى، أكانت تجربة جديدة، أم هي إضافة إلى الشعر؟

وما الذي يمكن أن تمنحه تلك المدينة الموحشة لهذا الوافد البسيط الرقيق، الذي حمل في قلبه الإيمان والبراءة معا، وماذا عن الشعر، والشعراء، والإعلام، والسياسة، ماذا عن كل هذا؟

لقد أدركت منذ الوهلة الأولى أن المدينة تقتحمني، تتسلل داخل شراييني، تتوحد بخلاياي، وأن عليّ مقاومتها، أو مهادنتها، أو التواصل معها بلا جراح.

جذبتني الساحة، بإيقاعها السريع الذي يدور في عجلة شديدة، يخالف تمامًا ذلك الإيقاع الذي أحمله في داخلي من ريفي البعيد.

فمنذ سنوات عشر تقريبا قبل هذه المرحلة، بدأت مدرسة الشعر الجديد تعلن تمردها على تقليدية القصيدة، ورتابتها ـ وإن كانت تحترم الحوار مع التقليديين برغم إعلانهم خصومتهم لهذا التطور الجديد.

”أهرب حتى أصل إلى نقطة الصدق وهنا تكون الكتابة!“

أدركت أن ما سبق وكتبته طوال السنوات السابقة لم يعد يصلح لهذه الساحة الأكثر حركة وقلقا، ووجدت نفسي في قلب المدرسة الجديدة ألتقط خيوطها، وأنسج منها إبداعاتي مُتَّكِئًا على ذلك الزاد المتميز الذي حملته ثقافتي من التراث، وما أقبلت عليه من الثقافة الحديثة، كان عليّ أن أعيد حساباتي في كل شيء، وأن أقرأ ما قرأت ـ سابقًا ـ لكن برؤية أخرى تمامًا، وأضيف إليه ما استحدث في قلب العاصمة، ثم بعد ذلك أبدأ في إفراغ رؤيتي الخاصة.

وكان سباقًا مع الزمن، واصلت فيه دراستي الجامعية (في كلية التجارة) في أثناء عملي اليومي، لكن الشعر كان يحفر لنفسه مساره الخاص الذي لا يطغى عليه أي مسار آخر. التحمت بالساحة الجديدة لعلني أحظى فيها بقصب السبق ــ كما يقولون ــ ووضعت ما كتبت من قبل في (مظروف كبير) خاص كتبت عليه (ما قبل التاريخ)، ثم انطلقت من جديد مسلحًا بإصراري على خوض هذا المعترك.

وفي أوائل عام ١٩٦٤م ـ بعد سنوات خمس من التجريب ــ كانت أول قصيدة حديثة لي رأيت أنها تصلح لتقدمني للقارئ، وعلى الفور أرسلتها إلى جريدة (الحرية) في بيروت باسم رئيس تحريرها، وسعدت بها منشورة على صفحاتها.

إذن يمكن أن تكون هذه الجريدة ــ غير المصرية ــ جواز مروري إلى الساحة المصرية، وبالفعل رحب بأشعاري الدكتور عبد القادر القط حينما كان رئيسًا لتحرير مجلة الشعر القاهرية لتبدأ رحلتي مع النشر بلا انقطاع.

وتتناثر من حولي دواوين الشعر الجديد، كل له مذاقه وتجربته وإضافته، وأكتب وأنشر قصائد متفرقة هنا وهناك، ويشير على أصدقائي أن أنشر ديواني الأول.

لم يكن من اليسير ــ وقتها ـ أن ينشر شاعر جديد ديوانه الأول ــ كما هي الحال اليوم ـ فقد كان النشر له معايير قاسية ولجان أكثر قسوة.

راقت لي التجربة، ووجدتها فرصة اختبار حقيقية لقدرتي الإبداعية، فجمعت عددًا من القصائد ودفعتها إلى (دار الكاتب العربي) وكانت دارًا قومية، وبعد فترة روتينية طويلة امتدت لأكثر من ستة أشهر، تمت الموافقة على الديوان، ليصدر في أعقاب النكسة (سبتمبر ١٩٦٧م).

لكنني لم أكتف بصدور ديواني الأول هكذا، وإنما أردت أن أعرف مكاني حقيقة في خريطة الشعراء، ولهذا دعوت الأستاذين الكبيرين الدكتور عبد القادر القط والشاعر صلاح عبد الصبور ليناقشاه في ندوة إذاعية متخصصة في البرنامج الثاني، وكانت البداية الحقيقية، تلك الكلمات التي لا تزال تتردد في وجداني بصوت هذين الرائدين، والتي دفعتني بقوة إلى شق مساري الخاص بعيدًا عن التعلق بالجماعات السائدة أو بسلطة ثقافية معينة، لإيماني أن الكلمة وحدها هي السلطة الحقيقية التي يتعلق بها الشاعر، وهي الحكم العدل لإبداعه.

كانت المضامين السائدة آنذاك تدور حول محاور الذات والحب والتعاطف والتنبؤ بالمستقبل

والمصير، وكنا جيلاً قرأ التراث قـراءة عميقة فاتخذه تُكَأَة فنية ينطلق منها إلى العصر ودراما الإنسان مع الوجود حيث يثور ويتمرد ويتطلع إلى الغد .

وبدأت رحلتي مع الكشف والارتيـاد في أقاليم الليل والنهـار والتراث والـواقع والمستقبل، وكنت أحـرص كـل يـوم على اكتسـاب خبرة جـديـدة، وتجارب أكثـر تأثيرًا، تتسلل إلى داخلي وتـؤكـد كل مقومات الإبداع .

والتجـربة عنـدي قد تبـدأ في دهاليـز الزمـان الممتـد داخلي منـذ الطفـولـة حتى لحظـة كتـابـة القصيـدة، بل يمتـد بـأطـراف مختلفـة في مـاضي الإنسانية القديم .

وهي تعيش داخلي في ركن مجهـول، وما أكثـر أركان ذاتي المجهـولة ـ حتى إذا لمست هـذه (الخلية الأولى) لحظة تفجـر معاصرة، سرعـان ما تتحـول هذه (الخلية) إلى محور (مغناطيسي) داخلي ينجذب إليه كل ما يحمل طرفًـا من خصائص هذا المحور، وتظل عمليات الجذب والطرد، والقوة والضعف، حتى يكتمل المحـور تمامًـا ويتشبع بهذه المفـردات المنجذبـة، ولحظتها فقط أحسّ بقوة أشـواك هذه التجـربـة داخلي، وأن عليّ أن (أتخلص) منهـا على الورق!

وأنا على يقين بأن التعجل في إفراغ التجربة قد يأتي بأثر عكسي تماما، ولهذا فمرحلة اليقين عندي لا تأتي بمجـرد الإلحاح الأول، بل أجـدني ــ لهذا ـ أهرب وأهـرب خوفًـا من أن يكون مـا أحسّه (حملاً كاذبا)، وأظل هاربًا حتى أصل إلى أقرب نقطة من الرؤيـة والصدق والتجربة، وسـاعتها لا أملك إلا الكتابة .

وفي يقيني أيضا أن متعتي الحقيقية هي في ذلك العـذاب الممتع الـذي أعـانيـه في داخلي حتى تأتي لحظـة المخـاض، وهنـا أكتب تجربتـي في جلسـة واحـدة، ثم أتـرك مـا كتبت قليـلا حتى أستعيـد طبيعتي ـ قبل القصيدة ـ لأتحول إلى قارئ أو ناقد، فأقبل على القصيدة مرة ومرة أصلح منها .

لقد قصدت هنا أن أقترب من مراحل التجربة الشعـريـة، لكنني أدرك تمامـا أن بها عـوامل كثيرة أخرى تتداخل وتتعانق حتـى تتم التجربة، يعجز أيّ مبدع أن يصفها أو يحدد ملامحها تمامًا، أو حتى أن يعبر عنها، وعلى الرغم من كل هذا فأنا أومن ـ كما يـقـول ناظم حكمت ـ أن (القصيدة الجيدة هي التي لم تكتب بعـد) وإلا تـوقف الإنسـان عن الإبداع، فقد كتب العمل الجيد!

دخلت بهذا ساحة الشعـر ــ والنشـر ــ من أوسـع أبوابها، وطـرقت تجارب كثيرة من التشكيل الشعري والخوض في (تجريب) الحديث بكل آفاقه، وما أصدرته في دواوين إنما وقع تحت اختيـار دقيق من بين عدد كبير من القصائد، أردت ورضيت أن أقدم نفسي مـن خلال ما نشرتـه في هذه الـدواوين فقط .

ففي ديـواني الأول والثـاني، كنـت أتحسس



خُطَاي فـوق هذه الأرض الـوعرة الملتهبـة، وكانت أمامي تجارب الرواد الكبار، وغيرهم من رواد العالم الذين تصل إلينا أعمالهم كل يوم .

وطبيعي أن أقع تحت تأثير مـا أقـرأ وأحب، وأحـاول الانفـلات منـه حتى أتخذ لنفسي مسـارًا خاصًـا، تجلى في ديواني الثالث (البحث عن الدائرة المجهولة) خاصة في قصيدتي التي تقول :

أبحث عن دائرة
تتعرى فيها كل الأشياء
أبحث عن دائرة تصدق فيها الكذبة
لا تخفى عن أعيننا
أبحث عن دائرة أكسر فيها تمثال الضحكة
وأراه لا يتجوَّف في داخله الحزن !

لعلهـا دائرة عـاريـة من الظل والضـوء معـا، تتسع للكلمات المسمـوعـة والمنظورة والمكتـوبـة في القلب، إنها بـلا شـك دائرة البحث الـذي لا يتوقف .

لقد كان هذا الديوان الذي صدر عام ١٩٧٣م ـ في أوله ـ حصيلة تجربة طويلة قاسية من الإحباط والتحمل والتـوقع الـوهمي الـذي عـاشـه المجتمع العـربي في هـذه الفترة التي سميت (بـالـلاسلم والـلاحـرب) والتي انعكست بـلا شك في أعمال جيلنا كله، وكان معظمه مجندًا في القوات المسلحة منذ سنوات سابقة في انتظار الخلاص .

وكانـت رؤيتي للخلاص تتكئ على مقـومات عـديـدة، أولها على الإطـلاق الاعتماد على الـذات والتحدي لهذا المصير الذي اقتحم الساحة العربية فأصابها في مقتل .

وتجيء حرب أكتوبر ١٩٧٣م وكنت واحدًا من المشاركين فيهـا، وتهطل علينا آثـارها ـ الإيجـابيـة والسلبية ـ وتتعدد وتتفرد الرؤى لهذا الحدث الكبير، ويقع المبدعـون في مأزق شديـد، فما حدث عظيم بكل المقـاييـس لكنـه ليس نهايـة العظمـة وقمـة الخلاص، وما جناه الإعلام في حق هذا الحدث من مبالغات أظهرته بصورة غير واقعية .

مـاذا إذن يفعل المبـدعـون، إن هم صـدقـوا أنفسهم خـرج إبداعهم أقـل من هـذه الصـورة الإعلامية التي اقتحمـت وجدان الناس، وإن هم واكبـوا ركب الإعلام، أصبحـوا مبدعين إعـلاميين وشاركوا في جريمة المبالغة !

إنه إذن مأزق شديد، دفع المبدعين إلى الصراخ والبحث عن حل هذه المعادلـة الصعبة عن طريق التعلق بـالرمـز والتراث والتشكيل الشعري الـذي يثرى التجربة ويبعدها عن المباشرة، ويجعلها ممتدة في الزمان القادم .

كان ديواني (الليل وذاكرة . . الأوراق) ١٩٧٧م انعكاسًا حقيقيا لهذا القلق، وفيه أتساءل :

من سيقول الحقيقة
قد تجيئين من عالم المستحيل
تفيقين . .
قد تجيئين . . تفيقين . . قد . .
قد تجيئين من عالم المستحيل !

وفي هذا الديوان طرقت باب الدراما الشعرية ـ على مستوى القصيدة ـ بعد أن طرقتها من قبل على مستوى المسرحية في عملي الأول (إخناتون) .

ومن خـلال تجربتي مع الـدرامـا، أستطيع أن

من تجاربهم



أؤكد فروقًا عميقة بين دراما القصيدة، ودراما العمل المسرحي، فليس كل من يتفوق في دراما القصيدة يمكنه أن يكتب دراما المسرحية، فهما وإن اتفقا في التسمية يختلفان في كثير من الملامح.

إن دراما القصيدة لا تقوم فقط على رمز أو أسطورة أو حدث تاريخي قديم يحاول المبدع إعادة صياغته من جديد، وإنما هي (فعل) و(رد فعل) بين مكونات القصيدة بأسرها، بين المعجم الشعري من خلال ألفاظه ومفرداته، بين الصور بعضها مع بعض، بين طول السطور الشعرية وقصرها. بين إيقاعات الموسيقى الشعرية والداخلية، وحتى بين علامات النَّبر والتوقف والتعجب، بين تداعي الأفكار خلال توتر القصيدة، بين الانتقال والانطلاق والعودة إلى مضمون العمل، بين العنوان وجسم القصيدة، إنها صراعات لا تنتهي بين مقومات القصيدة نشعر فيها بهذه الدراما عالية النبرة.

أما دراما المسرحية ـ فهي صراعات المواقف والشخصيات ـ وصعوبة كتابتها شعرًا تأتي في التعبير، فالشاعر هنا مطالب بضرورة إحداث التوازن بين لغة الدراما ولغة الشعر بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى ـ كما كان يحدث في بعض الأعمال المسرحية لشوقي وعزيز أباظة.

بهذا الفهم الخاص والعلمي للدراما، حاولت أن أعمق تجربتي المسرحية فكتبت ثلاثة أعمال مسرحية هي: إخناتون ـ شهريار ـ عنترة ـ وكما نلاحظ فهي تقدم (نماذج) وليست شخصيات بعينها.

وفي عام ١٩٨٠م أصدرت ديواني الخامس (الخروج إلى النهر) حاولت فيه أن أؤكد قدرة الإنسان على الحياة في ظل حضارته وواقعه وتحديه ومصيره، وفيه أقول:

إنني الآن أزحف للنهر..
في خطوتي نزوة البدوي القديم
يفجر في الصحراء الينابيع
أخرج للنهر
يرتسم الرمل في شفتيّ
وأمتصّ ملحي.. ألثم أرضي
ألصق وجهي بكفي
أحمل موتي للنهر، أنظر مجراه
كيف توقف، أخطأنا، وانحرف!

وتتوالى بعد ذلك دواوين: السفر والأوسمة (١٩٨٥م) ـ العطش الأكبر (١٩٨٦م) ـ الشوق في مدائن العشق (١٩٨٧م والذي حصلت به على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر) ثم: قراءة في كتاب الليل (١٩٨٩م) ـ ثم جمعت دواويني الثمانية الأولى في مجلد واحد (١٩٩٢م).

وهي أعمال تجسّد كثيرًا من ملامح الواقع الذي يعاني الإحساس بالضياع والبؤس وفقد الحريات واختلال الموازين في رؤية تمردية: ساخطة أحيانا، وحالمة أحيانا، لكنها في كل خطى الانكسار والانطلاق ترسم ملامح تجربتي الشعرية ومواقفي منذ أول خطوة خطوتها في هذه الساحة حتى اليوم.

ولأنه من الصعب على الشاعر أن يسير وفق خطة مرسومة مسبقة، فقد تبلورت محاور عالمي الشعري ـ كما أشار إليها النقاد ـ في مثلث متكامل أضلاعه هي: الحب والحلم ورؤية الخلاص المتعددة.

أما الحب، فهو نابع من داخلي أنا، وبمقاييسي الخاصة، وليس بما يرضاه الآخرون.

ويبدو أن الجدية في حياتي قد فرضت عليّ أن أعلو فوق الصعب، وأحاول التفوق على نفسي وكبح عواطفي، فنظرتي إلى المرأة تبدأ من عقلها، ذكائها.

وإعجابي بها من هذا الموقع يضفي عليها كل جمال. فأنا لا تأسرني المرأة الجميلة المحشوة بالفراغ والقش، لأنها ذات جمال زائف غبي، أما المرأة الذكية فلا يمكن أن تكون قبيحة، فالذكاء والثقافة والعقل والحوار المستمر الذي لا يهدأ يشكل في المرأة كل ملامح الجمال والأنوثة التي يطلبها الرجل القوي.

والعاطفة في شعري تبدأ من تلك العلاقة الخاصة الثنائية بين الرجل والمرأة، ثم سرعان ما تتطور وتتسع وتتأكد حيث أضفي عليها مزيدًا من الألوان التي تحتوي كل شيء في الوجود.

إنني أعني بالحب هنا، هذا الإحساس بالحياة، وليس بمجرد شيء هامشي أو مكمل لمفردات الحياة، ولهذا فالحب عندي ذلك السباق بين الطرفين في العطاء، إنه لا يقبل المساومة، أو انتظار العطاء، لأنه يمتلك قدرة لا تحد على هذا العطاء بين الطرفين، حتى تقصر بينهما المسافة، وتسقط الأسوار، ويصلا معًا إلى مرحلة الغوص والاحتواء والفناء بلا توقف، إنه صدق بلا حدود، صدق في العطاء، وصدق في التعبير. ولهذا فإن الوصول إلى جوهر الحب أمر صعب تمامًا، وما يصل إليه عشاق اليوم لا يدوم لأنهم لا يجتهدون في هذا الوصول، ولا يخلصون له:

الحب بهذا الزمن المعصوب
لؤلؤة في حد السيف
وشهاب يلمع في العينين
لا يشكو الدوران، ولا يشكو الجهد..

أما القصيدة، فهي دربي الذي يصل بي إلى مشارف الحب:

أسقطتني القصيدة في خندق القتل
حتى انتهيت لعينيك
هل للذي استشهد الآن
عود إلى الرمل والطين والخطوة الشاردة؟

إن عاشق اليوم ـ في تصوري ـ يختلف اختلافًا شديدًا عن عاشق الأمس، فلم تعد المرأة اليوم وراء الخباء، تلف نفسها بالصمت والغموض، ويظل العاشق يرهف حواسه لعله يستمع ـ خلسة ـ إلى صوتها أو حفيف ثوبها، أو تلوح منها ما يفجر في داخله الخيال، فيناشد النجوم والقمر والرياح أن تراقب حبيبته وتظل معها، وتحيطها بالراحة والسعادة.

إن المرأة اليوم أصبحت تشارك الرجل في كل شيء، ولهذا فإن الشاعر لم يعد يقنعه أن يشبهها بالقمر أو يوصي عليها النجوم والرياح، عليه إذن

أن يبحث عن شيء آخر كامن، لا تعتريه الحياة العصرية.

الشعر . والحلم

ويتصل بهذا المحور، محور الحلم، فالشعراء كلهم حالمون مهما ادعوا الواقعية، والقصيدة أول أحلام الشاعر، وشاعر بلا حلم، ناظم جاف جامد مطرود من ملكوت الشعر، لكن حلم الشاعر يختلف عن حلم العالم، فحلم الشاعر لون من التمني الذاتي الذي يسقطه على الوجود، أما حلم العالم فقد خطط له من قبل لكي يتحول إلى حقيقة، وإلا أخفق في حلمه، ولهذا فإن أحلام الشعراء كثيرًا ما تكون إما من الأحلام الخضراء، أو الأحلام المستحيلة!

أما المحور الثالث فيكمل شكل المثلث، وربما يمثل قاعدته أحيانا، وهو (رؤية الخلاص المتعددة) وينطلق حيث يفجر الحلم أو يصل إلى طريق مسدود، إن هذه الرؤية تتفجر بما يشبه التوقع في النهايات المفتوحة، وترتبط ليس فقط بالخلاص الشخصي وإنما هي أصلاً تبدأ من الخلاص الجماعي - باعتبار الشاعر واحدًا من هذا المجموع.

أما علاقتي بالنقاد، فقد بدأت منذ أول قصيدة لي (١٩٦٤م)، وقد كتب عني وناقشني كثيرون أذكر منهم: د. عبد القادر القط - صلاح عبد الصبور - د. عز الدين إسماعيل - د. أحمد كمال زكي - د. عبده بدوي - د. شوقي ضيف - د. عبد العزيز حمودة - د. محمد عناني - د. ماهر شفيق فريد - د. صبرى حافظ - أنيس منصور - د. حامد أبو أحمد وغيرهم كثير.

ولأن تجربة الشعر الحديث تمتلك القدرة على استشراف آفاق لا تحد ولا تعد، منها المسرحية مثلا، فقد حاولت فتح أفق جديد للطفل من خلال الشعر، فكتبت المسرحية الشعرية للأطفال مستمدة من تراثنا العريق، بعيدًا عن القوالب الجاهزة المستوردة الغريبة عن عالم الطفل العربي، وأنجزت أكثر من خمس وعشرين مسرحية كما جربت لهم أيضا القصيدة الشعرية.

وقبل أن أودع القارئ بعد هذا الطواف السريع، أود أن أصارحه بقلقي الشديد على مستقبل الشعر العربي بعد أن سادت الساحة - تحت مسمى التجريب - تلك البدع التي تبناها بعض شعراء الجيل الجديد، وبعيدًا عن التعصب لتيار معين، أو مدرسة فنية ما، فإن المعروف أن الشاعر ليس ناقدًا أو منظّرًا، فإذا جمع الطرفين، فلا بد أن يكون هذا الجمع على حساب أحدهما، وغالبا ما يكون على حساب الشعر أو الإبداع.

وهذا ما حدث لهؤلاء الأصدقاء الجدد، لقد نظروا لأنفسهم - وليس لإبداعهم الذي يطرحونه على القارئ - وهم في تنظيرهم هذا - وليس غيرهم - المبدعون الوحيدون، والمجربون، والمجددون ثم ها نحن أولاء نقرأ لهم وننتظر أن نرى دليلاً واحدًا على هذا التنظير بلا جدوى.

إن هناك فرقًا كبيرًا بين أن يكون التجذيد وسيلة أو يكون هدفًا في حد ذاته، كما أن هناك فارقًا بين صياغة الحقائق والمعاجم اللغوية بلا معنى، أو ما يسمى بالنظم العلمي (كألفية ابن مالك أو قصيدة ابن سينا في الطب أو الشعر المشجر والهندسي في العصرين المملوكي والعثماني) - وبين الشعر الذي يعبر عن عمق وجوهر الوجود فنيا.

إن ساحة الشعر اليوم تعاني خللاً شديدًا، وبدعًا تطغى على الإبداع، ووجعًا بلا دواء ومهاترات بلا طائل لا تليق بالشعر والشعراء.

وحسبنا أن ننتهي الآن إلى أن تجربة الشاعر هي في الأساس تجربة حياة، فالشعر حياة وحلم وخلاص وقدرة على العطاء.

وقد حاولت طوال صحبتي للشعر أن أؤكد هذا!

الشاعر أحمد سويلم

* مواليد ٨ ديسمبر ١٩٤٢م بيلا - كفر الشيخ - مصر
* بكالوريوس تجارة ١٩٦٦م
* مدير إدارة النشر بدار المعارف
* عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة - عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب - عضو اتحاد الأدباء - عضو لجنة الشعر بالمجالس القومية المتخصصة - عضو نقابة الصحفيين.
* نال جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب لشعراء الوطن العربي الشبان (١٩٦٥ - ١٩٦٦م)، وحصل على كأس القباني في الشعر ١٩٦٧م، وعمل سكرتيرًا لتحرير مجلة الشعر (١٩٧٦ - ١٩٧٧م)، ونال جائزة الدولة التشجيعية في الشعر ١٩٨٩م - وحصل على الدكتوراه الفخرية في الآداب من الأكاديمية العالمية للثقافة والفنون ١٩٩٠م (كاليفورنيا).
* مثل كتاب مصر وشعراءها في المهرجانات الدولية والعربية.

أعماله:

أ- الشعر:

* الطريق والقلب الحائر، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م.
* الهجرة من الجهات الأربع، مؤسسة التأليف والنشر ١٩٧٠م.
* البحث عن الدائرة المجهولة، دار الناشر العربي ١٩٧٣م.
* الليل وذاكرة الأوراق، مكتبة مدبولي ١٩٧٧م.
* الخروج إلى النهر، هيئة الكتاب ١٩٨٠م.
* السفر والأوسمة، دار الشروق ١٩٨٥م.
* العطش الأكبر، مكتبة مدبولي ١٩٨٦م.
* الشوق في مدائن العشق، هيئة الكتاب ١٩٨٧م.
* قراءة في كتاب الليل . . . ، دار الشروق ١٩٨٩م.
* الأعمال الشعرية، هيئة الكتاب ١٩٩٢م.

ب- المسرح الشعري:

* إخناتون، دار المعارف ١٩٨٢م.
* شهريار، هيئة الكتاب ١٩٨٣م.
* عنترة، هيئة الكتاب تحت الطبع.

جـ- دراسات:

* شعرنا القديم رؤية عصرية، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨١م.
* المرأة في شعر البياتي، هيئة الكتاب ١٩٨٤م.
* أطفالنا في عيون الشعراء، دار المعارف ١٩٨٥م.
* محمد الهراوي شاعر الأطفال، المركز القومي لثقافة الطفل ١٩٨٦م.
* التربية الثقافية للطفل العربي، مركز الكتاب للنشر ١٩٩١م.
* مسلمون قهروا العجز، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١م.

د- للأطفال:

* حكايات من ألف ليلة وليلة (٥ حكايات)، دار الشروق ١٩٨٠م.
* عشر مسرحيات شعرية، مؤسسة الخليج العربي ١٩٨٧م.
* حكمة الأجداد، مؤسسة الخليج العربي ١٩٨٩م.
* مسرحيات شعرية من كليلة ودمنة (١٠)، أخبار اليوم تحت الطبع.
* جائزة الحمار ١٠ أقاصيص شعرية، دار الهلال ١٩٩٢م.

من المكتبة السعودية





منصور زويد المطيري

● العنوان: الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع

● المؤلف: منصور زويد المطيري

● الناشر: سلسلة كتاب الأمة ١٤١٣هـ

الأمر المطروح بالنسبة لنا اليوم: كيف يمكن للمسلمين استئناف دورهم والانطلاق صوب المستقبل لبناء علوم اجتماعية إسلامية متميزة بنسقها، ومنطلقها، وهدفها.

حول هذا الإطار جاء كتاب «الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع: الدواعي والإمكان لمؤلفه الباحث السعودي منصور زويد المطيري، ضمن سلسلة إصدارات «كتاب الأمة» الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

يقول المؤلف في كتابه: إن ابن خلدون قد تنبه إلى وجود علم مهم، ألا وهو علم الاجتماع، فقد صرّح في عبارات واضحة عن اكتشافه علماً مستقلاً لم يتكلم فيه السابقون، وبرغم أن عالم الاجتماع جمبلوفتيش أكد أن الفضل في اكتشاف علم الاجتماع يرجع إلى مسلم تقي درس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن، وعلى الرغم من ذلك فإن التاريخ لعلم الاجتماع يقف عند كانت الفرنسي باعتباره المنشئ الأول لهذا العلم، وفي هذا إجحاف لفضل ونكران لجميل ابن خلدون في هذا المجال.

وعلى كل حال، فإن علم الاجتماع المعاصر نشأ نشأة مستقلة في بيئة مختلفة عن بيئة ابن خلدون، فقد نشأ علم الاجتماع الحديث في أوربا على يد أوجست كونت، وتسلح هذا العلم بكل ما يحمل من تطور المسيطر، وفرض نفسه على الآخرين كالحضارة الغربية تماما، وصار هذا العلم متشبعا بالعقائد والمذاهب والفلسفات المتعددة، المبثوثة داخل الأبحاث النظرية والتطبيقية، التي تعكس الخلفيات العقدية والفكرية لكتابها وواضعيها. وبالتالي فإنه يمكن تلخيص مشكلة علم الاجتماع بوضعه الراهن ضمن التالي:

□ إن هذا العلم يحمل مع حقائقه العلمية، وفائدته الملموسة منذ دخوله إلى العالم الإسلامي حالة فقدان الهوية، التي تعني التخلي عن الإسلام كمبدأ عام يحكم المجتمعات الإسلامية.

□ إن نظريات هذا العلم، وضعت لفهم مشكلات وقضايا خاصة بالغرب، لا يمكن تعميمها على المشكلات المماثلة في العالم الإسلامي. وقد عقدت عدة مؤتمرات بالدول الإسلامية اختتمت توصياتها بالمناداة بإيجاد علم اجتماع عربي، وإن كان لم تحدد ملامحه، فهذا الاتجاه لم يكن يلتفت كثيرا إلى المشكلة الأولى، وهي تشبع علم الاجتماع بالعقائد والأفكار التي تصطدم بالإسلام، وذهب آخرون إلى المناداة بعلم اجتماع إسلامي، أو علم اجتماع المجتمعات الإسلامية، وهو لا يخلو من ملاحظات العالم المتخصص.

صياغة إسلامية

كشفت عملية البحث عن الذات عن مدى القصور في علم الاجتماع العربي وأظهرت الحاجة الملحة للجوء لعلم الاجتماع الإسلامي وتحكيم الشرع في كافة المجالات الحياتية، وقد كانت عملية البحث نابعة من المجتمعات الإسلامية، ومن الدواعي الأساسية لصياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية؛ ما يلي:

- التصورات الغربية الفاسدة المواجهة لهذه العلوم.

- إن هذه العلوم صبت اهتمامها على الجزء المتطور من الواقع ولم تعترف بالجزء العيني لذلك فهي لا تعبر عن الحقيقة كاملة.

- النظريات والقضايا والحلول التي وجهت هذه العلوم قضايا تخص جزءًا من العالم يسمى الغرب ومن الخطأ تعميمها على بقية أنحاء العالم.

فالمجتمع بظواهره ومشكلاته موضوع علم الاجتماع، وعلى هذا يقول عالم الاجتماع «ادلر»: إن مفهوم العلم أن تدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية بعيدا عن أي عقائد دينية أو فلسفات تأملية، فالدراسة العلمية تعتمد على الملاحظة والتجريب فحسب وتقابلها الدراسة الدينية والفلسفية التي تعتبر غير علمية، ومن هنا تجيء عوائق الاستفادة من علم الاجتماع المعاصر، ويمكن حصر الاعتراض على هذا المعيار في:

○ خطأ التسوية يعني الظاهرة الطبيعية والظاهرة الاجتماعية.

○ الحياد حيال القيم.

○ عدم الواقعية في هذا المعيار.

ولا شك أن الدليل على ارتباط علم الاجتماع بالعلوم الأخرى يظهر في انقسامه إلى قسمين، وبالتالي إن علماء الاجتماع قدموا أبحاثًا تخدم أوضاعهم وعقائدهم فكان:

○ علم الاجتماع الماركسي.

○ علم الاجتماع الغربي الليبرالي.

إذن فإن الفلسفة الوضعية نشأت نتيجة الصراع بين دعاة المحافظة على القديم ودعاة التقدم، وتأثر علماء الفلسفة الوضعية بالتطور السريع للعلم والفلسفة الوضعية التي من أهم سماتها أنها تضفي على العلم صورة رومانسية، وفي الوقت نفسه تتفق مع النظرية العلمية الجديدة.

وعلماء الاجتماع الغربيون يظهرون عداء للدين وأحكامه!، وهذا يتضح في نظرياتهم وأحكامهم حيث إنهم ممثلون للعلم الذي يعتبر مضادًّا للدين.

والعلمانية تعني صراحة كلفظ في اللغات الأوربية (اللادينية)، وهي تعني ما لاصلة له بالدين أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.

أما اتجاهات الباحثين في علم الاجتماع في العالم الإسلامي، فقد كانت التبعية للغرب السمة المسيطرة على أساليب الباحثين والدارسين، حيث إنه يمكن تحديد فترة الالتقاء بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية في العصر الحديث بحوادث احتلال الإنجليز للهند ومصر ثم لشمال أفريقيا.

ومن أهم أهداف الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع أنه ثبت بالدليل العقلي أن القيم الإسلامية هي الوحيدة التي يجب على الجميع اتباعها، ومن ذلك فعلى أي باحث مسلم يريد صياغة علم الاجتماع صياغة إسلامية أن يبدأ من العقيدة أو نظرة الإسلام للكون و الحياة والإنسان.

ومن الأهداف الأساسية لصياغة علم الاجتماع صياغة إسلامية:

- تكييف علم الاجتماع نفسه في ظل مبدأ الإيمان بالله تعالى، ومن هذا الهدف يجب الإيمان الكامل بأن الله سبحان وتعالى خالق الكون بكل ما فيه من أشياء وظواهر وأحياء بما فيها الإنسان، وأن الله هو مبدأ كل شيء . . . . فأول جميع الأشياء، وعلى ذلك فكل شيء يسير على سنن مطردة وفق نظام مترابط الأجزاء والله خالقها هو المقدر لسننها ونظامها.

كما يجب الإيمان بالغيب وبأن الله هو المشرع للإنسان وبأن الله اصطفى بعض خلقه من البشر ليبلغوا شرعه وهؤلاء هم «الأنبياء» ومما سبق يمكن أن تجمل المبادئ الأساسية التي تشكل إطارا نظريا لعلم الاجتماع الإسلامي ومنها طبيعة الإنسان من بداية خلقه من طين

ثم نفخ الله فيه من روحه. وعليه فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة من الخير والشر.

- والخير والشر في الإنسان يتبعهما وجود الإرادة الحرة في الاختيار، وهذه الإرادة الحرة هي التي تميز الإنسان عن بقية المخلوقات، كما إن الإنسان ميزه الله سبحانه وتعالى بميزة التعلم وحب المعرفة، حيث ميزه بالعقل والتفكير، وميزه أيضا على باقي خلقه، حيث إنه خلقه في أحسن صورة وأجمل تقويم، وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته التي بها استأهل الخلافة في الأرض وكرمه بتسخير القوى الكونية له، بأن أسجد له الملائكة، وبحلول اللعنة على إبليس الذي أبى واستكبر عن السجود لآدم.

كما إن من أهداف علم الاجتماع الإسلامي قياس مدى اقتراب المجتمعات الإسلامية أو بعدها عن الإسلام حيث إنه لا يمكن فصل العقيدة عن الشريعة، فبينهما علاقة وطيدة، وكذلك وضع الخطط المستقبلية وإيجاد الوسائل والسبل التي تكفل سير المجتمعات الإسلامية المعاصرة في حدود مبادئ الإسلام وتعلل من ابتعادها عنه، ويعني هذا مواجهة التغيرات التي تطرأ على المجتمعات الإسلامية.

ومما سبق نستخلص الأهداف العامة لعلم الاجتماع الإسلامي وهي:

- أنه موجه قِيَمي ومذهبي (إيديولوجي) وهذا ينفي صفة الحياد حيال القيم عند الباحث المسلم وانه ناقد في أبحاثه، كما إنه علم مقارن وهو يسعى لوضع الخطط العلمية، كما إنه واقعي وهذه السمات العامة لعلم الاجتماع الإسلامي تمكننا من استخلاص مصادره وهي:
- الوحي: قرآنا وسنة.
- أن تراث المسلمين من المصادر الأساسية لعلم الاجتماع الإسلامي، وعلى أساس هذا الميراث يجب على علماء الاجتماع المسلمين أن يسلكوا سبيل أسلافهم ويقتدوا بمنهجهم في طلب الحق وابتغاء وجه الله، وهذا يتطلب أن يكونوا مثلهم في تسليمهم لعصمة الوحي وأنه لا يأمر إلا بحق، ولا يمكن أن يخالف الواقع لأنه صادر من الله سبحان وتعالى المحيط بكل شيء.

إن التراث العلمي في علم الاجتماع يعد أساسًا من أسس هذا العلم، فلا يمكن أن يقوم علم الاجتماع الإسلامي بمعزل عن التراث العالمي في هذا العالم، فكثير من الأبحاث والدراسات في علم الاجتماع تبحث عن الحق ومن المفيد الاستفادة من هذه الأبحاث على أن نستفيد افادة جادة، وأن نرفض بالتالي كل ما هو من خصوصيات الغرب.





د. منير العجلاني

● العنوان: الإمام تركي بن عبد الله بطل نجد ومحررها
● المؤلف: الدكتور منير العجلاني
● الناشر: دار الشبل بالرياض

لم يكن الإمام تركي - يرحمه الله - في تاريخ هذه البلاد عابر سبيل، فتحت له الظروف الناعمة أبوابها على مصراعيها، واستقبلته على أرائك من الحرير الناعم. الإمام تركي لم يكن هكذا ولكنه الشاب الذي توسد الصخر والتحف السماء، وافترش الأرض، وزرع الصحراء شبرا شبرا، يتألم ويتعلم بين صحراء آبائه وأجداده، كيف يكون الاحتمال، وكيف تكون الفروسية.

لقد كان تركي من الزعماء العمالقة، وهبه الله بسطة في العقل وبسطة في الجسم، وحباه الكثير من صفات القيادة والبطولة كالشجاعة والصبر، والحزم والحلم، وصفاء النفس ورهافة الحس، لقد كان الإمام تركي أحد أبطال هذه الأمة.

هكذا يقدم الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري – نائب رئيس الحرس الوطني – لهذا الكتاب لمؤلفه الدكتور منير العجلاني.

يقول المؤلف:

- من أعجب الأمور أن المؤرخ الفرنسي مانجان والذي كان مقيما في مصر قد تنبأ بأن الدولة السعودية سوف تعود حتما إلى الظهور، وكان هذا الظهور مجسدًا على يد البطل والمجاهد المؤمن الإمام تركي الذي حمل سيف الإسلام ورفع راية التوحيد.

ففي سنة ١٢٣٨هـ أقبل الإمام تركي من بلد الحلوة المعروفة في الجنوب ومعه نحو ثلاثين رجلا ليس معهم سلاح، وقصد بلد «عرقة» فنزلها واستقر فيها، وأول من سار إليه وساعده حمد بن يحيى أمير ناحية الوشم، وخاطب صاحب جلاجل وسدير والمحمل ومنيع أن يقدما عليه بما يستطيعون من رجال، وعزم المسير نحو الرياض وإخراج الترك منها، ولكن سويدًا فارقه وفاجأته عساكر الترك، ومعهم مقاتله من الرياض ومنفوحة، وحاصروه في عرقة حصارا شديدا، فصبر وقاومهم ببسالة واضطرهم إلى الانسحاب، وبقي تركي في عرقة متأهبا للقتال.

ثم أخذ يكاتب بلدان الخرج وثرمدا أو حريملاء وخرمى، ثم بدا له أن يستولي على خرمى بالقوة.

وكانت الفتن والخصومات على أشدها في جلاجل وسدير والروضة والتويم والمجمعة وثادق، فكاتبهم تركي ونصحهم، حتى لانت قلوبهم، ثم نزل بلد (ثادق) وكتب إلى أهل سدير (أن يكفوا عن الفتنة ودعا من كان منهم سامعا مطيعا له أن يقدم عليه، فركب إليه جميع رؤساء سدير وبايعوه، وبايعه كذلك أهل جلاجل والزلفي ومنيخ والغاط، وامتنع أهل حريملاء عن البيعه، فهددهم الإمام تركي بالنزول عليهم بالسلام، فخرج إليه رئيس البلد وبايعه.

ثم سار تركي إلى منفوحة فحاصرها بمقاتليه، فبايعه أميرها وأخرج من كان فيها من العسكر.

كان للمؤرخين الأجانب شهادة في حق تركي:

يقول ويندر: إنه كان حليما ورحيما ولولا حلمه ما عفا عن خصمه مشاري الذي دفع جماعته إلى قتله فيما بعد، وكان تركي معروفا بكرمه وبره بالأرامل والفقراء وكان عادلا ورفيقا برعيته.

وكان جامعا لصفات الحكم، يقول فيلبي: يعود الفضل في نجاحه التام، خلال مدة قصيرة إلى شخصيته، فقد كان يجمع في شخصه سحرًا مغناطيسيًا غامضا، وشيئا من السيطرة الذاتية غريبًا، هذا بصرف النظر عن الجو البطولي الذي أوجده بشجاعته وفروسيته، وظهر أثره في برنامج إعادة بناء الأسوار المدمرة، وبناء القصر والجامع اللذين يحملان اسمه، وقد ظلت آثاره تمثل أعظم الأعمال الهندسية في عاصمته، وقد عين بالإضافة إلى هذا النشاط العمراني في مناصب الإدارة والقضاء أشخاصا يمكن الاعتماد عليهم في فرض هيبة النظام والمحافظة على الأمن.

ويضيف مؤلف الكتاب: من أبرز سمات الحكم في عهد الإمام تركي التزامه المطلق بأحكام الشريعة الإسلامية، والحرص على صلاة الجمعة والعيدين بالجوامع الكبيرة والساحات، ومراقبة تأدية الزكاة من خير المال.

وكذلك إلزام كل أمير بأن يكلف جماعة من أهل بلده بطلب العلم، ومنع الربا ومنع الغش في المكاييل

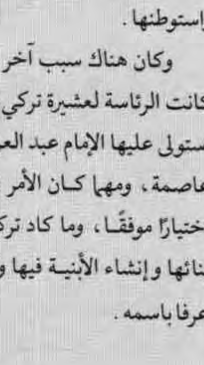
من المكتبة السعودية

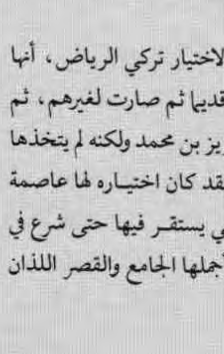
والموازين وتوحيدها ومكافحة الفساد، وكان القضاء في عهده مستقلا وكان القضاة أحرارا في قضائهم لا سلطان للإمام ولا للأمراء عليهم، وهذه (ضمانة كبرى للعدل) فكان للقضاة مكانة كبرى بين الحكام والناس.

ولم يكن الإمام تركي عظيما في شجاعته ومواهبه فحسب، بل كان إنسانا بأجلى معاني الكلمة، يحب شعبه ويحرص على سعادته ويكره أن ينزل به ظلم من أمير أو متغلب أو يمسه ضيق في معيشته، وكان طبيبا يداوي المرضى من أبناء شعبه بالأساليب المعروفة في زمانه، وكان شاعرا يعبر عن عاطفته بشعر رقيق لا يصعب على أي عربي فهمه لقربه من اللغة الفصيحة.

اختار الإمام تركي الرياض للإقامة بها وكانت معروفة بخصب روضاتها وسعة أراضيها، ومقدرتها على مقاومة الغزاة بسورها وأوديتها. ولم يدخل الرياض فورًا، بل أرسل ابن أخته مشاري ليتأكد بنفسه من مسيرة المغربي وعساكر إلى المدينة، فقد كان يخشى إقامتهم في ثرمداء وعودتهم للقتال، فلما اطمأن إلى رحيلهم وخلو نجد من العسكر رحل من شقراء فقدم إلى الرياض واستوطنها.

وكان هناك سبب آخر لاختيار تركي الرياض، أنها كانت الرئاسة لعشيرة تركي قديما ثم صارت لغيرهم، ثم استولى عليها الإمام عبد العزيز بن محمد ولكنه لم يتخذها عاصمة، ومهما كان الأمر فقد كان اختياره لها عاصمة اختيارًا موفقًا، وما كاد تركي يستقر فيها حتى شرع في بنائها و إنشاء الأبنية فيها وأجملها الجامع والقصر اللذان عرفا باسمه.





محمود مفلح

- **العنوان: ملتقى أبها الأدبي**
- **المؤلف: مجموعة مؤلفين**
- **الناشر: نادي أبها الأدبي/ ١٤١٣هـ**

ضمن سلسلة إصداراته الإبداعية؛ صدر العدد الرابع عن « نادي أبها الثقافي » والذي خصصت محتوياته للملتقى الثقافي الأول الذي انعقد بمنطقة عسير عام ١٤١٣هـ تحت رعاية سمو الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ورئيس لجنة التنشيط السياحي بها.

وقد تم اختيار الأعمال البارزة التي جاءت في إطار فاعلياته الملتقى لنشرها في هذا الإصدار، حيث كان الملتقى قد شمل إلقاء المحاضرات ومعارض الكتب ومعارض الفن التشكيلي والمنتجات الوطنية واللقاءات الجانبية والحوارات الفكرية بين مثقفي المنطقة وضيوف الملتقى.

تضمن الإصدار إبداعات شعرية لمحمود مفلح، راضي صدوق، مبارك بوبشيت، عبد الله بن سليم الرشيد، حاكم محمد المحيسن، وقصصا قصيرة ونماذج روايات لـ: علي بن موسى القحطاني، وفاء حسن منور، نجوى مؤمنة، أحمد الزين، طاهر عوض سلام، بهية بوسبيت، علاء الدين حمزة، ثم قراءات نقدية ومحاضرات وإطلالة لسمو الأمير خالد الفيصل قدم بها للكتاب.

فهذا الشاعر محمد أحمد العقيلي تميزه هذه الإنجازات في قصيدته النهضة الحديثة في المملكة، وقد جانبه التوفيق في التعبير عن هذه الإنجازات، يقول العقيلي:

مدن على متن الرمال تواجدت

في سرعة قد غطت الصحراء

وقد شملت القصيدة المطولة وصفًا تفصيليًّا مبسطًا لإنجازات وشواهد ملموسة وعملاقة بين ربوع المملكة.

وتتعدد الرؤى داخل هذا الكتاب التوثيقي، فمن الدعوة الإسلامية، وفي محاضرته؛ يقول الشيخ عبد العزيز المسند: أصبح الوصول بالدعوة الإسلامية والتعريف بالدين الحنيف لغير المسلمين يتطلب شرح أركانه باللغة التي يفهمها غير المسلمين، وصار إصلاح أحوال المسلمين واستمرارهم في ممارسة الشرائع السماوية يدعو إلى التمسك بالإيمان، وتحريك الروح المؤمنة القوية التي لا تهتز ولا تتأثر بأعمال الآخرين ووسائلهم ومكائدهم.

فالسبيل هو سبيل الله ولا يختلف عليه اثنان، وقد استطاع الشيخ عبد العزيز المسند خلال إلقائه محاضرته عن أساليب الدعوة في العصر الحاضر أن يوضح بعض السبل والوسائل أمام الدعاة والطرق الممهدة لهم لدعوة غير المسلمين للدخول في الإسلام في مختلف بقاع الأرض.

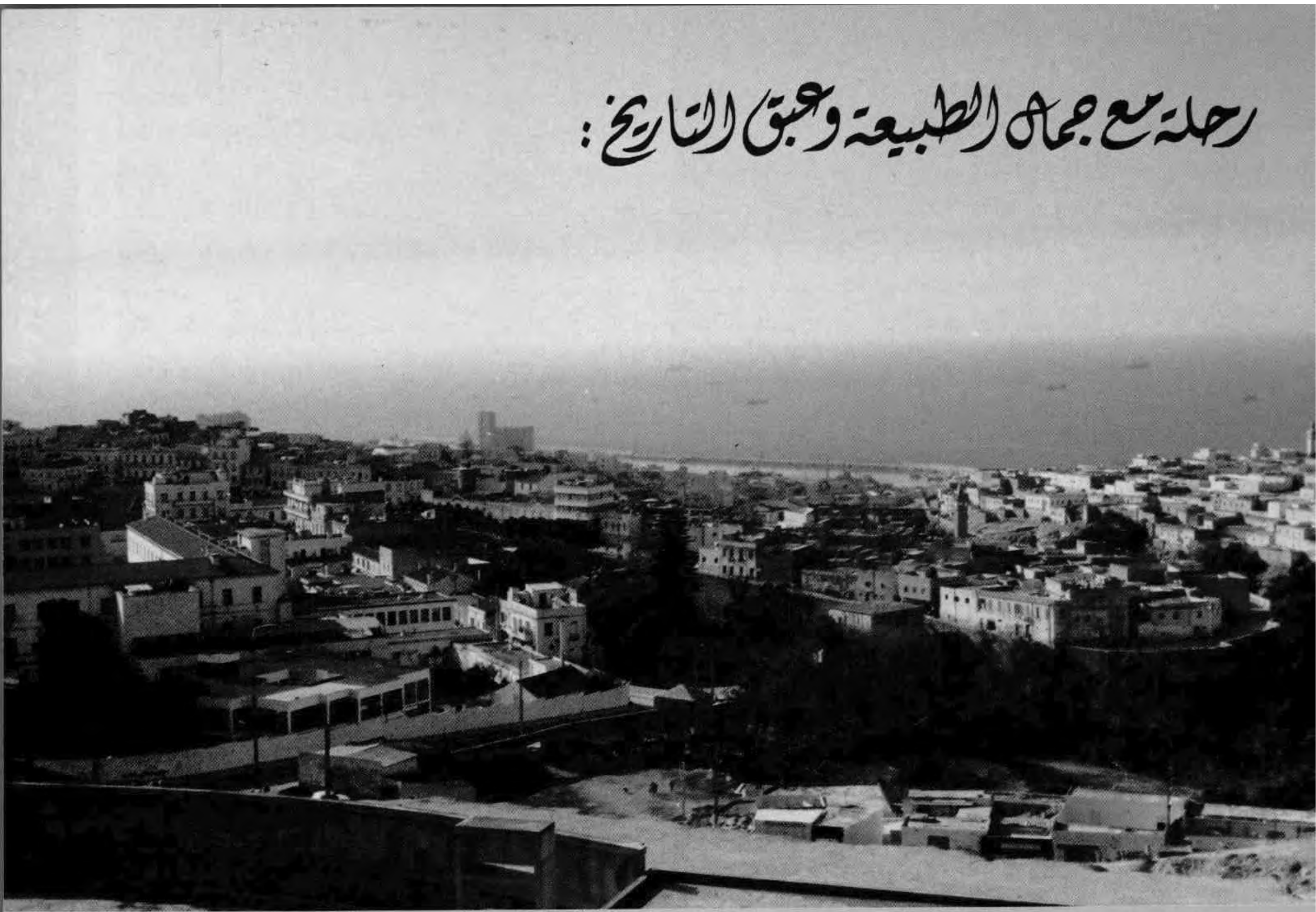
مستقبل التقنية

وينطلق كاتب آخر هو الدكتور محمد إبراهيم العويل في بحثه عن مستقبل التقنية في المملكة مؤكدا أن النقل الحقيقي للتقنية من بلد إلى آخر يتطلب أن تنقل الدراية والمهارات الخاصة بالتقنية إلى المستخدمين المحليين لها، وعلى الرغم من أن ظروف الثروة المفاجئ وضرورة حسن استثمارها في تطوير البيئة الأساسية للمملكة قد استدعى نقل تقنيات أكثر تطورًا وعددًا من الطاقة الاستيعابية للموارد البشرية والوطنية إلا أن الدولة، بالإضافة إلى السبل التقليدية لتطوير هذه الموارد، من مدارس وجامعات ومعاهد مهنية؛ أنشأت مؤسسات تمارس مهام تقنية ذات علاقة مباشرة بعملية نقل التقنية مثل الهيئة الملكية للجبيل وينبع، والهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس، كما أنشأت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية لتعنى بتنظيم وتنسيق عملية نقل التقنية وتسهم في تطوير وتوطيد التقنيات المستوردة وتنمية القدرات على إبداع تقنيات محلية.

ثم يؤكد الكاتب أن مستقبل التقنية في المملكة ينحصر في الرؤية الواضحة لمدى التقدم الحاصل والمتوقع حصوله في هذا البلد أو في أي بلد آخر، أمَّا بالنسبة للمملكة فقد ارتفعت نسبة الفنيين من المواطنين في الوظائف الفنية في المؤسسات الصناعية، مما يقارب الصفر قبل عقدين أو ثلاثة إلى نسبة جيدة. وتقترب نسبة إجمالي العلماء والمهندسين من إجمالي السكان نحو ٨٠٠ عالم ومهندس لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة حسب إحصائيات المصدر ــ منظمة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة، كما إن عدد براءات الاختراع الوطنية المستخدمة محليا وعالميًّا بلغت ٧٠٠ طلب في مجالات مختلفة منها بين ١٥ ــ ٢٠٪ من أفراد سعوديين و٥٪ من شركات سعودية، وهناك أيضا التفاعل والتنسيق المستمر بين القطاع الخاص وقطاع البحث والتطوير.

ومقابل هذه التقنيات يجب التركيز على تقنيات استخراج وتحلية ومعالجة المياه، وتقنيات التنقيب عن البترول واستخراجه وتكريره والصناعات البتروكيماوية والتقنية الحيوية وتقنياتها الزراعية، وتقنية الزراعة باستخدام المياه المالحة، وتقنيات الاتصالات والحاسبات والإلكترونيات الدقيقة.

وهكذا؛ قدم كتاب (ملتقى أبها الثقافي: ١٤١٢هـ) بانوراما حول فعاليات هذا الملتقى الثقافي الذي حفل برؤى متعددة في مجالات متنوعة ليكون دليلا على مدى إشاعة الثقافة بمعناها الواسع في هذه الفاعلية المتجددة.



رحلة مع جمال الطبيعة وعبق التاريخ :

مستغانم

لؤلؤة ذهبية على شاطئ البحر

استطلاع : بريم عبد الرزاق

مستغانم مدينة الشواطئ الذهبية والطبيعة السحرية والشمس اللؤلؤية، يسبح خيال زائرها في ربوعها، وتفيض قريحته بشاعرية ورومانسية. يتغنى السائح بمفاتنها وجمال طبيعتها الخلاّبة، فيأبى إلا أن يزورها مرة ثانيةً، ويتيه الفنان بتأملاته في عالمها فإذا بريشته ترسم أجمل لوحات إبداع الله في الأرض.

وهذا الاستطلاع فيه الكثير عن المدينة التي قال أحدهم فيها :

مستغانم مسك الغنائم ... داخلها سعيد وخارجها شريد

تقع مدينة مستغانم غرب مدينة الجزائر (العاصمة) بنحو «٤٥٠ كلم»، وعن مدينة وهران بنحو «٨٥ كلم».

يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق ولاية غليزان، ومن الشمال الشرقي ولاية الشلف، ومن الغرب ولاية وهران ومن الجنوب ولاية معسكر.

تعتبر اليوم عاصمة ولاية مستغانم "MOSTAGANEM"، حيث تقدر مساحتها

الإجمالية بنحو «٢٢٦٩ كلم²»، ويبلغ عدد السكان «٥٠٤١٢٤ نسمة» وبكثافة سكانية تقدر بـ ٢٢٢ نسمة/ كلم².

تنقسم الولاية إداريًا إلى «٣٢» بلدية وأربع دوائر وهي: سيدي علي، عين تادلس، بوقيرات، حلسي مامش.

ترتفع المدينة فوق هضبة - تقدر مساحتها بـ «١٤٠٠ كلم²» وارتفاعها لا يفوق «١٠٥م» - محصورة بشاطئ البحر الأبيض المتوسط وبمجرى وادي الشلف. تنتشر في شرق المنطقة سلاسل جبال الظهرة، التي تمتد بشكل شريط على كامل الشواطئ متجهة نحو الجنوب، أما في الغرب فيوجد مصب «المكتا». يطغى على المنطقة مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يمتاز بالدفء والاعتدال، حيث يقدر متوسط درجة الحرارة بنحو «١٧,٣°م»، وذلك بفضل تأثير البحر، الذي يلطف الجو صيفًا.

أما شتاؤها فيمتاز بشدة البرودة وغزارة الأمطار، حيث يقدر المعدل السنوي لتساقط الأمطار «٤٢٦مم/ سنة».

وصفوها فقالوا

ورد اسم المدينة في بعض كتب الرحّالة والمؤرخين والجغرافيين العرب والفرنجة، ولكن مما يستدعي النظر أننا نجد معظمهم إما قد وصفوها وصفًا مستفيضًا، أو نجدهم اكتفوا فقط بذكر اسمها أو أنهم قد مروا بها - منهم الرحّالة المغربي «أبو عبد الله محمد بن بطوطة»(١) - ومن بين من وصفوها.

***أبو عبد الله البكري (المتوفى سنة ٤٨٧هـ) في «المسالك والممالك»** حيث قال:

«تقع مدينة مستغانم بجوار شاطئ البحر، بمسافة يومين من قلعة دلول، وهي مدينة محصنة بجدران ضخمة ومحاطة بعدة أنهار وحدائق وطاحونات مائية...».

***وأبو عبد الله محمد الشريف الإدريسي (١٠٩٩م - ١١٨٠م) في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»** فقال فيها:

«مدينة صغيرة تقع في عمق الخليج، يوجد بها عدة أسواق وحمامات وحدائق ومصادر مائية».

***أما الأسد الإفريقي "Leon L'Africain" (الحسن بن محمد الوزان الفاسي) في «وصف إفريقيا»** يقول:

«إنها مدينة مشيدة من طرف الإفريقيين على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي تقع بشرق المدينة القديمة بنحو «٣» أميال. كانت رائعة الجمال كثيرة السكان، لكن منذ انحطاط دولة ملوك تلمسان تأثرت بالعرب النازحين من المغرب...».

«مستغانم» لماذا؟

لم يرد أصل لتسمية مدينة مستغانم في كتب المؤرخين والرحّالة والجغرافيين العرب؛ حيث إن كلًا من البكري والإدريسي وابن خلدون(٢) وصفوها ولم يتطرقوا إلى أصل تسميتها.

غير أن بعض مشايخ المنطقة ومؤرخيها لهم عدة آراء وتأويلات حول تلك التسمية، ومعظمها تكاد تكون خيالية ومن بينها نذكر ما يلي:

* يقال: إن أصلها «مشتى غنّام» "Machta Ghnem"، وهي كلمة مركبة من شطرين، الأول «مشتى» Machta وتعني المحطة الشتوية (مكان قضاء العطل الشتوية)، أما الشطر الثاني «غنّام» Ghnem أي الكثير الغنم - راعي الغنم - أو المغتنم من ثروات الأرض.

* وهناك رأي يقول: إن أصل الكلمة هو «مرسى غانم» "Marsa Ranem" ويستدلون على ذلك بوجود بقايا مرسي بحي المطمر "Al Mat-mar" بضواحي مدينة مستغانم.

* ويظن أيضًا أن أصلها «مسك الغنم» "Misk Al Ghanem" وهي كلمة تتكون من شطرين الأول «مسك» "Misk": وهو طيب يصنع من دم دابة - كالظبي - والثاني طبعًا غنم؛ وبضم الشطرين نجد معناها «طيب الغنم».

* ويرى آخرون أن مستغانم أصلها «مشتى غنم» "Machta Ghanem" وهي كلمة تتكون من شطرين الأول «مشتى» "Machta" وتعني المحطة الشتوية، أما الشطر الثاني «غنم» "Ghanem" فأصلها بربري وتعني قصب - وهي مأخوذة من كلمة «قصب السكر» «مازاغنم أزدان» "Massaghnam Azdan".

ويحكى أنه في زمن سلاطين المغرب من بني مرين - الذين حكموا مستغانم وتلمسان زمنًا - مرّ أحد سلاطينهم بالمنطقة - التي كانت عبارة عن قرية صغيرة - فلما رأى صبيين أحدهما بيده قطعة من قصب السكر مقدمًا إياها للآخر قائلًا له «مس كرانم» "Mass Kranam" فأطلق عليها ذلك السلطان هذا الإسم الذي تحول إلى مستغانم "Mostaghanim".

*وحسب قول بعض المؤرخين فإن اسمها مأخوذ من تسمية الميناء الروماني «موريستاغا» "Murustaga" الذي شيد بالمنطقة منذ غابر الأزمان.



منذنة زاوية (علّيوة) التاريخية

تاريخ المدينة

إن الباحث في تاريخ هذه المدينة لتواجهه عدة تساؤلات لامفر منها، ومن بينها: هل يمكننا أن نعرف ولو بصفة تقريبية إلى متى يعود تاريخ تشييدها؟ وهل هي مشيدة على أنقاض مدينة رومانية أم أنها من تشييد المسلمين؟ أسئلة محيرة حقًا.

ولكن إذا تصفحنا كتب الرّحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين فإننا سنجد أنهم اقتصروا فقط على وصف جدرانها، حماماتها، أسواقها، حدائقها، طاحوناتها... دون ذكر أصلها وفصلها؟

وهناك بعض من المؤرخين خرجوا عن صمتهم وذكروا أن تاريخها موغل في القدم حيث يعتقدون أنها بنيت على أنقاض المدينة الرومانية «موريستاغا» "Murustaga" - بإفريقيا الرومانية، لكن لا توجد أية آثار تعود إلى ذلك العهد، غير أن تلك المدينة كانت تحت سيطرة الإمبراطور «غاليان» "Galien". القرن الثالث للميلاد - وتحطمت إثر زلزال هز إفريقيا الشمالية - المناطق الساحلية خاصة - ويؤيد هذا الرأي كل من الرحّالة الإنجليزي الدكتور «شاو» "Dr. Shaw" (١٦٩٢م - ١٧٥١م)[٣]، الذي يعتقد أن الجدران المحيطة بالمدينة الحالية - مستغانم - هي من تشييد الرومان. ويؤيد أيضًا هذا الرأي الرحّالة «أ. م. بيرو» "A.M. Perrot" الذي قرأ بعض الكتابات التي تعود إلى العهد الروماني[٤].

وحسب رأي الأستاذ «ج. مارسي» "G. Marçais"، إن المدينة لا تعود إلى العهد الروماني وإنها تعود إلى العهد الإسلامي[٥]. لأنه من عادة الرومان أنهم يختارون دومًا مواقع بحرية عسكرية؛ وبحكم صعوبة المسلك البحري المؤدي إلى المدينة، فإنه من غير المعقول أن يكونوا قد شيدوها هم بأنفسهم، بل ربما تكون قد شيدت في القرون الوسطى أو بعد ذلك؟ ولكن على يد من؟ هل على يد المرابطين؟ الموحدين؟ الزيانيين؟ أم المرينيين؟ تلك هي المسألة.

البعض يعتقد أنها من تشييد المرابطين - في القرن الحادي عشر للميلاد - وأن القائد «يوسف بن تاشفين» - مؤسس الدولة المرابطة - بنى بها ميناء عظيمًا وبرجًا فوق التلال الواقعة شمال المدينة الحالية وذلك في حدود ١٠٨٢م.

وهناك من يزعم أنها من تشييد الموحدين في القرن الثاني عشر للميلاد.

وتستمد مستغانم جذورها التاريخية من عهد ما قبل الرومان، هذا بإجماع معظم المؤرخين، ورغم ذلك لم يعرف تاريخها بدقة إلا ابتداءً من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، عندما كانت تحت سلطة الدولة الإدريسية حيث كانت تابعة لمملكة بني محمد بن سليمان التي تمتد غربي مدينة مليلة وتذهب مساحلة مشرقة إلى أن تنقطع نواحي مدينة مستغانم.

ثم أصبحت خاضعة لمملكة بني سويد التي تعد أقوى بطون زغبة، أحلاف مرين وبني عامر أحلاف بني عبد الواد.

حيث كانت مواطنهم ما بين الونشريس[٦] وتلمسان عرضًا، وخليج أرزيو والشط الشرقي طولاً، وهذا خلال أواخر القرن الثامن الميلادي الثاني الهجري.

ولما اقتحم يوسف بن تاشفين المغرب الأوسط في القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري ضم إلى دولة المرابطين عدة مدن من بينها مستغانم، ولقد شيد بها بنيانًا كثيرًا كقلعة «محل» "M'hal". وعند قيام دولة الموحدين سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م عمل مؤسسوها على ضم عدد أكبر من المدن حتى إنها غدت سببًا من أسباب سقوط دولة المرابطين التي كان لها نفوذ واسع بالمغرب الأوسط.

فاحتلوا عدة مدن في المغرب الأدنى والأقصى والأوسط منها مدينة مستغانم. وفي فترة قيام الدولة الزيانية، كانت مغراوة القبيلة الزناتية القوية المتصاهرة ببني عبد الواد أصحاب تلمسان، كانت



إحدى مزارع المستوطنين الفرنسيين في العهد الاستعماري



نمط البناء الأوربي في أحد شوارع المدينة



باب الزاوية (العلوية)

كل المناطق الساحلية الواقعة بين مازغزان وشرشال بالإضافة إلى الجهة اليمنى لوادي الشلف تحت نفوذهم.

فقام القائد يغموراسن بن زيان بمحاربة قبيلة مغراوة بين سنة ٦٦٦ ـ ٦٧٠هـ/ ١٢٦٧ ـ ١٢٧١م إلى أن تلاشت قوتها، فاستولى على كل المناطق التي كانت خاضعة لها، فعين على رأس مدينة مستغانم القائد يحيى سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م.

ولكن هذا القائد لم يلبث أن خرج عن طاعة سلطان تلمسان فنظم هذا الزعيم لنفسه قوة عسكرية مكوّنة من أتباعه، وأعلن استقلاله عن السلطة الحاكمة بتلمسان، مما حدا بالقائد يغموراسن إلى إعلان الحرب ضده، فاتجه إلى مدينة مستغانم في جيش عرمرم حاصرها مدة طويلة، ثم توقف الحصار باستسلام يحيى وبرجوع مستغانم إلى قبضة سلطان تلمسان.

وخلال القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري كان السلطان أبو يعقوب الناصر ـ سلطان الدولة المرينية ـ من المعجبين بمدينة تلمسان، فطمع في أن يستولي عليها، وكانت البداية في يوم ٢ من شهر شعبان ٦٩٨هـ/ مايو ١٢٩٩م عندما حاصرها مدة ثماني سنوات بأيامها ولياليها، ثم انتهى باحتلالها في مرحلتين (٧٣٧ ــ ٧٤٩هـ/ ١٣٣٧ ـ ١٣٤٨م) و (٧٥٣ ــــ ٧٦٠هــــ/ ١٣٥٢ ـ ١٣٥٩م)، وخلال تلك المدة الطويلة تغلغل بنو مرين في عمق المغرب الأوسط إلى أن وصلوا إلى وهران ومستغانم وشرشال ومليان وبجاية.

وفي القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري نزح إليها جموع المهاجرين الأندلسيين الفارين من بطش الصليبيين فكانت قاعدة خلفية لهم، يضمدون فيها جراحهم، وينطلقون منها من جديد. ولكن ـ للأسف ـ لما سقطت غرناطة سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٩٢م ضاعت آخر حبة عنب في العنقود، ولم يكتف الإسبان بطرد المسلمين من تلك الأراضي فحسب بل لحقوا بهم إلى المغرب، فنظموا عدة حملات عسكرية بحرية كانت تستهدف الاستيلاء على كل الأراضي الإسلامية بالمغرب ولم لا؟ حتى بالمشرق.

لقد ابتدأت الحملات الصليبية على المغرب سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٥م بإشراف إمبراطور إسبانيا(٧) وتحت قيادة «الكردينال خيمينيس» "Cardinal Ximenes"، حيث استولت على ميناء «المرسى الكبير» غرب مدينة وهران ولكن ما فتئت أن سقطت مدينة وهران ـ هي أيضًا ـ سنة ١٥٠٩م/ ٩١٠هـ ثم استولى القائد «بيدرو دو نافارو» "Pedro de navarro" على مدينة بجاية ثم طرابلس بليبيا سنة ٩١١هـ/ ١٥١٠م.

وفي يوم ٢٦ أبريل ١٥١١م/ ٩١٢هـ سقطت مدينة مستغانم في يد الملك «جان لافول» "Jeanne Lafolle"، حيث اضطهد الأهالي شر اضطهاد من قبل جلادي هذا الملك المتجبر الصليبي الحقود. وبقدوم الأخوين خير الدين وعروج بربروس إلى الأراضي المغربية عامة والجزائرية خاصة سنة ١٥١٦م/ ٩١٧هـ عملا على تطهير الأراضي كافة من دنس المستعمر الصليبي، فكان لهم ذلك بعد حروب بحرية وبرية طاحنة دامت قرابة ثلاثة قرون، ثم عمل الأتراك على إرساء قواعد الدولة القوية فعملوا على تقسيم البلاد إلى شبه دويلات تخضع للسلطة المركزية بالجزائر العاصمة (دار السلطان)، حيث قسمت الجزائر إلى بايليك الشرق وبايليك الغرب وبايليك التيتري وكانت مدينة مستغانم عاصمة بايليك الغرب خلال الفترة ما بين (١٧٣٢ـ١٧٩٢م/ ١١٣٣ـ ١١٩٣هـ) وتحت سلطة مصطفى بوشلاغم بن يوسف المصراتي. ولقد شهدت تطورًا كبيرًا حيث يؤكد المؤرخون أنها كانت أكبر مدن الغرب ـ حتى من وهران ـ.

ولما احتلت فرنسا الجزائر العاصمة في ٥ يوليو ١٨٣٠م عملت على السيطرة على الأراضي الجزائرية كافة، ولكن الوطنيين الجزائريين الأحرار مثل الأمير عبد القادر الجزائري قاوموا المستعمر بشتى وسائلهم الخاصة. حتى غدا احتلال الجزائر بالنسبة للفرنسيين أمرًا صعبًا.

وفي يوم ٢٨ يوليو ١٨٣٣م أصبحت مدينة مستغانم في قبضة الجلاّد الفرنسي «ديميشيل» "Desmichels"(٨) بعد مقاومة صلبة قادها الأمير البطل عبد القادر الجزائري شخصيًا.

ولما دخلها الجيش الفرنسي المستعمر سفكت الدماء ودكت المنازل وحولت المساجد إلى ثكنات ومخازن للأسلحة وإسطبلات.



واحد من المشاهد الحية للاعتداءات التي مارستها السلطات الاستعمارية الفرنسية حين لجأت لبناء الكنائس على أنقاض أطراف المساجد التي هدمتها

ولكن عندما ينتصر الحق فحتمًا يزهق الباطل، وإذا خلصت النية لله عز وجل فإنه يستجيب للعبد، فكما عقد الجزائريون العزم على أن يطهروا أرض الجزائر وإخلاصهم النية لله، فقد استجاب لهم ونصرهم كما نصروه كما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾، صدق الله العظيم، وفقد استقلت الجزائر وتحررت في يوم ٥ يوليو ١٩٦٢م بعد ١٣٢ سنة من الاحتلال والظلم، ولله الحمد والشكر.

النواحي الاقتصادية والصناعية والسياحية

تشتهر مستغانم بمينائها الذي عرف نشاطًا متزايدًا لعمليات الشحن والتفريغ والتخزين، نظرًا

لتمركز معظم نشاطات الغرب الجزائري بها، وباعتباره ثاني أضخم ميناء بالمنطقة بعد ميناء مدينة وهران، وتقدر طاقة استيعابه النظرية بنحو ٨٠٠٠٠٠ طن.

أما الحديث عن قطاع الصناعة بالولاية فهو ضيق نوعًا ما، برغم تواجد عدة مشاريع اقتصادية معظم نشاطاتها تتجه نحو الصناعات الغذائية والصناعات الخفيفة عامة - كالصناعات النسيجية، الكيميائية (الورق)، التبغ . . .

فيما يبقى القطاع الفلاحي من القطاعات الرائدة نظرًا لخصوصية المنطقة - المساحة الفلاحية



مبنى القصر القنصلي الفرنسي الذي يعود بناؤه لفترة الاستعمار

المتوافرة ١٣٢٠٣٨ هكتار - بحيث عرف تطورات ملموسة تمثلت في تنمية المحاصيل الزراعية وتنويعها فلم تعد تطغى على هذا القطاع زراعة الحبوب - تفوق ٤٠٠٠٠ هكتار - فحسب، بل أصبحت تزرع الخضر والخضر الجافة، والأشجار المثمرة، والكروم، . . . إلخ.

وكما تحظى زراعة الكلأ بمكانة مرموقة، فهي تسهم في تنمية الثروة الحيوانية (أبقار، أغنام، ماعز).

وكل من يزور مستغانم سيعجب بسحرها وجمالها الفتّان، فهي تمتلك كل مقومات السياحة من فنادق، شواطئ، مناظر طبيعية معالم وآثار لا تحصى مثل: برج الترك، برج محل، ضريح الباي بوشلاغم، آثار كيزا، الجامع الكبير، قصر محمد الكبير. . .

النواحي التربوية والثقافية والرياضية

يعد قطاع التربية والتعليم من القطاعات الحساسة؛ لأنه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمستقبل البلاد والعباد، فهو دومًا في سباق مع الأمية التي تقلصت بشكل ملحوظ بعد أن أصبح للولاية سبعة معاهد ثانوية و٢٣٥ مؤسسة للتعليم الأساسي و١٠ مراكز للتكوين المهني يؤهل الشباب في ميدان: الصيد، الأشغال العمومية، الفلاحة، الصحة، التربية.

أما التكوين الجامعي فليس بحديث العهد، ففي سنة ١٩٧٠م، فتح أول معهد تكنولوجي أبوابه بمستغانم، كان يقتصر على تكوين المهندسين في مجال الفلاحة فقط. أما اليوم فقد أصبح به عدة تخصصات هي: علوم دقيقة، تربية بدنية ورياضية، البيولوجيا، كما تقرر - أخيرًا - إنشاء معهد للكيمياء الصناعية.

وبالنسبة لقطاع الثقافة فإن ولاية مستغانم تعرف بمهرجاناتها الثقافية العديدة كمهرجان مسرح الهواة الذي ينظم الآن عدده الخامس والعشرين(٩) ومهرجان الغناء البدوي والشعر الشعبي الملحون.

أما في مجال المرافق الثقافية فتتواجد بالمنطقة جمعيات ثقافية عديدة تتميز بالحيوية مثل جمعية «الإشارة»، «الفن والنشاط»، «نادي الهلال الثقافي».

بالإضافة إلى ثلاث دور للثقافة وسبعة عشر مركزًا ثقافيًا وأربع مكتبات عمومية - عدد المؤلفات ٦٢٣٧ - وأربع قاعات للسينما.

وفيما يخص قطاع الرياضة عامة فلقد استفادت الولاية بهياكل مهمة في المجال الرياضي، نذكر منها على سبيل المثال المركب المتعدد الرياضيات والذي احتضن الألعاب الوطنية سنة ١٩٨٤م، والألعاب الرياضية الجامعية الثانية سنة ١٩٨٦م، بالإضافة إلى وجود ٢٣ ملعبًا و٢٠ مساحة للعب ومسبح ومركز لرياضة الفروسية وملعب للكرة الحديدية.

وبعد، تلكم كانت رحلة سريعة لمستغانم الثرية بماضيها التاريخي الثقافي وبمعالمها الأثرية التي تحكي قصة مدينة أقل ما يقال عنها: إنها مدينة الطبيعة والآثار.

الهوامش

(١) «تحفة النظار في غرائب الأمصار والأسفار» لابن بطوطة تحقيق الأستاذ حسين مؤنس.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون كتاب «العبر».

(٣) «توماس شاو» "Thomas Shaw" ١٦٩٢م - ١٧٥١م. كاهن كنيسة القنصلية البريطانية بالجزائر، قام بتدوين رحلته في إفريقيا وهي ثرية بالمعلومات سماها:
"Travels and observations to several ports of Barbary" 1738. oxford

(٤) Perrot A.M.: Alger, esquisse topographique et historique du royaume et de la ville, Paris 1830.

(٥) G. Marçais, Encyclopédie de l'Islam.

(٦) سلاسل جبلية تقع في الجنوب الغربي ولقد ورد اسم هذه السلاسل الجبلية في صيغتين:

١ - وانشريس بمد الواو عند قدماء الجغرافيين العرب وهذه الصيغة موافقة لما ينطق به الآن وارسنيس بمد الواو كما أن واجلان في الكتب موافقة لوارجلا في النطق - مدينة أزلية -.

٢ - وَنْشريس بمد الواو عند الكتاب المتأخرين.

(٧) هو فرديناند الخامس الكاثوليكي (١٤٥٢م - ١٥١٦م)، أخذ غرناطة من العرب سنة (١٤٩٢م) ووحد بلاد إسبانيا تحت سلطانها.

(٨) كان برتبة رائد حكم منطقة وهران بين ٢٨ فبراير ١٨٣٣ إلى ٧ فبراير ١٨٣٥م، دوّن مذكراته في كتاب عنونه «وهران تحت قيادة الرائد ديميشيل» نشر في باريس سنة ١٨٣٥م.

(٩) انطلق المهرجان الأول لمسرح الهواة سنة ١٩٦٧م.

المراجع

(١) «تاريخ الجزائر» تأليف: مبارك بن محمد الهلالي الميلي. مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ١٩٦٣م.

(٢) "Histoire de Mostaganem" (Des otigines anos jours) l'auteur: Moulay Belhamissi; S.N.E.D., Alger 1982, 2eme édition.

(٣) «جغرافية الجزائر» طبيعية - بشرية - اقتصادية، تأليف: حلمي عبد القادر علي، أستاذ الجغرافية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر. الطبعة الثانية ١٩٦٨م، مطبعة الإنشاء - دمشق - سوريا.

(٤) Algerie: Guide Economique et Social - A.N.E.P. - Alg-

(٥) «الأطلس العالمي» المعهد الوطني التربوي - الجزائر.

(٦) «ولايات في تطور» وكالة الأنباء الجزائرية - المؤسسة الجزائرية للطباعة - الجزائر ١٩٨٩م.



العنكبوت الطائر

إعداد: محمد أحمد النهاري - قسم الترجمة

شراك حريرية من آلاف الخطوط القوية والدقيقة والمتشابكة والمتقاطعة والموازية ينسجها العنكبوت لفريسته، وما إن تسقط الفريسة في براثن هذه الشبكة المعقدة التى لافكاك منها حتى يعمل هذا الحيوان في القضاء على صيده والتهامه فى نهم شديد!

وهذا الحيوان العنكبوتي، أو العنكبوت الطائر **Jumping Spider** له أنواعه المتعددة التى تزيد على أربعة آلاف نوع وله حياته الغريبة التي نسجت حولها القصص والأساطير.

فالعنكبوت الحيوان الوحيد الذي ينصب شركًا من الحرير لفرائسه. ويقسم علماء الحيوانات طبقة العنكبوتيات، إلى عشر فصائل، خمس منها موجودة في أوربا، مثل العقارب، أشباه العقارب، العناكب، عناكب الحقل، والقراديات، بينما الفصائل الأخرى تضم أنواعًا تنفرد فيها المناطق الاستوائية.

وتتفرع «العنكبوتيات» إلى خمسة وثلاثين ألف نوع. ولقد وصف الكاتب أرثر كونان على لسان بطل رواياته شارلوك هولمز عدوه اللدود البروفيسور موريا بأنه كالعنكبوت الذي يرقد بلا حراك في وسط نسيجه. ويدل على مدى دقة نسيج العنكبوت ذي الآلاف من الخيوط المتشابكة أن نسيجًا للعنكبوت يبلغ مساحة ٨٠ بوصة مربعة (أي نحو ٥١٦ سنتيمترًا مربعًا) لا يزيد وزنه على ١٢ جزءًا من عشرة آلاف جزء من الجرام الواحد، وتقول الدراسات: إن العنكبوت ينسج خيوطه (كإشارات تحذيرية) للطيور وصغار الثدييات لتبتعد عن نسيجه ولا تتلفه، وقد اكتشف هذا السر العالم «توماس إيسنر» من خلال رحلاته العلمية التي كان يقوم بها في حقول بناما وفلوريدا. وقد استخدم نسيج العنكبوت في التداوي حيث كان اليونانيون القدماء يلفون خيوطه فوق الجروح لإيقاف نزيف الدم. وفي أندونيسيا لا زالت تستخدم حتى اليوم خيوط صيد وكلابات تعلق في أسنان السماك.



هذا النوع من العناكب يشبه النمل ويكثر في سنغافورة





هذا العنكبوت (الذكر) يوجد في سريلانكا ويدعى Chrysilla كريسلا



عنكبوت طائر ذو أربع عيون يشبه النمل



هذه أنثى الموبسوس تهاجم إحدى الحشرات

ومعظم العناكب الطائرة تعيش في المناطق الاستوائية ويبلغ عدد أنواعها نحو ٤٠٠ نوع وأشهرها ما يطلق عليه العلماء اسم **"Paykull Plescippus"** بايكولي بليسكيبس.

وللعنكبوت الطائر ألوان الببغاء وعيون الصقر وهجوم النسر، وعلى الرغم من ذلك فهو يتعامل مع أبناء فصيلته بلغة الإشارة، وأحيانًا تستخدم بعض الأصوات الخافتة، ويتراوح طول العنكبوت الطائر من ثلاثة إلى أربعة ملليمتر. وهذا النوع من العناكب لا يقبع ساكنًا بانتظار الفريسة حتى تأتيه يسعى إلى رزقه بل بنفسه فهو لا ينسج فخًا شبكيًا، بل يعتمد على إمكانات أوجدها الله فيه. ويتعقب الضحية وسط الأشجار والحشائش الصغيرة باحثًا عن أفضل زاوية تمكنه من محاصرة الضحية وبالتالي الانقضاض عليها. ثم يقوم بفرز سائل سام يعمل على إذابة أنسجة الضحية مما يسهل على العنكبوت الطائر التهامها بسهولة. ويتميز بوجود عينين كبيرتين في مقدمة الرأس. وهناك بعض أنواع من العناكب الطائرة تحمل في رأسها أربعة أزواج من العيون أي ثماني عيون وهذا يساعدها على مراقبة ومتابعة الفريسة دون بذل أدنى مجهود أو إصدار أي حركة قد تنبه الفريسة وتمكنها من الهرب.

الذئبة الحمراء
الخطرُ الذي يُهدِّدُ المرأة

إعداد : د. بهاء الدين محمود عبد الحميد

يعتبر مرض الذئبة الحمراء (SYSTEMIC LUPUS ERYTHROMATOSIS) من أشهر الأمراض المناعية التي مُنيتْ بها البشرية والتي حار العلماء في تفسير حدوثها ، ومما يجدر بالذكر أن هذا المرض ينتج عن حدوث خلل مناعي بالجسم . أما عن أسباب حدوث هذا الخلل فإن تفسير ذلك لا يتعدى النظريات التي وضعها الكثير من العلماء والأطباء والتي ربما تحمل بين طياتها الصواب والخطأ في آنٍ واحد ، ويكاد يقتصر حدوث المرض على النساء إذ إن نسبة حدوثه بين النساء والرجال تعادل ١:٩ ، وتؤكد آخر التقارير الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية أنه من بين كل ألفي شخص يصاب شخص واحد بهذا المرض .

أسباب المرض

كما أوردنا من قبل فقد وضع العلماء الكثير من النظريات لشرح أسباب حدوث المرض ، وقد ظلت الدراسات الطبية تحاول جاهدة في السنوات الأخيرة أن تميط اللثام عن أسباب حدوث هذا المرض ، وقد دلت معظم هذه الدراسات على أن للبيئة المحيطة بالمريض تأثيراً كبيراً في إحداث المرض ، ومن ثَمَّ **فقد أجملَ العلماء بعد جهود مضنية بعض الملاحظات والحقائق لتفسير هذا التأثير ومنها :**

١ ـ وُجِدَ أن للتعرض المستمر لضوء الشمس تأثيره المباشر في حدوث الكثير من حالات مرض الذئبة الحمراء .

٢ ـ كذلك وجد العلماء أن ما يربو على خمسة وعشرين عقاراً طبياً يقفون في قفص الإتهام لعلاقتهم الوثيقة بإحداث بعض حالات من هذا المرض ، ومن أمثلة هذه العقارات : الاستعمال الخاطىء والمستمر للمضادات الحيوية دون استشارة طبية ، فتقل تبعاً لذلك كفاءة الجهاز المناعي بالجسم فيصاب بالخلل ، ولا تنفي هذه الملاحظة حدوث المرض في كثير من الحالات بطريقة تلقائية دون أدنى علاقة بعقاقير معينة ، ومن ثَمَّ فقد وضع العلماء أُسساً للتفرقة بين المرض الحادث نتيجة للعقاقير والمرض الحادث بطريقة تلقائية ، وقد بين العلماء أن الحالات الحادثة عن العقارات الطبية تتساوى نسبتها بين النساء والرجال ، كما تختفي الأعراض إذا ما أوقف العقار المسبب لحدوث المرض ، وذلك على النقيض من الحالات الحادثة تلقائيا .

خمسة وعشرون عقارًا طبيًا في قفص الاتهام لعلاقتهم بهذا المرض

أعراضه

يبدأ المرض عادة بارتفاع في درجة الحرارة ، وضعف عام ، كما تنعدم الشهية للطعام ، ثم يعقب ذلك فقدان الوزن .

ومما يجدر ذكره أن للمرض أعراضاً خاصة به تميزه من غيره من الأمراض وهي :

١ ـ **ظهور الالتهابات الجلديه الحمراء** : وبخاصة في منطقة الوجنتين والأنف وفروة الرأس . وكذلك المناطق المكشوفة من الجسم ، كما يصاحب ذلك ضمور الجلد في المناطق المصابة .

٢ ـ **أعراض إصابة أعضاء الجسم المختلفة** : يتميز مرض الذئبة الحمراء بحدوث التفاعلات داخل الجسم بين الأجسام الغريبة (الانتجينات) وبروتينات الجسم ، فتتكون تبعاً لذلك الأجسام المضادة ، ويترسب ناتج هذا التفاعل أو ما يسمى بالمركب المناعي (IMMUNE COMPLEX) داخل أعضاء الجسم المختلفة ، وهنا يدخل المرض مرحلته الحرجة وتبدأ معاناة الجسم لتأثر كافة أعضائه ، ولذا تصاب المفاصل بالالتهابات (ويحدث ذلك في ٩٠٪ من الحالات) وتختلف هذه الالتهابات عن التهابات المفاصل العادية في أنه لا يمكن الكشف عن وجودها بواسطة الآشعة السينية (X-RAY) .

كما تصاب عضلة القلب وصماماته بالإلتهابات ، ثم تتأثر الكلى والجهاز البولي ويعتبر تأثير هذا المرض على الكلى من أكثر المضاعفات التي قد تهدد حياة المريض وبخاصة إذا ما تطور



مريضة بالذئبة الحمراء تبدو الالتهابات الجلدية الحمراء على وجنتيها

الاكتشاف المبكر لهذا المرض يساعد في القضاء عليه

الأمر ليحدث الفشل الكلوي ، كما قد يتأثر الجهاز التنفسي فتحدث الالتهابات الرئوية والتهابات الغشاء البللوري ، وقد تتطور المضاعفات ليحدث الاستسقاء البللوري ، كما يتأثر الجهاز العصبي فيعاني المريض من التغيرات المزاجية MENTAL CHANGES وقد يصاب بالاكتئاب النفسي .

وهكذا نجد أن خطورة هذا المرض لا تكمن في حدوثه في باديء الأمر ، بل تكمن في مضاعفاته التي تشمل الكثير من أعضاء الجسم المختلفة والتي يجدر بنا القضاء عليها .

الفحوص المعملية

١ ـ ارتفاع معدل سرعة ترسيب كريات الدم الحمراء .E.S.R .

٢ ـ اكتشاف وجود الخلايا المميزة لهذا المرض L.E. CELLS في الأعضاء المصابة .

٣ ـ وجود الأجسام المضادة للحمض النووي الديوكسي ريبوزي (.ANTIBODIES TO D.N.A) في الأعضاء المصابة ، ويمكن الكشف عنها بطريقة الفلورسنت المناعية . (IMMUNO FLOURSCENCE) .

٤ ـ نقص عدد كرات الدم البيضاء -LEUKO PAENIA ، والأنيميا .

٥ ـ وجود البروتين (الزلال) في البول -PRO TEINURIA نتيجة للمضاعفات في الكلى والجهاز البولي .

العــلاج

يشتمل العلاج على إرشادات عامة للمرض ، والعلاج الأساسي وكذلك متابعة المرضى .

أولاً : إرشادات عامة للمرضى

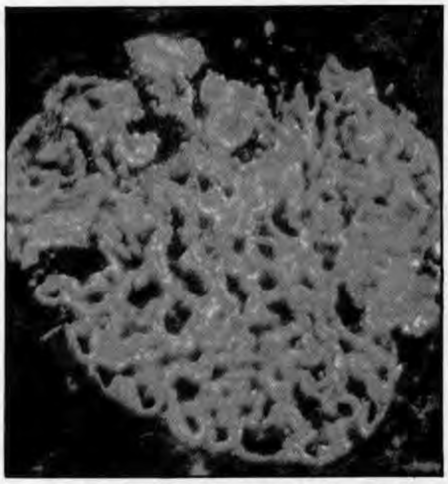
١ ـ يمنع المرضى ذوو الحساسية لضوء الشمس من التعرض المباشر لها كما ينصحون بدهان الجلد بالمراهم الواقية إبان التعرض لها .

٢ ـ ينصح المرضى ذوو المضاعفات بالمفاصل بالراحة التامة وتجنب الإجهاد كما ينصحون باستخدام الأسبرين للتغلب على الآلام الحادثة بها .

ثانياً : العلاج الأساسي

١ ـ تستخدم الأدوية المضادة للملاريا مثل **(الهيدروكسي كلوروكوين)** ، وقد حققت هذه العقارات نتائج طيبة في التغلب على أعراض المرض ومضاعفاته .

٢ ـ يستخدم كذلك **الكورتيزون** : ويستعمل في هذا المرض بجرعات كبيرة ويتم الإقلال من الجرعات على فترات منتظمة بعد الحصول على النتائج الطيبة ، ويساهم الكورتيزون في التغلب على المضاعفات الخطيرة لهذا المرض ، كما يقضي على الالتهابات الحادثة بأعضاء الجسم المختلفة .



قطاع في جزء من الكلى لمريضة بالذئبة الحمراء ويلاحظ ترسب المركب المناعي على هيئة حبوب صفراء

٣ ـ كما يستخدم الأطباء الأدوية المثبطة للمناعة IMMUNO SUPRESSIVE AGENTS مثل عقار (الإميوران) IMMURAN ، وتحقق هذه الأدوية الكثير من النتائج الطيبة .

متابعة المرضى

يتابع المرضى لمعرفة تطورات المرض ، وللحد من حدوث أية مضاعفات أخرى وكذلك لعلاج كافة المضاعفات الحادثة من قبل ، ومما يذكر في هذا المجال أن العلماء مازالوا يحاولون التغلب نهائياً على مرض الذئبة الحمراء .

وقد استطاعوا بفضل من الله تعالى أن يكبحوا جماحه بعض الشيء ، كما استطاعوا السيطرة على الكثير من الحالات إبان الاكتشاف المبكر لها ، وربما تمخض رحم الغد عن أمل جديد للشفاء النهائي من هذا المرض الذي حَيَّرَ المرضى والأطباء على حد سواء .

المراجــع

1. MIDDLE EAST MEDICAL UPDATE MAGAZINE.
FEBRUARY 1986.
2. MEDICINE INTERNATIONAL MAGAZINE
JUNE 1984.
(ALLERGY AND CLINICAL IMMUNOLOGY)
3. CURRENT MEDICAL DIAGNOSIS 9 TREATMENT 1985
EDITED BY: MARCUS A. KRUPP.

بعد ٣٥٥ عامًا:

كنوز «دي لاكونسبشيون» تخرج من تحت الماء!

فريق قوامه عشرة آلاف من مهن مختلفة: انثروبولوجيين، ومبرمجي كومبيوتر، ومصورين فوتوغرافيين ومهندسين وأطباء، وغيرهم، بهم دراية تامة بالغوص والإنقاذ، أسهموا على مدى عشرة شهور كاملة ـ في إنقاذ كنوز السفينة الإسبانية «نيسترا سينورا دي لاكونسبشيون» التي غرقت بالقرب من مانيلا منذ ٣٥٥ عامًا.

ففي ٢٠ سبتمبر من عام ١٦٣٨ بينما كانت هذه السفينة التي تُعد من أكبر سفن التجارة في وقتها متجهة من الفلبين إلى المكسيك محملة بكنوز الشرق، نشب فجأة تمرد ضد قائدها صغير السن، وبينما الجميع، مشغولون في القتال، انطلقت السفينة بفعل الرياح الشديدة ثم انغرست في الشعاب المرجانية بعنف، جعل قاعها ينشطر نصفين ثم غرقت في جزر سايبان.

وبعد مرور ٣٥٧ سنة تمكن فريق بحث من العثور على حمولتها من الذهب والأحجار الكريمة وسائر الأشياء كاملة.

تُرى هل كان قدر السفينة أم طمع الرجال على ظهرها هو سبب الكارثة ؟

في جزيرة سايبان إحدى جزر ماريانا الشمالية، كان العمل يجري على قدم وساق بحثًا عن بقايا سفينة نيسترا سينورا دي لاكونسبشيون التي تعد واحدة من سفن تجارية أسبانية عديدة كانت تجوب المحيط الهادي بين الجزر الفلبينية والمكسيك منذ ٣٥٥ سنة.

وكانت السفينة قد تحطمت وذهبت إلى القاع عندما أسيء تدبير أمرها في هذه المياه بينما كانت في طريقها شرقًا متجهة من مانيلا إلى أكوابلكو في المكسيك، وبها حمولة ضخمة من الحرير الشرقي والخزف والعاج والذهب والمجوهرات الثمينة.

والواقع أن تجارة السفن التجارية كانت واحدة من أكثر المشروعات التجارية ربحًا واستقرارًا في التاريخ الاستعماري الأوربي، وفيما بين ١٥٦٥ـ ١٨١٥م حملت السفن كنوز الشرق إلى الغرب عن طريق المكسيك في مقابل بضائع العالم الجديد والسلع المصنّعة في أوربا، أكثر من ٤٠ سفينة شراعية فُقدت في البحار المتلاطمة على مدى قرون طويلة، ولكن البحث عن بقاياها تركز بطريقة تقليدية في المحيط الأطلنطي والبحر الكاريبي.

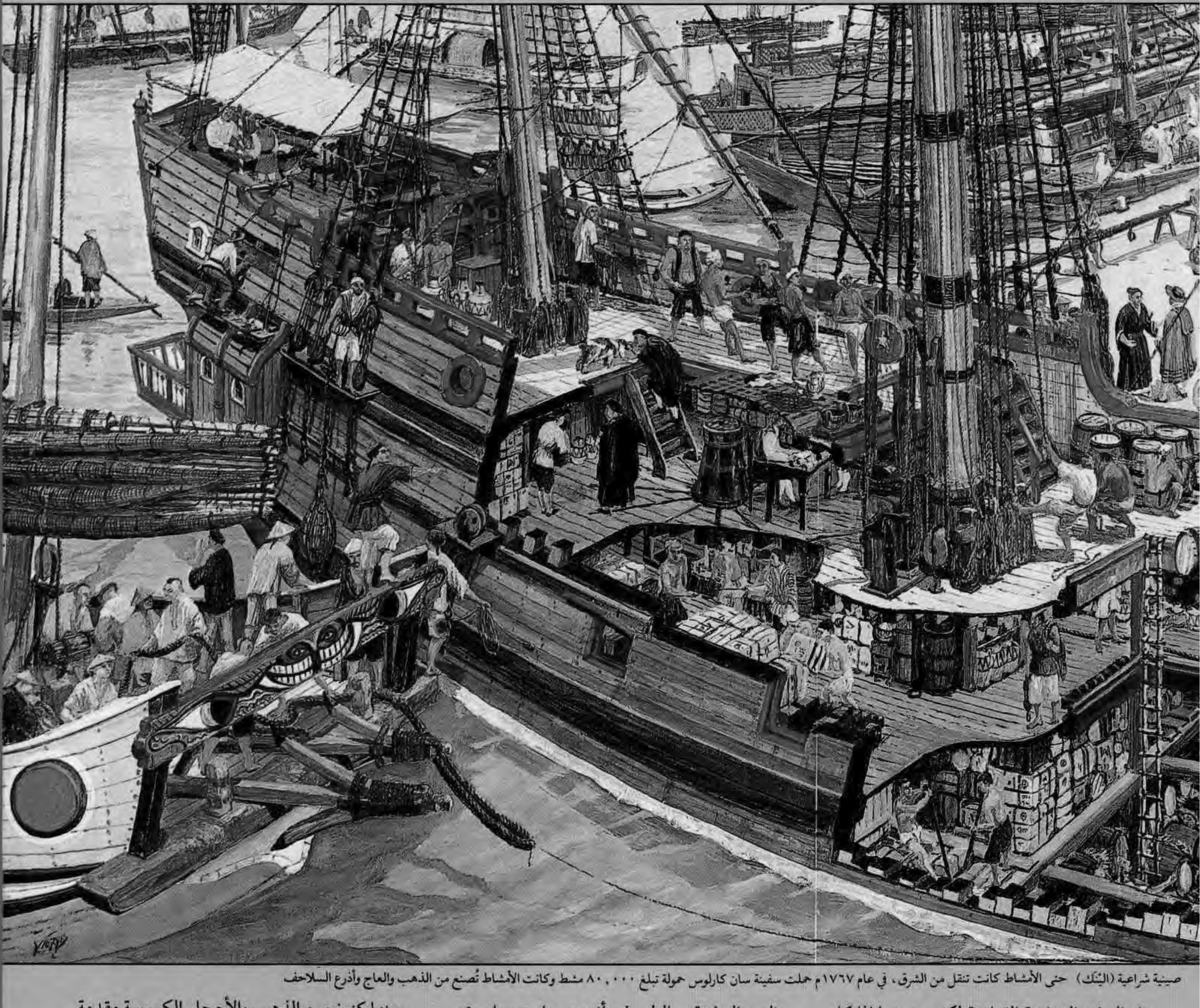
وكانت «دي لاكونسبشيون» واحدة من أغنى السفن الشراعية في وقتها، فقد كانت حمولتها تساوي ٤ مليون بيزو أي ما يساوي ٨ مليون دولار اليوم، وقد كانت أكبر سفينة أسبانية تم بناؤها في وقتها، يتراوح طولها بين ٤٠ و١٦٠ قدمًا وتحمل وزنًا قدره ٢٠٠٠ طن.



أثناء إعداد دي لاكونسبشيون للرحيل يتولى الصينيون إفراغ البضائع من سفينة

أطماع مهلكة

□ إن سفينة دي لاكونسبشيون كانت مشهورة على وجه الخصوص بسبب النزاع المستمر بين تجار مانيلا بما فيهم المحافظ الذي كان يخالف القانون دون سيباستاين هيرتادو دي كوركويرا؛ ومسئولي الجمارك المكسيكيين. وفي عام ١٦٣٦م بدأ وكيل جمارك حديث التعيين يُدعى كويروجا التفتيش بدقة



صينية شراعية (اليَنْك) حتى الأمشاط كانت تنقل من الشرق، في عام ١٧٦٧م حملت سفينة سان كارلوس حمولة تبلغ ٨٠,٠٠٠ مشط وكانت الأمشاط تُصنع من الذهب والعاج وأذرع السلاحف

على السفن الشراعية القادمة لكي يرى ما إذا كان تجار مانيلا يحملون أكثر من المُسجَّل في لائحة السفينة .

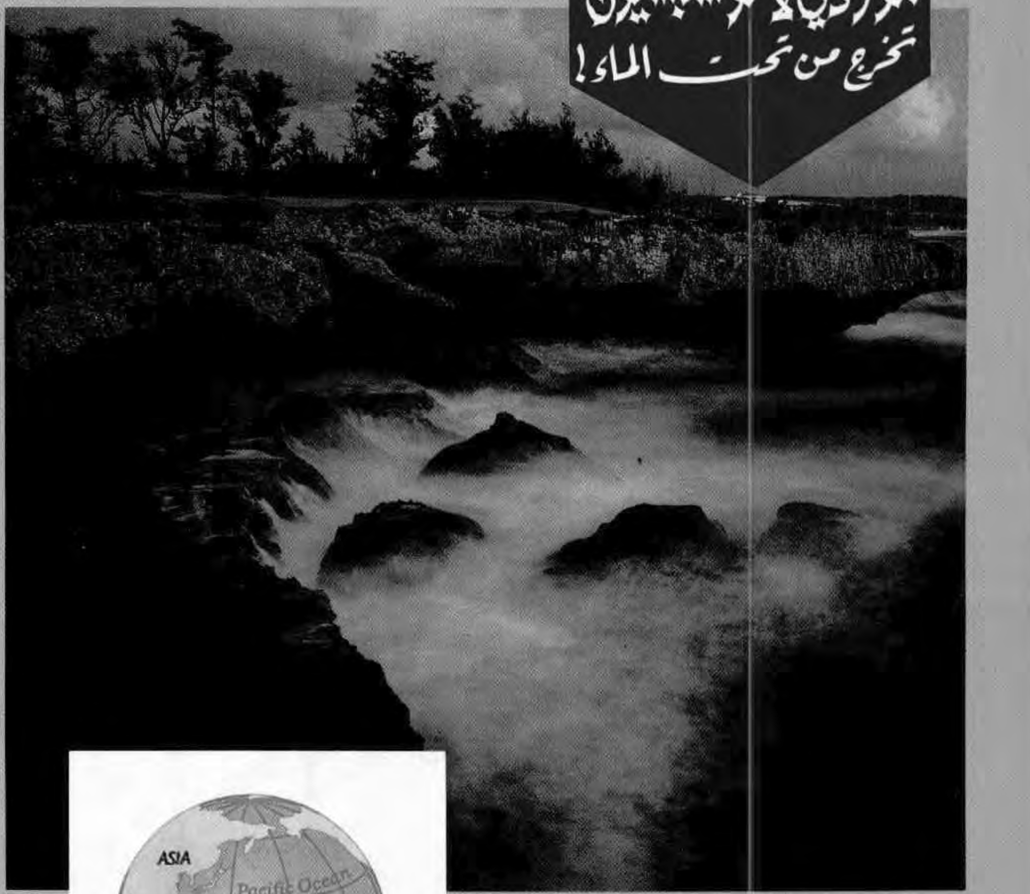
وكان التجار الناقمون قد اعتادوا لفترة طويلة أن يكونوا غير دقيقين في تقديم لوائح حمولات سعتهم إذ إنهم أرادوا مقابلة الأذى ، وذلك برفض تقديم بيانات صادقة بحمولات السفن وفي رسالة مؤرخة في ٣١ يولية ١٦٣٨م أعلم دي كوركيرا نفسه الملك فيليب الرابع أن دي لاكونسبشيون سوف تبحر بدون جداول أو لوائح بسبب معاملة كويروجا غير العادلة، وبالفعل أشارت الوثائق المعاصرة - فيما بعد - إلى وجود حمولات سرية على ظهر السفينة . والطريف أنه بتتبع استجواب تم عام ١٦٤٤م حول فقدان السفينة ، اتهم المسؤولون الأسبان دي كوركويرا بأنه اختلس حمولة السفينة في الفلبين وأعاد شحنها ثانية إلى أسبانيا كحمولة شخصية .

وطبقًا لحسابات المؤرخ كازميرو دياز في عام ١٧١٨م يقول : «إن المحافظ دي كوركويرا كان رجلاً طماعًا ، فقد وجهت له ٥٩ تهمة أثناء استجواب رسمي في عام ١٦٤٤م، وكان الاتهام يدور حول قيامه بشحن غنائم شخصية مكتسبة بطرق غير شرعية وبصفة دورية على السفن الشراعية المتجهة شرقًا بما فيها السفينة المذكورة، ومنها كنوز من الذهب والأحجار الكريمة مقدمة كرشاوٍ لضمان الرعاية الخاصة والموافقة على تعيين أقاربه .

تمرد ضد الضباط

□ كذلك اتهم دي كوركويرا بأنه المتسبب الأول والرئيس في تحطم دي لاكونسبشيون وغرقها، عندما قام بتعيين ابن أخيه دون جوان فرانسيسكو لكي يقود السفينة بغرض تغطية مفاسده هو، وطبقًا لممثلي الاتهام أدى هذا مباشرة إلى فقدان السفينة ، خاصة أن فرانسيسكو كان صغير السن، إذ كان عمره يتراوح بين ٢٢ و ٢٤ سنة وكانت خبرته قليلة في الشئون البحرية والعسكرية .

بعد ٣٥٠ عاماً:
كنوز «دي لاكونسبشيون» تخرج من تحت الماء!



في هذا الموقع جنحت السفينة أولاً ثم وقعت الكارثة

ولهذا السبب وبعد أيام قليلة من الإبحار فقد ضباط السفينة احترامهم وطاعتهم لـه، وكان كل ضابط يسعى لإعطاء أوامره لكي يُطاع، ثم انقسم الضباط إلى جماعات، كل جماعة تهاجم الأخرى. وفي تمرد حدث من البحارة ضد الضباط ترتب عليه وقوع قتلى وجرحى، استدارت السفينة فجأة - وجميعهم لاهون عن الملاحة - نحو الريح وسرعان ما سيطرت عليها الرياح متسببة في تمزيق أشرعتها التي سقطت جميعها في البحر في غضون دقيقة، تاركة السفينة بدون سيطرة تحت رحمة الرياح والتيارات التي حملتها على غير هدى، حيث جنحت إلى إحدى الشعاب المرجانية وهنا انشطر قاعها وغرقت.

فريق بحث

استغرق البحث الأساسي عن السفينة نحو عامين، وفي البداية تم البحث في السجلات التاريخية في أشبيلية وروما وجوام ومكسيكو حتى الولايات المتحدة ومانيلا نفسها.

وكان الموقع العام لبقايا دي لاكونسبشيون



يشير السهم إلى جزر ماريانا في المحيط الهادي حيث غرقت السفينة. بعد العثور على الحمولة كاملة سوف يقام متحفٌ لعرض المصنوعات

معروفًا؛ لأن كثيرًا من حمولتها تم إخراجه من المياه الضحلة في جزر الماريانا على يد سكان الجزر بعد تحطمها بنصف قرن تقريبًا.

وفي عام ١٦٨٤م استخرج الأسبان، خمسة وثلاثين مدفعًا من إجمالي ستة وثلاثين مدفعًا مفقودًا وسبعة من مجموع ثمانية مراسٍ، ولكن المصنوعات الباقية ظلت منثورة في الشعاب المرجانية الخطرة، بعيدًا في المياه الأعمق.

وقد بدأ البحث الأولي عن السفينة الغارقة في ١٤ مارس ١٩٨٧ حيث ألقت سفينة فريق البحث **Tanger** مراسيها على بُعد مئات الياردات بالقرب من قطاع ضيق من الرمل المرجاني يُسمى شاطئ أجنجان على الساحل الجنوبي الغربي لسايبان.

وأسفرت الأسابيع الثلاثة الأولى من الغوص عن العثور على قطع محطمة من السيراميك وتركيزات متناثرة من أحجار الصابورة، إذ إن ٣٥٠ سنة من أعاصير التيفون نشرت الفوضى والدمار في بقايا الحطام. وقد حال تهديد أعاصير التيفون عن عمل فريق البحث الميداني في الفترة من يونية إلى ديسمبر، ولكن خلال الشهور الستة الأولى من عامي ١٩٨٧، ١٩٨٨م تم اكتشاف كل ما تبقى من السفينة. وكان فريق رفع البقايا يتكون من ثلاثين رجلاً وسيدة متضمنا سبع جنسيات: تايلندية - ماليزية - سنغافورية - فيليبينية - أسترالية - إنجليزية - أمريكية، وهكذا كان الفريق مختلفًا مثل الطاقم الذي تسبب في تقويض دي لاكونسبشيون وغرقها تمامًا!

عشرة آلاف غوص

كان فريق البحث يتكون من انثروبولوجيين ومبرمجي كومبيوتر وصائنين ومصورين فوتوغرافيين ورسامين بالريشة ورسامين توضيحيين وكتاب ومهندسين وطهاة ولاحمين وعالمي أحياء بحرية وسكرتير، وكل فرد من هؤلاء بالإضافة إلى تخصصه، كان غواصًا محترفًا على درجة عالية من المهارة.

خلال عشرة أشهر من العمل في موقع السفينة أجرى الفريق أكثر من ١٠,٠٠٠ غوص بدون وقوع حادث مؤسف واحد على الرغم من خطورة العمل في الشعاب المرجانية وما يعيش فيها من أسماك ومخلوقات مميتة في بعض الأحيان. فقد لاحظ أحد أفراد الفريق وجود سمكة من نوع **Stone Fish** ومن المعروف أن أشواك هذه السمكة سامة يمكن أن تسبب ألمًا موجعًا جدا. كذلك قام سمك الموراي - من نوع الأنقليس - الذي يتمتع بوجود أسنان مقوسة بارزة بعضّ عدة غواصين. أيضًا كانت الجروح المتسببة عن حروق المرجان شائعة ومؤلمة، كذلك كان كل غواص - تقريبًا - يعاني من حروق حادة في جلده من قنفذ البحر.

وبرغم هذا كانت الحياة البحرية حول سايبان في أغلبها جميلة ومثيرة خاصة بعد أن ذهبت أسماك قرش الشعاب إلى غير رجعة بعد أن امتنع أفراد الفريق عن إلقاء بقايا الأسماك والطعام في الماء. وكانت ألباب الغواصين تخلب برؤية قوس قزح



مشط ذهبي يحمل اسم صاحبته «دونا كتالينا» بحروف إنجليزية



علبة صغيرة من الذهب المخرّم، يتولى صائغ في سنغافورة إصلاحه بينما غطاؤها أمامه



خواتم لها فصوص من الياقوت والألماس والصفير فوق أخشاب القرفة

أسماك الشعاب والحيوانات البحرية شبه الزنبقية الصفراء والحمراء التي تتخذ شكل سعف النخل، وغزو أسماك « أبو ذقن » التي كانت تسبح في المناطق التي تم التنقيب فيها بحثًا عن العظام مثل طيور تهبط في حقل تم حرثة حديثًا.

العثور على الكنز

في بداية البحث عن الحطام لم يجد الفريق سوى بعض أحجار صابورة السفينة، وفجأة لمح أحد الغواصين صفيحة ذهبية اتساعها ٣ بوصات وبدأ قلبه في الدق السريع، فقد تذكر أنه قرأ وثائق في أرشيف بلاد الهند في أشبيلية تذكر أن السفينة كانت تحمل ـ عندما غرقت صفائح ذهبية صلبة وأطقم أباريق من المعتقد أنها كانت هدية من ملك أسبانيا إلى إمبراطور اليابان.

وبعد انتهاء الغوص يوميًا كان كل غواص يبرز ما عثر عليه من أجزاء الكنز، وكانت البداية مخيبة فقد عثر أحد الغواصين على جسم له شكل حشرة يومض ووصفه بأنها جُعل من الذهب، ولكن بعد الفحص تبين أنها خنفساء نحاسية تُباع في متجر محلي للهدايا وبالتالي ألقيت ثانية في الأعماق.

بدأت الاكتشافات المهمة تتوالى عندما عثر غواص آخر على حذاء صغير من الذهب الخالص مرصع بنحو إحدى وأربعين ألماسة، وكان الحذاء مخصصا لوضع العطر، ثم عثر أحد الغواصين على «كتلة» مكونة من اثنتين وثلاثين سلسلة ذهبية، يبلغ طول كل منها خمسة أقدام كلها مجتمعة معًا بواسطة سلك ذهبي ملوي. كذلك كانت هناك ـ بعيدًا عن متناول الذراع ـ سلسلة ذهبية رقيقة طولها ١٦٠ قدما، فوقها سبعة أقدام من الرسابة أسفل سلسلة صخور تحت الماء وقد سحبت قليلاً حتى استخرجت.

وقد أسفر التنقيب جميعه عن العثور على ١٣٠٠٠ قطعة من حلي الذهب من عيار ٢٢,٥، أساور، خواتم، دبابيس زينة مرصعة بالأحجار الكريمة، أزرار مزركشة بالتخريم والتثقيب، خرزات.

وأعلن مؤرخو الأحجار الكريمة في وقتها أن غالبية المجموعة لها قيمة كبيرة، وعندما كانت الموضة تتغير كانت القطع تصهر وتُحول إلى تصميمات جديدة أو تحول إلى عملة، وقد دل حطام السفينة على أن حُلي الموضة الأوربية كان تُصنع في الفلبين.

١٥٦ جرة للتخزين

حتى المستخرجات الأقل قيمة من الحطام كانت أيضًا رائعة، فعلى سبيل المثال عثر على ١٥٦ جرة تخزين على أعماق تتراوح بين ١٤٠و١٥٠ قدمًا ممتلئة برواسب مثقلة بالماء، وكانت كل جرة تزن أكثر من مائة رطل ويجب أن تجذب من الماء بواسطة «ونش».

كشفت الدراسات فيما بعد أن هذه الجرات جاءت من قمائن في جنوب الصين وكوشين الصين (فيتنام) وسيام (تايلند)، وكانت واحدة فقط من تصميم أسباني، وعندما قام الصائنون برفع الرواسب بعناية عثروا على جرتين تحملان راتنج عطري من الشرق كان يستخدم كبخور وكانت بعض الجرات تحمل عظام حيوانات صغيرة مازالت تحمل آثار سكين الجزار.

وكانت الجرات تحمل رموزا أو الحروف الأولى من أسماء أصحابها مكتوبة بالأسبانية والفلبينية، وقد بينت الرموز أنها كانت تحوي الملح أو الملح الصخري أو الخل أو الكبريت أو النبيذ.

بعد ٣٥٥ عامًا:

كنوز «دي لا كونسبشيون» تخرج من تحت الماء!

ولكن معظم الجرات كانت تحمل ماءً للشرب، إذ إن سفن مانيلا الشراعية كانت لا تتوقف في أثناء رحلاتها الطويلة التي كانت تستغرق من خمسة إلى ثمانية أشهر إلى أكوابلكو في المكسيك، لذا كان عليها أن تحمل الماء على ظهرها بكميات كبيرة. وكانت جرات الماء تحفظ إما على ظهر السفينة أو في الأسفل، أكثر من ١٠٠٠ إناء حجري أو فخاري كان يستعمل مرات ومرات غالبًا لعشرات السنين نظرًا لأنه كان جيد الصنع.

وبعد إزالة المخلوقات المرجانية قضت كل جرة نحو ستة أسابيع داخل برميل من الماء العذب للتخلص من الملح الذي قد يسبب تلفها، ومن بين كل ما عثر عليه كشف الغواصون عن ثمانية أشكال مختلفة من الجرات، كلها مصنوعة من الطين في الشرق باستثناء واحدة مصنوعة من الفخار في أوربا.

تقارير شهرية

لاستكشاف الأعماق البعيدة فيما وراء المجال الآمن، استخدم فريق البحث جرس غوص به رجلان، كذلك استخدمت مركبة تدار عن بعد، عبارة عن كاميرا فيديو متحركة يتم توجيهها من السطح. بالإضافة إلى هذا استخدمت غواصات تحمل الواحدة ملاحظين اثنين وقبطانًا؛ لإجراء الأبحاث الأعمق وأثبتت جميع الوسائل أن الحطام لم يمتد أبعد من ٢٥٠ قدمًا.

وكان فريق البحث يراقب الشعاب المرجانية بانتظام لمعرفة أية تأثيرات ممكنة لعمله على البيئة المحيطة، وكانت المعلومات التي تجمع يتم تلخيصها في تقارير شهرية وتقدم لحكومة الدول في جزر ماريانا الشمالية، التي كان الفريق يعمل معها عن قرب، وكذلك تقدم لفيلق المهندسين في جيش الولايات المتحدة.

وقد كشفت بيانات موسمي عمل ميداني أن أنشطة الفريق كان لها تأثير سلبي محدود على الشعاب المرجانية.

مفاجآت عديدة

□ استمرت أعمال الصيانة على مدى ساعات طويلة من أجل تثبيت وصيانة الأشياء الهشة التي كانت مغمورة في المياه المالحة منذ قرون. وبعد التنظيف تم قياس كل المصنوعات والمواد التي عثر عليها، وصورت وسحبت على الورق وسجلت صورها على أقراص ليزر في أجهزة الكومبيوتر الموجودة في السفينة، كذلك أُدخلت كل التفاصيل متضمنة المواقع الصحيحة في قاعدة البيانات المبرمجة من أجل التقرير النهائي. وعلى الرغم من ظهور تلف في كثير من المصنوعات بسبب أعاصير التيفون، وفعل الرياح التي تعرضت لها فترة طويلة بعد غرق السفينة، أسفر تفحص كثير من المصنوعات عن مفاجآت عديدة، فعندما تفحصت واحدة من الصائنين قطعة من البرونز المقوس التي ظلت منقوعة في محلول الكيميائي لفترة، تبين أنها تمثل دلفينًا على الرغم من تآكلها بدرجة سيئة، ويبدو أنها كانت تمثل مقبضًا انفصل عن المدفع، وفقد خلال مجهودات الأسبان في البداية أثناء إنقاذ طاقم السفينة.

كذلك ما ظهر في البداية على أن قطعة غليظة من المرجان المبقع بالحديد، تبين بالفحص المتأني أنها كانت بالفعل كتلة متحجرة مكونة من ٥٦٤ مصنوعة تشمل خرزات زجاج من المحتمل أنها من أصل صيني، مسامير صغيرة مستدقة الطرف عريضة الرأس من نحاس مزخرف تثقب بقايا ورقة ذهبية، بقايا سيراميك، أزرار نحاس وذهب، رمانتي سيفين من الفضة، ميزانا صينيا من البرونز كان يستخدم في وزن المعادن النفيسة.

ومن الأشياء التي عثر عليها مشط صغير من الذهب، أمكن عليه قراءة بحروف إنجليزية منقطة تاريخ ١٦١٨م، واسم دونا كتال دي جوزما وهو اختصار لاسم دوناكتالينا دي جوزمان، وفي البحث الذي أجري فيما بعد تبين أن السيدة كتالينا هذه كانت أرملة تسكن مانيلا عام ١٦٣٤م ولكن،



أزرار يتوسطها فصوص من الآلماس. كما عثر على ٩٩٧ زرًا من الذهب المخرم بين الحطام

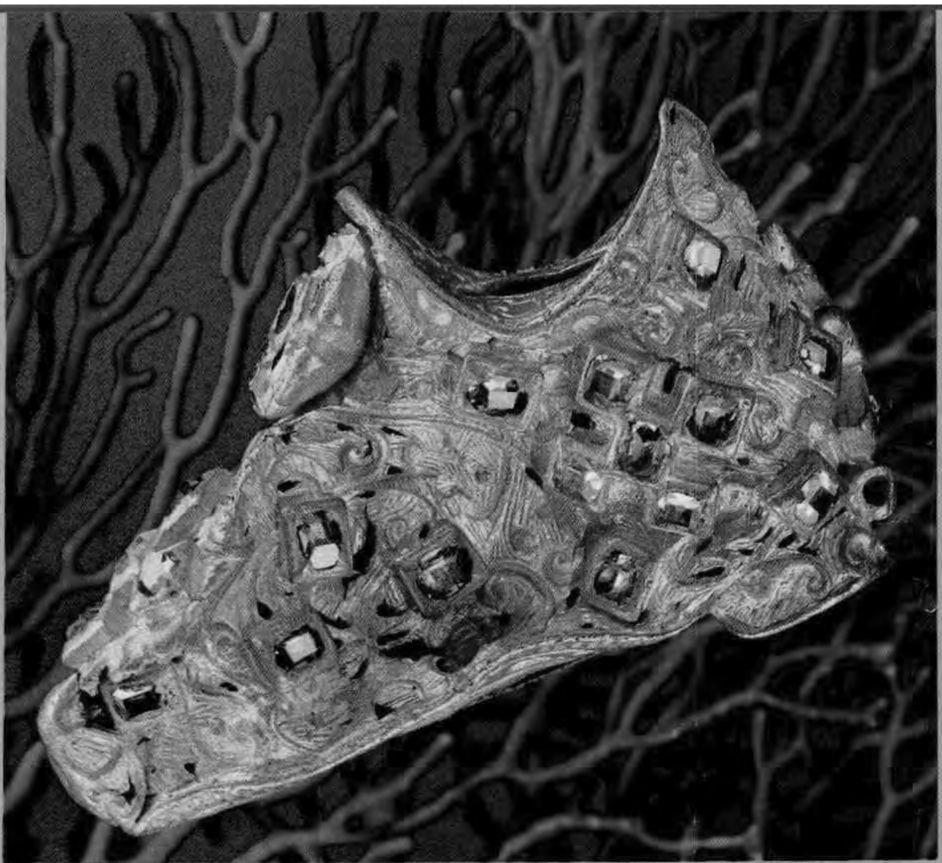


سلاسل ذهبية يبرز فيها الإتقان والفن كانت بين الحطام

هل كـانت على متن السفينـة الغـارقة؟ مـاذا كـان مصيرها؟ نجت أم غرقت؟ لا أحد يدري.

خليج سافيت

☐ كانت غالبية السفن الشراعية في الماضي تُبنى في ميناء سافيت في خليج مانيلا، وفي خليج مانيلا أيضًـا كـانت تُحمل الحمـولات الفنيـة المترفـة ذات القيمة المـاديـة المـرتفعـة ـ كما يبـدو في الصـورة المرسومـة ـ حيث يقوم تجار صينيون بإفـراغ السفينة الشراعية الصينيـة المعروفة بـاسم ألينك، بينما يتولى الكهنة الأسبان والتجار والعمال الفلبينيون والبحارة إعداد السفينة دي لاكونسبشيـون المتجهة شرقا إلى أكوابلكو.



حذاء صغير من الذهب الخالص مرصّع بنحو ٤١ ألماسة كان يُستخدم لوضع البخور. ذهب الرجال وبقي الذهب!

ولأن رخاء مستعمرة بكاملها ـ في الغالب ـ كان يعتمد على مجرد حمولة سفينة واحـدة في السنة اشتد الإغراء على تحميل السفن بحمولات زائدة، حمولات كانت تُضغط بخبرة وتُـحزم عادة بواسطة الصينيين ثم تـوضع في المكـان المخصص: المدافع تُـحفظ عـادة في مخازن السفينة لتخصيـص حجرات أكثـر على الظهر للبضـائع، ومئات من جـرات التخزين المشتملة على ميـاه عذبـة كانت تـوضع أسفل ظهر السفينة بينما تعلق أخرى فـوق الرؤوس حيث تربط بأحكام في حبال قوية مصنوعة من قنب مانيلا.

ولكن ماذا عن الحمولة نفسها؟

فتحت بلـدان الشرق أبـوابها للـدول الأوربيـة لكي ينقل منهـا مختلف المواد الطبيعيـة والمصنعـة بفن، فكان يخرج الفلفل والقرنفل والقرفة من جزر التـوابل، والخزف الفاخـر والسجاجيـد المنسوجـة بإتقـان من الصين، والملابس القطنيـة من الهنـد، والعاج من كمبـوديا، والكافور من بـورينو، وحلي الذهب المرصعة بالأحجار النفيسة من بورما وسيلان وسيام. وكان الحرير الصيني المصنع من كل مصنع ولون يمكن تصوره هو أكثر ما يلقى طلبًا.

وقد كانت دي لاكونسبشيون محملة بمثل هذه الكنوز عندما لاقت مصيرها المحتوم.

نهاية دي لاكونسبشيون

☐ كـانت سفينـة الاستكشـاف **Tanger** قد ألقت مراسيها بالقرب من موقع الحطام حيث كانت تستخدم بمثـابة مكان لمعيشـة طاقمهـا المكوَّن من ثـلاثين شخصًـا ومختبرًا في نفس الـوقت لعمليـات إنقاذ بقايا السفينة.

وعلى مـدى فترة دامت سنتين قـام الفـريق بتمشيط مساحة قدرها نصف ميل مربع على عمق يتراوح بين قـدمين و٤٠٠ قـدم، ومن بين الأشيـاء التي تم استخـراجهـا أكثـر مـن ١٣٠٠٠ قطعـة ذهبية، ١٥٦ جرة تخزين ومئـات قليلة من طلقات المدافع.

وكان ما اكتشفه الفريق حول نهاية السفينة أنه بعد الإبحـار بفترة ليست بالطـويلة نشب تمرد على ظهر السفينة ضد قائدها صغير السن قليل الخبرة، وهـو في الـوقت نفسـه ابن شقيق محافظ مـانيـلا المرتشي، وقـد رفض عـدة ضبـاط الامتثـال لقـائد السفينـة، ثم حاول كل منهم أن يفرض سيطرته على السفينــة، وفي وسط الارتبـاك والتمــرد انـدفعت السفينـة لا تلـوي على شيء في الطقس القـاسي. وبعـد أن مزقت الـريـاح أشرعتهـا، انشطر القـاع وغرقت في الشعـاب القريبـة من سايبـان ثاني أكبر جزر الماريانا ثم أفرغت الصابورة، وبعدها تبعثرت حمولتها البـاقية على مراحل بينما كـانت تنطلق نحو الشعاب، وقد تدفقت جميع أجزاء السفينة الموجودة فوق سطحها الرئيس في المياه المضحلة وتحطم الجزء الـذي كان يشتمل على جـرات التخزين بعيـدًا في اتجاه البحر وفي النهاية استقـر البدن. بما يحمله من مصنوعات قيمة في المياه العميقة.

من بين أربعين شخصًا كانوا على ظهر السفينة نجا عدد قليـل من البحارة والمسافرين بعـد غرقها في قارب مفتوح بعد ثمانية أشهر من غرق السفينة.

وبعد

إن خســارة السفينــة نيسترا سينــورا دي لا كونسبشيون كان حادثًا عشـوائيًا، ربما كان قدرها قصة رمزية لطمع الإنسان، ولكن كان حادثًا كلف التاج الأسباني الكثير وترك تأثيرًا يتعذر محو آثاره على تجار مـانيـلا أو على عـائلات البحـارة المفقـودين وكـذلك المسافـرون الـذين نجـوا وكانـوا يعتبرونها وطنهم ومنزلهم.

وبعد أكثر من ٣٥٠ سنة مـن غرق السفينة ما زالت تترك آثارًا لا يمكن تجاهلها أو نسيانها بسهولة على كل من يقرأ حكايتها. أليس كذلك؟

الهوامش

السفينة هي: **Nuestra Senora de la Concepcion**

الصـابورة: ثقل أو أحجـار تستخـدم في سفينة لحفظ تـوازنها (المورد ط ٩٢)

التيفون: إعصـار استوائي في الفلبين أو بحـر الصين. (المورد ط. ٩٢)

ترجمة/ نجلاء حسن حامد عن مجلة **National Geographic**

صبراً جميلاً سرايفو

شعر: عبد الجواد طايل



عيني عليكِ وكلّ الأرضِ تنتظرُ   مُنذُ الضُّحَى وإلى أن أقبلَ السَّحَرُ
وأنتِ صامدةٌ لم تَيأَسي أبدًا   مهما تخلّى ومهما أعرضَ البشرُ
عارٌ علينا بأن تغفو لنا مُقَلٌ   والليلُ دهرٌ طويلٌ ليس ينحسِرُ
والمسلمونَ على أعتابهم ذُبِحوا   ونحنُ لمّا نزلْ نأسَى ونعتَذِرُ
كأنَّ لم يأتِنا من عندهم خبرٌ   فلم يعدْ عندنا سمعٌ ولا بَصَرُ
وقد نَمُدُّ أيادينا بلا حَرَجٍ   إذا تهدَّمَ بيتٌ للأُلى كَفَروا
نَحنُو عليهم بإشفاقٍ ومرحَمَةٍ   حتى يزولَ بعيدًا عنهمُ الخَطَرُ
عيني عليكِ سرايفو وقد ذبُلتْ   فيكِ الورودُ وغاضَ الماءُ والشَّجَرُ
ودمْدَمَتْ طائرات فوقَ مئذنةٍ   وأصبحَ الموتُ بين الناسِ ينتشِرُ
واستوطَنتْ في رُباكِ النارُ عاصفةً   هوجاءَ حَمْقَى فلا تُبقِي ولا تَذَرُ
دمعُ اليتامى وأناتُ الأُلى صُلِبوا   دم الشيوخِ وصوتُ الطفلِ يُحتَضَرُ
والمُحْصَنَاتُ وذئبٌ جائعٌ نَهِمٌ   وصرخةٌ في ظلامِ الليلِ تنكَسِرُ
ما حرّكَتْ ساكنًا في قلبِ أُمّتِنا   كأنَّ أُمّتَنا في قلبها حَجَرُ !
عارٌ علينا بأن تمتدَّ حانيةً   يدُ النصارى إليهم أينما عَبَروا
حتى إذا لم يَعُدْ بالأرض مُتّسَعٌ   وضاقَ ذرعًا بهم اَلريفُ والحَضَرُ
ولم يُقِمْ أودهمُ والحربُ دائرةٌ   الأقربونَ فلا لَوْمٌ ولا حَظَرُ
عيني عليكِ سرايفو وقد هربتْ   منكِ العصافيرُ والأحلامُ والقَمَرُ
وصار ليلُكِ بالأشباحِ مُتّشِحًا   يعيثُ فيه فسادًا حاقدٌ . . أَشِرُ
قد جاء يثأَرُ من ماضيهِ مُنهَزِمًا   والأمسُ يشهدُ والتاريخُ والسّيَرُ
والزاحفونَ إلى البلقانِ في ثقةٍ   والكافرونَ ولم يُصبِحْ لهم أَثَرُ
والفاتحونَ وجندُ الله هاتفة   الله أكبرُ والإسلامُ يَنتَصِرُ
واليومَ ماذا جرى ؟ من سوفَ يُدركُنا   ولم يعُدْ خالدٌ فينا ولا عُمَرُ ؟
ولا ابنُ زيدٍ ولا سعدٌ ولا رَجُلٌ   يندى جبينًا . . غيورٌ . ساقَه القَدَرُ
والسيفُ لما يزل في غمدِه صدِئًا   يَثنيهِ عن عزمِه اَلخوفُ والحَذَرُ
صبرًا جميلاً سرايفو فإن غدًا   قد ينصرُ الله (بعد العسرِ) من صَبَروا



الأوزون

في مواجهة الاختراعات

د. زين العابدين متولي

منذ ما لا يـزيد على مـائة عام فقط كـان الإنسان يحمي نفسه من البيئـة ويتعلم كيف يكيف نفسـه لها، ولكن من الآن فصـاعدا يجب على الإنســان أن يحمي البيئـة من شروره وملوثاته؛ حتى يحافظ على خمسة بلايين سنة باقية بمشيئة الله من عمر الأرض. حيث تبين الحسابات الفلكيـة أننا الآن في منتصف الطريق وذلك عن طريق حساب كميـة الطاقة التي تأتي من الشمس وأن الجزء الباقي من هذه الطـاقة يكفي لبقـاء الحياة على سطح الأرض مدة خمسة بلايين سنـة.

في الوقت الحاضر انتابت الإنسان حمى الغبطـة بما حققه من ابتكـارات واختراعات خاصة منها ما يلـوث الجـو والأرض والســمـاء ولكنـه بدأ يشعـر بـالأخطـار التي تنتظـره وتهدد حيـاتـه على سطح الأرض، فبـدأ يخطط ويقرر النظم والمقـاييس التي تضمن له بقـاءه وتحسين نوعه، وأعتقد أن الإنسان في المستقبل القـريب إن شـاء الله سيكون متـوازنـا مبدئيا بصـورة أفضل مما هو عليـه الآن خاصة وأن الإنسان لديه من القـدرة والكفـاءة والصلاحية إلى إيجاد بيئة يرضاها لنفسه.

شيء أعجب من العجب يحدث في هذه الأيام فـالاختراعـات التي يقـدمها العلماء لـراحـة البشر وكذلك التقـدم التكنولـوجي لهذه الاختراعات هي التي تقف أمامنا وتعوق الحياة السليمة لنا. فالحياة الآن محتملـة نظرا لوجود طبقة الأوزون في الجو على ارتفاع ١٧ ـ ٢٥ كيلـومتر، التي تحمينا ـ بإذن الله ـ من الخطر الداهـم للأشعـة فوق البنفسجية وذلك بـامتصــاصهـا. زد على ذلـك فـالأوزون يتصرف بالضرورة كمؤثـر عديم الحركـة عنـد الارتفـاعـات ١٧ ــ ٢٠ كيلــومتر، وأن أرصـاد توزيعـه تعطي معلـومات مهمــة تتعلق بـالتركيبـات الميكانيكيـة للنقل في هــذه المنطقـة وتتعلق أيضـا بــالنقل بين الأستراتوسفير (١٧ ـ ٢٥ كيلـومتر) ـ والتروبوسفير (بداية من سطح الأرض وحتى ارتفاع ١٦ كيلومتر تقريبا).

خطر محقق

إذا حلقت طــائرة في داخل الأستراتــوسفير فسوف يتعـرض المسافـرون للموت لــو سمح لهم باستنشـاق هواء هـذه الطبقة، وللخـروج من هذا المأزق تـزود هـذه الطائرات بتنكـات يسحب فيهـا الهواء ويسخن إلى ٢٥٠ درجة مئـوية فيتحـول غاز الأوزون الســـــام إلى أكسجين ثـم يبرد الهواء ويستخـدم بعـد ذلك لتنفس المســافـرين وهـذه العمليـة في حد ذاتها تسبب تدميرا لبعض الأوزون وكـذلك تخريبــه في الـوقت الـذي نـرغب فيـه الحفـاظ عليـه حتى لا تحدث كـوارث مناخيـة أو بيلوجية نتيجة هذا التخريب.

وعندما بدأ الإنسان في اختراع الطائرات الأسرع من الصـوت والتي قد تبلـغ سرعتها ضعف سرعـة الصوت (٢٣٠٤ كيلومتر في الساعـة) لـم يفكر في أكثر من أن يخترع طـائرة ذات سرعات عـالية تحلق على ارتفاعات شاهقـة حيث تركيز طبقة الأوزون، حتى تعـاني الطائرة أقل قـوة مقـاومة للهـواء، وفي الـوقت نفسـه راعى الإنسـان سرعـة الطـائرة التي يستطيع أن يتحملهـــا دون أن يحدث لــه تغيرات ومؤثـرات بيولوجية أو فسيـولوجية جسيمـة، ولـم يلتفت إلى الجانب الأهم وهـو مدى مـا يمكن أن تحققه هذه الطـائرات من عوادم في الغلاف الجوي مثل أكاسيـد النتروجين التي لـها تأثير على تفكك غـاز الأوزون ونقصه. ومثل هـذه الطـائرات تحقن أيضـا بخـار الماء النـاتج من آلات الاحتراق عنـد الارتفـاعـات العـاليـة، وتتكثف هـذه الأبخـرة إلى سحب ثلجيـة بللورية لا تنتشر بسرعـة وينتج عن تجمعها تغير ملحـوظ في جو الأرض؛ لأنها تعكس وتمتص بعـض حــرارة الشمس قبـل أن تصل إلى سطح الأرض، وهـذا يـؤدي إلى انخفاض درجـة حرارة الجو، كما أن تجمعـات هذه السحـب وعدم انتشارهـا لـه خطـورة على الطائرات نفسهـا، فعند تصادم الطائرات بهذه التجمعـات الثلجية تتحطم الطــائرة بسبب العــواصف الهوائيــة والتقلبــات

الطقسية والدوامات الهوائية التي تحيط بالقطب الجنوبي، تذاب السحب الجليدية، كما أنها تتبخر قبل ظهور الشمس في أكتوبر عند هذه المناطق، وبالتالي لا بد وأن تعود العمليات الكيميائية إلى حالتها الطبيعية دون أن يتآكل الأوزون، إلا أنه من المحتمل أن تنتقل الدوامات الهوائية مع السحب البللورية بعيدا عن المناطق التي تضيؤها الشمس في نهاية الشتاء الجنوبي، وإذا حدث هذا قبل تبخر السحب الثلجية فمن الممكن أن يحدث بعض التآكل للأوزون.

تحتاج أية آلة احتراق إلى كمية كبيرة من الأكسجين في حرق الوقود، خاصة إذا كان وقودها صلبا، ويكون ناتج هذا الاحتراق كمية كبيرة من العادم المليء بكم هائل من الغازات المختلفة التي يكون من بينها ما هو يعمل على تفكك غاز الأوزون.

بسبب حركة الطائرات التي نطلق عليها الأسرع من الصوت يتكون أمامها غشاء رقيق بين الهواء المضغوط انضغاطا شديدا تزداد كثافة الهواء فيه إلى ٤٠٪ من قيمتها العادية وهذا يحدث خلخلة وإزاحة للكتل الهوائية التي تتحرك وسطها الطائرة، وهذه الحركة تؤدي إلى تدمير لبعض جزيئات الأوزون ونقله من مكان إلى آخر بطريقة عشوائية مخالفة لقوانين التوازن الطبيعي، مما يجعل الأوزون يقل في مكان ما بطريقة، لم نعهدها من قبل.

احتياطات مطلوبة

وإذا كنا مصممين على استخدام هذه الأنواع الحديثة من الطائرات فهناك عدة احتياطات يجب علينا أن نراعيها عند استخدامنا لمثل هذه الطائرات، ومنها عدم الطيران في منطقة تركيز الأوزون (١٧ ـ ٢٥ كيلومتر) وأن يأخذ الطيار الهواء اللازم لرحلته من الهواء القريب لسطح الأرض، أي الهواء الغني بالأكسجين والفقير بالأوزون، أما إذا أخذ الهواء اللازم لتنفس المسافرين من هواء الطبقة التي يتركز فيها الأوزون فإن هذا الهواء غني بالأوزون الخانق والسام وفقير بالأكسجين، علاوة على ذلك فسوف يقل تركيز غاز الأوزون عند تلك الارتفاعات **وأي نقص في كمية الأوزون سوف ينتج عنه زيادة في الإشعاع الفوق البنفسجي الحارق والمدمر للبشرية على سطح الأرض.**

ونظرا لخطورة هذه الأنواع من الطائرات على طبقة الأوزون التي نحن في أشد الاحتياج إليها، ولكي نحافظ على المدة الباقية لحياتنا على سطح الأرض، لا يجب التوقف فقط عند اختيار أنسب السرعات فوق التي يمكن أن يتحملها الإنسان دون أن تحدث له أي تغيرات بيولوجية، بل يجب أن يفكر في تصنيع محركات وهياكل جديدة لمثل هذه الطائرات بحيث تستطيع أن تحلق على ارتفاعات عالية أكثر من ٥٠ كيلومتر، وأن تستخدم وقودا سائلا لا يحتاج إلى كمية كبيرة من الأكسجين عند

”سرعة الطائرات تزيد من سرعة نهاية العالم“

احتراقه. وذلك لأن الحسابات تقدر أنه إذا حدث نقص مقداره ١٥٪ للأوزون من كميته الكلية فسوف يكون هناك نقص محلي له عند ارتفاع ٤٠ كيلومتر تقريبا مقداره ٤٥٪، وهذا الاستنفاد المحلي في الأوزون ينتج عنه نقص في الحرارة المحلية عند هذا الارتفاع يصل إلى ١٠ درجات مئوية. ويرى العلماء أنه إذا حدثت تغيرات كبيرة في درجات حرارة هذه الارتفاعات فسوف ينتج عنها تغيرات في المناخ الإقليمي وحتى الآن لم نعرف شكل هذه التغيرات ومدى تأثيرها على مناخ الأرض ولذلك يلزم عمل الكثير من الدراسات المكثفة.

وليست السرعة وحدها هي العامل الرئيس وإنما متطلبات البيئة التي أصبحت تقلق الدنيا كلها. وهذا يعني أن هذه الطائرات لا يسمح لها بالطيران إلا فوق المحيطات فقط عندما تخترق حاجز الصوت. والمسموح به دوليا هو الطيران عبر الأطلنطي من أوربا وأمريكا أو عبر الباسفيكي بين أمريكا وآسيا، وبالتالي لن تكون هناك حاجة إلى عدد كاف من هذه الطائرات يسمح بإنتاجها اقتصاديا وبذلك نكون قد تخلصنا من الطائرات التي يصدر عنها صوت يزعج ويوتر الإنسان أو من تلك التي يصدر عن محركاتها عوادم تلوث الجو وتحطم غاز الأوزون.

وفي خلال هذا القرن توصل الإنسان إلى الكثير من أسرار هذا الكون واستغل العديد من موارده الطبيعية، فالتطور المذهل في استخدام الكهرباء



وما أدى إليه من تيسير الحياة على الناس، وتقريب المسافات، وتقوية الروابط بين مجموعات البشر، بدأت مظاهر الحياة المدنية تنمو وتزدهر بسرعة لم تعهدها البشرية من قبل؛ فمنذ عدة سنوات نجد أن الإنسان توصل إلى صناعة الصواريخ، ونسي أن هذه الصناعة يمكن استخدامها في إبادة البشر على سطح الأرض، وهذا هو فناء البشرية السريع، كما أن هذه الصواريخ إذا لم تصب الهدف بدقة فإنها تسبب إقلاقا للبشر بسبب تحطيمها وتدميرها لجزيئات طبقة الأوزون، التي تحمي البشرية من

أمـراض السرطـان، والتـي تحافظ على المحـاصيل الضرورية لحياة الإنسـان على سطح الأرض. ولقد بينت الحسـابـات العلميـة أن الصـاروخ الـواحـد يستطيع تحطيم ٣٠ طن في المتوسط من غاز الأوزون لكل طن حمولـة.

وفي خلال الدقيقتين الأوليين في عملية إطلاق مكـوك الفضـاء ينتج عنهـا ١٨٠ طن أكسيـد ألومنيوم، ١٧ طن أكسيد نيتروجين، ١٨٧ طن من غاز الكلـور. والغاز الأخير لـه تأثير مدمـر إذا ما أطلق ٦٠ مكـوكا فضائيـا في المناطق القطبيـة فإن هذا سـوف يسبب نقصا للأوزون الموجـود في طبقة الأستراتوسفير فوق هذه المناطق مقداره ٢,٠٪ من قيمتـه العاديـة، وذلك لأن الكلور ينتج بسرعـة في مركبـات مستقرة في طبقـة الأستراتـوسفير فتهبط به بعد ذلك إلى طبقـة التروبوسفير ومن رحمـة الله على الإنسان أن جعل الأوزون المتـآكل يعود إلى مـا كان عليـه خـلال فترة وجيـزة من الـزمن إذا مـا تـوقف إطلاق مكوك الفضـاء الذي يحقن الجو بالكلـور، خاصة وأن عملية إطلاق واحدة يترتب عليها تدمير مليون طن من غاز الأوزون.

وعنـدمـا علم الإنسـان أن هـذه الابتكـارات والاختراعـات تقـوم بعمليـة تلـويث الجو، وهـذه الملـوثات سـوف تؤدي إلى قـرب نهايتـه بدأ يشعـر بـالأخطـار التي تنتظـره وتهدد حيـاتـه على سطح الأرض، وأخذ يحافظ على سلامة بيئته ونظافتها.

والغـازات النـاتجة عن انفجار القنابل النـووية أو الكـوباليتيـة أو النترونيـة ذات حـرارة عاليـة لها تأثيرات بالغة على طبيعة الأوزون وقـد يمتد تأثيرها إلى الطبقـات الجويـة التي تعلـو طبقـة الأوزون. وعنـدمـا علم الإنسـان بـذلك بـدأ يجري تجاربـه النووية تحت سطح الأرض وفي المناطق الصحراوية النائيـة، وابتعد عن إجـراء مثل هـذه التجارب في أعالي الغلاف الجـوي.

ولكثير من الحفـاظ على البيئـة يجب منع استخدام أي محرك فضـائي يعمل بالطاقة النـووية مثل ما يستخدم في بعـض الأقمار الصناعية وسفن الفضاء، حيث إن مثل هذه الأجهزة تبث إشعاعاتها ومؤثراتها على طبقـة الأوزون وبذلك تكون قد زادت الطين بلـة حيث تصل الغـازات المدمـرة لطبقـة الأوزون من أعلاها وأسفلها.

وبخلاف تأثير الطائرات الأسرع من الصوت، والصواريخ، ومكـوك الفضاء والمتفجرات النـووية التي تتبـاهى بها الـدول الكبرى نجد أن المبيـدات الحشريـة، وكل الصنـاعـات التي تـدخل مـادة الكلوروفلوروكربـون في تركيبها، على الرغـم من أنها توفـر الراحـة للإنسـان، وزيادة إنتـاج المحاصيل الضرورية لبقـاء حياته على سطح الأرض يكون لها تأثير ضـار على طبقـة الأوزون، وقـد يكـون هـذا التأثير أكثـر بكثير من تأثير الطـائرات النفاثـة والصـواريخ، وخـاصـة أن تأثير هـذه المبيـدات الحشريـة سوف يظهر بعـد فترة من الزمن قد تصل إلى مائة سنة. وعلى كل حـال لا نستطيع أن نـجزم بأن زيادة رقعة الأرض المنزرعة هي التي تتسبب في تقليل الأوزون، ولكـن على المدى الطـويـل ومع زيـادة الرقعـة فسوف يكـون هناك نقص في كميـة الأوزون نتيجة تثبيت كميـات كبيرة من النيتروجين التي تتحـول بـدورها إلى أكـاسيـد نيتروجين والتي يكون لها تأثير معنوي في تغير الأوزون، فهي تعمل كعـامل منشط لتحطيـم جـزئيـات الأوزون، بالإضافـة إلى وجود أكـاسيد الأيـدروجين التي لها

”اختراعات الإنسان أصبحت الخطر الأول على حياته“

أيضا تأثير مدمر على الأوزون.

وعلى العموم فـإن هناك حـاجة ملحـة لمجهود مكثف لوضع الأساس لمراقبـة مستمرة طويلة الأمد لـلأوزون وذلك من أجل الحصـول على المعرفـة الضرورية والمفصلـة للتوزيع الرأسي للأوزون. كما يحتاج الأمـر بشكل ملـح إلى مراقبـة المواد الأصلية لـلأساسـات المحطمـة للأوزون وذلـك لترسيخ الاتجاهات العلمية. على أن يكون هذا تحت إشراف منظمـة دوليـة لمراقبـة ودراسـة كل النـواحي لبيئـة الأستراتوسفير المناسبة للأوزون.

□ □



العلوم في الصحافة العربية .. أيـــن؟!

د. عبد الحكيم بدران

ينمـــو المشروع العلمي على مستوى العالم بسرعة مذهلة، وقد أصبح أكثر تعقيدا في تنظيمه وعلاقته بالمجتمع، وبات لزاما أن يسعى أيّ مجتمع لمناقشة الوسائل المقنعة للنـاس بفوائد العلـوم، فإن فهْم النـاسِ طبيعةَ العلوم يجعلهـم على استعداد لمسـاندة العلم والعلماء، ومن المرجح أن ما يدور من حوار حول العلم والتقنية في الدول العربية، مهما تعددت أساليب المعـالجة والنقاش، يؤدي في النهاية إلى نتيجـة واحدة تتمثل في تخلف العلوم والتقنية.

والأمر الـواضـح أن الجميع متفق على ذلك، ولكن لا أحد يـريد أن يفصح حقيقـة عن أسباب هـذا التخلف، وليس مـن هيئة أو جماعـة لـديها الشجاعة لتعلن عن تقـاعسها في تحمل المسؤولية، فالعلماء داخل المجتمع العلمي لا يقبلون بأية حال من الأحـوال أن يفكـروا ولـو للحظـة في أن سبب هبوط مستوى العلوم والتقنية ربما يرجع إلى نشاطهم العـام المحصـور داخل معـاهـدهم ومؤسسـاتهم العلمية والصناعية.

ويصر المسؤولون في الـوطن العـربي على أنهم يقـدمـــون كل دعم للعلم والعلماء، ويقــول كل مسؤول أو صاحب قرار : إنه يقوم بواجبه على أعلى وجه حيال قضية تقدم العلم والتقنية.

ومـا زلنا لا نعـرف أسباب مـوقفنا هـذا، ومن المحتمل أن نظل نجهل هـذه الأسباب حتى نجـد من يتقدم لمواجهة الموقف بشجـاعة وجرأة، ويبدو أن هناك شيئـا مفقودا وهي الرؤية القـومية للعلم، ويبـدو أننـا في حـاجـة إلى تـوضيح هـذه الـرؤيـة للمـواطنين، والـوسيلـة الـوحيـدة هي أن تقـوم الصحـافـة بهذه المهمــة، ولن يحدث ذلك إلا إذا اقتنع القـائمون على شؤون الصحـافة بأن تـوضيح الرؤية القومية للعلم مـن خلال وسائل الاعلام هو نشـاط يقع ضمن الاستراتيجيــة التنمـويــة، التي تشارك في التخطيط لها وتنفيـذها وسـائل الإعلام، وذلك حتى تصـل الصـورة عن العلـــوم والتقنيـــة المعاصرة للمواطنين، ونحن نلحّ على وصول الصورة للمواطنين لأنهم في النهـاية أصحـاب المصلحة في تقدم العلم والتقنية.

إن الصحـافـة يجب أن تتعـامل مع العلم كما تتعـامل مع الموضــوعـات الأخـرى، إن عــدد الصفحـات التي تتناول السيـاسـة في أيـة جريـدة عربية لا تقل بأية حال عن ٨٠٪ من حجمها، كما أن معظم المجـــلات تُعنى بـالأدب والثقـــافـــة الإنسـانية، ونـادرا ما تلتقي مع العلم، ويبـدو أن التخصص مفقود في معظم الصحف العربية، وما زال معظم من يكتب في الصحـافـــة من الجيل القديم، ومؤهـلات هؤلاء للعمل الصحفي كانت موهبـة الكتابة، ويكفي أن يكون لـدى الشخص موهبة الكتابة حتى يرتاد مجال الصحافة، يكتب في كل شيء، وشبـاب الصحافيين ـ وهـم في معـظـم الأحوال خـريجو كليات الصحـافة والإعـلام ـ من المؤسف أنهم لم يـؤهلـوا تـأهيـلا جيـدا للعمل الصحفي، فمنـاهج معـاهـد الإعـلام لا تميل إلى التخصص، فهي تعطي مبادئ عامة عن الإعلام، تاريخه، فلسفته، أساليبه، قنواته، ولكنها لا تحاول أن تـدرب طلبتها على الكتـابة في مجالات معينـة : سياسية، اقتصادية علمية أو أدبية . . . إلخ.

ومن المحتمل أن يكتب بعض أولئك الخريجين في الأدب، أو السياسة، وفي موضوعات أخرى لا تحتاج إلى عناء المعالجات العلمية، ويبقى العلم لا نصير له ولا حارس. على أن هذا لا يمنع أن ينبري نفـر قليل للكتابـة العلميـة عن طريق الهوايـة، لا التخصص، ونـادرا مـا تتلقـى المجـلات العـامـة مقـالات تعالج قضـايا العلم والتقنيـة، وحتى إذا وصلت هـذه المجالات إلى المحرر المسؤول، فمن المحتمل أن لا يعطيها ـ بحكم تكـوينه ـ الأولوية للنشر، فهي تكون احتياطيَّ مقالاتٍ، يلجأ إليها المحـــرر على مســـاحـــة لا يجد لها مقـــالات عن موضوعات أخرى أهم في نظره من العلوم.

وسـوف تستمر الحال على مـا هي عليه مـادام الإصرار العام من المجتمع على وجوب إبراز الرؤية القومية للعلوم غير موجود.

ولا ندري إذا كانت الصحافة ووسائل الإعلام الأخـرى سوف تعطي قـدرا من الأهمية إلى تـوضيح هذه الـرؤية وتعميق أبعادها للمـواطنين، هذا مع العلم أن من واجبـات الصحـافـة القيـام بهذه الرسالة، في هـذا العصر الذي يطلـق عليه عصر تفجر العلم والتقنية.

ومع افتراض أن الصحافة العربية سوف تقتنع أخيرا بالقيـام بهذه المهمة، ففي هذه الحالة يلـزمها محررون علميـون، وهنـــا يجب أن تتحمل كليات الإعـلام تبعتهـا حيـال المجتمـع وتقـدمـه العلمي والتقني، فتعمل على تغيير مناهجها بحيث تصبح صالحة لتخـريج محررين متخصصين، ومهما تكن مـادة التخصص : اقتصـادًا، سيـاسـة، إرشـادًا زراعيًـا، علم نفس، علـومًـا بحتـة أو تطبيقيـة، فسـوف تصب التخصصـات المختلفة في خـدمـة العلم والتقنيـــة، شريطــة أن تكـــون هـــذه المواد التخصصية قد أعطيت للطالـب بطريقة وظيفية، أي بالطـريقة التي تمكن الطالب من استخـدام ما تلقاه من مـواد في المعاهـد والكليات لخدمـة قضية التقدم بوجه عام.

ولعلنا لا ننتظر طويلا حتى نرى تحولا نوعيا في الصحافـة العربيـة، يجعلها تكوّن رأيـا عامـا يؤمن حقيقـة بـدور العلم والتقنيـة في خـدمـة قضـايـا التنمية.

★ «الفيصل» تنشر المجلة هذه المقالة الانتقادية للصحافة العربية، مع أن كـاتبها يطالع في أعدادنا السابقة جميعها موضوعات علمية نأمل أن يكون متابعًا لها.

آفاق اجتماعية

العلاقات الأبوية وتوجيه سلوك الطفل

بينت نتائج الدراسات والأبحاث الاجتماعية والنفسية والقانونية أن هناك حالات أساسية للعلاقات الأبوية، قد توجه سلوك الطفل منذ المرحلة العمرية ٢ـ٦ سنوات نحو الانحراف مستقبلاً؛ وهي:

أولاً: انفصال الأبوين، إما بالطلاق أو الهجر أو سوء معاملة الزوج حيث تلعب الأم هنا، دورًا أساسيًا وحاسمًا في تحطيم أو التقليل من شأن سلطة الأب على الطفل، أو الاستخفاف بها.

ثانيًا: غياب الأب، سواء كان بالوفاة أو بالهجرة أو بالسفر الطويل المتكرر بدون أن يترك من يقوم مقامه.

ثالثًا: ضعف الدور الأبوي، بمعنى فشل الأب في أداء دوره كصاحب سلطة حانية، الأمر الذي يفرز مواقف متنوعة منها: موقف الأب المتسلط، الأب القاسي، الأب المهمل لواجباته ومسؤولياته، الأب غير المبالي، الأب غير القادر على التواصل مع أطفاله، الأب المتنصل من مسؤولياته ملقيًا اللوم على الأم تجاه سلوك الطفل، الأب المتقمص دور الأم، والذي يعرف كيف يشتري حب الطفل ومودته لقاء تلبية كل رغباته وحاجاته وحتى نزواته، لا يطلب منه شيئًا ولا يفرض عليه شيئًا، تاركًا له الحبل على غاربه يفعل ما يشاء دون خوف أو خشية أو مسؤولية.

وإذا ما تركنا الحالة الأولى جانبًا، نجد أنه من الضروري الإشارة إلى أن غياب الأب، أو ضعف الدور الأبوي لا يكونان بالضرورة السلوك المنحرف عند الطفل. إذا استطاعت الأم أن تقوم بدور الأب وتتخذ مواقف حازمة وسليمة في عملية ضبط سلوك الطفل في المرحلة العمرية ما بين الثانية والسادسة. كذلك من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن تسلط الأب وقسوته على الطفل، أو جمود عواطفه لا يولد بالضرورة السلوك المنحرف، ولكنه قد يوجد المرضى النفسانيين. وكذلك الحال يندرج على التغير المفاجئ في سلوك الأم تجاه الطفل ومواقفها، إذ بعد أن كانت تغدق الحب والحنان والعطف والرعاية على طفلها حتى سن الثانية، تبدأ بعد بانتهاج سلوك يتسم بالقسوة، والتسلط، أو الإهمال وعدم المبالاة.

أما انفصال الأبوين واتخاذهما مواقف تتسم بالتناقض والاختلاف العميق يولد بشكل عام لدى الطفل ابن الثانية وحتى السادسة، التصاقًا عاطفيًا قويًا بالأم، وابتعادًا عاطفيًا متطرفًا عن الأب تؤثر فيما بعد في سلوك المراهق. ونتائج الدراسات التي أجريت على أعتى المجرمين من أفراد العصابات الذين ارتكبوا جرائم متنوعة، أظهرت التصاقهم الشديد بل الوحيد بأمهاتهم.

رابعًا: توتر العلاقات بين الأبوين، حيث ينعكس الجو الأسري المتوتر سلبًا على العلاقات السائدة بين أفراد الأسرة، ويعوّق من عملية التنشئة الاجتماعية السليمة، فيؤدي في بعض الأحيان إلى الانحراف عند الأطفال، كما أن فقدان المحبة والتفاهم والاستقرار بين أفراد الأسرة يوجد جوًا من الكراهية والعداء، ويهيئ المناخ الملائم لظهور العدوانية والأنانية والميل نحو ممارسة العنف وارتكاب المخالفات، كرد فعل وكأسلوب من أساليب إثبات الذات عند أطفال هذه الأسر. إن فشل الوالدين في نشر علاقات الرضا والمودة والأمن وتهيئة الجو النفسي السليم للطفل يدفعه للهروب من البيت والتفتيش عن جو مملوء بالمحبة والاستقرار والاطمئنان، وربما يوفره له الانضمام لإحدى العصابات الجانحة. ولا يعني ذلك بالتأكيد أن العلاقات السائدة في الأسرة يمكن أن تخلو من التوتر والاحتكاك، ولكن مثل هذه التوترات تبقى غير ضارة ما دامت لا تمس جوهر الاستقرار والتوافق الأسري ولا تصيب أساس العلاقات الأسرية.



د. تماضر حسون

قصة قصيرة

قِصَّةٌ رَائِعَةٌ..!

للكاتب التركي : عزيز نسين ○ ترجمة : صفوان الشلبي

يقولـون إني إنسـان خجول ومتردد، ولا أستطيع التحدث لأول مرة بقلب مفتوح مع شخص لا أعرفه على الهاتف. كيف أستطيع معرفة نوايا شخص يتحدث على الطرف الآخر من الهاتف وأنا لا أرى وجهه أو عينيه؟ لعل كل من يتحدث معي لأول مرة على الهاتف، يعتقد فيّ برودة وصلافة، عكس طباعي تماما. حتى أنا، وبعد إغلاق سماعة الهاتف، أعاتب نفسي على ما بدر مني مع متحدثي.

قرب منتصف إحدى الليالي، اتصل بي أحدهم هاتفيا :

ـ ألو.

● تفضل.

ـ هل أنت ....؟

● نعم، ومن أنت ؟

ـ أنا ....

● تشرفنا.

أغدق عليّ سيلاً من المديح والتكريم، لا داعي لذكره، لكنه أعجبني وأرضى غروري، يريد رؤيتي. أعطيته العنوان. أتاني في اليوم التالي حسب الموعد المتفق عليه. إنه بعمري تقريبًا، لكنه يعادل ثلاثة أشخاص بنفس حجمي. معجب بكتاباتي. فقد قرأ جميع ما كتبت، ليس بالقول فقط، بل في الواقع إنه قرأها جميعها ويحفظها عن ظهر قلب !

يبدأ الحديث قائلاً :

ـ هل تذكر ؟ ....، يروي حكاية. أتقطع من الضحك.

● آ.. ما أجملها. سأجعل منها قصة ظريفة.

ينظر في وجهي مستغربًا.

ـ هذه القصة لك.

يذكر لي أين نشرت القصة والتاريخ. تجمد الضحكة في وجهي. أحنق عليه.

يبدأ برواية حكاية جديدة.

● ما أجملها، هل نشرت هذه القصة في مجلة ما ؟

يتفحص تعابير وجهي مرة أخرى.

ـ وهذه القصة لك أيضا.

أحنق عليه، أواري خجلي بإشعال لفافة تبغ.

يعود إلى الحديث بقصة أخرى.

ـ آ... جميلة جدا ! من الكاتب؟

ومن نظراته المتمحصة، أفهم أن الكاتب هو أنا. أمضى الوقت وهو يقص قصة وراء قصة.

لكني لم أعد أضحك، لم أعد أعلّق والتزمت الصمت.

يبدو أنه مهتم بالأدب الهزلي، وله كتابات أيضا في هذا المجال. من طبعي أن أساعد الكتاب الناشئين، ويسعدني أن أقرأ كتاباتهم، لأرشدهم، أصحح لهم ما هو بحاجة إلى تصحيح، وقد أضيف أحيانًا عليه وأساعد بنشر الصالح منه.

ناولني الضيف قصة له يرغب بمعرفة رأيي فيها.

ـ هل بإمكانك قراءتها الآن ؟

● أفضل أن أقرأها في وقت آخر وعلى انفراد.

ـ كما تشاء.

ما إن غادر الضيف، حتى شرعت بقراءة القصة. بدأت القراءة بكل نية حسنة، ولكن على ما يبدو أن القصة سيئة إلى درجة لا تنفع معها النية الحسنة. فكرت أولاً أن أصحح، ولكن ماذا أصحح؟ اللغة مكسرة، النحو سيئ، الفكرة غامضة، الموضوع لا يوجد، قرأتها مرتين، لكن دون جدوى.



عاد في اليوم التالي، وقد بدا عليه الانفعال والترقب.

ـ كيف وجدت القصة ؟

حاولت مجاهدًا كي لا أجرح شعوره.

● لا بأس بها، لكنها ليست قصة هزلية.

احمر وجهه وبدا عليه الغضب.

ـ كيف تجرؤ على القول : إنها ليست هزلية ؟ اقرأها مرة أخرى!

● يا أخي .. إن للقصة الهزلية معايير، ولكنْ قبل كل شيء، يجب أن تُضحك قارئها. منها ما يضحك كثيرًا، ومنها ما يضحك قليلاً، ومنها ما يجعلك تبتسم فقط، والباقي يأتي بعد ذلك.

ـ إن قصتي هزلية، بل هي من أعمدة الأدب الهزلي.

● كل شيء ممكن، قد لا تكون معاييرى صحيحة مائة بالمائة، لكنها لا تتطابق ومفهومي عن الأدب الهزلي. وقد تكون بالنسبة لغيري قصة هزلية رائعة!

ـ أنا لا يعنيني آراء الآخرين. المهم عندي حكمك أنت بالذات، وأريد أن تعجبك أنت هذه القصة.

ناولته أوراقه.

● تفضل، أبديت لك رأيي فيها وانتهي.

ــ أعد قراءتها . وكن منصفًا ، سأعود لزيارتك ثانية .

وافقت . قد تقرأ يومًا قصة ، فلا تعجبك من أول مرة ، وعندما تعيد قراءتها في يوم آخر ، فقد تنال إعجابك . أعدت قراءة القصة ، وأستطيع أن أقول الآن إنه لا مثيل لها ، فلا يمكن لأحد أن يكتب أسوأ من ذلك .

عاد بعد ثلاثة أيام .

ـ كيف وجدتها ؟

● مع أسفي الشديد ، لم تتغير وجهة نظري .

ـ أنت مخطئ ، القصة ليست جميلة فحسب بل رائعة .

● ممكن . لكنها ليست هزلية .

ـ بل هزلية .

● محتمل ، لكنني لم أستطع فهمها .

ـ ستفهمها .

لم أعد أحتمل ، فصرخت قائلاً :

● يا أخي ، ما هذا الإلحاح ؟ خذ قصتك واغرب عن وجهي .

ـ لن آخذها ، سأجعلك تقبل كونها هزلية .

● بالإكراه؟

ـ نعم ، وسترى ذلك ، أنا ذاهب الآن ، وسأعود بعد أيام .

هذا الرجل إما مجنون ، أو فعلاً كاتب هزلي كبير وأقدر مني ، بحيث لم أستطع فهم هزله . عرضت القصة على ثلاثة من أصدقائي أساتذة الأدب الهزلي .

سأل ثلاثتهم :

● هل أنت من كتب ذلك ؟

ـ كلا .

فقال الأول :

ـ سخافة وضحالة .

وقال الثاني :

● كتابة أطفال .

وقال الثالث :

ـ حتى الكلام الفارغ يكون له طرف جميل ، أما هذا فلا .

وعاد أديبنا الغريب بعد أربعة أيام .

ـ كيف ؟ استطعت فهمها ؟ وتذوقت ظرافتها ؟

● يا عزيزي ، إذا أردت إكراهي على الإعجاب بها ، فلا بأس : قصتك رائعة ولا مثيل لها ، أما إذا أردت رأيي الشخصي ، فأنصحك بالتوقف عن الكتابات الهزلية ، والأفضل أن تترك الكتابة كلية ، فلا يوجد أية بوادر تشجيعية من تجربتك هذه !

ـ أخبرني بوضوح ما الطرف الذي لم يعجبك بها ؟

● لا شيء .

ـ أرني .

● **ماذا تريد أن ترى ؟ إنها ليست هزل بل كآبة ، وبالإضافة إلى الأخطاء الإملائية والنحوية فلا يوجد موضوع أو فكرة ، السرد مشوش وغير منتظم ، الخلفية اللغوية معدومة . صدقني ، لو كتبها طالب إعدادي كموضوع إنشاء ، لرسب في صفه .**

ـ ومن يدري أنك لا تحسدني على موهبتي ولا تريد لي الشهرة ؟

ضحكت حتى سالت الدموع من عيوني .

● إنما أنا أنصحك بكل صدق وأمانة .

ـ إذن ، هل تكتب كل ما قلته عن قصتي وتوقع عليه ؟

فكرت بسرعة ، فليس هناك وسيلة للتخلص من هذا الثقيل



أفضل من ذلك . كتبت له رأيي ووقعت عليه . أخذ قصته وذهب .

اعتقدت أني سأتخلص من رؤيته إلى الأبد ، لكنه فاجأني وعاد باليوم التالي :

ـ لا تنزعج ، فأنا أعدك بأن لا تراني بعد اليوم إطلاقًا .

ومد صفحة منزوعة من مجلة ما .

ـ اقرأ هذا .

للمفاجئة ، كانت قصته التي أزعجني بها .

● تهنئتي الحارة ، لقد نشروا لك قصتك .

ـ واقرأ هذا أيضا .

مد لي الورقة التي كتبت عليها رأيي بهذه القصة . لم أفهم مقصده .

ـ والآن أنظر إلى هذه المجلة .

كانت من المجلات التي اعتدت أن أنشر فيها كتاباتي ، ويبدو أن الصفحة المنزوعة كانت منها ، وكان اسمي مكتوبًا بخط عريض فوق القصة .

صرخت به قائلا :

● ألا تخجل من نفسك ، كيف تدعي أنها لي وتنشرها تحت توقيعي ؟

ــ تخطئ إذ قلت هذا ، هذه القصة هي فعلاً لك ، انظر وتأكد بنفسك من تاريخ المجلة .

● أتقصد أنني . . .

ـ نعم ، كاتبها ليس سوى أنت نفسك !

● أنا كتبتها ؟

ـ نعم ، ونشرت في ثلاث صحف يومية أيضا . انظر ما هو مكتوب عنها : أروع ما كتب من قصص هزلية ، قصة الأدب الهزلي المعاصر .

● ها . . الآن أدركت عظمتها ، ففيها جمال سري ، وهزل مختلف . . . .

لكنه قاطعني مستهزئًا :

ـ وما كتبته بخط يدك عن هذه القصة وكاتبها ؟

● انس ذلك ، فلم يحظ قط الفن العظيم بالتقدير الذي يستحقه في عصره ، القيمة الأدبية لهذا الأثر ستكتشف في المستقبل ، حتى أنا لم أتمكن من إعطائها حقها .

وأجاب بغضب شديد :

ـ قل هذا الكلام لغيري . ألا تخجل من كتاباتك السخيفة هذه ؟

وخرج وبيده ما كتبته بخط يدي مهددًا ومتوعدًا . لا أعرف حتى اليوم ، ماذا يبيّت ؟ كما أني لم أتوقف عن التفكير في القصة وكيف كتبتها؟ إلى أن توصلت إلى ما أثلج صدري وأبعدني عن الجنون ــ في رأي أن هذه القصة فعلا قمة الأدب الهزلي ، حيث إنه لا مثيل لها . أنا عندما كتبتها أردت أن لا يكون لها مثيل في الركاكة ، وعلى ما يبدو فإني قد نجحت في ما سعيت إليه ، ماذا تعتقدون أني قائل غير ذلك ؟ ولكن لا تقولوا لي : إذا كان بين قصصك قصة واحدة فقط بهذا الشكل ، فلا بأس واحتفظ بها ، أرجو أن يبقى هذا سرًّا بيننا ولا تخبروا به أحدًا ، رجائي الحار!

لقمان الحكيم في

اشتهر عند العرب، في الجاهلية كثيرون بالحكمة والأمثال السائرة، ومنهم من يغرق في القدم مثل لقمان «عاد». . تلك القبيلة اليمنية التي كانت تنزل الأحقاف، والتي بادت ولم تبق منها باقية.

وقد ظل اسم لقمان يدور على ألسنة الشعراء والأخباريين والمفسرين وأصحاب الأمثال، وظلوا يذكرونه بالحكمة والبيان والحلم.

وقيل: إن لقمان أول من وصف بالحكمة، وكان زمان **داود** النبي[١]، ومنه أخذ **أمبيذوقلس** الحكيم، أحد أساطين اليونان الخمسة، حكمته[٢]، وفي أبجد العلوم **للقنوجي** ينقل زعمًا بأن **بقراط** كان تلميذًا للقمان.

واختلف الأخباريون العرب في شخصيته، وفي نسبه، وفي عمره، وفي جنسيته، يقول **الجاحظ**: **(من القدماء ممن كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء: لقمان «عاد»)**. وينص على أنه غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم، كما ينص على ذلك المفسرون، ولقدم لقمان حفلت الأسطورة به وبحياته وكل ما يتصل بصلاته مع الناس والنساء.

وقد زعم هلر **"Heller"** كاتب مادة لقمان في **دائرة المعارف الإسلامية** أن شخصية لقمان مرت بثلاث مراحل:

(١)مرحلة جاهلية: وفيها يتراءى لقمان عاد الأسطوري الذي يقال: إنه عاش عمر سبعة نسور، وكلما هلك منها نسر خلفه نسر آخر، حتى كان لُبَد الذي ذكره شعراء العرب كثيرًا.

(٢) مرحلة قرآنية: وفيها نجد للقمان سورة خاصة به في القرآن الكريم، وقد ربط بعض المفسرين بين لقمان هذا وبين **بلعم** حكيم **بني إسرائيل**، فسردوا له نسبه نفسه إذ قالوا: إنه **لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ**.

(٣) مرحلة متأخرة: وهي مرحلة نسج فيها ولفق قصص كثير حول لقمان كما يصور ذلك كتاب أمثال لقمان.

وينفي الدكتور **شوقي ضيف** زعم هلر حيث يقول: «**ومن المحقق أن هلر مخطئ فيما ذهب إليه من هذا التطور لشخصية لقمان لسبب بسيط، وهو أن قدماءنا فرقوا بين لقمان «عاد» ولقمان القرآن الكريم، فهما ليسا شخصًا واحدًا بل هما شخصان، وبينما تعنى بالأول كتب الأمثال نجد الثاني تعنى به وبوصاياه كتب الفقه والتفسير مثل موطأ مالك وتفسير أبي حيان، وقد روى الجاحظ طرفًا من تعاليمه، وهي تطبع بطابع ديني**».

وأمثال لقمان وأخباره وأحواله نراها مبثوثة في البيان والتبيين للجاحظ، وفي مجمع الأمثال **للميداني**، وفي المعمرين **للسجستاني**، وفي «أخبار **عبيد بن شرية**» وفي «خزانة الأدب» **للبغدادي**، وفي «جمهرة الأمثال» **للعسكري**، وفي «حياة الحيوان الكبرى» **للدميري**، وفي تفسير **أبي حيان**، وفي تفسير **القرطبي**، وفي «قصص الأنبياء» **للثعلبي**، وفي «مروج الذهب» **للمسعودي**» وفي «الموطأ» لمالك، وفي «المستقصى» **للزمخشري**، وفي «شرح الروض الأنف».

لقمان العادي

أما لقمان عاد، الأسطوري الذي عاش في الجاهلية البعيدة، فقد اختلف النسّابون في نسبه، فقيل: هو **لقمان بن عاد** وابنه **لقيم**، وابنته **صحر**، وزوجته **براقش**. ويلوح أن هذا الاسم هو أقدم ما وصلنا من نسبه، أما ما قيل من أنساب أخرى، فربما كانت متأخرة، وجاءت كمحاولات توفيقية للمزج بين لقمان وشخصيات أخرى من الكتب الدينية لأهل الكتاب والأخبار القديمة.

ففي مروج الذهب للمسعودي: هو لقمان بن عنقاء بن مريد بن هارون، وكان نوبيًا ـ حسب ما يقول ـ مولى للقين بن جسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام، وكان عبدًا صالحًا فمنَّ الله عز وجل عليه بالحكمة. ولم يزل باقيًا في الأرض مظهرًا للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيام **يونس بن متى** حين أرسل إلى أهل **نينوى** من بلاد الموصل.

وفي **حياة الحيوان** يذكر **الدميري** مادة **شاه** أن اسمه «**لقمان بن عنقاء بن بيرون**، وكان نوبيًا من أهل إيلة». بينما يذكر تحت مادة نسر أن اسمه **لقمان بن عاد الأصغر**، ويقول **وهب بن منبه**: «إن **ابن عباس** أخبره أن لقمان هو **ابن عاد بن ملطاط بن سالق بن وائل بن حمير، وكان نبيًّا دون كتاب» ويذكر أنه لما مات شداد بن عاد** آلَ الحكم من بعده إلى أخيه **لقمان بن عاد**. **وفي قصص الأنبياء للثعلبي أن اسمه لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ**. وفي العمدة: **لقمان بن باعور بن ناحور بن آزر**.

ولقمان الجاهلي يوصف بأنه **كان عملاقًا هائلاً، ضخم الجسم، كبير الرأس قويًّا قوة خارقة، حكيمًا حكمة بالغة، وهبه الله ما لم يهبه أحدًا من خلقه، منحه عقل مائة رجل، وله بصر حاد خارق للمألوف حتى إن الجاحظ جعل زرقاء اليمامة بنتًا له**، وهو ـ فضلاً عن هذا وذاك ـ يجيد الرماية بالسهام والنبال حتى ضرب به المثل فقيل: «**أشد من لقمان العادي**».

ثم هو أكول شره للطعام يتغذى بجَزُور ويتعشى بجَزُور حتى قيل في الأمثال «**آكَل من لقمان**»، ومن هنا يلوح أنه ثمة صلة بين أصل تسميته وما نسب إليه من كثرة الأكل، بمعنى أن لقمان ربما يكون مشتقًا من لَقِم يَلْقَم إذا أسرع في الأكل؛ فكلمة لقمان معناها السريع في الأكل. ثم هو طويل العمر طولاً مفرطًا **بلغ خمسمائة وستين سنة**، وهو في المرتبة الثانية بعد الخضر كما يقول السجستاني في كتاب «**المعمرين من العرب**»، ثم زاد هذا الرقم في أخبار أخرى فبلغ عند بعضهم **ألف سنة وثلاثة آلاف سنة وثلاثة آلاف وخمسمائة سنة**.

القصص والأمثال

بقلم: إحسان جعفر

وعلى ذلك يجب أن نعرف أن حياة لقمان المديدة إنما تعني المدة التي حكمها بيت لقمان الذي كان ملكًا من سلالة عاد في بلاد العرب الجنوبية، ودليلنا على ذلك أن اسمه يتردد عند الأخباريين تارة باسم **لقمان الأكبر**، وتارة باسم **لقمان الأصغر، وتارة** باسم لقيم، وهو ميال إلى البناء وتشييد المدن، وفي تاريخ ابن خلدون: قيل إن لقمان الأكبر بني سد مأرب، كما قاله المسعودي حيث يشير إلى أنه جعله فرسخًا في فرسخ وجعل له ثلاثين شعبًا.

لقمان في القرآن

أما لقمان الذي يشير إليه القرآن فشخصيته كريمة ليس بينها وبين لقمان «العادي» شبه ما، فقد رفع الله من قدره في القرآن الكريم حيث يذكر ـ جل ثناؤه ـ في السورة التي خصَّه بها:

﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غنى حميد* وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم ﴾ لقمان ١٢، ١٣، ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل، فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله، إن الله لطيف خبير، يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنَّ ذلك من عزم الأمور، ولا تصعر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحًا، إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد في مشيك، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ لقمان ١٦ : ١٩.

وكل ما جاء عن لقمان فيما تقدم، يكبره ويرفع من شأنه، فقد كانت موعظته لابنه (٣)، مشتملة على الدعوة للتوحيد والإيمان بالحساب وعلى صالح الأعمال. إذ إن لقمان اشتهر قبيل الإسلام بالحكمة بعد أن كان «صاحب أمثال» و«ذا نسور»، وزعم الرواة أن عرب الجاهلية كانت عندهم «**مجلة لقمان**» (٤)، وفيها الحكمة والعلم والأمثال، وأنَّ **سويد بن الصامت** عرضها على **الرسول** ﷺ في مكة.

فقد جاء في سيرة ابن هشام: أن النبي ﷺ لقي سويد بن الصامت ودعاه إلى الله وإلى **الإسلام**، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: **وما الذي معك**:؟ قال: **مجلة لقمان**. فقال له **رسول الله**ﷺ: **اعرضها عليَّ**، فعرضها عليه، فقال له: **إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا: قرآن أنزله الله عليَّ هدى ونورا. فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن.**

وكل ما يمكن أن يقال: إن هذه المجلة التي نسبت إلى لقمان ربما احتوت عناصر كتابية، فسويد كان ممن عرفوا الكتب، وكان من أهل المدينة.

وفي التفسير إضافات كثيرة إلى شخصية لقمان، وتجمع كلها على أنه كان حكيمًا، وإن اختلفت في نسبه، ويغلب على أقوال المفسرين أنه كان حكيمًا لا نبيًا(٥)، وأنه كان من بني إسرائيل، وربما نسبته إلى بني إسرائيل بتأثير **كعب الأحبار ووهب بن منبه**، وهما من اليهود الذين أسلموا، فقد أذاعا عنه عددًا من الأخبار.

لقمان.. وأحيقار

وينتصب أمامنا في لقمان القرآني مثال جديد يربطه بعض الباحثين بـ«**أحيقار**» الحكيم أو «**حيقار**» كما يسمى أحيانًا في العربية، و«أحيقار» هذا كان وزيرًا للملك **نينوى وآشور سنحاريب بن أسرحدون**، وكان رجل حكمة ودهاء واقتدار، وقد سار ذكره في جميع البلدان، **غير أن أحيقار كان حزينا لأنه لم يرزق ولدًا ليرثه على الرغم من أنه تزوج ستين امرأة فكان يذبح للآلهة ويصلي إليها بحرارة لتمنحه وريثًا**. وزعم أنه أوحي إليه أن يكف عن الذبح والدعاء، لأنه لن يرزق ولدًا، وأن يتبنى ابن اخته «**نادان**»، فيعلمه الحكمة والخلق الحسن لكي يخلفه، وهكذا تم الأمر، ثم إن القصة تدور حول تربية «نادان» وتعليمه الحكمة، وعدد التعاليم: ٧٥.

وعندما شاخ أحيقار قدم ابن أخته «نادان» للملك نينوى وآشور ليكون وزيرًا له، غير أن «نادان» ما إن تمكن من بيت خاله وأمواله وخدمه حتى أخذ يسومهم شتى أنواع الإهانة والاضطهاد والسخرية، **ثم إنه أوقع بخاله وذلك بتزوير رسالة إلى ملك فارس وملك مصر يدعوهما فيها لاستلام مملكة نينوى وآشور وختم الرسالة بخاتم أحيقار.**

وعندما علم ملك نينوى وآشور بوصول أعدائه، أخبره «نادان» أن هناك خيانة، وأن أحيقار ارتكبها بحقه، وقدم له الرسالة والتوقيع. فأمر الملك بقطع رأس أحيقار وسلمه السياف، غير أن هذا السياف الذي كان قد حكم عليه فيما مضى بقطع رأسه، وكان أحيقار قد خلصه من الموت، وجد الفرصة مواتية ليرد الجميل بأجمل منه، فأخذه وخبأه في دهليز.

وعندما سمع **فرعون** بموت أحيقار استغل ذلك وبعث برسالة إلى ملك نينوى وآشور يطلب فيها مطالب عسيرة: **بناء قصر في الهواء، وإرسال حكيم يرد على أسئلته وأحاجيه الغامضة. وفي ساعة من ساعات اليأس التي كانت تنتاب الملك الذي ندم على إعطاء الأمر بقطع رأس أحيقار الذي كان يسهل عليه كل عسير، يحضر السياف ويخبره أن أحيقار حي.**

ويذهب أحيقار إلى مصر بعد أن كان قد ربى نسرًا عظيمًا يستطيع أن يحمل ولدين إلى الفضاء. وفي مصر غير اسمه إلى **أبيقام**، واستطاع أن يجيب على أسئلة فرعون الصعبة التي كانت تبغي تعجيزه، وأن ينال استحسانه ويعود إلى بلاده محملاً بالهدايا فيستقبله **سنحاريب** ويقول له **سل ما تريد**. فيقول أحيقار:

لقمان الحكيم في القصص والأمثال

أطلب إلى سيدي الملك أن يسلمني نادان، فيسلمه إياه فيأخذه موثقًا ويبدأ في تأنيبه وتحقيره، ويذكره بالحكمة التي علمه إياها صغيرًا، وعدد الحكم والأمثال ٥٤، فكان نادان يسمع ويتألم إلى أن انتفخ وانتفخ ثم انفجر وتقطع جسده أشلاء.

ومما تلاه أحيقار على نادان قوله: «يا بني أنت صرت مثل الخنزير الذي دخل الحمام مع الأكابر، فلما خرج نظر جورة سيان نتنة فنزل يتمرغ فيها».

وقد نشر قصة أحيقار هذه **الأب الصالحاني** نقلاً عن مخطوط عربي، يعتقد أنه مترجم حرفيًا عن السريانية. كما أن قصته وردت في **ألف ليلة وليلة** كملحق في المجلد الخامس من طبعة **بيروت**.

ويرى الدكتور **أنيس فريحة** أن هناك تشابهًا يكاد يكون كليًا بين أخبار لقمان الحكيم وحكمه وحِكَم أحيقار وأقواله، ويستطرد قائلاً: «مهما يكن من أمر فإن الروايات والأساطير التي وردت في خبر لقمان وحكمه ومواعظه كلها تشير إلى صلة وثيقة بينه وبين أحيقار الحكيم، مما يجعلنا نظن أن أحيقار هو المثال الذي نسجت حوله أخبار لقمان. فللقمان الجاهلي ابن اسمه **«ثاران»**(ذكر ذلك **السهيلي** في الروض الأُنُف، الجزء الأول صفحة ٢٦٦ (طبعة القاهرة) **كذلك** الدميري في حياة **الحيوان الكبرى**. **وابن قتيبة** يذكر أن ابنه **ناران أو ثاران**).

ونحن نظن أن هذا الاسم، ثاران أو ناران، تصحيف للاسم نادان. ولقمان يعلمه الحكمة، ولقمان ابن أخت أيوب[٦] كما يذكر **الثعلبي** عن وهب ابن منبه، كما أن نادان، هو ابن أخت أحيقار. فإن لم يكن لقمان الجاهلي هو أحيقار فلا أقل من أن نقول: إن أحيقار تقمص عند العرب شخص لقمان الحكيم الجاهلي.

ويستند الدكتور فريحة فيما ذهب إليه على أن كلا من أحيقار ولقمان يعظ ابنه مستخدمًا لفظ يا بني فضلاً عن أنهما يحملان اسم **الحكيم**. ومن الواضح أن هذه الأدلة غير كافية لإثبات الصلة بين أحيقار ولقمان، أما استخدام لفظ **«يا بني»** فليس مقصورًا على حكمة لقمان وأحيقار بل هو أمر شائع في الحكمة والوصايا.

ويلوح أن العرب القدماء قد ربطوا بعض الربط بين الشخصيتين وإن لم يذكروا اسم أحيقار صريحًا إذ إنّ ابن قتيبة والسهيلي والدميري ينصون على أن اسم ابن لقمان ناران أو ثاران بدلاً من الاسم القديم **«لقيم»**.

ويعلل الدكتور عبد المجيد عابدين في كتاب **«الأمثال»** هذا التحول المفاجئ الذي صنعته المصادر العربية في تسمية ابن لقمان، بأن الرواة وجدوا شيئًا من التشابه بين قصة أحيقار وابن أخته نادان ـ أو بين قصة أخذت منها ـ وما حكاه القرآن الكريم عن لقمان. فجعلوا ابنه ثاران أو ناران ـ ولعله نادان ـ **ليكون لقمان هو أحيقار تبعًا لذلك**.

كما يلوح أن العرب عرفوا أحيقار وخبره في عصر مبكر، في الجاهلية، وذلك لأن**عدي بن زيد الحيري** (نحو ٦٠٠م) ذكر أحيقار في بيت من الشعر، وقد استشهد **الجواليقي في المعرب** به، يقول الجواليقي «والحيقار» ملك من ملوك فارس، قال عدي بن زيد يذكر من باد:

وغصنَ على الحيقار وسط جنوده	وبيتن في فا داشه رب مارد

وروى خالد (حيقار) وهو رجل، ويقال قبيلة.

ويعلق محقق «المعرب» الأستاذ أحمد محمد شاكر على الحيقار بقوله: وفي تاريخ **الطبري**(٢ : ٢٧ ـ ٢٨ طبعة الحسينية) **«الحيقار بن الحيق» في أخبار الحيرة والأنبار وما حولها» فلعله هذا.**

لقمان وإيسوب

وثمة صورة أخرى من لقمان يحتفظ بها التراث العربي، وهذه الصورة لا تقدم لنا «لقمان» كذي نسور ولا كصاحب حكمة وزيرًا أو قاضيًا، وإنما تقدمه عبدًا حبشيًا عظيم المشافر مشقق الرجلين على قول الزجاج، أو كما يقول الدميري: نوبي من أهل إيلة، أو من سودان مصر كما يقول سعيد بن المسيب.

> ”يجب التدقيق في التراث حتى لا تختلط الأوراق“

قال لقمان لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض، وقيل في حرفته كان خياطًا، أو نجارًا، أو راعيًا.

وقال بعضهم: إن اسم **إيسوب**، العبد المملوك صاحب الخرافات المعروفة التي تنسب إلى اليونان، Atieupas أي الحبشي Ethiopien منتحل من لقمان الحبشي حيث يظن أن اسمه مشتق من كلمة Ethipia ومعناها الحبشة «أثيوبيا» وأن هذا وصف لا اسم.

وفي هذا الدور تنسب إلى لقمان مجموعة من الخرافات، فيطلع الناس لأول مرة في الأدب العربي على كتاب لأمثال لقمان يرجع تاريخ تدوينها إلى نهاية القرن السابع الهجري ٦٩٩هـ ـ ١٢٩٩م. ظهرت منه نسخة خطية في باريس وطبعت عدة طبعات أقدمها طبعة ليدن سنة ١٦١٥ التي جاءت في (٧٨) صفحة باعتناء أربيني مع ترجمة لاتينية. كما ظهرت عدة كتب تتحدث عن لقمان و«أمثلة» طبعت بعدة لغات: العربية والفرنسية والتركية واللاتينية

«هذه الشخصية الحكيمة تعرضت للتشويه بفعل الإسرائيليات»

والفارسية والبولونية ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وهناك من يرى أن هذه الخرافات المنسوبة إلى لقمان هي مجموعة من خرافات إيسوب نقلت إلى العربية، ولكن القرائن تدل على أن هذه الأمثال الخرافية، وإن نسبت إلى إيسوب فهي ليست له، ودليلنا على ذلك هو أن إيسوب ما هو إلا خرافة أو نسخة محرفة عن لقمان العربي، فقد جمع **مكسيموس بلانودس**، وهو راهب عالم من **القسطنطينية**، مجموعة من نحو مائة وخمسين من الخرافات التي تقال على ألسنة الحيوان، وكثير منها شرقي: هندي وصيني، وفارسي وعربي، ونحلها إيسوب.

لقمان والإسرائيليات

وهكذا فإن التحريف الذي تعرضت له شخصية لقمان ومحاولة بعض الأخباريين الربط بينه وبين شخصيات أخرى قديمة اتسمت بالحكمة كأحيقار وبلعام وغيرهما، وتعدد الأقوال في كونه عربيًا أو نوبيًا أو حبشيًا أو مغربيًا أو إسرائيليًا أدى إلى وقوعه تحت تأثير «**الإسرائيليات**» في محاولة من بعض الأخباريين من اليهود الذين أسلموا للسطو عليه وإلحاقه ببني إسرائيل، على عادة اليهود في كل عصر وحين.

وهكذا لا نلبث أن يستأثر بانتباهنا تلك الآثار الإسرائيلية التي نسبت إلى لقمان إذ جعلوه يزهد في الحكم لأن الحاكم ظالم، ويفضل الذل على الشرف: «**ومن سكن في الدنيا ذليلاً فذلك خير من أن يكون شريفًا. ومن يختر الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا يصيب الآخرة**» وواضح أن تفضيل الذل على الشرف واعتزال الحياة والإيماء إلى تعاصر داود ولقمان، كل ذلك يدل على تداخل حدث بين شخصية لقمان ونزعات غير عربية.

وقد انطلق بعض المستشرقين من إشارة لبعض الأخباريين، غير موثقة تقول: إن «لقمان» كان عبدًا حبشيًا لينفي عن العرب في الجاهلية اضطلاعهم بالحكمة التي اقترنت به، وردد هذا الادعاء غير واحد من كتاب العربية، بوعي أو دون وعي. وبديهي أن لقمان الجاهلي كان عربيًا، وهو يختلف تمامًا عن أحيقار وبلعام اختلافه عن لقمان القرآني.

وفيما يلي أنقل ما ذكره سيد مظفر الدين نادئي في كتابه «التاريخ الجغرافي للقرآن» بهذا الصدد:

يخطئ من يظن أن لقمان الحكيم كان من أصل أفريقي، وأتى كعبد إلى بلاد العرب، وقد ادعى بعض العلماء الأوربيين أن لقمان الحكيم هو إيسوب الفيلسوف اليوناني، لأن القصص والأمثال التي نسبت إليهما متشابهة، ولكن لم يثبت أن العرب الأقدمين عرفوا شيئًا عن الفلسفة اليونانية، وفضلاً عن ذلك، فإنه إن كان التشابه في الأعمال يعني التشابه في العاملين فلا بد من إنكار وجود كثير من الشخصيات التاريخية إذا قبلنا هذه النظرية».

ويقول **ياقوت في معجم البلدان** في مادة طبرية: «وفي شرقي بحيرة طبرية قبر لقمان الحكيم وابنه، وله قبر في اليمن، والله أعلم بالصحيح منهما».

تعقيبات

(١) في أنوار التنزيل «أن لقمان كان من ولد آزر، عاش ألف سنة حتى أدرك داود، وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث داود قطع الفتوى، فقيل له في ذلك. فقال: «ألا أكتفي إذا كفيت». وعلى الأغلب هذه الإشارة من الإسرائيليات التي تحف بلقمان.

(٢) تثير قضية أخذ أمبيذوقلس (أو أنبذ قليس) اليوناني الحكمة عن لقمان دعوى تجري على أقلام سائر الرواة والمؤرخين العرب حيث ذهبوا إلى أن قدماء حكماء اليونان إنما اقتبسوا مذاهبهم الفلسفية عن الأنبياء أو الحكماء المشرقيين.

(٣) جاء في تاريخ الخميس أن اسم ابنه المذكور في القرآن الكريم «أنعم» أو «مشكم» أو «ماثان».

(٤) قيل: إن لقمان جمع في الحكمة أربعمائة ألف كلمة، واختار منها أربع كلمات اثنتين منها مما يذكر ولا ينسى، ، وهما الله والموت، واثنتين مما ينسى ولا يذكر، وهما إحسانك إلى الخلق وإساءة الخلق إليك.

(٥) قال عكرمة والشعبي: إن «لقمان» كان نبيًا، والجمهور على أنه كان حكيمًا، ولم يكن نبيًا، وقيل: خُيِّرَ بين الحكمة والنبوة فاختار الحكمة، وهي الإصابة في القول والعمل، وقيل: تلمذ لألف نبي وتلمذ له ألف نبي.

(٦) في تاريخ الخميس أن لقمان ابن أخت أيوب أو ابن خالته.

بعض المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.
(٢) التوراة.
(٣) أخبار عبيد بن شرية.
(٤) البيان والتبيين - الجاحظ.
(٥) تفسير أبي حيان.
(٦) تفسير القرطبي.
(٧) جمهرة الأمثال - العسكري.
(٨) حياة الحيوان - الدميري.
(٩) الحيوان - الجاحظ.
(١٠) خزانة الأدب - البغدادي.
(١١) الروض الأنف - السهيلي.
(١٢) قصص الأنبياء - الثعلبي.
(١٣) المستقصي - الزمخشري.
(١٤) مروج الذهب - المسعودي.
(١٥) المعارف - ابن قتيبة.
(١٦) المعمرين - السجستاني.
(١٧) الموطأ - مالك.
(١٨) الأمثال - المفضل الضبي.
(١٩) المعرب - الجواليقي.
(٢٠) تاريخ الطبري.
(٢١) خرافات إيسوب - ترجمة السقا.
(٢٢) قصص الحيوان - عبد الرزاق حميدة.
(٢٣) العصر الجاهلي - شوقي ضيف.
(٢٤) تاريخ القرآن الجغرافي - نادئي.
(٢٥) الأساطير العربية قبل الإسلام - عبد المعيد خان.
(٢٦) دائرة المعارف الإسلامية.
(٢٧) دراسات في التاريخ - أنيس فريحة.
(٢٨) لسان العرب.
(٢٩) الأمثال - عبد المجيد عابدين.
(٣٠) خرافات لقمان الحكيم، إيسوب، لافونتين - ترجمة جوزف فاخوري.
(٣١) بلوغ الأرب - الألوسي.
(٣٢) تفسير أبي الليث السمرقندي.

في جوار بيت الله «الكعبة»

شعر: ا. د. عبد الغفار حامد هلال

إلى النُّور أرنُو إلى الكعبةِ   إلى حَجَرِ السَّعْدِ في لحظةِ

إلى قَبَسِ اللهِ إذْ جَاءني   بِبِشْرٍ تفجّر في فجأةِ

تجلّت عليَّ تباشيرُ فجرٍ   وضِيءٍ نَقِيٍّ من الكُدرةِ

دُهشتُ وكانت هنا ذكرياتٌ   تجِل عن الوصْفِ في قصّةِ

هنا مَهْبِطُ الوحْي يا روعةً   رأيتُ ومازِلْتُ في صَبْوةِ

* * * * *

بكُلِّ الجهادِ مضتْ أمّةٌ   فشقّتْ ينابيعَ في الصَّخرةِ

حياةٌ تدِبُّ كما قدْ دعا   أَبُونا الخليلُ وقد قامَتِ

* * * * *

هنالك دارتْ حَوادثُ تَتْرَى   تَقُصُّ الحياةَ مع الصَّفْوةِ

تقولُ بأن الرَّسولَ الكريمَ   هنا كان يجلسُ مِنْ حقْبَةِ

ينادِيكَ منذُ القرون الخوالي   إلى حِصْنِ ربِّك ذي العزةِ

شهِدتُ مكانًا لهُ مُشرقًا   يهزُّ الجوانحَ بالخفْقةِ

* * * * *

سبحتُ بفكري فكانَ الرَّسولُ   أمامِي ينافِحُ في قُوَّةِ

يُصارِعُهُ الكفْرُ حتى يثوبَ   إلى غَيِّ هذا الفَريقِ العَتِي

ولكنَّهُ في صُمودٍ يُجيبُ   لدِينُ الحنيفَةِ من مِلَّتِي

لقدْ ظَلْتُ أرقبُ ما قد جَرَى   ونفسي تطيرُ إلى الجنَّةِ

قصة قصيرة

وكان البرد قاسيًا

بقلم: فتحي سلامة

كان الجو باردًا، تكوَّم كل واحد داخل معطفه، توقفت الحافلة في نهاية الخط، ترددت في النزول، دفعني أحدهم إلى الشارع، كان الظلام حالكًا، ورذاذ المطر لا يتوقف، صفعتني البرودة على وجهي، ولسعني الماء البارد نافذًا من أسفل حذائي، اصطكت أسناني رغم محاولتي منعها، مضيت سائرًا إلى الأمام، كان عليَّ أن أقطع طريقًا طويلاً بين ركام من مخلفات بناء عمائر لم تتم سكناها بعد، تبدو مثل أشباح لها ألف فم، تشرب من ماء المطر، والماء المتراكم يصنع بركًا صغيرة متناثرة تبدو بقعًا داكنة اللون، أحاول أن أتقيها، تخوض قدمي في الوحل، أشعر بلزوجة الطين، ووهن في جسدي، وخفقان مؤلم في صدري، كنت عائدًا من المستشفى، قالوا يجب أن تخرج فقد تم علاجك، وخرجت لم أجد أحدًا في انتظاري، أحيانًا كنت أحلم بأنها ستقف هناك عند أول سور المستشفى أو بالقرب من الباب، وفي ليال أخرى أحلم بها تقف عند رأسي، تبتسم وهي تمسك ذراعي وتساعدني على ترك فراش المرض، وعندما أغوص في النوم أراها تضحك ثم يتلاشى وجهها خلف غيوم سوداء.. أرتفع طائرًا مخترقًا السحب، أرى جبالاً شاهقة، مدببة الهامات، تسرع الجبال جريًا وأنا طائر فوقها، تختفي الجبال ويأتي البحر، موج متلاطم، أزرق، أسود، أبيض، أسود، يصطدم بصري بغابات كثيفة الشجر، تنزلق الأشجار، تفر، تسرع وأنا طائر بجوار السحب، أغطس فجأة، أهوي من حالق، يرتطم جسدي الطائر بالأرض، أرى جسدي يتلوى، يتكوَّم، تدفعه الريح، يطير، أرى بنايات إسمنتية، طوابق عشرين، ثمانين، ألفي طابق، وفي كل طابق ألف نافذة، النوافذ يشع منها الضوء، تدور البنايات في دوَّامة، تمتزج تتلاشى، الزرع يظهر، مسافات من الزرع الأخضر، ألهث، أرى من سمائي أبراج الحمام، ما أكاد أصل إليها حتى أسقط، جسدي البشري يتألم، يسألني السائق في غلظة عن ساقي، أسحب ساقي، أتوجع، أهرب من عينيه، يعشى بصري الضوء الساطع للسيارة، أمضي، ما زال البرد شديدًا، ورذاذ المطر غزيرًا، والبيت بعيدًا، أنحرف إلى الزقاق، تزداد الظلمة، يتكشف الوحل، ترتفع رائحة العطن، أسمع نباح كلب من خلف جدار، ألجأ إلى الحلم، ولكني لا أجدها.. هربت، اختفى الحلم، وشاخت الرؤية!

انفتح الباب، وانبثق الضوء مع صوت يسأل، لم أجب، وقفت مبهوتًا كانت دافئة ورائحة الطعام خلفها، وقهر البرد خلفي، دخلت، نظرت إلى وجهي وصاحت في دهشة وهي تغلق الباب:

ـ أنت؟!

قلت: نعم، أنا (خلعت عني معطفي، شعرت بالامتنان، جلست حيث أشارت، خلعت حذائي ورغبت في النوم، أخذتني إلى الداخل، كان عليَّ أن أستحم بالماء الساخن، وبخار الماء يتصاعد من حولي.. بكيت، وضعتني في الفراش، سألتني

ـ من أنت؟!

قلت: ـ صاحب الدار.

زمجرت قليلاً ثم ضحكت، وأكلت أنا طعامًا ساخنًا، وعندما داهمني الحلم طردته، تشبثت بموقعي، وأخذت أغني:

في مطلع هذا العام.

.. قال الحكيم لأهله، لا تأخذوا من كل شيء بطرف، بل خذوا شيئًا واحدًا برمته.

نادتني من خلف الباب أن استيقظ، لم أكن قد نمت بعد، فقلت بحماس:

ـ لم أنم، أنا مثل عاشق يخشى أن يسلب النوم حبه!

ثم وقفت وقد امتلأ بطني بالطعام.... ورقصت، وقفت هي وقد أمسكت بشمعة كبيرة تدنو إليَّ وتبتسم كانت سعيدة،... ولما أرهقني الرقص وأزعجني اللهاث، جلست محملقًا في الشمعة.

سألتني: من أنا؟

قلت: أنا حيث كان الزمن اسم الخبر، وأنا حيث صار الرسم اسم الرجل.

ضحكت.. وقالت:

ـ أنت منا حيث شئنا، أنت منا حيث نبغي، لا تلام على حبنا إن شكى الحاسد منا،.. أنت منا مبتغى، والهوى مثل الوغى.. لا قياس عنده.

ودنوت منها في سعادة، شوقي يسبقني إليها، قالت:

ـ دع الحديث يظهر منا ما تخفي!

رحت أهش الغيظ عني وأصطبر، وملأت الوجه بسمة عاشق يلهو لا ضجر، وسألتها في رقة: ما الخبر؟!

قالت: طال بنا السهد ولم ننم.

قلت: هل في ليل النجوى نوم لا وتلك البسمة، وشعر أسود، ووجه أقمر، لن ندع للنوم في ليلتنا مكانًا في المقل.

راحت تصفِّق بيديها في نشوة، جلستُ مرتاحًا وقد هزني الطرب، رحت أشدو بألحان سمعتها، تهزني اللحظة أمتصها في غير شبع، وهي تضع الشمعة في مكان فيتلألأ الضوء من حولنا، وتزداد نشوتي، أسمع صوتها يحكي حكايات الزمان الأول،... من هنا مر الشاطر حسن، وإلى بئر مفتاح الكنز وصل، وعندما هم بأخذه عفريت حضر، صاح في غضبه: من ذا يا ترى يتحدى الخطر؟.. ارتعشت شفتاي برغبة، لكن الحكاية لم تزل..، رفع الشاطر حسن سيف الأسد الهصور إذا غضب،.. بي رغبة في النوم، صاحت ما الخبر

قلت: اصفحي عني.. كأني مريض يحتضر.

قالت: يا ويلتي تدق الباب في منتصف الليالي لا خشية ولا خفر!

وسمعت صرير الباب يغلق دوني، وأترك للمطر..

ويزداد رذاذ الماء عنفًا، وأجذب قدمي من الوحل بصعوبة، وأنظر إلى الأمام، كان الليل سوادًا، وكان البيت بعيدًا، وكان البرد قاسيًا.

مقومات الحضارة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم

د. زكريا سليمان بيومي

تعددت الطروحات التي تحدد المقومات الأساسية لأي بناء حضاري عبر مراحل التاريخ، واستقر المنظرون على صياغة أغلب هذه المقومات الكفيلة بقيام أية حضارة ورأوا أن عدم توافرها - أو على الأقل غياب إحداها - كفيل بهدم أية حضارة، هذا إذا قامت هذه الحضارة من الأساس. ولعل من أبرز هذه المقومات التي استقاها المنظرون من أعتى الحضارات القديمة ضرورة توافر أسباب الاستقرار والحياة كوجود المياه والأرض الصالحة للزراعة؛ نظرًا لأن ذلك كفيل بقيام نظام ثابت ومقومات للبناء وقيام الحرف وغير ذلك. وأضاف المنظرون الجغرافيون بعدا آخر وهو اعتدال المناخ الذي يكفل للإنسان القيام بهذا الدور.

واستقر أصحاب هذه النظريات في الغالب على مجموعة من الأسس التي تكفل قيام الحضارة، فذكروا - فيما ذكروا - أنه يصعب قيام حضارة في مناطق حارة صحراوية، وأن البيئات الساحلية أكثر تقبلا للتفاعل الحضاري من البيئات الصحراوية الداخلية وغير ذلك. ومن خلال هذه المقومات التي بدت لفترة طويلة - وربما حتى الآن - أنها ثابتة فسر الفلاسفة والمفكرون أسباب انتشار طقوس العبادات حول الوديان كما حدث في مصر القديمة وبلاد الرافدين واليمن وغيرها.

ووسط هذه القناعات التي لم تكن وليدة العصر الحديث أراد الله سبحانه وتعالى أن يبني بالإسلام - ومن خلاله - حضارة معجزة تخالف هذه القناعات البشرية، فكان اختيار المكان الذي ستقوم عليه وتنبعث منه هذه الحضارة مغايرا لما وصل إليه العقل البشري من مقومات الحضارة، فالمنطقة الصحراوية تعيش فيها شعوب قبلية لا يربط بينها نظام موحد، كما إنها شديدة الحرارة لا يسمح مناخها إلا بعمل محدود لحياة بسيطة، ورعي أغنام ومسكن بدائي هو الخيمة وأمور لا تحتاج إلى جهد كبير.

ويشير القرآن الكريم إلى أن مكة هي المستقر الرئيس لهذه الحضارة ﴿ إن أول بيت وضع للناس للّذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ آل عمران ٩٦، وتوضح الآية الكريمة أن الله سبحان وتعالى قد اختار مكة - مركز حضارته والهداية إلى تعاليمه - في هذا المكان الذي لا تتوافر فيه مقومات الحضارة بالمفهوم البشري، ولعلم الله سبحانه وتعالى فقد هيأ مكة والمنطقة المحيطة بها ورسالتها بمقومات حضارية أخرى غير تلك التي يراها الإنسان، فالحضارة التي ستنبعث منها ستكون حضارته الخالصة التي تحمل رسالته الأخيرة للبشر والتي إن اتبعوها اهتدوا وهدوا، وإن ابتعدوا عنها ضلوا وأضلوا، فقال تعالى: ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ البقرة ١٣٠.

ويوضح القرآن الكريم مقومات هذه الحضارة دون أن يترك للبشر حرية الاجتهاد في تحديد أبعادها، عندما أراد الله سبحانه وتعالى التهيئة لها على يد خليله إبراهيم عليه السلام، فيقول تعالى بمنطق تأكيد عجز العقلية البشرية عن الإلمام بكل شيء في علمه: ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم** ﴾ إبراهيم ٣٧، فالآية الكريمة تشير إلى أن المكان خال من الزرع، ومن الطبيعيّ من المياه ومن ثمّ السكان، واختيار المكان لم يكن عشوائيا كما يتراءى لبعضهم، فهو محدد بوضوح «عند بيتك المحرم»، والذرية التي أسكنها إبراهيم عند البيت المحرم هي المكلفة بوضع اللبنات الأولى لهذه الحضارة حيث اصطفاها الله لهذا ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾ آل عمران ٣٣.

أسس راسخة

ثم تحدد آيات القرآن الكريم أهم مقومات حضارة الرحمن فيقول تعالى:

﴿ **ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾ إبراهيم ٣٧، فإقامة الصلاة التي تعني دوام الاتصال بصاحب هذه الحضارة وبين الراغبين في الانضمام إليها هي المقوم الأول والأساسي، فإذا أخلصوا في هذا الاتصال بأفئدتهم ينضم إليهم من يدرك بفؤاده معنى حضارتهم، فالمطلوب ليس انضمام كل الناس وإنما أصحاب الأفئدة التي تدرك بحسها أبعاد رسالتهم، فإذا تجمع أصحاب هذه الأفئدة والتزموا بمقومات هذه الحضارة فإن الله يغمرهم - على الرغم من ضحالة إمكانات المنطقة - بالرزق الموفور لعلهم يشكرون.

ويعلن إبراهيم عليه السلام التزامه ومن يهتدي من ذريته بهذه المقومات في طلبه من المولى الانضمام إلى هذه الحضارة، فيؤكد أنه يدرك بفؤاده أبعادها ﴿ **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** ﴾ إبراهيم ٣٨، ثم يؤكد التزامه وبهذا

الحس بأهم مقـوماتها ﴿ **رب اجعلني مقيم الصـلاة ومـن ذريتي ربنـا وتقبل دعاء**﴾ إبراهيم ٤٠ .

وكان هذا الإعلان بمثابة قيام أمة جديدة ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ **النحل ١٢٠** ، ووجه إبراهيم الدعوة للنـاس جميعا للانضمام إليها والالتزام بمقـوماتها ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ **آل عمران ٣١** .

ثم ينفذ إبـراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أوامر الله سبحـانه وتعالى في إرساء قواعد البيـت لكي يكون قبلة هذه الأمة ومكان التقـائها وتجمعها، وفور إرساء القواعد ينفذان أوامر صـاحب البيت في أن يطهراه لأتباع هذه الأمة من الطائفين والعاكفين والركع السجود .

ويوصي إبراهيم عليـه السلام بنيه بالالتـزام بهذا المنهج فذكر لهم ﴿ **إن الله اصطفى لكم الـدين فـلا تموتن إلا وأنتم مسلمـون** ﴾ البقرة ١٣٢ ، ويـواصل يعقوب إبلاغ هذه الوصية لبنيه فيسألهم ﴿ **ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون** ﴾ البقرة ١٣٣ . ويستمر هذا المنهج في ذرية إبـراهيم فيقول تعالى ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى ومـا أوتي النبيـون من ربهم لا نفـرق بين أحـد منهم ونحن لـه مسلمون**﴾ البقرة ١٣٦ .

ومن ذريـة إبـراهيم يبعث محمـد ﷺ، وينزل الله عليـه القـرآن ليثبت بـه فؤاده، وليكون رسالة الله الأخيرة إلى البشر أجمعين، وليكون دستور هذه الأمة . ويزداد شأن لغـة العرب لكي تكـون لغة الدستـور الدائم لهذه الأمـة، ويرتفع معها وبها شأن كل من أدرك بفـؤاده فحوى الرسـالة وسعى للدعوة بمقـوماتها سواء من العرب أم من غيرهم، وتكون لغة الإنذار الموجه لكل من يعاديها سواء من العـرب أم من غيرهم، وليكـون أول إنـذار ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ الشعـراء ٢١٤ تعبيرا عمليا عن رفـض أي لون من ألـوان العصبيـة القوميـة في الحضارة أو الأمة الجديدة .

ويفتح الركب الحضـاري الجديد أبوابه للناس جميعـا، فلم يعلُ فيه جنس على آخر « **فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوي**» ، والعصبية للجنس فيه مرفوضـة «دعوها فإنها منتنة»، ويقف النبـي ﷺ وخلفه بلال الحبشي وسلمان الفـارسي وصهيب الـرومي وأبـو بكر القـرشي في وجـه أبي لهب وأبي جهل وأبي سفيان وهم من الجنس العربي .

ولعل ذلك التحديـد يؤكد أمرين مهمين، أولهما عـالمية هذه الرسـالة التي تمثل أساس الحضارة الإلهيـة؛ فهي لكل الأجناس والأديان والمذاهب، وليست مقصورة على جنس أو لغة، ومعيار الثواب والعقـاب فيها معيار أخلاقي عادل وغير متحيز. والأمر الثاني هو أنها رسالـة غير متعصبة لجنس أو سلالة أو ثقافة أو موقع أو حتى لغـة ما بقيت وسيلـة للتعبير عن الإيمان بفحوى الرسـالة التي أراد الله أن تكـون أسـاس حضارتـه، فهـلا سـارع النـاس ـ كل النـاس ـ إلى الانضمام إلى هذه الحـضارة التي هي السبيل الأقـوم للخروج من دائرة الغـابية المظلمة والصراعات الدامية الدائرة والمنتظرة وظلم الإنسان للإنسان .

الشمس تشرق من جديد



غطست الشمس في قـاع المحيط، فخيم على الكـــون هلع شـديـد، استـدار بـلا إرادة إلى النـاحيـة الأخـرى، فأبصر هـــلالا صغيرًا يبتسم في شحوب .

قـالت لـه : إني خـائفـة، لا أبصر إلا الأشباح .

كانت يداها باردتين برود الموت، وقلبها يدق بسرعة .

لوى عنقها تجاه الناحية الأخرى .

قالت : لا أبصر إلا نقطة بيضاء، تتوه في غياهب السماء .

قال : عما قليل ينقشع الظلام، ويعم الضياء .

قالت له : هل عدت من جـديد تبشر بالأشياء، والأشباح تملأ كل مكان .

قال لها : إنني أسمع همهمة تأتي من بعيد .

كـانت هناك أصـوات كثيرة تتـداخل وتتعالى وتملأ كل مكـان، وتسرع نحو هاتف لا تراه .

قال لها : انظري إلى المآذن هل ترين شيئا ؟

قالت : إني خائفة أرتعد .

قال : دققي النظر، الناس تستقبل الهلال الوليد .

قالت : لا أفهم .

قال : التاريخ لا يضيع، اليوم تغطس الشمس، وغدا تولد من جديد . تعربد الأشباح، ولكن الشهب تترصدها في كل مكان .

أمسك بيدها، فأحس بالحرارة تدب من جديد .

قال لها : تشجعي، سوف يظهر الهاتـف، وسوف يراه الناس، وسوف يعود التاريخ من جديد .

قالت له : زدني .

قـال : سـوف أزيـدك بـآيتين من سـورة يس ﴿ قـال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم ﴾ يس ٧٨، ٧٩ .

انتصبت واقفة، وبحركة لا إراديـة كغزال يتملص من صائده، التفتت إلى الناحية الأخرى، فوجدت الشمس تشرق من جديد .

د. عبدالحميد إبراهيم

رحلة العمر

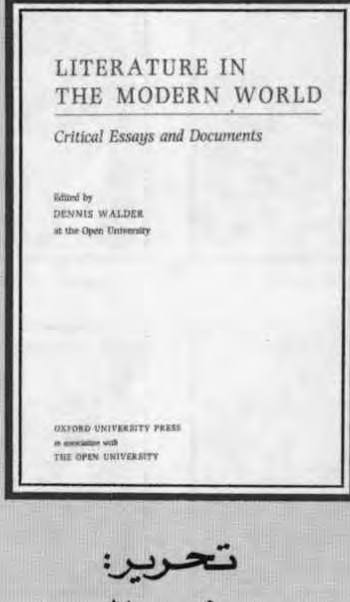
شعر: محمد فرج

يا رحلة العمر هل يبقى لنا أمل   وهل يطول بنا بعد الأسى أجلُ ؟
القلب يطوي شجون الهم مكتئبا   والعين مسهدة بالحزن تكتحلُ
إذا قصدنا دروب الخير تبعدنا   أيدٍ لها في مجال الشر منتحلُ
يضيع كل الذي عشنا له زمنا   بين الظنون وبين اليأس نأتمل
ويجثم الذل دهرا فوق أنفسنا   نئن من حمله كرها ونحتمل
لعل أجنحة للحب تنقلنا   إلى ربوع بها الآلام تندمل
لكنّ عين الجوى في البعد ترصدنا   أنّى مشينا تضق في وجهنا السبل
نعود والغيظ في الأعماق مستعر   ينتابنا الضيق والإحباط والملل
ندق للخير أبوابا مغلقة   قد أوصدت زمنا في وجه من سألوا
فربما قد يصيخ السادرون إلى   ذاك النداء فيصحو الحق والمُثُلُ
من رقدة طالما طال السبات بها   ردحا طويلا وكاد العمر يرتحل
حين استباحت حمى الأطهار شرذمة   موصومة في خطاها الرجس والوحل
وعاث في الأرض أشرار جبابرة   جابوا الدروب وما أعيتهم الحيل
تفوقوا في سباق الزيف واحترفوا   صنع الرياء فسار الغش والدجل
وخالطوا الصدق بالبهتان فاحتجبت   رؤى الصواب وعم المنطق الخطل
وتاه في عتمة الأحزان من سلكوا   درب الوئام وحتى الآن لم يصلوا
يا رحلة العمر شمس الحب قد غربت   عن روضنا وظلام اليأس ينسدل
ضاع الرجاء وليل السهد أرقنا   أين الصفاء وأين السحر والغزل
كأنما الحزن يأبى أن يفارقنا   إلا إذا ذابت الأجفان والمقل
يا صاحب النور عن آفاق عالمنا   أما كفاك من الأحلام ما قتلوا
الحق يبقى على الثعلان منتصرًا   والظلم يسقط في أحكام من عدلوا

LITERATURE IN THE MODERN WORLD

الأدب في العالم الجديد

نافذة على ثقافة الغرب



تحرير: دينس والدر

عرض وتقديم: د. عادل سلامة

المنطلق الأساسي لهذا الكتاب هو أن هناك تحولا أساسيا قد حدث في مفهوم «الأدب الإنجليزي» منذ العشرينيات في هذا القرن وحتى نهاية الثمانينيات، أي منذ الفترة التي كانت فيها بريطانيا ماتزال إمبراطورية عظمى إلى الفترة التي تحولت فيها إلى دولة من الدول الأوربية تدور في فلك الولايات المتحدة الأمريكية. كانت السيادة البريطانية فيما قبل العشرينيات تقتضي توجيه مسار الأدب الناطق بالإنجليزية نحو كل ما يغلب هذه السيادة، وما يتبعها من قيم. أما بعد انحسار هذه السيادة فقد تحول مركز الثقل إلى محاور جديدة، وانبثقت الآداب المتعددة الناطقة بالإنجليزية تفرض نفسها كالأدب الأمريكي، والأيرلندي، والأسكتلندي، والأسترالي، والكتابات الجديدة من الدول التي تحررت من الاستعمار البريطاني سواء في أفريقيا أو في آسيا. وانفتحت إنجلترا نفسها على القارة الأوربية وخضع الأدب الإنجليزي عينه بشكل واضح للمؤثرات الأجنبية، وأصبحت اللغة الإنجليزية لغة وسيطة لنقل مختلف الآداب إلى العالم الخارجي.

انشقاق فكري

ولا يحاول الكتاب مجرد رصد هذا الانشعاب الذي حدث للأدب الإنجليزي خلال تلك الفترة كأحد نتائج ذلك التحول السياسي، كما إنه لا يهدف إلى تغطية المدارس الجديدة التي ظهرت في النقد الأدبي خلال هذه الفترة مثل «البنيوية Structuralism» و«ما بعد البنيوية Poststructuralism» و«التأريخية الجديدة New Historicism». ولكن الكتاب يحاول من خلال الوثائق النقدية التي يضمها أن يلقي الضوء على مجالات البحث التي تطرقت إليها اتجاهات النقد المعاصر، والتي أعادت النظر بشكل جذري في بعض المسلمات الأساسية التي كانت تقوم عليها المفاهيم التقليدية للأدب.

وقد صدر هذا الكتاب أول مرة عام ١٩٩٠م في أكسفورد بإنجلترا، ومنذ ذلك التاريخ صدرت منه طبعتان شعبيتان أولها عام ١٩٩١م، وثانيها عام ١٩٩٢م. وكان الهدف الأول من إصداره أن يكون مرجعًا لدارسي الجامعة المفتوحة في مقرر اسمه هو عنوان الكتاب نفسه، ولكن الكتاب وجد طريقه خارج النطاق الأكاديمي إلى مجال الحياة الثقافية العامة لأنه يحمل بين دفتيه عصارة الفكر الأدبي الجديد في وثائقه الأصلية.

وينقسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول بعنوان «اتجاهات عامة» ويتناول ثلاثة موضوعات، أولها موضوع «التقليد الأدبي أو عمود الأدب The Canon»، وثانيها موضوع «تفسير النص الأدبي Interpretation»، وثالثها موضوع «الالتزام في الأدب». أما القسم الثاني فهو بعنوان «موضوعات وقضاياThemes and Issues»، ويتناول عددا من مشكلات النقد الأدبي مثل الشكل والنوع، والحداثة، والأيديولوجية، وغير ذلك.

نافذة على ثقافة الغرب



الأدب في العالم الجديد

السياسة هل أفقدت الأعمال الأدبية الكلاسيكية البريطانية موقعها في العالم؟

يبدأ القسم الأول من الكتاب بمعالجة موضوع غاية في الأهمية تحت عنوان « Questioning The Canon » وهو ما يمكن ترجمته بمناقشة «عمود» الأدب. والمقصود من هذا معاودة النظر في الأعمال الأدبية، التي استقرت عبر التاريخ على أنها تكون التقليد أو التراث الأدبي للأمة. ويقدم الكتاب في هذا المجال خمس دراسات لنقاد معاصرين يتناولون الموضوع من زوايا مختلفة. تقول **ماريلين بتلر** الأستاذة بجامعة كمبريدج تحت عنوان «الدعوة إلى تاريخ أدبي مفتوح»: إن فقدان بريطانيا لسطوتها كقوة سياسية دولية قد أفقد الأعمال الأدبية البريطانية الكلاسيكية موقعها في البرنامج الأدبي، فقد ذهب الدافع الذي كان يحرك دارسي الأدب نحو دراسة هذه الأعمال، باعتبارها منتمية إلى حضارة قوية. وحتى مع تبني الولايات المتحدة الأمريكية للتراث الأدبي البريطاني، فإن ذلك لا يشكل إغراء كافيا لمثقفي دول العالم الثالث بالاستمرار في الاعتداد بالكلاسيكيات الأدبية البريطانية. وتستعرض **مارلين بتلر** في دراستها العوامل التي مر بها الأدب الإنجليزي عبر تاريخه بحيث أدى إلى استقرار هذه الكلاسيكيات كنصوص متفق عليها تشكل عموده الفقري، ثم تتساءل كيف يمكن أن نحدد محتوى الأدب الإنجليزي؟ وكيف يمكن أن نواجه الاعتراض بأن الرضا العام السائد عن الأعمال التي يتكون منها نشأ في فترة تاريخية معينة، لأسباب معينة ربما لم تعد قائمة إلى الآن. وتنتهي بتلر إلى أنه مادامت ثمة عوامل سياسية في حقبة معينة هي التي أدت إلى سيادة هذه الأعمال الأدبية، فإن ما يدعونا إلى إعادة النظر الآن في هذه الأعمال، والنظر في إمكان إحلال أعمال أدبية أخرى كي تكون محل اعتبار في التقليد الأدبي، هو العوامل السياسية والحاجات الاجتماعية الجديدة؛ وهذا أمر يدعو إلى أن يظل التأريخ الأدبي عملية مفتوحة متجددة.

تفسير النص

وعلى الجانب الآخر تجيء وثيقة الناقد العربي الأصل الأمريكي الجنسية إدوارد سعيد في مقالته «الشاعر الأيرلندي ياتس Yeats وعملية إزالة الاستعمار Yeats and Decolonization». هنا شاعر أيرلندي تشترك بلاده مع دول العالم الثالث في المعاناة من الاستعمار، ويتغنى الشاعر كما فعل كثير من أدباء العالم الثالث بالروح القومية. **وهنا يمر الأدب ـ في رأي سعيد ـ بمرحلتين: مرحلة المطالبة بالاستقلال**، وفيها يطالب الشاعر بالتخلص من أغلال حضارة المحتل، **ومرحلة تالية بعد الحصول على الاستقلال يستكشف فيها الشاعر جذوره في حضارته القومية ليعيد بناءها**. ومقال **سعيد** عن هذا الشاعر الأيرلندي تلفت النظر إلى أوجه الشبه بينه وبين عدد من كتاب العالم الثالث، أمثال **سنجور** Senghor، وسونيكا Soyenka وأشيبي Achebe الذين اشتركوا معه في الهدف السياسي. ومن ثم تجيء الدعوة عند إعادة النظر في «عمود» الأدب الناطق بالإنجليزية أن تكون الأسس التي يكون عليها التصنيف الجديد مما يسمح بأن يحتل **ياتس** Yeats موقعا مركزيا، وربما أن يخرج شعراء آخرون لم يعد لوجودهم مبرر كاف.

ويفرد الكتاب بابا خاصا لجانب تفسير النص الأدبي، ونختار هنا مقالين من أهمّ ما أورده الكتاب في هذا المجال: الفصل الذي عقده الناقد الأمريكي المعاصر ستانلي فيش Stanley Fish بعنوان Interpreting The Variorum بمعنى «تفسير النص المحقق بمختلف قراءاته»، **والرد عليه في مقال روبرت سكولز Robert Scholes بعنوان** «من الذي يعبأ بالنص؟ **Who Cares about the Text?**». في مثال فيش **Fish** الذي كتبه في مناسبة التعليق على ظهور طبعة محققة لأعمال الشاعر الإنجليزي **ميلتون Milton** تظهر فيها القراءات المختلفة للنص، يؤكد فيش **Fish** ما سبق أن قاله من أن «الأدب في القارئ». **القصد من هذا أن معنى النص الأدبي لا يكمن في النص الأدبي، وإنما يكمن في القارىء، وتتعدد معاني النص الواحد بتعدد القراء**.

وفي تقدير فيش أن نسبية المعنى يمكن أن تضبط بمعايير تنبع من مواصفات يتفق عليها


إدوارد سعيد


ياتس


سنجور


سونيكا

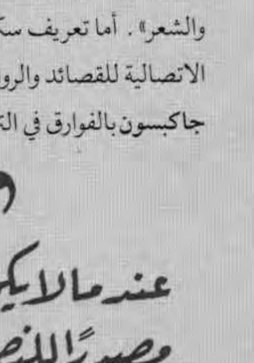
جمهرة من قراء النص يسميها فيش **«الجماعة المفسرة Interpretive Community »**، وتتعدد المعايير بتعدد هذه الجماعات القارئة واختلافها، سواء من حيث الحقبة التاريخية التي عاشت فيها، أو المجتمع الذي انتمت إليه، أو الطبقة أو ما إلى ذلك. وبرغم اتفاق **سكولز Scholes** مع ستانلي فيش على أن النص الأدبي ليس له كيان قائم بذاته، وأن خبرة القارئ بالنص تدخل في تقدير المعنى منذ البداية، وأن التفسير محكوم بمعايير لغوية واجتماعية وعقدية؛ إلا أنه لا يتفق معه في موضوع «الجماعة المفسرة»، **فالنص في رأيه يصبح نصا مرتبطا بلغة معينة ولا يتحدد بارتباطه بجمهور مفسر.**

القسم الثاني من الكتاب يتناول الجوانب الفنية في الإبداع الأدبي. تحت عنوان **« القصة والحكاية Story and Narrative »** يقدم الناقد الأمريكي **سيمور شاتمان Seymoor Chatman** تحديدا لمبادئ نظرية القص، ويشير إلى أن النظرية البنيوية ترى أن كل بناء قصصي له جزءان: «الحكاية» التي تنطوي على الأحداث بالإضافة إلى الشخصيات والخلفية، والجزء الثاني هو «التعبير Discourse» وهو الوسيلة التي نسرد بها الأحداث. الحكاية تجيب عن سؤال يبدأ بماذا، والتعبير يجيب عن سؤال يبدأ بكيف. **والقصة هي عملية اتصال ذات طرفين: مرسل ومتلقٍ وكل طرف له ثلاث شخصيات مفترضة: الكاتب الحقيقي، والكاتب الضمني، والراوية. أما في جانب الاستقبال فهناك المتلقي الحقيقي، والمتلقي الضمني، والمروي له.** وسواء كانت القصة ممثلة على المسرح أو مقروءة في نص مطبوع، فإن المتلقي سيستجيب بالإسهام في تفسير النص، إذ لا مناص للمتلقي من أن يشارك في تفسير النص، وذلك بملء الفراغات سواء في الأحداث أو في سمات الشخصيات التي يتركها النص دون تحديد لسبب أو لآخر؛ إذ إن من طبيعة النص القصصي أن يختار ما يذكر من أحداث أو سمات، ويترك للقارئ ملء الفراغات المترتبة على ذلك. ويعالج شاتمان الفروق في هذه الفراغات في وسائل التعبير الفني القصصي المختلفة، مثل الفن السينمائي، والرواية المطبوعة.

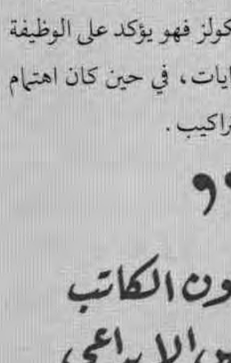
الاتجاه نحو الشكلية

وفي القسم الذي يفرده الكتاب للحداثة Modernism يضم الكتاب عددا من الوثائق النقدية، توضح أن أصحاب هذا المذهب قد اتجهوا نحو «الشكلية **Formalism**». **بول فاليري في مقالته « ملاحظات عن الشعر»** يورد رأيا ذا دلالة خاصة في التفرقة بين لغة الشعر ولغة النثر: **لغة الشعر «راقصة»، بينما لغة النثر «سائرة».** كما تعالج مقالة Gerard Genette الناقد الفرنسي — من المدرسة البنيوية — موضوع **«الزمن»** في القصة من هومير إلى بروست. فهو يرى أن قصة **بروست«البحث عن الزمن الضائع»** تستمد من الأساليب التقليدية في النص كي تتخطاها. أما مقالة روبرت سكولز Scholes «نحو علم إشارات أدبي Towards a Semiotics of Literature» فهي تتضمن نقضا للمفهوم السائد عن «البلاغيات الشعرية Poetics » وهو المفهوم الذي سبق أن قدمه **رومان جاكبسون Roman Jakobson** عام ١٩٥٨م في محاضرته المشهورة بجامعة إنديانا بعنوان «محاضرة ختامية: اللغويات والشعر». أما تعريف سكولز فهو يؤكد على الوظيفة الاتصالية للقصائد والروايات، في حين كان اهتمام **جاكبسون** بالفوارق في التراكيب.

> **عندما لا يكون الكاتب مصدرًا للنص الإبداعي أو مرجع ثقة لتفسيره**



بروست

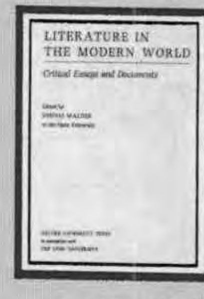


بول فاليري

الكاتب وتفسير النص

وفي الباب الخاص «بالأدب والأيديولوجيات» تثار قضايا تتعلق بمعنى الأيديولوجية، ووضعها في الأعمال الأدبية. كيف تتأثر استجاباتنا لعمل أدبي معين بإدراكنا الواعي أو غير الواعي بانتماء الكاتب إلى نظام عقدي صريح أو ضمني أو غير محدد؟ ما المدى الذي تؤثر به انتماءاتنا على استجابتنا أو فهمنا للأعمال الأدبية؟ لا توجد إجابات سهلة عن هذه الأسئلة، كما يستفاد من المقالات التي تقدم في هذا القسم من الكتاب، وخاصة مقالتي **بيير ماشري Pierre Macherey** ورولاند بارت **Roland Barthes**، أما تيري إيجلتون **Terry Eagleton** الناقد البريطاني الماركسي فيقدم عرضا واضحا للنظرية الماركسية وهي أساسية في تحديد السبب الذي من أجله يثار موضوع الأيديولوجية، ويوضح قابليتها للتطبيق في الدراسات الأدبية، لأنها أكثر من مجرد دراسة علم اجتماع أدبي، **ولعل أهم مقالات هذا الباب هي مقالة رولاند بارث بعنوان «موت الكاتب The Death of the Author»** وفيها يرفض مقولة أن الكاتب هو مصدر النص، وأنه المرجع الثقة في تفسيره. الكاتب بالنسبة لبارث ما هو إلا موقع أو ملتقى لحركة اللغة - بما تضمه من أقوال مشهورة وأضواء وإشارات — في غدوها ورواحها. ومن ثم فإن للقارئ أن يدخل للنص من أي اتجاه شاء، وله مطلق الحرية في أن يربط النص بأي نظام للمعنى دون النظر لما رمى إليه الكاتب.

وفي باب «نهاية الإمبراطورية **End of Empire**» يضم الكتاب عددا من المقالات التي تتبع أثر هذا الانهيار في المجال الأدبي. هناك فصلان مقتبسان من كتاب **إدوارد سعيد** المعروف « الاستشراق **Orientalism** ». الفصل الأول يتضمن تعريفا يقدمه **سعيد** للاستشراق، والفصل الثاني يحلل الكيفية التي يمكن أن يطبق بها هذا المفهوم على صورة الشرق لدى الغرب، وهناك مقال **سارة سليري Sara Suleir** عن قصة إ. م. فورستر **المعروفة «الطريق إلى الهند A Passage to India»** التي تأثرت فيها بمفهوم سعيد عن الإستشراق. وهناك مقالة الشاعر الأيرلندي **سيمس**



الأدب في العالم الجديد

هيني Seamus Heaney التي يثبت فيهـا أن أعمال الشعراء البريطانيين الثلاثة تد هيوز Ted Hughes وجيوفري هيل Geofferey Hill وفيليب لاركن Philip Larkin تحمل مظاهر نهاية القوة البريطانية.

ومقال إدورد سعيد يستحق وقفة. فهو هنا يقدم مفهومه عن الشرق بأنه لا يرسخ في مخيلة الغربيين بالتحديد الجغرافي، وإنما كخبرة مر بها البريطانيون والفرنسيون وغيرهم من خلال خارطتهم الاستعمارية بالشرق، كما أن الشرق يمثل النقيض الذي من خلاله عرفوا أنفسهم وحضاراتهم، وحددت أوربا صورتها لنفسها بمفهوم المفارقة. **ويمضي سعيد موضحا أن الاستشراق له أكثر من معنى، أولها** المعنى الأكاديمي الذي يتضمن القيام بدراسات انثروبولوجية أو اجتماعية أو تاريخية أو لغوية حول شعوب المنطقة. ويرتبط بهذا التقليد الأكاديمي معنى آخر أشمل. «الاستشراق» في هذا الإطار الأشمل هو أسلوب في التفكير مبني على تمييز معرفي ووجودي بين «الشرق Orient» و«الغرب Occident». ومن هذا المنطلق فإن عددا كبيرا من الكتاب بينهم الشعراء والقصاصون والفلاسفة والمنظرون السياسيون والاقتصاديون، قبلوا مبدأ التفرقة الأساسية بين الشرق والغرب كنقطة بداية في نظم فكرية، وأعمال فنية، وتحاليل سياسية تخص الشرق Orient. **أما المعنى الثالث من وجهة نظر إدوارد سعيد** فهو معنى نما مع أواخر القرن الثامن عشر، مدلوله ذلك النظام أو الإطار الذي من خلاله يتم تناول الشرق من كافة النواحي: دراسته، وإصدار الأحكام عنه، بل وحكمه: الاستشراق كأسلوب غربي في التسيد على الشرق وإعادة بنائه على النسق الغربي.

والباب السادس من هذا القسم من الكتاب امتداد لسابقه، فهو يتناول القضايا النابعة من نشأة آداب ناطقة باللغة الإنجليزية في المناطق التي انحسر عنها الاستعمار البريطاني في أفريقيا وآسيا. وقد سبق الإشارة إلى هذه القضايا في مقالة ماريلين بتلر الناقدة البريطانية في مطلع الكتاب. ولكن هذا الباب يعرض هذه القضايا من زوايا الكتاب الأفارقة أنفسهم. فيورد الكتاب ماذكره **فرانزا فانون Frantz Fanon** (ذلك المفكر من جزر المارتينيك الذي دعته خبراته مع الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي إلى أن يلتحق بجبهة التحرير الوطنية ويصبح أحد الناطقين باسمها) تحت عنوان **«حول الثقافة القومية»** في كتابه **«المعذبون في الأرض Les Damnés de la Terre»**. يقول فانون إن **الاستعمار يحاول أن يجتث الجذور الثقافية والحضارية للأمة؛ ليغرس في أذهان أبنائها أن المستعمرين جاءوا لإنارة الطريق، وأنه لو ذهب الاستعمار لعادت الأمة إلى حالتها البربرية والتخلف. ويضرب فانون مثلا لذلك من العالم العربي. ويرى أن الجهاد في سبيل حرية الأمة العربية قد اقترن بظاهرة حضارية هي الصحوة الإسلامية. وكانت الدعوة إلى إحياء الأدب العربي والماضي العظيم للثقافة العربية ردا على الأكاذيب التي أطلقتها القوى الاستعمارية.**

ومن أهم المقالات التي يضمها هذا القسم من الكتاب، المقالة التي كتبها القصاص النيجيري تشينوا أشيبي Chinua Achebe بعنوان «النقد الاستعماري **Colonial Criticism**»، وفيها ينحى باللوم على ذلك النوع من النقاد الذين ينظرون إلى الكاتب الأفريقي على أنه غير مكتمل على نحو ما، وأنه يوما ما ومع التعهد والإشراف سينمو كي يكون كاتبا مثل أي كاتب أوربي، وأنه حتى ذلك الحين عليه أن يتواضع، ويتعلم قدر إمكانه، وأن يسلم بالفضل للأوربيين. ويقرر **أشيبي** أن الكتاب الأفارقة يكتبون من خلال تجربة أفريقية ويعبرون عنها، وملتزمون بمصير أفريقيا. ولا يتضمن هذا المصير أن يكون لأفريقيا ذاتية أوربية في المستقبل.

ويرتبط بهذا قضية الخروج من إسار الإقليمية إلى العالمية. ويتساءل **أشيبي** عن مدى صحة القول بأن «العالمية» هي الاتجاه نحو الغرب. ثم ينهي مقاله بدعوة الأقوام المختلفة أن يتقدموا «بهداياهم ومواهبهم إلى الحفل العظيم إسهاما في حصاد العالم الثقافي» وستكون الإنسانية أكثر ثراء لتنوع هذه العطاءات المختلفة وتميزها.

ويضم الكتاب إلى جانب ما تقدم بابا يتعلق بوضع المرأة في الأدب، وبابا يتناول الأدب والتاريخ.

يتضح من هذا العرض الذي قدمناه لكتاب «الأدب في العالم الحديث **Literature in The Modern World**» تنوع المجالات التي يتناولها الكتاب، وقيمته في أنه يتناول هذه المجالات من خلال الوثائق الأصلية بأقلام الكتاب المبدعين أو أعلام النقاد في الغرب والشرق. ونخلص من هذا كله إلى أن الأدب لم يعد نشاطا قائما بذاته منفصلا عن حركة الحضارة وإنما أصبح مكونا أساسيا يؤثر ويتأثر بغيره من مكونات النسيج الحضاري. ويؤخذ أيضا من مجمل ما جاء في الكتاب أن دور العالم الثالث في مسار الأدب في العالم أصبح على مستوى الأهمية نفسه لدور الأدب في الغرب.

○ لماذا يتجه أدباء العالم الثالث ومفكروه إلى الغرب إسهامًا في حصاد العالم الثقافي؟

مسرحية

أصدق أهل زمانه

من الأعمال التي تنشر لأول مرة ○ تأليف: علي أحمد باكثير

ـ ١ ـ

(خارج مدينة طرسوس « يلتقى اثنان عليهما سيماء الزهاد » أحدهما إبراهيم بن أدهم والآخر شقيق البلخي).

إبراهيم: أنا أيضًا من بلخ.

شقيق: أهلا وسهلا بأخي وابن بلدي.

إبراهيم: أرحلت مثلي في طلب الرزق ؟

شقيق: الرزق يا أخي في كل مكان حتى في بلخ.

إبراهيم: ففيم إذن هاجرت؟

شقيق: ألتمس الطريق.

إبراهيم: الطريق إلى الله؟

شقيق: هو ذاك.

إبراهيم: فالله موجود في كل مكان حتى في بلخ.

شقيق: هيه ما أراك إلا سائحا مثلي تلتمس الطريق.

إبراهيم: أنا ماش في الطريق.

شقيق: يا أخي إياك والغرور.

إبراهيم: الغرور أحيانا في أن تظن بغيرك الغرور.

شقيق: منذ كم سرت في الطريق.

إبراهيم: منذ سبع سنين.

شقيق: أنت إذن غير ملوم.

إبراهيم: وأنت منذ كم ؟

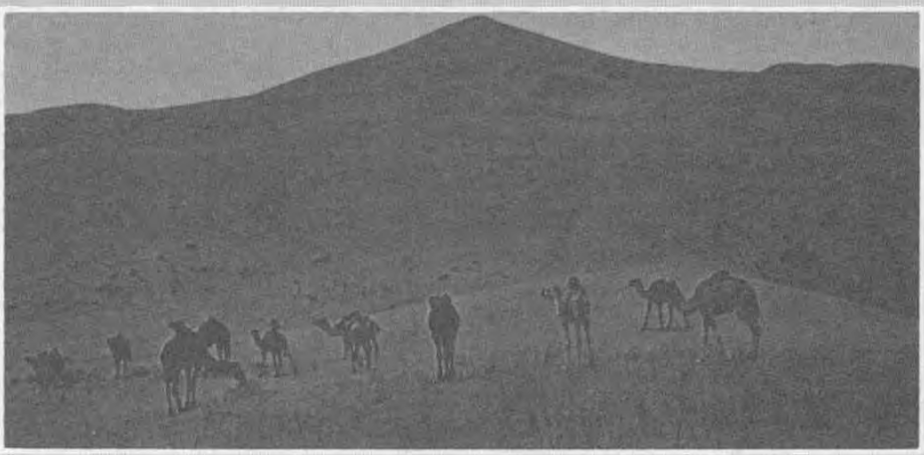
شقيق: منذ عشرين سنة وما زلت في أول الطريق.

إبراهيم: يقول الله تعالى ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾.

شقيق: ماذا ترى في مقامي الشكر والصبر ؟

إبراهيم: هل لي أن أسمع رأيك أولا ؟

شقيق: إنا إن وجدنا شكرنا، وإن لم نجد صبرنا.



إبراهيم: يا أخي هكذا كلاب بلخ إن وجدت شكرت و إن لم تجد صبرت.

شقيق: فماذا تقول أنت؟

إبراهيم: إنا إن وجدنا آثرنا و إن لم نجد شكرنا.

شقيق: (في طرب وفرح وقد زال ما كان يجده من الحرج في أول الأمر) الله الله. أنت الضالة التي أنشدها. الحمد لله إذ هداني اليك. أنت إبراهيم ابن أدهم.

إبراهيم: (يتغير وجهه) وأنت شقيق البلخي؟

شقيق: عجبا. كيف عرفت !

إبراهيم: كما عرفتني أنت.

شقيق: كلا أنا لست مثلك يا بن أدهم. أنت رجل مشهور.

إبراهيم: قاتل الله اللسان. لا يؤتى المرء إلا من لسانه.

شقيق: اللسان أداة التسبيح.

إبراهيم: ما نفع تسبيح اللسان إذا لم يسبح القلب.

شقيق: الله الله. إيذن لي يا سيدي أن ألازمك.

إبراهيم: بل إيذن لي يا سيدي أن أودعك.

شقيق: لم يا سيدي ألأنني عرفتك ؟

إبراهيم: نعم.

شقيق: إني أعاهدك يا سيدي أن أكتم سرك فلا يعرفك أحد.

إبراهيم : أنت تريد أن تلازمني ؟

شقيق : لا. لن ألازمك. بحسبي أن أجتمع بك بين الفينة والفينة فإني أعرف أنك تنتقل من بلد إلى بلد هربا من معرفة الناس لك.

إبراهيم : أجل.

شقيق : فسأكون لك عونا على التخفي والتنكر فلا يعرفك أحد. هلم بنا إلى طرسوس. سأبحث لك فيها عن عمل يناسبك.

إبراهيم : ولا تدعُني باسمي.

شقيق : يا أبا اسماعيل أي نوع من الأعمال تختار ؟

إبراهيم : أي عمل ينأى بي عن الناس ولا يشغلني عن ذكر الله.

شقيق : إني أعرف صاحب بستان في الضاحية فما ترى لو تعمل ناطورا عنده في البستان.

إبراهيم : عمل حسن. اذهب بي إليه.

- ٢ -

إبراهيم : **(لمعتوق وكيل صاحبة البستان)** خذ هذا يا سيدي.

معتوق : ما هذا يا أبا إسماعيل.

إبراهيم : ثمن رمانتين أخذتها من البستان أمس.

معتوق: كل يوم تأخذ شيئا من البستان. وتعطيني به ثمنا. والله لا أدري أنت ناطور عندنا أم تاجر ؟

إبراهيم : أنا يا سيدي ناطور.

معتوق : اسمع يا هذا. إن مالت نفسك إلى شيء من البستان فكله ولا حرج عليك.

إبراهيم : كلا يا سيدي إني لا استحل ذلك.

معتوق : قد أذنت لك.

إبراهيم : ما يدريني هل ترضى سيدتك مالكة البستان إذا علمت أم تسخط ؟

معتوق : ما شأنك بمالكة البستان ؟ أنا هنا مكانها.

إبراهيم : شكرًا لك على كل حال. لكن دعني وما اخترت لنفسي لو تكرمت.

معتوق : كما تحب يا أبا إسماعيل. اسمع الآن قبل أن أنسى، إن السيدة المالكة تنوي زيارة البستان اليوم ومعها صديقتان من علية القوم فاجمع لها شيئا من التفاح ومن العنب ومن الرمان. تخير أجود ما في البستان.

إبراهيم : سمعا يا سيدي. **(يخرج)**

معتوق : (يتمتم) يظن أنني سأسلم هذه الدراهم السيدة المالكة. ياله من أحمق. لكن من يدري لعله يغتال لنفسه كثيرا من الفاكهة ويظهر لنا ورعه هذا خديعة منه لئلا تنكشف خيانته. إنه كثير الصلاة كثير الذكر. لكن ألا يجوز أن تكون هذه حبائله ؟ حبائل الشيطان ؟

- ٣ -

غرفة في القصر الذي في البستان

(تجلس السيدة المالكة ومعها صديقتان لها حول مائدة وقد رفعت الصحاف وجاء دور الفاكهة فقدمت أطباق التفاح والعنب والرمان.

إحداهما : هذه الفاكهة من بستانك ؟

المالكة : نعم. لا يوجد في طرسوس كلها أجود فاكهة من هذا البستان.

الثانية : **(تأكل من تفاحة فتكف)** وي هذه تفاحة حامضة.

المالكة : حامضة ؟

الأولى : **(تأكل من عنقود عنب)** والعنب أيضا حامض.

المالكة : حامض.

الأولى : ألا تصدقين ؟ ذوقي إن شئت.

الثانية : وذوقي هذه التفاحة.

المالكة : (تتذوق من التفاح والعنب فتثور غاضبة) قبح الله هذا الوكيل يقدم لنا الفاكهة التي لم تنضج. (منادية) معتوق. يا معتوق.

معتوق : **(يدخل)** لبيك يا سيدتي.

المالكة : ما هذا الذي قدمت لضيوفي يا أحمق؟ تفاح حامض وعنب حامض أتستأثر بالحلو وترمي لي ولضيوفي الحامض ؟

معتوق : معذرة يا مولاتي. الناطور هو الذي جمع الفاكهة.

المالكة : ويلك كيف تعتمد عليه في أمر كهذا؟ لماذا لم تتخير أنت بنفسك ؟

معتوق : ما خطر ببالي يا مولاتي أنه لا يحسن اختيار الفاكهة.

المالكة : أنت مسؤول أيضا عن اختيار هذا الناطور. ألست أنت الذي عينته ؟

معتوق : بلى يا مولاتي لما بلغني من صلاحه واستقامته.

المالكة : ادعه لي الساعة.

معتوق : حالا يا مولاتي. **(يخرج منطلقا)**.

المالكة : **(تتخير من الأطباق ما تراه جيدا فتقدمه لصديقتيها)** هذا حلو. كلي. يا فاطمة وأنت يا خديجة كلي من هذا العنقود.

(يدخل معتوق ومعه إبراهيم)

المالكة : أنت الذي جمعت لنا الفاكهة اليوم ؟

إبراهيم : **(خجلا يتقي النظر نحو النسوة)** نعم يا سيدتي.

المالكة : أقصدت أن تحرجني أمام ضيوفي بتقديم هذا التفاح الحامض والعنب الحامض؟

إبراهيم : معاذ الله يا سيدتي أن أقصد ذلك.

معتوق : ألم أوكد عليك أن تتخير أجود ما في البستان ؟

إبراهيم : بلى وقد ظننت أني فعلت ولكن لعلي أخطأت .

الملكة : ويلك تعين ناطورا لا يميز بين الحلو والحامض .

معتوق : يا مولاتي غير معقول أنه لا يميز بين الحلو والحامض . لقد صار له عندنا اليوم عام ونصف عام فلو كان طفلا صغيرا لميز .

إبراهيم : متلعثما) أنا . . أنا . .

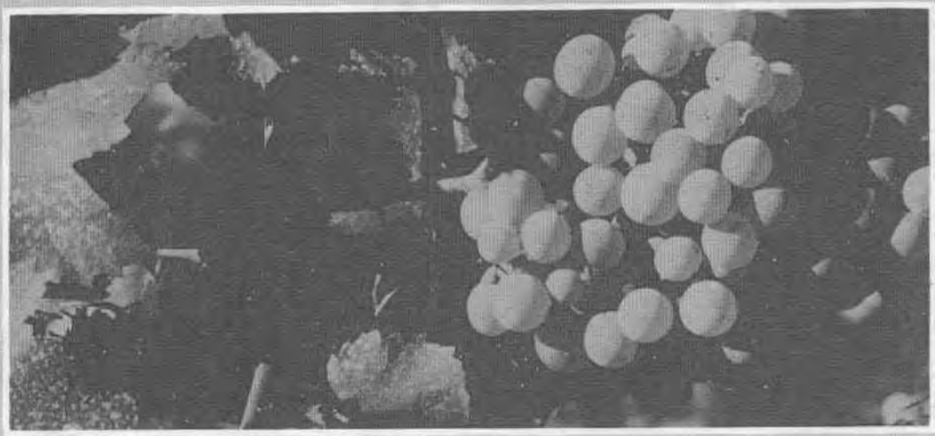
الملكة : أنت ماذا ؟ تكلم .

إبراهيم : أنا لم أذق شيئا مما في البستان .

الملكة : طوال هذه المدة لم تذق شيئا . اضحكن معي وتعجبن من هذا الناطور .

(ويقهقهن ضاحكات)

معتوق : يا أبا إسماعيل لقد كنت أظنك صالحا فما حملك على أن تكذب .



الملكة : وكذاب أيضا ؟ أي ناطور هذا ؟

معتوق : هذه كذبة ثانية . يا مولاتي إنه كثيرا ما يطلب مني أن اقتطع من أجره الشهري دراهم معدودة يزعم أنها ثمن ما استهلك لنفسه من فاكهة البستان في بعض الأيام فكيف يزعم الساعة أنه لم يذق شيئا من البستان قط ؟

الملكة : ما تقول في هذا أيها الناطور الورع ؟

إبراهيم : يا سيدتي أرجو أن تبحثوا لكم عن ناطور غيري فإني لم أعد أصلح لهذه المهنة .

النسوة : **(يتضاحكن)** مسكين . إن كان لا يصلح ناطورا فلأي شيء يصلح ؟

إبراهيم : سامحيني يا سيدتي فيما بدر مني دون قصد .

الملكة : اذهب يا معتوق فأعطه حسابه .

معتوق : تعال معي يا أبا اسماعيل . **(يخرجان)** .

ـ ٤ ـ

(شقيق البلخي ومعتوق . أمام مصطبة إبراهيم وقد ظهر في وجه شقيق الأسف والحزن)

معتوق : أقسم لك ما طردناه نحن ولكنه هو الذي استعفى .

شقيق : لا بد أنكم أحرجتموه .

معتوق : بل هو الذي أحرجني أمام سيدتي وأحرج سيدتي أمام ضيوفها والله لولا مكانه منك لكان لي معه شأن آخر .

شقيق : كنت تظن أنه كذبك حين قال : إنه لم يذق شيئا من البستان قط ؟

معتوق : لست أظن ظنا بل أوقن وأجزم .

شقيق : أنت لا تعرف هذا الرجل يا معتوق . لو كذب من في الأرض جميعا ما كذب هذا .

(تظهر المرأة الفقيرة على باب البستان وتتطلع إلى الرجلين)

معتوق : ما خطبك ؟ ماذا تريدين يا امرأة ؟

المرأة : سأنتظر حتى يجيء ؟

معتوق : من ؟

المرأة : الناطور.

معتوق : ماذا تريدين منه ؟

المرأة : (في حذر) لا شيء . حتى يجيء هو .

شقيق : (بلطف) يا سيدتي قولي ما عندك ولا تخافي فأنا من أصدقاء الناطور.

معتوق : هل كان يعطيك من فاكهة البستان .

المرأة : نعم . جزاه الله خيرا . أين هو يا سيدي؟

(يتبادل شقيق ومعتوق النظر)

معتوق : انتظري قليلا **(يغيب لحظة)** .

المرأة : **(لشقيق)** أين الناطور الطيب يا سيدي .

معتوق : **(يعود بشيء من الفاكهة فيعطيه المرأة)** خذي .

المرأة : الناطور هو الذي أوصاك أن تعطيني ؟

معتوق : نعم .

المرأة : جزاه الله خيرا وجزاكما أنتما أيضا خيرا . سيفرح أطفالي اليتامى بهذه الفاكهة .

(تذهب)

شقيق : أرأيت يا صاحبي لقد فاتك خير كثير إذ تركته يرحل عنك . أتدري من كان هذا الرجل ؟

معتوق : من ؟

شقيق : إبراهيم بن أدهم .

معتوق : **(فاغرا فاه من الدهشة)** إبراهيم بن أدهم ؟

شقيق : نعم نعم .

معتوق : لأبحثن عنه في المدينة وأعيدنه .

شقيق : هيهات . لا بد أنه قد ترك المدينة إلى مدينة أخرى .

معتوق : هلا أخبرتني من الأول يا سيدي ؟

شقيق : لو عرف أنك عرفته ما رضي أن يبقى عندك ساعة واحدة .

معتوق : وا أسفاه على كنز ما علمت به إلا حين ضاع .

(ستار)

إنَّهُ الله

شعر: خالد فوزي عبده

أنتَ يا ذا الجَلالِ رَبِّي، وحاشا ... أنْ يَضِلَّ الضميرُ فيكَ، نِقاشا

مذ جعلْتَ الغَبْراءَ أرضي، فكانت ... مُستَقَرًّا مُمَهَّدًا، وفِراشا

وتجَلَّيْتَ في بَدائِع خَلْقٍ ... شَرَدَ الفِكْرُ في مَداها، وطاشا

تَشْرَئِبُّ العيونُ نحْوَ سماءٍ ... ثم تَرْتَدُّ هَيْبَةً واندِهاشا

لا تَرَى غيْرَ عالَمٍ يَتَجَلّى ... بجَمالٍ معَ الجَلالِ تَماشى

أنتَ أعطَيْتَني هِدايَةَ عقْلٍ ... مُسْتَنيرٍ، وخافِقًا جَيّاشا

وأبَنْتَ النَّجْدَيْنِ، خيْرًا وشرًّا ... فإذا الشَّرُّ لاح لي أتَحاشى

أنتَ قَدَّرْتَ لي على الأرضِ حَظًّا ... ومُقامًا مُحدَّدًا، ومَعاشا

حينما صُغْتَ هيْكَلي من تُرابٍ ... فإذا عاد للتُّرابِ تَلاشى

* * * * * * * * *

مَنْ تُرَى أوْدَعَ الطيورَ حنانًا ... لِتَضُمَّ الفِراخَ والأعْشاشا ؟!

مَنْ تُرَى قَسَّمَ الحياةَ، طعامًا ... مُسْتكينًا، وطاعِمًا بَطّاشا ؟!

مَنْ تُرَى خَلَّدَ البَقاءَ لِبَذْرٍ ... فَهْوَ إمّا استَقَرَّ في الأرضِ عاشا ؟!

مَنْ تُرَى عَلَّمَ الزهورَ وفاءً ... وعطاءً إذا أضافت فَراشا ؟!

مَنْ تُرَى سَخَّرَ السّحابَ، فأمْسى ... لِرُبوعٍ جَدِيبَةٍ إنْعاشا ؟!

كم عَطِشْنا إلى مَناهِلِ سِرٍّ ... ومضَيْنا، وما نَزالُ عِطاشا !

إنَّهُ اللهُ، آيُهُ سوف تَبْقى ... مُعْجِزاتٍ تَهُزُّ قَلبي ارْتِعاشا

قصة قصيرة

النافذة المفتوحة

بقلم: هـ . هـ . مانرو ○ ترجمة: خالد حداد

(*) هكتور هيو مانرو (١٨٧٠ ـ ١٩١٦م) : كاتب بريطاني ، عُرف أحياناً باسمه المستعار (ساكي) ، اشتهر بقصصه القصيرة الذكية الساخرة . من مجموعاته القصصية «بريد الصباح» (١٩٠٤م) ، «ريجينلد في روسية» (١٩١٠م) ، وغيرهما .

(المترجم)

ـ ستهبط خالتي حالاً يا سيّد «ناتيل» ...

كانت المتحدثة فتاة شابة في الخامسة عشرة ، تبدو عليها الرزانة البالغة . وتابعت قائلة :

ـ ... وخلال ذلك حاول أن تتحمل صحبتي .

حاول «**فرامتون ناتيل**» أن يقول شيئاً يُبهج ابنة الأخت الموجودة الآن ، دون أن يزعج الخالة التي كانت على وشك الحضور . وكان من المفروض أنه يجتاز فترة علاج لأعصابه ، لكنه ظل مرتاباً فيما إذا كانت هذه الزيارات المهذبة لعدد من الغرباء تماماً ذات جدوى كبيرة .

لقد قالت أخته وهو يستعد للسفر إلى الريف :

ـ إنني أعرف كيف سينتهي الأمر ؛ إنك ستضيّع نفسك هناك ولن تتحدث إلى مخلوق ، وستسوء حالة أعصابك أكثر مما هي عليه بسبب العزلة . سوف أزوّدك برسائل تعريف إلى كل من أعرفه هناك . فبعضهم ، على ما أذكر ، كانوا بالغي الود .

وراح فرامتون يتساءل عمّا إذا كانت السيدة «**سابلتون**» ، التي يحمل إليها إحدى رسائل التعريف هذه ، واحدة من الأشخاص الودودين . وسألته ابنة الأخت ، عندما شعرت أنهما قد جلسا لفترة طويلة صامتين :

ـ هل تعرف الكثيرين من سكان هذه المنطقة ؟

فأجابها فرامتون :

ـ أكاد لا أعرف أحداً . كانت أختي مقيمة هنا ، كما تعرفين ، منذ أربع سنوات ، وقد زودتني برسائل تعريف إلى بعض الناس هنا . نطق الجملة الأخيرة بنبرة حزينة ، فتابعت الشابة الرزينة قائلة :

ـ إذن فأنت لا تعرف شيئاً تقريباً عن خالتي ؟

واعترف فرامتون :

ـ لا أعرف سوى اسمها وعنوانها فحسب .

كان يتساءل عما إذا كانت السيدة **سابلتون** متزوجة ؛ ربما كانت متزوجة سابقاً وقد توفي زوجها . لكن ثمة شيئاً يدل على وجود رجل مقيم في ذلك البيت . وقالت الفتاة :

ـ لقد حلّ حزنها الكبير منذ ثلاث سنوات فقط . وربما كان ذلك بعد ذهاب أختك .

فسألها فرامتون :

ـ حـــزنها ؟

كان ثمة شيء في هذه المنطقة الريفية المريحة يوحي بأن الأحزان بعيدة جداً . وتابعت ابنة الأخت مشيرة إلى النافذة المستطيلة التي كانت مفتوحة مثل الباب على الأرض المعشوشبة خارجاً :

ـ لعلك تتساءل لماذا نترك هذه النافذة مفتوحة على مصراعيها في أصيل تشريني ؟

أجاب فرامتون :

ـ إن الطقس دافئ تماماً بالنسبة لهذا الوقت من السنة ، ولكن هل لتلك النافذة علاقة بحزن خالتك ؟

ـ من هذه النافذة ، قبل ثلاث سنوات بالضبط ، خرج زوجها وأخواها الشابان لتمضية يومهم في الصيد ، ولم يعودوا . فبينما كانوا يعبرون الحقول نحو منطقة الصيد ابتلعهم جميعاً أحد المستنقعات . لقد كان صيفاً رطباً إلى درجة رهيبة ، وكما تعرف ، فالأماكن التي كانت آمنة في السنين الأخرى أصبحت خطيرة فجأة . ولم يتمكن أحد من العثور على جثثهم مطلقاً ، وكان ذلك أسوأ ما في القصة .



وهنا فقد صوت الفتاة نبرته الرزينة وأصبح مفعماً بالمشاعر الإنسانية :

ـ إن خالتي المسكينة تظن دائماً أنهم سيعودون يوماً ما ، مع الكلب البني الصغير الذي فُقد معهم ، ويدخلون عبر تلك النافذة كما اعتادوا أن يفعلوا . ولهذا السبب تظل النافذة مفتوحة كل مساء حتى يعمّ الظلام تماماً .

يا لخالتي العزيزة المسكينة ، لطالما أخبرتني كيف خرجوا ، **زوجها** بسترته البيضاء على ذراعه ، **وروني** ، أخوها الأصغر ، الذي كان يترنم بإحدى الأغنيات ، كما اعتاد أن يفعل دائماً لإزعاجها ، لأنها قالت إن غناءه يثير أعصابها . هل تعرف أنه في بعض الأمسيات الهادئة مثل هذه ، غالباً ما ينتابني شعور بأنهم جميعاً سيدخلون عبر النافذة ...

وقطعت حديثها وهي ترتجف . وكان ذلك مدعاة لراحة فرامتون عندما دخلت الخالة الغرفة بنشاط وحيوية وهي تعتذر عن تأخرها قائلة :

ـ أرجو أن تكون قد تسليت بصحبة «**ڤيرا**» .

فأجاب فرامتون :

ـ لقد كانت مسلّية جداً .

فعقّبت السيدة سابلتون بإشراق :

ـ أرجو ألا تمانع في إبقاء النافذة مفتوحة ، لأن زوجي وأخويّ سيعودون حالاً من الصيد ، وهم يدخلون دائماً بهذه الطريقة ، لقد

كانوا يصطادون الطيور اليوم قرب أحد المستنقعات ، وهكذا سيملؤون السجاد البائس بالوحل . كلكم أيها الرجال تقومون بمثل هذه الأمور ، أليس كذلك ؟

وراحت تتابع حديثها بمرح حول الصيد وندرة الطيور ، وآمال الصيد في الشتاء . وكان الأمر بالنسبة لفرامتون بالغ الرهبة . وبذل جهداً كبيراً ، نجح فيه إلى حد ما ، كي يحول الحديث نحو موضوع أكثر بهجة . كان واعياً أن مضيفته تظهر نحوه جزءاً من اهتمامها فحسب ، بينما كانت عيناها تتطلعان بصورة متكررة نحو النافذة المفتوحة والأرض المعشوشبة التي وراءها . لا شك أن سوء حظه قد ساقه إلى هذه الزيارة في هذا اليوم الحزين .

وقال فرامتون :

الذي يحمل الرأي الشائع في أن الغرباء جميعهم يرغبون في معرفة أقل ما يمكن من التفاصيل حول أمراض المرء وأسبابها وعلاجها .

– لقد وافق الأطباء على وصف الراحة التامة لي ، دون انفعال أو جهد بدني ، أما بالنسبة للطعام فهم لم يتفقوا كثيراً .

فعلّقت السيدة سابلتون بصوت مرهق :

– صحيح ؟

ثم تألقت فجأة بانتباه – ولكن ليس إلى ما كان يقوله فرامتون . وصاحت :

– **ها هم** أخيراً ! في الوقت المناسب تماماً لتناول الشاي . ألا يبدون للعيان كأنهم غارقون بالوحل كلياً ؟

ارتجف فرامتون واستدار نحو الخالة بنظرة قصد بها إبداء نوع من التفهم المتعاطف . وكانت الفتاة تنظر نحو الخارج عبر النافذة المفتوحة والخوف يملأ عينيها .

وجعلت الصدمة فرامتون يستدير بمقعده وينظر بالاتجاه نفسه .

في الظلمة المتزايدة كان ثمة ثلاثة أشخاص يسيرون عابرين الأرض المعشوشبة باتجاه النافذة . وكانوا جميعهم يحملون بنادق الصيد تحت أذرعتهم ، وأحدهم كان يضع أيضاً سترة بيضاء على كتفيه ، وفي أعقابهم كان كلب بني مرهق يسير ملاصقاً لهم . وأخذوا يقتربون بصمت من المنزل ، وفجأة انطلق صوت شاب وهو يغني في الظلام .

أمسك فرامتون قبعته وعصاه بصورة مسعورة ، وانطلق هارباً عبر الباب الأمامي ثم البوابة الخارجية ، وكاد يصطدم برجل يركب دراجة .

وقال الرجل الذي يضع السترة البيضاء ، وهو يدخل عبر النافذة :

– ها نحن قد جئنا يا عزيزتي ، ممتلئين تماماً بالوحل ، لكن أكثره جاف . من كان ذلك الرجل الذي خرج راكضاً عندما دخلنا ؟

أجابت السيدة سابلتون :

– إنه رجل بالغ الغرابة ، يدعى السيد «ناتيل» . لم يكن بإمكانه التحدث إلّا عن أمراضه ، ثم فرَّ دون كلمة وداع أو اعتذار عند وصولكم ، بحيث يخيّل للمرء أنه قد رأى شبحاً .

فعلّقت ابنة الأخت بهدوء :

– أتوقع أن يكون ذلك بسبب الكلب . فقد أخبرني بأنه يخشى الكلاب كثيراً ، وذات مرة طاردته مجموعة من الكلاب الهائجة في إحدى المقابر **بالهند** ، وكان عليه أن يمضي الليل في قبر محفور حديثاً بينما تحاصره تلك المخلوقات في الأعلى ، بصورة كافية لجعل أي شخص يفقد أعصابه .

لقد كانت بارعة جداً في تلفيق الحكايات بسرعة .

□ □

آفاق ثقافية



لا شك أننا ، نحن – الإذاعيين – في الإذاعات العربية كافة ، تواجهنا مشكلة تفرض نفسها لدى مناقشة المقترحات البرامجية الجديدة ، على تعاقب الدورات الإذاعية ، ألا وهي مشكلة الكتابة للأطفال ، المتمثلة أساساً في ندرة الكتاب المتخصصين في هذا الحقل الحيوي المهم ، بل إن هذه القضية أصبحت مثارة على الساحة الثقافية العامة ، تحت اسم : أزمة الكتابة للأطفال ، أو : أزمة أدب الأطفال .

وهناك أسباب عديدة ، وراء ندرة كتاب الأطفال في العالم العربي ، منها : أن كثيرا من المجتمعات العربية عانت طويلا من التخلف ، بالإضافة إلى قلة البحوث العلمية التي ترشد الكتاب والمتخصصين في مجال الكتابة للأطفال ، ونظرة الكثيرين في المجتمع إلى هذا اللون من الكتابة بما لا يستحقه من احترام وتقدير ، وقد انعكست هذه النظرة على ما يدفع لكتّاب الأطفال من أجور متدنية ، وهي نظرة اجتماعية خاصة ، كما أن الكثير مما يقدم للأطفال ، من كتب وقصص وغيرها ، قد يكون مترجما ، أو مبنيا على مواد أجنبية مما ينأى به عن قيم المجتمع العربي والإسلامي .

ومن الأفكار التي يمكن طرحها لتجاوز أزمة الكتابة للأطفال : إيجاد فرق العمل الجمعي ، التي تضم متخصصين في فروع العلم المختلفة ، معنيين بالكتابة للأطفال ، وهذا معمول به حتى في البلاد المتقدمة ، وتنشيط البحوث النظرية والميدانية ، النفسية والتربوية واللغوية ، المبنية على واقع الطفل العربي ، لا الطفل الأجنبي ، كما يجب الاهتمام بالمكتبة المنزلية ، وإيجاد ركن للطفل ، والاهتمام كذلك بالمكتبات العامة المتخصصة للأطفال ، وتأليف موسوعات خاصة بالأطفال ، وإيجاد أقسام في مختلف الجامعات العربية تعنى بأدب الأطفال والكتابة لهم ، والتوسع في الندوات المعنية بهذا الموضوع ، على الساحة العلمية الخاصة بالكتابة للأطفال ، وإيجاد قوائم ببليوجرافية تعين المؤلفين عند الكتابة للطفل ، وإقامة دورات تدريبية متخصصة للكتاب ، لتعريفهم بأصول الكتابة لأدب الطفل ، وتعميم التجارب الناجحة في هذا المجال ، لتوسيع دائرة الإفادة منها ، ومضاعفة التشجيع المادي والمعنوي لكتاب الأطفال ، بما يتفق وأهمية هذا اللون من الكتابة ، وتوجيه الجوائز الكبرى لخدمة هذا الحقل الحيوى ، ولا شك أن منح جائزة الملك فيصل العالمية ، في مجال الأدب العربي لثلاثة من فرسان الكتابة للأطفال في وطننا العربي ، لهو مؤشر كبير ، على هذا التوجه النبيل .

عبدالملك عبدالرحيم


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

إعداد: محمد عبد العظيم دكروري

أعلام المفسرين (٢)

تـواصل «الفيصل» تقـديم الحلقـة الثانيـة من دائرة المعـارف «أعـلام المفسرين»
وكـانت قـد نشرت الحلقـة الأولى في العـدد (١٩٥) الصادر في شهـر رمضـان المبـارك

م

محمد بن محمد الشربيني:

الإمام العلامة شمس الدين الشربيني، القاهري الشافعي الخطيب، كان على جـانب عظيم من الصـلاح والـورع، والعلم والعمل، وكثـرة التنسك والعبادة والزهد. وقد تلقى العلم على كثير من مشايخ عصره وخاصة: الشيخ البرلسي والمحلي والمشهدي والـرملي، ولما أنس منه أشياخه ورأوه أهـلا للفتوى والتدريس أجازوه بها، فدرَّس وأفتى في حياتهم، وانتفع به خلائق كثيرون.

أهم مؤلفاته: شرح كتاب المنهاج وكتاب التنبيه، وتفسيره لكتاب الله تعالى المسمى (السراج المنير).

منهجه في التفسير: ذكر أنه «اقتصر فيه (السراج المنير) على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتـاج إليه عند السؤال، وتـرك التطويل بذكر أقـوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العـربية» وكان شديـد العناية بذكر المنـاسبات بين آيات القـرآن، عظيم الاهتمام بتقـرير الأدلـة وتـوجيهها، وكـان يـورد بعض النكت التفسيريـة. وبعض الإشكالات ويجيب عنهـا، تـارة بقولـه: تنبيه، وأخـرى بقوله: فإن قيل كذا أُجيب بكذا.

ولم يـذكر مـن القراءات إلاَّ مـا تـواتر منهـا، ولم يقحم نفسـه فيما لا يعني المفسر، وقد تعقب الزمخشري والبيضاوي فيما ذكـراه من الأحاديث الموضوعة في فضائل سور القرآن، كما كان ينبه على الأحاديث الضعيفة إن روى شيئا منها في تفسيره.

هـذا، ولم يخل تفسير الخطيب، من ذكـر القصص الإسرائيلي الغـريب، الـذي لم يتعقبه بـالتصحيح أو التضعيف، وقـد أكثر من النقـول عن التفسير الكبير للفخر الرازي. وهـو متداول بين أهل العلم لسهولتـه، وجمعه لخلاصة التفاسير التي سبقته مع الدقة والإيجاز.

وفاته: توفي الشربيني - يرحمـه الله - في شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة من الهجرة.

محمد بن عمر الرازي:

أبو عبـد الله، محمد بن عمـر الحسين، التميمي، البكـري، الطبرستاني، الرازي، الملقـب بفخر الديـن والمعروف بابن الخطيـب الشافعي، المولـود سنة أربع وأربعين وخمسمائة من الهجرة.

منزلته: كـان الرازي إمـاما في التفسير والعلـوم العقلية وعلـوم اللغة، ولـه شهـرة كبيرة في الـوعظ، حتى قيل: إنـه كـان يعظ باللسـان العـربي واللسـان العجمي، وكان العلماء يقصدونه من البلاد، جمع كثيرا من العلوم ونبغ فيها.

أهم مصنفاته: تفسيره الكبير المسمى «بمفـاتيح الغيـب»، ولـه في علم الكـلام: المطـالب العاليـة، وكتـاب البيـان والبرهان في الـرد على أهل الـزيغ والطغيان، ولـه في أصول الفقـه: المحصول، وفي الحكمـة: الملخص، وشرح عيون الحكمة، وفي الفقه: شرح الوجيز للغزالي الشافعي.

تفسيره مفاتيح الغيب: يقع هـذا التفسير في ثمانيـة مجلدات كبـار، وهـو مطبـوع ومتداول بين أهل العلم، ويقـول ابن قـاضي شهبة وابن خلكـان وابن حجـر العسقلاني: إن الفخـر الرازي لم يتم هـذا التفسير، وقيل: أتمه أحمد بن أبي الحزم المخزومي المصري، وقيل: أتمه نجم الدين القمولي الدمشقي.

ويمتاز هـذا التفسير بالأبحـاث الواسعة الفيـاضة، ويصفـه ابن خلكان فيقول: إنه - أي الفخر الرازي - جمع فيه كل غريب وغريبة».

وفيه يذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، وبين السور بعضها مع بعض، ويكثر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية، كما يعرض لأقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد، وفيه يرد على المعتزلة ردودًا غير كافية، حتى قال بعض المغاربة: «يُورد الشبهة نقدا ويحلها نسيئة».

والكتـاب أشبـه ما يكـون بمـوسـوعـة في علم الكلام، وفي علـوم الكـون والطبيعة، حتى قال بعض العلماء: «فيه كل شيء إلا التفسير».

وفاته: توفي - يرحمه الله - سنة ست وستمائة من الهجرة.

محمود بن عمر الزمخشري:

أبو القاسم: محمود بن عمـر بن محمد الخوارزمي، الإمام الحنفي المعتزلي، الملقب بجـار الله، ولـد بـزمخشر، قرية من قـرى خـوارزم، سنـة سبع وستين وأربعمائة من الهجـرة، وقـدم بغداد، ولقي الكبـار وأخـذ عنهم، ولقـد عظم صيتـه وطار ذكـره، حتى صـار إمـامًا في التفسير، والحديـث والنحو، واللغـة والأدب، وغيرها.

أهم مصنفاته: كتابـه في تفسير القرآن، والمحـاجاة في المسـائل النحويـة، والمفـرد والمركب في العربيـة، والفائق في تفسير الحديث، وأسـاس البلاغـة في اللغة، والمفصل في النحو، ورؤوس المسائل في الفقه، وغيرها.

تفسيره: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

قال **صاحب وفيات الأعيان**: «كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد، متظاهرا باعتزاله» فأمره إلى الله تعالى.

وتكمن القيمة العلمية لهذا التفسير - بصرف النظر عما فيه من الاعتزال - «وإننا لنبرأ إلى الله تعالى من هذه العقيدة الفاسدة ومن أهلها المارقين، ونرجو الله أن يحشرنا مع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة الناجين - بفضل الله من غضب الله وعذابه -» في أنه كتاب أظهر جمال النظم القرآني وبلاغته، وأبان ما فيه من وجوه الإعجاز؛ وذلك لما امتاز به الرجل من الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب.

وقد أخذ العلماء عليه مآخذ جمة، منها ما يقول **الشيخ حيدر الهروي**:

لقد التزم الزمخشري في كتابه أمورا أذهبت رونقه وماءه، وأبطلت منظره ورواءه، فتكدرت مشارعه الصّافية، وتضيقت موارده الضافية، وتزلزلت رتبه العالية.

منها: أنه كلما شرع في تفسير آية من الآيات القرآنية مضمونها لا يساعد هواه، ومدلولها لا يطاوع مشتهاه، صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة، وتعسفات جامدة، بما فيه تحريف لكلام الله تعالى.

ومنها: أنه يطعن في أولياء الله المرتضين من عباده، ويغفل هذا الصنيع لفرط عناده، ونعم ما قال الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾: خاض صاحب الكشاف في هذا المقام في الطعن على أولياء الله تعالى، وكتب فيها ما لا يليق بعاقل أن يكتب مثله في كتب الفحش، فهبْ أنه اجترأ على الطعن في أولياء الله تعالى، فكيف اجتراؤه على كتبه ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله المجيد.؟!

ومنها: أنه يذكر أهل السنة والجماعة - وهم الفرقة الناجية بفضل الله - بعبارات فاحشة، فتارة يعبر عنهم بالمجبرة، وتارة ينسبهم - على سبيل التعريض - إلى الكفر والإلحاد، وهذه وظيفة السفهاء الشطار، لا طريقة العلماء الأبرار.

وقد رد عليه ابن بشكوال وأبو حيان وابن خلدون والتاج السبكي الذي قال: وأعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومصنفه إمام في فنه، إلاّ أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته، يضع من قدر النبوة كثيرا، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة، والواجب كشط ما في الكشاف من ذلك كله».

وقد ذكر ابن القيِّم - يرحمه الله - تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿ ولو شِئْنَا لرفعناه بها ولكنه أخلدَ إلى الأرض واتّبع هواه ﴾ الأعراف ١٧٦ ثم قال: «فهذا منه شنشنة نعرفها من قدري نافٍ للمشيئة العامة، مبعد للنجعة في جعل كلام الله معتزليا قدريا» (إعلام الموقعين جـ ١ - ص ٢٠٢).

وفاته: توفي الزمخشري بجرجانية خوارزم سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة.

وقد حكم ابن القيم على تفسير المعتزلة: «إنه زبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، وعفار الآراء، ووساوس الصدور، فملؤوا به الأوراق سوادًا، والقلوب شكوكا، والعالم فسادًا، وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل» (إعلام الموقعين جـ١، ص ٧٨).

محمد بن قيِّم الجوزية:

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين المعروف بابن قيِّم الجوزية، والجوزية مدرسة كان أبوه قيِّما عليها ومديرًا لشؤونها، وقد أمَّ بها ابن القيم مدة طويلة.

ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة هـ، وتربى في بيت علم وفضل، وتلقى مبادئ العلوم عن أبيه، وأخذ العلم عن كثير من علماء عصره، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد تتلمذ عليه ولازمه طول حياته.

شهادة العلماء له:

شهد العلماء لابن القيم بالتفوق في فقه الكتاب والسنة، ودقائق الاستنباط منهما، وأصول الدين والعربية، وعلم السلوك، وعنايته بالحديث وفنونه ورجاله وفيه قال برهان الدين الزرعي: «ما تحت أديم السماء أوسع علما منه، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة»، وقال ابن حجر: «كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفا بالخلاف، ومذاهب السلف». ويقول ابن رجب: «تفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وتفنن في علوم الحديث، وكان عارفا في التفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيها المنتهى والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالما بالسلوك، وله في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى».

وفيه قال السيوطي: «قد صنف وناظر واجتهد، وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصول والعربية».

وقال الشوكاني: «برع (ابن القيم) في شتى العلوم وفاق الأقران واشتهر في الآفاق، وتبحر في معرفة مذاهب السلف».

وقال الألوسي: «هو المفسر النحوي الأصولي المتكلم».

وقال المراغي: هو «الأصولي المحدث النحوي الأديب الواعظ الخطيب».

وقال البيطار الدمشقي: «هو إمام في لغة القرآن وأسلوبه وفقهه وتشريعه وإيجازه وإعجازه، وحقيقته ومجازه».

من الفتاوى التي سجن بسببها (ابن قيم الجوزية - حياته وآثاره للشيخ بكر أبو زيد): أفتى ابن القيم فتاوى في الفقه وغيره، ناله بسببها أذى من سجن وسواه منها:

١ - مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد: وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قد أفتى بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر طلقة واحدة، وبهذا أفتى ابن القيم على وفق اختيار شيخه ابن تيمية، وعامة أهل الأرض مطبقون على أن طلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر ثلاثا.

وهذا أمر من شأنه أن يبعث وحشة واستنكارا في النفوس، حاشا نفوس من لهم اطلاع واسع على تاريخ الفقه وعلم الخلاف.

قال ابن كثير: «وقد كان ابن القيم متصديا للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع

قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره».

٢ ـ إنكار ابن القيم شد الرحال إلى قبر الخليل:

سعى ابن القيم جاهدًا لرد الخلف إلى طريق السلف، وكانت قد استولت على مجتمعه عدة أوهام ومعتقدات لا تتفق ومذهب السلف، ومن المسلم به أن ينال ابن القيم من الأذى ما ناله، إذ جهر بقولة الحق في مجتمع كهذا، فقد كان من الأعمال المعدودة من باب القربات ـ شد الرحال إلى قبر الخليل ـ فأنكر ابن القيم ذلك ونعى على معاصريه عامتهم وخاصتهم، وبيّن أن شدَّ الرحال له من الأمور المنكرة في الدين والبدع المخالفة للصراط المستقيم، فأحدث ذلك صراعًا عجيبًا أوذي وسجن بسببه، وفي ذلك يقول ابن رجب: «وقد حبس مدة لإنكاره شدَّ الرحال إلى قبر الخليل».

منهجه في البحث والتأليف: (ابن القيم للشيخ بكر أبو زيد).

لابن القيم منهج متميز، في مجال بحوثه وتأليفه، فهو يبرز الأدلة من الكتاب والسنة، ويستنبط منها الأحكام الشرعية بأسلوب سهل مبسط خالٍ من التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي، متطلبا نشر التشريع وبث التوجيه ردًّا إلى الله ورسوله، وإلى أن يَرِدَ الناسُ منابعَ الشريعة الأولى خالية من كل وضر، خالصة من كل شائبة، وهذا منهج أصيل في عامة كتبه ومباحثه.

قال ـ يرحمه الله ـ في مقام الأدب مع النبي ﷺ:

«ومن الأدب معه ﷺ أن لا يستشكل قوله، بل يستشكل الآراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة وتلغى لنصوصه، ولا يحرف كلام عن حقيقة لخيال يسميه أصحابه معقولا، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبول ما جاء ﷺ عن موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ وهو عين الجرأة».

ويقرر ابن القيم في (مدارج السالكين) بحثا ممتعا لطيفا في وجوب إذعان المسلم، وتواضعه للدليل، وحرمة المعارضة والمخالفة، يقول ـ يرحمه الله ـ: «التواضع هو الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ والاستسلام له والإذعان وذلك بثلاثة أشياء:

الأول: أن يعارض شيئا مما جاء بشيء من المعارضات الأربعة السارية في العالم المسماة: بالمعقول، والقياس، والذوق، والسياسة، فالأول: للمنحرفين أهل الكبر من المتكلمين الذين عرضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة، وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وعزلنا النقل، إما عزل تأويل وإما عزل تفويض.

والثاني: للمتكبرين من المتنسبين إلى الفقه، قالوا: إذا تعارض القياس والرأي والنصوص قدمنا القياس على النص، ولم نلتفت إليه.

والثالث: للمتكبرين المنحرفين من المتنسبين إلى التصوف والزهد، فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر، قدموا الذوق والحال، ولم يعبؤوا بالأمر.

والرابع: للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأمراء الجائرين، إذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة، قدموا السياسة ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة.

فهؤلاء الأربعة هم أهل الكبر. والتواضع: التخلص من ذلك كله.

ومن خصائص منهجه: تقديم أقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على من سواهم.

فإن لم يجد الدليل في الكتاب أو السنة، أخذ بأقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لأنهم أبر الأمة قلوبًا، وأعمقها دينًا، وأصحها فهومًا.

ويتميز منهجه بالسعة والشمول، وحرية الترجيح والاختيار، فهو وإن كان حنبلي المذهب فهو حر طليق لا يتقيد بمذهب الحنابلة، بل ينشد متابعة الدليل وما دل عليه وإن كان على خلاف مذهبه، قال ـ يرحمه الله ـ (إعلام الموقعين ٤/ ١٧٧): «ليحذر المفتي الذي يخاف مقامه بين يدي الله سبحانه أن يفتي السائل بمذهبه الذي يقلده، وهو يعلم أن مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلا، فتعلمه الرياسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب في خلافه، فيكون خائنا لله ورسوله وللسائل غاشًّا له، والله لا يهدي كيد الخائنين، وحرم الجنة على من لقيه وهو غاش للإسلام وأهله، والدين النصيحة، والغش مضاد للدين، كمضادة الكذب للصدق والباطل للحق، وكثيرا ما ترد المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب، فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده، فنحكي المذهب الراجح ونرجحه، ونقول: هذا هو الصواب، وهو أولى أن يؤخذ به، وبالله التوفيق». كما يتميز منهجه بالاستطراد التناسبي، الذي لا يأتي إلا من أكابر الحفاظ وأوعية العلم، الذين تموج قرائحهم وأذهانهم بشتى العلوم والمعارف، وكان ابن القيم عميق الفهم لمحاسن الشريعة وحكمة التشريع، يفيض حيوية ويشتعل حماسة، عارفا بأمراض مجتمعه، واصفا له العلاج الناجع ـ بإذن الله ـ وتفرد أسلوبه بالجاذبية والعذوبة وحسن الترتيب والسياق، وكان ظاهر التواضع كثير الضراعة والابتهال، فهو من العلماء العاملين الذين بارك الله فيهم ونفع بعلومهم ومعارفهم.

تصانيفه ومؤلفاته:

كان ابن القيم ـ يرحمه الله ـ مؤلفا موسوعيا، منحه الله تعالى ـ بصيرة نافذة، وعقلية متوهجة، وذكاء متوقدا، وفطنة لا تبارى، بث ذلك في كتبه ومؤلفاته التي نذكر منها:

التفسير القيم، وتهذيب سنن أبي داود، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدي خير العباد، ومدارج السالكين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، وروضة المحبين وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، وبدائع الفوائد، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، وجلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام، والصواعق المنزلة على الجهمية والمعطّلة، والوابل الصيب من الكلم الطيب، والروح، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، وشفاء الغليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل، والفوائد، والاجتهاد والتقليد، أصول التفسير، الأسماء الحسنى، أسماء القرآن الكريم، طريقة الهجرتين، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، التبيان في أقسام القرآن، تحفة المودود في أحكام المولود، تفضيل مكة على المدينة، الجامع بين السنن والآثار، وجوابات عابدي الصلبان وأن ماهم عليه دين الشيطان، وحرمة السماع، وحكم تارك الصلاة، والرسالة

الجلية في الطريقة المحمدية، والرسالة التبوكية، ورفع التنزيل، ورفع اليدين في الصلاة، والطاعون، وطب القلوب، والطب النبوي، والفتح القدسي، والفروسية، وفضل العلم وأهله، والكافية الشافية في النحو، والكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية وغيرها من المؤلفات القيمة التي أثرت المكتبة الإسلامية.

وفاة ابن القيِّم:

لا زال ـ يرحمه الله ـ يخدم العلم تعليما وتأليفًا إلى أن وافته المنية ليلة الخميس الثالث عشر من رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة هـ، ودفن بدمشق بجوار والده في مقبرة «باب الصغير» يرحمه الله.

وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتألـه ولهج بالذكر وشغف بالمحبة، والإنابة والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته.

ن

ناصر الدين البيضاوي:

قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشافعي، وهو من بلاد فارس، صاحب المصنفات، وعالم أذربيجان، كان إماما مبرزا نظارا خيرا، صالحا متعبدًا، ولي قضاء شيراز، وتوفي بمدينة تبريز.

ومن أهم مصنفاته: كتاب المنهاج وشرحه في أصول الفقه، وكتاب الطوالع في أصول الدين، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير، وهذه الثلاثة من أشهر كتبه وأكثرها تداولا بين أهل العلم.

تفسيره: أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

تفسير متوسط الحجم. جمع فيه مصنفه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة، وقد اختصر البيضاوي تفسيره من «الكشاف للزمخشري» ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات، وقد ضمن كتابه هذا نكتا بارعة، ولطائف رائعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز، وعبارة تدق أحيانا وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة، وفطنة نيرة، وعرض للآيات الكونية، وخاصة في مباحث الكون والطبيعة، متأثرا في ذلك بالتفسير الكبير للفخر الرازي، وقد وقع البيضاوي فيما وقع فيه صاحب «الكشاف»، من ذكره في نهاية كل سورة حديثا في فضلها وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله، وهذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل الحديث.

والكتاب من أمهات كتب التفسير، التي لا يستغني عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى ويقف على أسراره ومعانيه.

وفاته: توفي البيضاوي بمدينة تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة كما قال ابن كثير وغيره.

نظام الدين النيسابوري:

نظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين، الخراساني النيسابوري، المعروف بالنظام الأعرج، كان منشؤه وموطنه بديار نيسابور، وكان من أساطين العلم بها، ملما بالعلوم العقلية، جامعا لفنون اللغة العربية، له القدم الراسخ في صناعة الإنشاء، والمعرفة الوافرة بعلم التأويل والتفسير، وهو معدود في عداد كبار الحفاظ والمقرئين.

آثاره: ترك النيسابوري كتبا نافعة منها: متن الشافية في فن الصرف، ورسائل في علم الحساب، وكتاب في أوقاف القرآن، وله كتاب لب التأويل، وأهم مصنفاته تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان).

منهجه في التفسير: سلك النيسابوري في تفسيره مسلكًا فريدًا، تفرد به من بين المفسرين، ذلك أنه يذكر الآيات القرآنية أولاً، ثم يذكر القراءات، ثم يذكر الوقوف مع التعليل لكل وقف منها، وعقب ذلك يشرع في التفسير، مبتدئًا بذكر المناسبة وربط اللاحق بالسابق، ثم يبين معاني الآيات بأسلوب بديع، وقد خاض في المسائل الكلامية وانتصر لمذهب أهل السنة، وكان إذا مر على آية من الآيات الكونية فإنه لا يمر عليها دون أن يخوض في أسرار الكون وكلام الطبيعيين والفلاسفة.

وتضمن تفسيره نزعة صوفية، وقد اختصره من تفسيري الرازي والزمخشري.

وفاته: توفي النيسابوري سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة يرحمه الله.

نصر بن محمد السمرقندي:

أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، المعروف بإمام الهدى، تفقه على أبي جعفر الهندواني، واشتهر بكثرة الأقوال المفيدة، والتصانيف المشهورة.

أهم تصانيفه: تفسير القرآن المسمى ببحر العلوم، والمعروف بتفسير أبي الليث السمرقندي، وكتاب النوازل في الفقه، وخزانة الفقه، وتنبيه الغافلين، والبستان.

تفسير السمرقندي «بحر العلوم»: هذا مخطوط في ثلاثة مجلدات كبار، وموجود بدار الكتب المصرية، وتوجد منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الأزهر، وقد بيَّن في هذا التفسير أنه لا يجوز تفسير القرآن بالرأي ما لم يتعلم أو يعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل، والسمرقندي نهج في كتابه طريقة التفسير بالمأثور عن السلف، وشرح القرآن بالقرآن، وذكر القراءات، ولا يرجح بين الروايات التي يذكرها، بيد أنه روى عن الضعفاء، وروى بعض القصص الإسرائيلي، ولكن على قلة وبغير تعقيب منه على ما يرويه.

وبالجملة فالكتاب قيِّم في ذاته، جمع فيه صاحبه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية، وقد خرج أحاديثه الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي سنة أربع وخمسين وثمانمائة.

وفاته: توفي أبو الليث السمرقندي ـ يرحمه الله ـ سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة من الهجرة.

المراجع

ـ ترجمته بمختصر زاد المعاد للإمام محمد بن عبد الوهاب.
ـ ابن قيم الجوزية ـ حياته وآثاره للشيخ بكر أبو زيد.
ـ طبقات المفسرين لشمس الدين الداودي جـ٢.
ـ طبقات المفسرين للسيوطي.
ـ التفسير والمفسرون د. محمد الذهبي.
ـ إعلام الموقعين لابن القيِّم.

مقالات دون توقيع !

بعد أن كشف بعض القـراء المخلصين والكتّـاب الملتـزمين عن أدعيـاء الثقافـة الـذين ينقلون نقلا حـرفيا من مجلات قديمـة، وبالنص، ثم يـرسلـون هـذا كلـه إلى المجلات العـربيـة للنشر على أسـاس أن ذلـك من إنتاجهم، وبعد أن انكشف أيضا أن بعضهم يقوم بالسطو على الجهد الفكري للمؤلفين والأدبـاء، ويبدّل هنا وهنـاك، ثـم يورد مراجع مـزيفة وهمية بـاللغة العـربيـة والأجنبيـة، ويـرسل هـذا «الإنتـاج المسروق» إلى المجـلات دون أي إحساس بالالتزام، أو رقابة الضمير، أو الخلق القويم، أو أمانـة الكلمـة.

بعد أن انكشف هذا كلـه، لجأ هؤلاء الأدعياء إلى وسيلـة خسيسـة للوقيعة بين المجلات الثقافية العربية وكُتّابهـا وأدبـائها الشرفاء الملتزمين، هذه الوسيلة تتلخص في أن يقوم لصـوص الكتابة بنقل مقالات لبعض الكُتّـاب، ويقومون بطبعهـا على الآلـة الكـاتبة، ويضعـون عليهـا أسماء بعض الكتاب الشرفـاء، ويرسلون هـذه المقالات لبعض المجلات بدون تـوقيع أصحاب تلك الأسماء، وذلك بغرض إيجاد الوقيعة وزرع بذور الشـك في نفوس المسؤولين عن التحرير في المجلات الثقافيـة العـربيـة، ومحاولة الإيهام بـأن «جميع الكُتّـاب الملتـزمين والأدبـاء الشرفاء مثلهم يسرقـون ويقومـون بالسطـو على كتابـات الغير، وعلى أساس (هـدم المعبد عليهم وعلى أعدائهم).

ونحن نكشف لمجلتنا «الفيصل» عن هذه الوسيلـة الخسيسة، على أمل أن تتنبَّـه المجلـة لتلك الوسيلة، وتتنبه المجلات الثقافية العربية الأخرى كافـة.

وكإجـراء وقائي، فمجلـة «الفيصل» ترسل إشعـارا لكل من يرسل إليها إنتاجه، بـوصول هذا الإنتاج وخضـوعه للتقويم، ولعل كل المجـلات العربية تفعل هـذا، حتى يتم محاصرة أدعيـاء الكتـابـة ونسف وسيلتهم الخسيسـة، خاصـة وأن كل كاتب وأديب وشـاعر ومفكـر لـه سمتـه الخاصة في الكتـابة، ومنهجه المعروف المتميز.

كما نطالب كل المجلات العربية بعدم نشر أي إنتاج يصلها لا يحمل توقيع صاحبه بخط اليد.

والله الموفـق

معالي عبد الحميد حمودة

الإسكندرية ـ مصـر

علم الإحصاء الزلزالي



يتفرع علم الإحصاء من النـاحية النظـرية إلى عدة فـروع مثل الإحصاء الوصفي، والإحصـاء التحليلي، والإحصاء الـرياضي، ونظـرية الإحصاء وتصميم التجارب وغيرها. هذا من نـاحية، ومن ناحية أخرى يتفرع علم الإحصـاء من النـاحية التطبيقيـة إلى عـدة فروع أخـرى، مثل الإحصـاء الـزراعي والإحصـاء الاجتماعي، والإحصـاء الجغـرافي، والإحصـاء التربـوي وغيرها. ويعتمد تقسيم علم الإحصاء إلى فروعه المختلفة من الناحية التطبيقية على طبيعـة البيانـات مـوضع البحث والدراسـة. وبعبـارة أخرى، يقـوم علم الإحصاء الـزراعي بمعالجة البيـانات الزراعيـة. ويقوم علم الإحصـاء الجغرافي بمعالجة البيانات الجغرافية. كما يقـوم علم الإحصاء التربوي بمعالجة البيانات التربـوية والتعليميـة وهكذا. وفي ضـوء ما سبق وفي ظل الظـروف التي تمر بها مصرنا الغاليـة في مجال ظاهرة الزلازل ـ علما بأن «الفيصل» قد نشرت مـوضوعا عن الـزلازل في عـددهـا رقم ١٩٠ لشهـر ربيع الآخـر ١٤١٣ هــ ـ أكتـوبـر ١٩٩٢م، أي في الشهر نفسه الـذي حدث فيه زلزال مصر، وكـان ذلك توافقًا مقدرا بـلا شك ـ يكـون من المناسب الإعلان عن قيـام علم الإحصاء الـزلزالي الـذي يبحث في معالجة بيـانات الـزلازل بمختلف المقـاييس الإحصائيـة على المستويين العـالمي والمحلي. وعلى سبيل المثال نـورد الجدول التالي الـذي يحتوي على بعض البيانات الخاصة بالزلازل في مختلف أنحاء العالم في الاثنتي عشرة سنةً الأخيرة:

التاريخ	المكـان	الدرجة بمقياس ريختر	عدد الضحايا
١٠ أكتوبر ١٩٨٠	الجزائر	٧,٣	٤٥٠٠
٢٣ نوفمبر ١٩٨٠	إيطاليـا	٧,٢	٤٨٠٠
١٣ سبتمبر ١٩٨٢	اليمن الشمالي	٦,٠	٢٨٠٠
٣٠ أكتوبر ١٩٨٣	تركيا	٧,١	١٣٠٠
١٩ سبتمبر ١٩٨٥	المكسيك	٨,١	٩٥٠٠
٧ ديسمبر ١٩٨٨	أرمينيا (السوفييتية)	٦,٩	٢٥٠٠٠
أكتوبر ١٩٨٩	سان فـرانسيسكو (أمريكا)	٦,٩	لـم يحدد
يونيو ١٩٩٠	إيـران	٦,٨	أكثر من ٥٠٠٠٠
١٢ أكتوبر ١٩٩٢	مصـر	٥,٩	أكثر من ٥٠٠

وعلى ضوء بيانات هذا الجدول فإنه يمكن القول : إن معامل ارتباط الرتب بين قوة الزلزال وعدد الضحايا يساوي ٦/ ١ ، وبعبارة أخرى تكون العلاقة بين قوة الزلزال وعدد الضحايا ضعيفة . وفي الحقيقة تعتبر هذه النتيجة غير متوقعة للوهلة الأولى ، إلا أنها طبيعية ، ذلك أن إنشاء المباني المقاومة للزلازل يحد من عدد الضحايا مهما كانت قوة الزلزال . وتعني هذه النتيجة إمكان التصدي لمشكلات الزلزال بإقامة المباني ذات معامل الأمان الزلزالي المرتفع ، كما هي الحال في اليابان . وفي ضوء ما سبق يكون من الأهمية قيام علم الإحصاء الزلزالي ليحتل مكانه المناسب بين مختلف فروع علم الإحصاء بعد ظهور الزلازل بمصرنا الخالدة ، ووجودها في مناطق عديدة في العالم .

وبالله التوفيق

د . سميح أحمد إبراهيم

كلية التجارة ـ جامعة الزقازيق

الشرقية ـ مصر

تصحيح



ألفت نظركم إلى خطأ وقع في عدد المجلة رقم ١٩١ في صفحة ٧٥ ، إذ ذُكر في شرح إحدى الصورتين «مئذنة مسجد جهانجير في لاهور باكستان» ، وهي ليست مئذنة مسجد ، بل هي منارة لمقبرة جهانجير من المنارات الأربع القائمة على زوايا المقبرة . وليس في لاهور مسجد باسم هذا الملك المغولي .

حافظ أحمد يار الحبيبي

لاهور ـ باكستان

بين الذال والزاي

في عدد« الفيصل» ١٩٣ لشهر رجب من عام ١٤١٣ للهجرة مجموعة من المقالات والتحقيقات الجيدة ، وكان من وفاء المجلة لأدبنا العربي أن صدرت عددها بمقالات ثلاث عن يحيى حقي ، فكتب د . مرعي مدكور «وهج الصدق الذي رحل» ، ود. عبد الفتاح عثمان «صح النوم» و «قراءة في آخر كتبه : خلّيها على الله» عرض عبد الرحمن شلش .

بعد ذلك نقول : استرعى نظري موضوع «الورد» بجمال صوره وجديته ، وفجأة وعند أول قراءة للموضوع شعرت برائحة الخطأ !

هو صغير جدًّا في حجمه ، كبير في مضمونه ، وقد تكرر ثلاث مرات :

ــ في ص ٧٦ كتب أعلى الصورة تعليق «ليست كل الورود الحمراء زكية الرائحة كما يُعتقد» .

ـ في الصفحة نفسها ، في السطر الأول جاء : «لم تعد رائحة الورود زكية كما كانت» .

ـ في ص ٧٧ ، في العمود الأخير جاء : «تحمل رائحة زكية نفاذة . . . » .

الموضوع كما هو واضح يتعلق بحرف من حروف اللغة العربية ، وعيب كبير ألاّ نستطيع أن نفرق بين الذّال والزاي في كلمة «زكية» ـ هكذا كتبت . وللإخوة القراء أقول : إن الكلمة كتبت بالزاي وهذا خطأ ، والصحيح بالذّال هكذا «ذكية» . وحتى نزيد المعنى وضوحًا نقوم بوصف صغير للحرفين :

أمال حرف الذال : فيقول ابن منظور : الذّال المعجمة : حرف من الحروف المجهورة والحروف اللثوية ، والثاء المثلثة والذال المعجمة والظاء المعجمة في حيز واحد .

أما حرف الزّاي ، فهو من الحروف المجهورة ، والزاي والسين والصاد في حيز



لم تعد رائحة الورود زكية كما كانت من قبل
بينما يبذل العلماء جهودهم لإعادة الشذا إليـ
غير أن المزارعين والمنتجين يرفضون تدخل العلـ
للتحكم في اللون والرائحة . . قائلين إن مثل هذا
التدخل يقضي على أجمل ما في زراعة الورود :
التوقع والترقب والدهشة .

واحد ، وهي الحروف الأَسَلِيَّة ، لأن مبدأها من أَسَلَةِ اللسان . قال الأزهريُّ : لا تأتلف الصاد مع السين ولا مع الزاي في شيءٍ من كلام العرب .

أما من ناحية المعنى ، فإن الكلمة بالشكل الذي كتبت به لا معنى له في قواميس اللغة ، وكل المادة اللغوية منصبة على «زكا» ، وهذه المادة منها الزَّكاة وهي زكاة المال المعروفة ، ومنها أرض زكية أي سمينة وهو قول حكاه أبو حنيفة ، ومنها الزكاء وهو ما أخرجه الله من الثَّمر . وغير ذلك من المعاني البعيدة كل البعد عن المعنى المقصود في الموضوع .

أما معنى الكلمة بالشكل الصحيح «ذكية» فهو من قوله : مسك ذكي وذاكٍ : ساطع الرائحة ، وهو منه . ومسك ذكي وذكية ، فمن أنث ذهب به إلى الرائحة . قال أبو هفَّان : المسك والعنبر يؤنَّثان ويذكَّران . قال ابن برّي : وتقول هو ذكيُّ الرائحة وذاكي الرائحة . قال قيس بن الخطيم :

كأن القَرَنْفُلَ والزَّنجَبِيلَ
وذاكي العبير بجلبابها

والخطأ ـ في نظري ـ بتكراره على شكله المثبت ليس من قبيل الأخطاء المطبعية . والله أعلم ، ورحمته على العالمين .

محمد أحمد حسن محمود

الرياض



الفن يخدم التنمية أم يهدمها ؟!

طالعت بشغف زائد واهتمام كبير مقالـة الدكتور محمـد عبد العليم مرسي بعنـوان : « العـالم يغني . . . العالم يضحك» المنشورة في العدد ١٩٣ (رجب ١٤١٣هـ ـ ينـاير ١٩٩٣م)، تلك المقـالة التي تحدث فيها عن هوان الأمة الإسلامية ، لأن هنالك خللاً في النفوس وفي التربية قاد إلى هذاالهوان .

وذكر أن الحضارة لا تبنى بالرقص ، وأن التقدم لا يتم بالغناء ، وأن الرقص والضحك والغناء لا يمكن أن تخرج إلا أمما هزيلة .

ونـافلة القـول إن الـدكتور مـرسي مـؤمن إيمانًا عميقًـا بعـدم فائدة الغنـاء والـرقص والضحك ، ويحملهـا مسؤوليـة مـا آل إليه حـال الأمـة الإسلاميـة ، ويطـالب بل ويحرص على استبعادهـا من حياتنـا إذا أردنا الـدخول في سبـاق العصر لتحقيق اللحاق بطريق التقدم والعزة .

مما لا شك فيه أن هذه النظرية ليست من تصميم الأخ الدكتور مرسي ، بل هي نظـريـة ممعنـة في القـدم ، جسَّدهـا كل مـن أفلاطـون وهـربـرت سبنسر ولاسباكس في كتاباتهم ، وهي نظرية مـؤداها أن الفن بصفة عامة مظهر كمالي ، ونوع من الترف واللهو والتسلية . والفن ـ من وجهة نظرهم ـ غير مُجْدٍ ولا يؤدي إلا إلى الـزَّيف والضـلال ، ولا يسهم في رقـي العقل الإنسـاني وسمـوه . إلا أن النصوص الكثيرة الموجودة بحوزتي تنقض هذه النظـرية التي شاعت في أوساط الباحثين من عرب وغيرهـم ، وتظهرها ـ بالـرغم من كل المنطق الذي تحاول أن تدعم به تصوراتها ـ بدون أي أساس تستند إليه .

وبما أن الزمـان والمكان لا يسمـحان بالإسهـاب في دحض هـذه النـظـرية ـ وذلك عن طـريق توضيح أهميـة وجود الفنـون في حياتنا وتأييـدها ـ فسوف أكتفي بـذكر الخطـوط العريضة قـاصرًا حديثي على الغنـاء بصفته أكثـر صيغ الفنون شيوعًا وانتشارًا بين البشر .

إن دراسة نواتج الغناء من قبل علماء العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية ـ ومن بينهم الكثير من علماء المسلمين ـ قد أكـدت بما لا يدع مجالاً للشك أن للغناء ـ إذا ما أحسن استعماله ـ فوائد كثيرة يمكن تلخيصها في الآتي :

ـ تعميق المفاهيم والعقائد الدينية (الأغاني الدينية) .

ـ الإسهام في علاج الأمراض العقلية والنفسية والبدنية .

ـ غـرس الأخلاق الكـريمة والمثل العليا ، وذلك بإنشـاد مواقف أخـلاقية وبطولية .

ـ وظيفة الغناء الروحية بالتفريج عن مكبوتات النفس وأزماتها وعقدها .

ـ الإسهام في تكوين الإنسان المتكامل وجدانيًا وعقليًا وبدنيًا وعاطفيًا .

ـ يمكن للغناء أن يلعب دورًا أسـاسيًا في عملية الوحـدة السياسية ، ودورًا آخـر في مجال خلق وبلورة ثقـافـة ووحدة قـومية ، خـاصـة في الدول المتعـددة الثقافات والأعراق .

ـ الغنـاء يلبي متطلبات الإنسـان الجمالية ويستثير وعي النـاس وتحسسهم لـواقع حيـاتهم ومستقبلهم وتطلعـاتهم وحثهم على العمـل من أجل التغيير والفاعلية الذهنية .

ـ يسهم الغناء في عملية خلق الإيقـاع الاجتماعي للفرد كما يمكنه أن يطور حياته إلى الأفضل ويسمو بها إلى آفاق رحبة .

ــ يمكن للغناء أن يكـون طريقًـا للتـواصل بين بني الإنسان في كل زمـان ومكان .

ـ حين كانت حرية الشعـوب تداس وتمتهن كان الغناء في الصفوف الأولى من المدافعين عن الحق المغتصب ، كما كـان في الصفوف الأولى من المنـاهضين لانتشار الطغيان والتعسف .

والمعـروف أن من بين تفرعـات المذهب الأخلاقي قـولهم : إن الفن يوجـه الناس نحو الخير ويبث فيهم كره الشر .

إن الشعوب التي دخلت سباق العصر وفـرضت نفسها على العالم أجمع ، لم تستبعد الفنـون من مجال التربية ــ كما ذكر الأخ الدكتـور ، بل اعتنت بها وذلك لأنها قـد تنبهت إلى قـدرتها الهائلـة على التأثير في النفـوس ، فـوظفتهـا لخدمـة أغراض التنمية الشاملة .

إن الحضـارة لا تعني القوة العسكـريـة والمادية فحسب ، ولكنهـا تعني في الـوقت نفسـه الآداب والفنـون الـرفيعــة . كما إن التنميـة لا تُعنى بـالمجـالات الاقتصادية فحسب ، بل تهتم بـالفرد وتطور ملكاته وقدراتـه الجسمية والعقلية والنفسية . فإذا كنا نشهـد في هذا الزمان تقهقـرًا جارفًا وشديدًا وسقـوطًا شنيعًا للغنـاء ، فإن العيب ليس فيه ، بل في الـذين يتعاملـون معه ويتخـذونه سلعـة وينسون أنه رسالة .

إن الغناء من الثوابت الثقافية بمعنى أن له سمات ثابتة في الطبيعة الإنسانية لأي مجتمع ، وإن لـه عـلاقـات وطيـدة مع الكثير من الأنشطـة ، خـاصـة في المجتمعات التي نطلق عليها «المجتمعات اللاكتابية» . **إذن فالغناء نشاط قائم وموجود ولا يمكن تجاهله ، وإن ما يجب علينا عمله هو مراقبته وتوجيهه في اتجاه يفيد الفرد والمجتمع ، وذلك بأن نعطـي عنايتنا لتحديد المفهـوم الأخلاقي الذي يصدر عن الفنان في إعداد أدواته وتنفيذ أعماله .**

أخيرًا ، يمكننا أن نوجز تقويمنا لهذه المقالـة بقولنا : إن الأخ الدكتور مرسي قد أصدر أحكامه في هـذه القضية عفو الخاطر ، بينما حيثيات أي حكم في مثل هـذه المسائل تتطلب تـوفـرًا دراسيًا في فروع المعـرفـة التربويـة الفنيـة ، إذ هي بطبيعتها تستعصي على الهواة وتتأبّى على التخمين والحدس .

إن القصور في إدراك مثقفينا لماهية الفنـون في عملية التنمية يعود إلى تخلف أساليب إعـدادهم الثقافي وحـرمانهم من التربية والتـوعية الفنيـة ، عليه فنحن نسعى إلى أن نشيع ـ متى ما أتيحت لنا الفرصـة ـ تفهمًا أعمق للفنون وتقويمها تقويمًا متوازنًا ، الأمـر الذي يوسع مجال االنظر إليها ، ويوثـق صلتها بالمجالات المعرفية الأخرى ، ويضعها في مكانها الصحيح في البيئة الثقافية المعاصرة .

د . محمد سيف يس

الرياض

بريد صوتي

كان ذلك في غزوة الحديبية سنة ست من الهجرة - فقد جاء في «إمتاع الأسماع» للمقريزي أنه قد «بلغ أهل مكة خروج رسول الله ﷺ، فراعهم ذلك وتشاوروا، ثم قدَّموا عكرمة بن أبي جهل، أو خالد بن الوليد، على مائة فارس إلى كُراع الغَميم (بين مكة والمدينة) واستنفروا من أطاعهم من حلفاء قريش من بني كنانة، وأجلبت ثقيف معهم (أي انضمت)، ووضعوا العيون على الجبال؛ وهم عشرة رجال يوحي بعضهم إلى بعض بالصوت: «فعل محمدٌ كذا وكذا، فيردد من بعده قوله، وهكذا حتى ينتهي ذلك إلى قريش»

وهذا سبق له نظير مُعاصر في الحروب بالتخاطب بالإشارة بالأعلام، التي تطورت إلى النظام اللاسلكي والراداري، لكنه كان سبقا ضد نور أطلّ على البشرية.

ولكن!

الطبيب البغدادي الشهير؛ أبو الحسن؛ (١٩٦٣/ ١٠٠٣م) كان يُعد أعظم أطباء عصره، مع أنه في السنوات الأخيرة من حياته كان يشكو من فقدان البصر بشكل كلي!

ذاكرة

العالم الفرنسي الشهير جيل ميناج (١٦١٣/ ١٦٩٢م) كان يتمتع بذاكرة جبارة، جعلته يتمكن من وضع قاموس فرنسي؛ في مجلدين؛ دون الاستعانة بمراجع.



الجنــــادريــــة

تحولت من نموذج لقرية عادية مثل آلاف القرى إلى سوق شعبي سنوي يعرض فنون وصناعات بدائية في تاريخ المنطقة: صناعة الفخار والأواني، الغزل، صناعة الأسلحة اليدوية البسيطة، الملابس، آلات الري.

بالإضافة إلى الملتقيات الفكرية من ندوات ومحاضرات ولقاءات وأمسيات في مناحي الثقافة المختلفة والتي تعبر عن رصيدنا من الثقافة العربية والإسلامية، حيث يتواجد - سنويا - على أرض الجنادرية مفكرون من بلدان متعددة، تصافح عيونهم هذه النهضة الوثابة التي تعيشها المملكة العربية السعودية، ممثلة - النهضة - في قرية الجنادرية التي تحولت من مجرد «أرض غليظة وحجارة تشبه الطين» ومسمياتها القديمة (سُوَيس) و(البديع) و(الطُنب) و(الجرداء) إلى روضة فكرية تنطق بما وصلت إليه البلاد من تطور وازدهار ونماء.

طَبْع!

عن وهب من منبه؛ قال: نصب يهودي فخًّا، فجاءت عصفورة فنزلت عليه، فقالت: مالي أراك محنيًّا؟ قال: لكثرة صلاتي انحنيت.

قالت: فمالي أراك بادية عظامك؟

قال: لكثرة صيامي بدت عظامي.

قالت: فمالي أرى هذا الصوف عليك في جو قائظ؟

قال: لزهدي في الدنيا.

قالت: فما هذه العصا عندك؟

قال: أتوكأ عليها وأقضي بها حوائجي.

قالت: فما هذه الحِنَّة في يدك؟

قال: عهد إن مرَّ بي مسكين ناولته إياها.

قالت: فإني مسكينة.

قال: فخذيها.

فدنت على الحبة، فإذا الفخ في عنقها!

□ □



جدة قريبًا من الميناء، صورة التقطت قبل ٧٥ عامًا

ويأتيك بالأمثال

لا تَعْدَمُ الحَسْنَاءُ ذَامًا

الذَّامُ والذَّيْم : العيب ، وأوَّل من تكلم بهذا المثل حُبَّى بنتُ مالك بن عمرو العَـدْوَانيـة التي كانـت من أجمل النساء ــ كما قيل فيهـا ــ وسمع بجمالها مَلِكُ غسّان ، فخطبها إلى أبيهـا ، وحكَّمه في مهرها ، وسأله تعجيلهـا إليه ، فلما عَزَمَ الأمـر قالت أمهـا لتُبَّاعهـا : إن لنا عنـد الملامسة رشْحـة فيها هَنَـه ، فإذا أرَدْتُنَّ إدخالها على زوجها فَطَيِّبْنَهَا بما في أصدافهـا ، فلما كان الوقت أعجلَهُنَّ زوجُها ، فأغفلن تطييبها ، فلما أصبح قيل له :

ـ كيف وجدت أهلك طروقتك البارحة؟

فقال :

ـ مـا رأيت كالليلة قطّ ، لولا رُوَيْحَة أنكـرتها . . فسمعت زوجته ذلك وهي خَلف ستر ؛ فردت :

ـ لا تعدم الحسناء ذاما .

فأصبحت مثلا .

الهَدْي

ما يُهدى إلى الحَرَم من النعم تقـربًا إلى الله عز وجل ، وهـو من الإبل والبقر والغنم ؛ ذكرًا أو أنثى .

والهدي على ثلاثة أقسام : واجب ؛ وهو ما يكون لحج أو عمرة ، مثل هدي التمتع والقـران ، ولترك واجب من واجبـات الحج ، ولارتكاب محظـور ، أو تجنٍّ على الحرم بالتعرض لصيده .

والسنـة أن يكـون الهدي طيبا حسنًـا ممـا يحبـه الناس ويقبلـون عليـه لغير اضطرار ، ويجب أن يكون سليمًا من المرض مُبرأ من العيـوب ، فلا تجوز المريضة أو المألوفة أو العجفاء الهزيلة ، ولا العوراء ولا الجرباء ولا العرجاء . .

مـا اتفق لفظـه واختلف معنـاه

الضَّبُّ

لهذه الكلمة خمسة معانٍ ؛ على النحو التالي :

- الضبُّ : بمعنى ضَبُّ البادية ؛ ذلك الحيوان الذي يعيش في البادية ويضرب به المثل : «أضل من ضب» و «أعقد من ذنب الضب» .
- والضبُّ : بمعنى العداوة ؛ وفي ذلك قال الراجز :

لقد كَـوَيْتُ كاشحا عـن ضبٍّ … مِنْ ضَبِّهِ وراءِ ذات الجَنْبِ

- والضبُّ : وتعنى الحَلْبُ بجميع الأصابع .
- والضبُّ : بمعني سيلان الدّم ؛ يقال : إنَّ يده لتَضِبُّ دما ، وتبضُّ .
- والضبُّ : بمعنى ورم يأخذ في خُفِّ البعير .

إلى عام ٢٠٠٠؟



أحوالنا ، يا أخي ، هذه الأيـام ، فيها خلل كبير . فنساؤهم مثل دانيال ميتران والأميرة آن بنت إليزابيث الثانية وبريجيت باردو وأودري هيبورن في طليعة رائدات الخدمة الإنسانية . لقد ماتت هـذه الأخيرة بعـد زيارة مجيـدة إلى الصـومـال تسعف الجائعين والجائعات مـن أطفال ونسـاء ورجال لـدولة عضـو في الجامعة العـربيـة والمؤتمر الإسلامي . كـانت هيبـورن هـذه في أوج شهرتها وذروة مجدهـا ، فتـوجت حيـاتها بزيـارة البؤسـاء في أرض الموز الذين لم يعـودوا يجدون مـا يأكلونـه . مع أن الموز لا يحتـاج طبخا ولا زيتـا ولا بهارات . ومع ذلك أصبحت الصومال بلدًا الجوع والحرب والخوف .

الصومال أيها العام القابل قد انشطـرت . فقد حرم الجنوب الشمال . مقديشو تتحكم في كل شيء فانفصل الشمال الذي يتحـدث العربية ، وانسحق الجنوب في حـرب أهلية . وقبل عقـدين اشتكى شطـر شرقي من باكستـان من حـرمانـه من الوظائف ، وساعدته الهند فأصبح بنغلاديش .

الآن البـوسنـة والهرسك . تصور يـا عـزيـزي أن المسلمين هناك يتعـرضـون لتجـارب تفوق التصـور . فهناك جـوعى . والقـوافل تمضي لإسعافهم ، وهنـا يأتي النسـاء والأطفال الصرب فيضطجعـون في طريـق هذه السـيارات المحملة بـالميرة والتمـوين . هنا دور مقيت للنسـاء الصربيـات تكرر مـرات عديـدة ؛ بسبب أن المقـاتلين الصرب كانـوا مشغولين على جبهـات القتـال ولابد من تجويع الجبهـات الأخرى بالقوة . كيف؟ ينـام بشر ، بشر؟ لكي يمنعوا الإغاثة عن المسلمين في قلب الغرب .

وفي أماكن أخـرى وصلت القوافل فاكتشف المسلمـون شيئا عجيبًا فـرفضوا استـلام التموينـات . لقـد اتفق العـالم على مقاطعـة الصرب ، فإذا بقـوافل الأمم المتحدة تحمل بضائع ثلثاها من إنتاج صربيا .

أتريد المزيـد من الضوء على الظلام؟ أولاً اكتشف المسلمون أن قـائدًا هنديًّا من قـادة قـوات حفظ السـلام في البـوسنة يشترك في عمليـات اغتصـاب البنـات والنساء المسلمات .

ومزيدًا من إضـاءة المحلَولِك : يعلن مسؤول دولي أن طائرات الإغـاثة سوف تلقي أطعمة على المنـاطق المحاصرة ، ومن هـذه الأطعمة شحنات لحوم الخنـزير ، لكي يشبع المسلمون هنـاك لحمًا وشحمًا . ومن المفارقات أن أول شحنة بـالطائرات وقعت بطريق الخطأ في منطقة تحت سيطرة الصرب .

تـلاحظ أيها العام المقبل أن التنـاقض الثقافي يشرئب بـرأسه العجيب . وهـو تناقض أحيانا ، وخلل أحيانا ، وفجوة أحيانا أخرى .

إننا مع أحوالنـا هذه لا نملك سوى الإعجاب بالنسـاء اللواتي يحاولن الإنقاذ والإسعاف . منـا الإعجاب ومنهن الإسعـاف ! وهناك شكـوك ووساوس تـراودنا ، ولكن النقص في الإغاثة سيزداد لو توقفت هـؤلاء المحسنات . فجدير بنا أن نراقب ونصمت في ظل القصـور الإسلامي ، ولستُ أنتقص من جهـود هيئات الإغـاثة ، إنما ما نعانيه هو حصاد ما زرعناه أو بالأصح ما عجزنا عن زراعته .

إنني من أنصـار الاعتماد على الـزراعـة ، لكن هـذه الـزراعـة التي وضعـوا لها مصطلح الثـورة الخضراء والأمن الغـذائي بحاجـة إلى زراعـة ثقـافية ، فكـريـة ، روحية .

لقد انتقلنا أيها العام ٢٠٠٠ من وصف الواقع إلى وصف ما ينبغي أن يكون . وأرجو ـ حيـن نصل إليك إن شاء ربنا ــ أن تكـون الزراعتان الفكـرية والقمحية الذَّرَوية والسمسمية والموزية والتفاحية والخضراوية قد أينعت وانتشرت فلا نحتاج إليهم ولا إليهن . مع شكرنا لكل من أسدى إلينا معروفا .

محمد علي الجفري

إدخال مقرر التقانة في مراحل التعليم بدول الخليج العربية



دراسة للسبل والإمكانات المتاحة في هذا المجال أعدها بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي كل من الدكاترة: محمد محمود مندورة، عبد الرحمن سليمان العريني، وعدنان صديق نوح.

تهدف الدراسة إلى التعرف على إمكانات وسبل إدخال التقانة في مراحل التعليم العام في الدول الأعضاء بالمكتب، وركزت على تجارب الدول الأعضاء في هذا المجال مع محاولة تحليلها وتقويمها وبيان مدى تحقيقها للأهداف المتوخاة؛ عبر الاعتماد على نتائج ثلاث استبانات ميدانية موجهة إلى عينة من الفئات الثلاث الرئيسة في مجتمع الدراسة: وهم الموجهون التربويون لمواد العلوم والرياضيات، ومدرسو هذه المواد، وطلاب السنة النهائية في المرحلتين الإعدادية (المتوسطة) والثانوية.

تضمن الكتاب مقدمة بقلم المدير العام للمكتب د. **علي بن محمد التويجري**، وخمسة فصول تحدث المؤلفون في أولها عن التقانة ومفاهيمها، وتناولوا في الثاني جهود الدول والمنظمات الدولية في إدخال التقانة إلى التعليم العام، وعرض الفصل الثالث لتجارب بعض دول الخليج في مجال تطوير مناهج التقانة، وتضمن الفصل الرابع دراسة ميدانية استطلاعية، واختتمت الدراسة في الفصل الخامس بتقديم النتائج والتوصيات.

وقد زودت الدراسة في نهايتها بقائمة المراجع والملاحق.

صدر الكتاب عن مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي في الرياض عام ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م في ١٥٥ صفحة من القطع الكبير.

التربية العملية في دول الخليج العربية



دراسة أعدها بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي د. حسان محمد حسان الأستاذ في كلية التربية بجامعة عين شمس.

تتكون الدراسة من تقديم بقلم المدير العام للمكتب د. **علي بن محمد التويجري**، ومقدمة حددت منطلقات الدراسة، ثم خمسة فصول في نهايتها مراجع الدراسة العربية والأجنبية وملحق استبانة الدراسة.

ناقش الدارس في الفصل الأول «الإطار العام للدراسة» وأهدافها ومنهجها وأوانها وحدودها وما تفرع عنها مثل التحليل الإحصائي وتحديد المصطلح.

وعرض في الفصل الثاني «للدراسات السابقة» معرفًا بها وبأهدافها، واتجاهاتها الحديثة، وتحدث في الفصل الثالث عن «إجراءات الدراسة الميدانية» مثل منهج الدراسة وحدوده وقيوده وأداته مقدمًا عينة الدراسة ومعالجة إحصائية.

وتناول في الفصل الرابع «تفريغ وتحليل النتائج» مستعرضًا واقع التربية العملية ودور برامجها في تمكين الطلاب من تطبيق ما درسوه، ودورها في تنمية اتجاهات الطلاب نحو المهنة، والصعوبات التي تواجه المعنيين بالتربية العملية، ومقترحات لتطوير التربية العملية، واختتم بتقديم «مقترحات التطوير» في الفصل الخامس والأخير متناولاً إجمالي الدراسة، وتوجهات التجديد في إعداد المعلم من خلال استجابات العينة، ومقترحات تطوير التربية العملية من خلال تلك الاستجابات.

صدر الكتاب عن مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي في الرياض في عام ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م في ١٦٧ صفحة من القطع المتوسط.

طائرات ورقية



مجموعة قصصية تأليف الأديب حسني سيد لبيب، تحتوي على أربع عشرة قصة قصيرة ذات طابع اجتماعي في مجملها، كتبها مؤلفها على فترات متفرقة ما بين عامي ١٩٨١ - ١٩٨٩م. وقدم فيها نماذج من الحياة والبشر قد نلتقي بأحدها خلال تعاملنا اليومي، واستطاع في عبارة سلسة وحبكة غير مفتعلة أن يقدم شخصياته واضحة للقارئ بما تحمل من قيم إيجابية أو سلبيات. فجاءت قصصه عفوية تتوالى أحداثها في تسلسل منطقي.

صدرت المجموعة عن المجلس الأعلى للثقافة في جمهورية مصر العربية في ١٠٧ صفحات من القطع المتوسط.

أضرار المخدرات الاجتماعية



تأليف رشيد محمد بن إبراهيم الرشيد، ويناقش الكتاب عبر ٧٥ صفحة من القطع المتوسط الجانب الاجتماعي لمشكلة تعاطي المخدرات.

ومن خلال أربعة فصول يتناول المؤلف أبعاد المشكلة ونتائجها، حيث يتحدث في **الفصل الأول** عن ماهية المخدرات وأنواعها والطرق المؤدية إلى الإدمان، ويوضح في **الفصل الثاني** الآثار السلبية لهذه المشكلة على الفرد والمجتمع، مدعماً أقواله بالقصص الواقعية والإحصاءات، وفي **الفصل الثالث** يرجع المؤلف أسباب العديد من المشكلات الاجتماعية مثل الطلاق والانحلال السلوكي وانحراف الأولاد وغيرها إلى تعاطي المخدرات، ويختتم دراسته في **الفصل الرابع** بحديث عن الأضرار الاجتماعية للمخدرات.

ويذكر أن مادة الكتاب حصل عنها مؤلفها على المركز الثالث (المستوى الثاني) في مسابقة اللجنة

الوطنية لمكافحة المخدرات لبحوث الأضرار الاجتماعية للمخدرات، كما نال المؤلف شهادة تقدير من رئيس اللجنة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز.

صدر الكتاب عن دار طويق للخدمات الإعلامية في الرياض.

تاريخ الأدب العربي (٧)
عصر الدول والإمارات



يواصل الناقد والبحاثة الدكتور: شوقي ضيف بهذا الكتاب عرض تاريخ الأدب العربي الذي بدأه بكتابه «العصر الجاهلي» حيث يتناول في هذا الجزء، وهو السابع في سلسلة موضوعه تاريخ الأدب العربي في مصر في عصر الدول والإمارات الممتد من عام ٣٣٤ هـ إلى العصر الحديث.

وحرص المؤلف في مقدمته على التأكيد على أن الطول الزمني لعصر الدول والإمارات في مصر لا يعني أن الأدب خلال تلك الحقبة اتسم بسمات واحدة.

وقد قسم المؤلف كتابه إلى خمسة فصول، تحدث في أولها تحت عنوان «السياسة والمجتمع» عن: فتح العرب لمصر والحقب الأولى، والفاطميين والأيوبيين، والمماليك والعثمانيين، كما تناول السمات الاجتماعية مثل التشيع والزهد والتصوف.

وفي الفصل الثاني تحدث تحت عنوان «الثقافة» عن الحركة العلمية وعلوم الأوائل وبخاصة الجغرافيا، وعلوم اللغة، والنحو والبلاغة، والنقد، وعلوم القراءات والتفسير والحديث والفقه والكلام، والتاريخ.

وخصص الفصل الثالث لتناول «نشاط الشعر والشعراء» حيث تحدث عن تعرب مصر وكثرة الشعراء وأنواع الشعر مثل الدوري والرباعيات والموشحات والبديعيات. كما تناول شعراء المديح وشعراء المراثي والشكوى، وشعراء الدعوة الإسماعيلية.

وقدم في الفصل الرابع «طوائف من الشعراء» مثل شعراء الغزل، والفخر والهجاء، والطبيعة ومجالس اللهو، والزهد والتصوف والمدائح النبوية، والفكاهة، والشعراء الشعبيين.

واختتم بفصل عن «النثر وكُتّابه» مثل: الرسائل الديوانية، والرسائل الشخصية، والمقامات، والمواعظ والابتهالات، وكتب النوادر والسير والقصص الشعبية.

صدر الكتاب عن دار المعارف في القاهرة في ٥٠١ صفحة من القطع المتوسط.

الدعوة للتبرّع .. والمصداقية



الدعوة للتبرع بالمال للبوسنة والهرسك والأفغان وللمجاعة في الصومال دعوة طيبة، نرجو أن تكون مخلصة، إلا أنه يحدث أن يتكرر وقوف أناس بعد كل صلاة لا يُعرف مدى صلتهم بعمليات التبرع ولا يطمأن إلى مصداقية تحركهم بدليل أنهم يطلبون مناولتهم التبرع مباشرة ونقدا أو مناولة من يقفون عند أبواب المساجد من صبية أو شيوخ يحملون معهم صناديق من الورق المقوّى لجمع المال أو أكياسًا مفتوحة أفواهها أمام الخارجين من المساجد، ولا يشار من قبل أولئك الدعاة إلى اللجان المختصة لا من قريب ولا من بعيد، ولا يشار إلى أرقام الحسابات التي خصصت في البنوك والمصارف التجارية من قبل اللجان المختصة والمعينة من قبل السلطات والهيئات الحكومية، مما يثير الشك عند المتبرع عن المصير الذي ستؤول اليه مجموع التبرعات؛ ولعل المشاهد يلاحظ أن أغلب المصلين لا ينتظرون طويلاً مواعظ طالب التبرع عندما يحسون رغبته في مناولته التبرع شخصيًّا أو من سخرهم بالوقوف أمام مخارج المساجد، وهي ظاهرة امتدت إلى معظم المساجد في المدن والضواحي. وعلى الرغم من أن بعض الناس يفترض حسن النية ويجود حتى بالقليل الذي لا يتناسب مع قناعته الشخصية بوجوب التبرع بأكثر ويناوله أولئك نظرًا لاختلاط الظنون بمدى صحة ومصداقية دعوة يتجاهل فيها الداعى التنظيم المقرر والجباية المقننه وفقًا للقواعد التي حددت لضمان وصول تلك التبرعات لمستحقيها في مواقعهم عن طريق التنسيق مع القطاعات المحلية في البلدان المتضرر أهلها.

فلهذا يتمنى كل مواطن أن لا يُترك الحبل على الغارب لأشخاص أو مجموعات تخترق العمل المنظم وتسيء إلى جهود العاملين الفعليين مما يؤثر على مصداقية العمل ويبعثر الجهود المنظمة ويثير شكوك الناس من أن هناك طوابير تعمل في اتجاه معاكس يُحُسُ بأن هناك نزوعًا للابتزاز المالي لا سمح الله. ومن أيسر الإجراءات المتاحة لوقف هذا التيار المتنامي أن يُلزم كل إمام من أئمة المساجد بمنع كل من لا يحمل تصريحا يخوله الحديث أو طلب التبرع من المصلين. وإن تعذر ذلك فلا أقل من أن ينوه الإمام في مقدمة الدعوة بأن التبرع يجب أن يكون من خلال القنوات المفتوحة للتبرع المالي حسبما هو محدد في تعليمات اللجان المعنية والتنبيه بعدم التورط في التبرع لمن لا يحق له جمعه، ولا شك أبدا أن دعوة الإمام ستكون موضع التقدير وهي في الوقت نفسه عمل إيجابي يجب أن يقتفيه كل مسؤول من أئمة المساجد ومؤذنيها. وهو أيضا عمل مأجور فيه حفظ لحقوق المحتاجين الذين تدفع الأموال لصالحهم، وضمان وصول هبات المتبرعين لمستحقيها الفعليين. ونرجو أن يلقى هذا الأمر اهتمام المسؤولين لوقف من يسيء إلى أعمال الخير إما عن طمع أو جهل أو تسابق غير مشروع ولا مأمون.

صالح عبد العزيز السالم

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين بين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص . ب . ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

● أجوبة مسابقة العدد (١٩٢) ●

ج ١ : من الآيات الكريمة التي دلت على عدم امتثال إبليس لأمر ربه جل وعلا بالسجود لآدم عليه السلام : **البقرة (٣٤)، الأعراف (١١)، الحجر (٢٩ـ٣١)، الإسراء (٦١)، الكهف (٥٠)، طه (١١٦)، ص (٧٢ـ٧٤)**.

□□□

ج ٢ : من الأحاديث النبوية التي وردت في فضل قيام ليلة القدر؛ مارواه البخاري ومسلم، عن **أبي هريرة، أن النبي**ﷺ قال : «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»

□□□

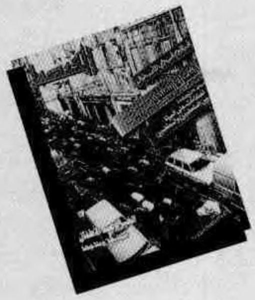
ج ٣ : يرجع الفضل في تأسيس دار الكتب الظاهرية بدمشق، إلى الشيخ **طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري** (١٨٥٢ـ١٩٢٠م). وهو عالم ومربٍّ، نشأ وعاش في دمشق، قام بالتدريس في المدرسة الظاهرية، ثم عُين مفتشًا للمدارس الجديدة التي أُنشئت في عهد الوالي مدحت باشا، قام بتأسيس دار الكتب الظاهرية (١٨٨٠م)؛ إذ جمع ما تفرّق من المخطوطات في المدارس ووضعها في مدرسة القبة الظاهرية، ثم عُين مديرًا لها. انتخب عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩١٩م)، وكان له تأثير كبير في نشر العلم، ووضع مناهج التعليم، وإصلاح أساليبه. كما ألّف كثيرًا من الكتب المدرسية لتعليم الدين الإسلامي، واللغة العربية، والرياضيات، والطبيعة.

□□□

ج ٤ : هو العلامة، المحقق، اللغوي، **عبد السلام محمد هارون** (١٩٠٩ـ١٩٨٨م)، وكتابه هو: «تحقيق النصوص ونشرها».

□□□

ج ٥ : **صورة القلب الكهربية**، تيارات كهربية ضعيفة تحدث بانتظام تام مع كل ضربة من ضربات القلب، يمكن تدوينها بوساطة قطبين يلامسان سطح الجسم ويتصلان بمقياس جلفاني حسّاس، وأول من دوّن الموجة الكهربية للقلب في الإنسان، العالم فيللم أينتهوفن (١٨٦٠ـ١٩٢٧م)، الذي اخترع المقياس الجلفاني الخيطي (١٩٠١م)، واستعان به في عمل راسمة القلب الكهربية «مخطط بياني لعمل القلب»، ولهذا مُنح جائزة نوبل للفسيولوجيا والطب في ١٩٢٤م وبعد اختراع لمبات الراديو أمكن تكبير التيارات الكهربية ملايين المرات، ولم تعد حساسية الجهاز المستعمل للتدوين ذات قيمة بعد أن أمكن تدوين موجة القلب الكهربية بوساطة ريشة تكتب على شريط من الورق يتحرك بسرعة معينة. ومنشأ التيارات الكهربية هو هجرة بعض الأيونات من داخل الخلية العضلية إلى خارجها وبالعكس في أثناء توصيل موجة التنبيه التي تسبق انقباض العضل، ولا تختص القلب وحده بإحداث هذه التيارات، وإنما نراها تحدث مع انقباض أية عضلة أخرى، أو مع مرور أية إشارة عصبية، أو كلما حدث إفراز للغدد. وصورة القلب الكهربية من أهم الوسائل في تشخيص أمراضه؛ فيمكن بوساطتها الكشف عن أي اضطراب في انتظام ضربات القلب ومعرفة مصدر هذا الاضطراب ودلالته الإكلينكية، وكذلك معرفة سبب الذبحة الصدرية، وغيرها من أمراض القلب التي يصعب تشخيصها بدقة بطرق الفحص الأخرى. وموجة القلب الكهربية تختلف من شخص لآخر، كما تختلف بصمات الأصابع، ولكنها تحافظ على شكلها وقوتها في الشخص نفسه ما دام قلبه سليماً.



● نتائج مسابقة العدد (١٩٢)

م	اسم الفائز	البلـــد	قيمة الجائزة بالريال
١	شهناز عبد المجيد صادق الأبادي	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	مصطفى إبراهيم الصقلي	الدار البيضاء ـ المغرب	٣٥٠
٣	مصطفى محمد إبراهيم فايد	المنوفية ـ مصر	٣٠٠
٤	فرج يوسف حسن	عمّان ـ الأردن	٣٠٠
٥	قويدر بن الجيلاني بن المبروك	الوردية ـ تونس	٢٥٠
٦	أحمد عبد الله الحاج محمد	الخرطوم ـ السودان	٢٥٠
٧	عبد العزيز عبد الفتاح كابلي	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	٢٠٠
٨	سهير موفق الفحل	دبي ـ الإمارات العربية	٢٠٠
٩	السعادي ختيم	المسيلة ـ الجزائر	١٥٠
١٠	منظور أحمد عبد الهادي	السند ـ الباكستان	١٥٠
١١	لينا عباس عبد الرحمن	البديع ـ البحرين	١٠٠
١٢	محمد إسماعيل حسين	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٣	هانم محمد عبد البصير	المحلة الكبرى ـ مصر	١٠٠
١٤	أيمن عبد الله الحاج أبنعوف	ود مدني ـ السودان	١٠٠
١٥	بوسدرة فتيحة	الرباط ـ المغرب	١٠٠
١٦	أمل سلطان عبد الله	صويلح ـ الأردن	١٠٠
١٧	البتول بن زيان	المسيلة ـ الجزائر	١٠٠
١٨	عمر محمد باداود	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٩	هند إبراهيم محمد	الدقهلية ـ مصر	١٠٠
٢٠	عبد القادر قسم السيد	أم درمان ـ السودان	١٠٠
٢١	عبد العزيز صالح السويح	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٢	حافظ عبد الواحد منكريو	السند ـ الباكستان	١٠٠
٢٣	مريم بنت أحمد ولد عمر	نواكشوط ـ موريتانيا	١٠٠
٢٤	الريشوان مبارك	أولاد تايمة ـ المغرب	١٠٠
٢٥	نرمين محمود أحمد محمود	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
٢٦	شماء حسين إبراهيم الحميد	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٧	رقية بنت محمود الخرشوفي	مدنين ـ تونس	١٠٠
٢٨	فريدة محمد الرفاعي	القاهرة ـ مصر	١٠٠
٢٩	علي محمود صالح باشا	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٣٠	عبد الحميد حسانين حسن	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠

أسئلة مسابقة العدد (١٩٧)

● السؤال الأول :

من المعلوم أنه لا يجوز لغير المسلمين دخول المسجد الحرام . اذكر دليل ذلك من كتاب الله تعالى .

□ □ □

● السؤال الثاني :

شرع الإسلام إقامة الحدود والتعزير لتأديب العصاة ، ولحفظ أمن الجماعة الإسلامية ومصالحها ؛ إلا أن هناك فروقًا بينهما . عرّفها باختصار .

□ □ □

● السؤال الثالث :

الشلالات المائية ، واحدة من الظواهر الطبيعية البالغة الجمال في العالم . كيف تحدث؟!

□ □ □

● السؤال الرابع :

ما الجلطة التاجية ؟ وما أعراضها؟

□ □ □

● السؤال الخامس :

المقر الرسمي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، يطلق عليه اسم «البيت الأبيض» . من الذي أطلق عليه هذا الوصف بصفة رسمية؟

□ □ □

● أجوبة مسابقة العدد (١٩٣) ●

ج ١ : مما جاء ـ في كتاب الله الكريم ـ في إبطال عادة التبني التي كانت شائعة في الجاهلية عند العرب، الآيات أرقام ٤، ٥، ٣٧، ٤٠ من سورة الأحزاب.

□□□

ج ٢ : يتفق تحريم الخمر مع تعاليم الإسلام التي تستهدف إيجاد شخصية مؤمنة قوية في جسمها وعقلها ونفسها، وما من شك في أن الخمر تضعف الشخصية وتذهب بمقوماتها، لاسيما العقل. يقول الشاعر:

شربت الخمر حتى ضلّ عقلي … كذاك الخمر تفعل بالعقول

وإذا ذهب عقل المرء، تحوّل إلى حيوان شرير، وصدر عنه من الشر والفساد ما لا حدّ له؛ كالقتل، والعدوان، والفحش وإفشاء الأسرار، وخيانة الأوطان، ولهذا أطلق عليها الشرع الحكيم: «أم الخبائث».

فعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «الخمر أم الخبائث». ولما رواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو قال: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة، ووقع على أمه وخالته وعمته». ولأنها أم الخبائث، فقد أكد الشرع حرمتها، ولعن متعاطيها وكل من له بها صلة، روى ابن ماجه والترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ: «لعن في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشترى له».

وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة التي دلت على تحريم الخمر تحريماً قاطعًا لا شك فيه، منها:

١ ـ ما رواه أحمد وأبو داود عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»، ورواه مسلم أيضًا في صحيحه.

٢ ـ وما رواه مسلم عن جابر، أن رجلاً من اليمن سأل رسول الله ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له «المزر»، فقال رسول الله ﷺ: «أمسكر هو؟» قال: نعم، فقال ﷺ: «كل مسكر حرام. . . إن على الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار» أو قال: «عصارة أهل النار».

٣ ـ وما رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن البتع وعن نبيذ العسل؟ فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام».

٤ ـ ولما رواه الترمذي وأبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

فهذه أحاديث صحيحة صريحة في تحريم هذا الداء المسمى بالخمر، إضافة إلى ما أثبته الطب ـ في أبحاثه ـ من مضارها الشديدة، وأنها من أعظم الأخطار التي تهدد البشر بما تورثه مباشرة من الأضرار، وبما تمهد له من ظهور أمراض من بينها السل وتليف الكبد. فهل من معتبر؟

□□□

ج ٣ : هو محمد بن إبراهيم المويلحي (١٨٦٨ـ١٩٣٠م)، الأديب والصحفي، درس في الأزهر، واشترك في الثورة العرابية، فاضطر لمغادرة البلاد، ليقيم مدة في فرنسا وتركيا. عاون أباه في تحرير مجلة «مصباح الشرق»، وأشهر أعماله «حديث عيسى بن هشام» أو «فترة من الزمان» ١٩٠٧م، وهو فصول نشرت في المجلة المذكورة ثم جمعت، وقد صيغت على نسق المقامات، ولكنها تميزت بمزيد من الحبكة القصصية مع الخلوص من الصنعة الأسلوبية المفرطة، وهدفها نقد الأحوال الاجتماعية السائدة في مصر عقب الاحتلال الإنجليزي.

□□□

ج ٤ : خط الانطباق، خط يرسم على خريطة بحيث يصل بين الأماكن التي يكون انحرافها المغناطيسي صفرًا، وبالأحرى الأماكن التي تشير عندها البوصلة المغناطيسية إلى الشمال الحقيقي، كما تشير إلى الشمال المغناطيسي. ويزداد الانحراف المغناطيسي بوجه عام بازدياد البعد عن خط الانطباق.

□□□

ج ٥ : مرض بروس، مرض معد، يصيب الماشية، وينشأ عنه إجهاض الجنين. سببه بكتريا بروسلا، التي تصيب أيضًا الخيل، والبغال، والأرانب، وبعض الحيوانات الأخرى. وهناك نوعان آخران من البروسلا يسببان الإجهاض في الخنازير والأغنام، ويمكن لهذه الأنواع الثلاثة إحداث الحمّى المتموجة (المالطية) في الإنسان. وتحدث العدوى بوساطة الغذاء وشرب المياه الملوثة بالجراثيم. وفي الإنسان بوساطة اللبن الملوث، وملامسة الحيوانات المصابة. وتشمل طرق الوقاية تطعيم العجول، وعزل الحيوانات المصابة، واختبار الحيوانات الجديدة قبل إضافتها للقطيع. وقد أطلق عليه في الماشية مرض «بانج» بعد اكتشاف د. بانج (١٨٩٧م) العامل المسبب للمرض. وفي (١٨٨٧م) أثبت سير دافيد بروس (١٨٥٥ـ١٦٣١م) حقيقة الجرثومة المسببة للإجهاض في الماعز، بجزيرة مالطة، وبعدما تحققت العلاقة بين الجراثيم التي تصيب الماشية والماعز والخنازير، اتخذ اسم «مرض بروس» ليعني المرض في أي من هذه الحيوانات، كما أطلق عليه الإجهاض المعدي.



● نتائج مسابقة العدد (١٩٣) ●

م	اسم الفائز	البلـــد	قيمة الجائزة بالريال
١	عبد الله بن سالم الجهني	الوجه ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	علي محمود علي	القاهرة ـ مصر	٣٥٠
٣	مريم إبراهيم جمعة	الدوحة ـ قطر	٣٠٠
٤	محمد بن سالم الضاوي	المنستير ـ تونس	٣٠٠
٥	إبراهيم عبد الله الشمسان	القصيم ـ المملكة العربية السعودية	٢٥٠
٦	عبود إسماعيل بن محمد	غرداية ـ الجزائر	٢٥٠
٧	فريال عبد العزيز التوفيقي	المنامة ـ البحرين	٢٠٠
٨	عبد الحميد عبد الله عرواني	العين ـ الإمارات العربية	٢٠٠
٩	الساموري ولد حمدان بن بَيّ	نواكشوط ـ موريتانيا	١٥٠
١٠	مصطفى سعيد حجازي	عمّان ـ الأردن	١٥٠
١١	شيرين شوكت بخاري	الطائف ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٢	صلاح علي إبراهيم النحاس	الغربية ـ مصر	١٠٠
١٣	وداد الحاج أحمد السلمي	الدار البيضاء ـ المغرب	١٠٠
١٤	عبد الفتاح إبراهيم العقيد	أم درمان ـ السودان	١٠٠
١٥	سعيد سعدي حسن رزق	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
١٦	سماح اللافي حرم الوهايبي	تونس ـ تونس	١٠٠
١٧	أمل سليمان صالح الخليفة	الخرج ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٨	سميرة السويلمي	آسفي ـ المغرب	١٠٠
١٩	عباس محمد بخيت	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
٢٠	لؤي عبد اللطيف مصطفى	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢١	علياء عبد العظيم المشايخ	المنوفية ـ مصر	١٠٠
٢٢	حسنة شاهد الوزاني	الدار البيضاء ـ المغرب	١٠٠
٢٣	عبد العزيز عبد الله الغملاس	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٤	هاشم نصر الدين عباس	ود مدني ـ السودان	١٠٠
٢٥	رامي أحمد عطية	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢٦	راغب محمد السعيد	الغربية ـ مصر	١٠٠
٢٧	عنايت الله سومرو	السند ـ الباكستان	١٠٠
٢٨	يُسْري عبد الكريم العليوات	المنامة ـ البحرين	١٠٠
٢٩	محمد الهادي سيد علي	المسيلة ـ الجزائر	١٠٠
٣٠	الجوهرة محمد النشار	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠

شاعر من الخليج العربي

السيد ماجد الصادقي

بقلم : عبد الله أحمد الشباط

يطلق عليه البحراني نسبة إلى البحرين، أما اسمه فهو ماجد بن هاشم بن علي الحسيني، ذكره المحبي في خلاصة الأثر، وأورد قطعا من أقواله. ولد ونشأ بالبحرين، وبها أخذ العلم، وتقلد منصب القضاء، ثم انتقل إلى (شيراز) وتصدر للتدريس.

ذكره البلادي [١] فقال : كان أوحد زمانه في العلوم، وأحفظ أهل عصره، نادرة في الذكاء والفطنة.

ومن أشعاره التي أوردها المحبي [٢]، قوله :

حسناء ساءت صنيعا في متيمها ... يا ليتها شفعت حسنا بإحسان
دنت إليه وما أدنت مودتها ... فما انتفاع امرىء بالباطل الداني

وهو شاعر على البديهة، لا يتكلف ولا يعتسف الألفاظ، ومن بديهياته ما أشار إليه أبو البحر جعفر الخطي إذ قال : سهرت ليلة عند السيد ماجد الصادقي حتى طلع الفجر، فقلت :

خذه إليك كصفحة المرآة ... بدرا يكشف حالك الظلمات

فقال السيد مجيزا :

وكأنه وجه المليحة حسرت ... عنه ذوائب فرعها الفحمات

فقال أبو البحر :

وكأنه الدينار بث حوله ... بيض الدراهم غير مجتمعات

والشعر لدى السيد ماجد تعبير عن ضرورات قصوى، لذلك لا نجده يميل إليه كثيرا، وإنما المقطوعات التي عثرنا عليها تعطي الدليل على شاعرية جيدة وقدم راسخة في التعبير.

ففي إحدى قصائده نجده يصف الكون وصفا بديعا معجبا من حسن خلق الله وإبداعه في صنعه، إذ يقول :

ناشدتك الله إلا ما نظرت إلى ... صنيع ما ابتدى الباري وما ابتدعا
والأرض طاشت ولم تسكن فوقها ... بالراسيات التي من فوقها وضعا
فقر ساحتها من بعد ما امتنعا ... وانحط شامخها من بعد ما ارتفعا
وأرسل الغاديات المعصرات لها ... فقهقهت ملء فيها واكتست خلعا
هذا ونفسك لو أم الخبير لها ... لارتد عنها كليل الطرف وارتدعا
وليس في العالم العلوي من أثر ... يحير اللب إلا فيك قد جمعا

وللسيد الصادقي في ميدان المواعظ باع عريض، وكلمات تتجسد فيها النذر متخذا من بوادر الشيب نذيرا بالآخرة، إذ يقول :

طلعت عليك المنذرات البيض ... وابيض منها الفاحم المحوض
وافى المشيب مطالبا بحقوقه ... وعليَّ من قبل الشباب فروض
أيقوم أقوام بمسنون الصبا ... متوافرا ويفوتني المفروض
لا حق هذا قد نهضت به ولا ... أنا بالذي يبغي المشيب نهوض

ويحدثنا عن الوطن في أبيات قليلة، لكنها معبرة عما في نفسه تعبيرا صادقا إذ يقول :

ما الدار عندي وإن ألفيتها سكنا ... يرضاه قلبي لولا الإلف والسكن
ما لي بكل بلاد جئتها سكن ... ولي بكل بلاد جئتها وطن
الدهر شاطر ما بيني وبينكم ... ظلما فكان لكم روح ولي بدن

وشعره في الرثاء ينبع من قلب مفعم بالمحبة الصادقة معبرا عما يختلج في نفس الشاعر، من تقدير للموتى من غير مراءاة ولا مداجاة للأحياء، ومن غير استدرار للعطف.

بل هو يرسل شعره معبرا عن حسرته وألمه تعبيرا يتجاوب مع نفس السامع والقارئ :

حلت عليك معاقد الأنداء ... وتحت ثراك قوافل الأنواء
وسرت على أكتاف قبرك نسمة ... بلت حواشيها يد الأنداء
ما بالي استسقيت أنداء الحيا ... وأرحت أجفاني من الإسقاء
ما ذاك إلا أن بيض مدامعي ... غاضت مبدلة بحمر دماء
هتفت أياديك الجسام بأعيني ... فسمحن بالبيضاء والحمراء
أنى بجازي شكر نعمتك التي ... جللتنيها قطرة من ماء
بادرة سَمَحَتْ بها الدنيا على ... يأسي من الإحسان والإعطاء

والسيد ماجد الصادقي من أعيان القرن الحادي عشر، إلا أن البلادي لم يحدد سنة ميلاده.

أما وفاته فقد كانت بشيراز سنة ١٠٢٨هـ، وقد أورد أسماء العديد من مؤلفات الصادقي، وقال عنه :

«وهذا السيد الجليل من نوادر الزمان علما وأدبا وعملا».

الهوامش

(١) أنوار البدرين.

(٢) خلاصة الأثر.

السعودية

برعاية خادم الحرمين الشريفين :

مهرجان الجنادرية في عامه الثامن



خادم الحرمين الشريفين يسلم أحد الفائزين في سباق الهجن جائزته

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في الخامس عشر من شهر شوال الماضي ١٤١٣هـ (٨ أبريل ١٩٩٣م) افتتاح المهرجان الوطني الثامن للتراث والثقافة في الجنادرية الذي ينظمه الحرس الوطني.

شهد افتتاح المهرجان عدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالي الوزراء وكبار المسؤولين يتقدمهم صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، إلى جانب ضيوف المهرجان من المسؤولين وقرابة خمسمائة مفكر وأديب وفنان وإعلامي عربي.

نشاطات جديدة

افتتح المهرجان - كالمعتاد - بسباق الهجن التاسع عشر، حيث شاركت فيه ٣٠٣ هجن، كما أضيفت إليه نشاطات جديدة مثل مسابقة للقرآن الكريم، نظمتها إدارة الثقافة والتعليم في الحرس الوطني، والقرية التراثية التي أقامتها إمارة منطقة عسير في مقر المهرجان، وافتتحها سمو ولي العهد قبل الافتتاح الرسمي للمهرجان بأيام.

وحفل مهرجان الجنادرية هذا العام بفعاليات عديدة متنوعة تشكل «بانوراما» تراثية وثقافية شاملة، حيث بلغ عدد الأجنحة ٣٦ جناحًا، منها

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة

الحركة الثقافية

□ قصبة الجزائر ضمن التراث العالمي

□ مؤتمر في مالقة لمناقشة الأدب والالتزام

□ أشرطة تسجيلية عن الشعراء العرب للتلفاز البلغاري

□ صحيفة إلكترونية لفاقدي البصر جزئيًا.

جناحـان لدولتي قطـر والبحرين، ودخلـت أربعة أجنحـة جـديـدة لكل من : وزارة البرق والبريـد والهاتف، ودارة الملك عبد العـزيز، وإمـارة منطقة القـريات، والجمعيـة السعـودية الخيريـة لـرعايـة الأطفال المعـاقين، حيث ضمت أجنحة المهـرجان ١٢٠ حرفـة مهنية تاريخيـة وتراثيـة من جميع مناطق المملكة، وبلغ عدد الحرفيين مـائتي حرفي، شكلوا عـامل جـذب كبير لجمهـور الـزوار من مـواطنين ومقيمين ووافدين.

وتشمل الجهـات الحكوميـة والأهلية المشـاركة إمـارات المنـاطق والجامعـات وبعض الـوزارات والمؤسسات العـامة والهيئات العلمية والثقـافية مثل مركز الملك فيصل للبحوث والـدراسات الإسلامية ومكتبة الملك فهد الوطنية ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، ودارة الملك عبد العـزيز، والجمعية العربية السعوديـة للثقافة والفنـون، والهيئة الوطنيـة لحماية الحياة الفطريـة وإنمائها، والرئاسة العـامة لإدارات البحوث العلميـة والإفتـاء والـدعـوة والإرشـاد، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، ومعهد الإدارة العامة، ومدينة الملك عبـد العزيز للعلوم والتقنية، والمركـز العـربي للـدراسـات الأمنيـة والتـدريب، وجهات أخرى.

معرض الكتاب والنشاطات الفنية

كما أقيم معـرض للكتـاب ضم قـرابـة أربعين ألف عنوان، وشارك ستون فنانًا وفنانة بمائة لوحة في جنـاح الفنـون التشكيليـة، وأقيـم مـرسم خـاص لـلأطفـال الـراغبين في ممارسـة الـرسم، ومعـرض للـوثائق والصـور اشتمل على نحـو ثلاثمائة وثيقـة ومـائة وعشرين صـورة، وعـرضت فـرق الفنـون الشعبية أغاني ورقصات من مختلف مناطق المملكة، وحظيت المرأة ببرنـامج خـاص تضمن إلى جـانب المحاضرات الدينية والتثقيفيـة عروضًا تجسد الحرف والمهن الخاصـة بـالمرأة السعوديـة، كـذلك أقيمت نشاطات مسرحية وإعلامية متنوعة.

النشاط الثقافي

تجلت أبرز فعاليات المهرجان في النشاط الثقافي الذي افتتحـه صاحب السمـو الملكي الأمير فيصل ابن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ونائب رئيس اللجنة العليا للمهرجـان، وشمل ما يزيد على عشرين ندوة متخصصة وفكرية ومحاضرة وأمسية إلى جانب تلك التي خصت بالمرأة.

وفيها اختير «أدب الطفل» ليكـون الموضـوع الـرئيس للندوات المتخصصـة، فإن قضـايا العـالم العربي والإسـلامي والهوية الثقـافية فـرضت نفسها موضوعات للندوات الفكرية.

وتضمنت الندوات الفكريـة العناوين الآتية : «الهوية الثقافية للأمة العربية»، «الإسلام في الإعلام الغربي»، «النفط والفكر في منطقة الخليج»، «أزمة المياه في العـالم العـربي»، «الحركـة الإصـلاحيـة في الجزيرة العربية»، «الإسلام في شرق أوربا»، «كتابة التاريخ الإسلامي».

واشتملت الندوات المتخصصـة على العناوين التالية : «السير الشعبيـة في أدب الأطفال»، «نظرة مستقبلية إلى أدب الطفـل»، «التطورات التـاريخية والفنية للفن العربي الحديث»، «القصة والمسرح في أدب الطفل»، «اتجاهات التجديـد في الفن العربي المعاصر»، «الطفل ووسائل الإعـلام.. إشكاليات وسلبيـات»، «الشعـر والأغنيـة في أدب الطفل»، «المنعطفات الرئيسة في تطور أدب الطفل».

وحتى كتـابة هـذه السطور لا تـزال نشاطـات المهرجان تتواصل مضيفة إلى الثقـافة العربية جانبًا وضيئًا.



سمو ولي العهد يتجول في القرية التراثية لمنطقة عسير

الأمير فيصل بن فهد يستقبل المشاركين في النشاطات الثقافية للمهرجان



جانب من الندوات الفكرية والمحاضرات



نيابة عن خادم الحرمين الشريفين :

سمو ولي العهد يسلّم جائزة الملك فيصل الفائزين بها



سمو ولي العهد وسمو النائب الثاني وبينهما الرئيس البوسني علي عزت، وإلى اليسار الأمير خالد الفيصل

الأمير خالد الفيصل: قَدَرُ هذه البلاد تنبيه العالم إلى قضايا المسلمين

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني مساء السبت التاسع عشر من شوال ١٤١٣هـ (١٠/ ٤/ ١٩٩٣م) الاحتفال الذي أقامته مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمناسبة تسليم جائزة الملك فيصل العالمية في دورتها الخامسة عشرة لهذا العام ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م للفائزين بها في فروعها المختلفة وهم : الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش (خدمة الإسلام)، د. حسن الساعاتي عبد العزيز (الدراسات الإسلامية)، د. لوك مونتانييه، د. جين كلود شيرمان، د. فرانسواز باري سنوسي (الطب)، د. هيربرت فالتر، د. ستيفين شو (العلوم). وقد حجبت جائزة الأدب العربي لأن الأعمال المرشحة لم ترق إلى مستوى الجائزة.

كلمة الأمير خالد الفيصل

وبعد بدء الحفل بآي من الذكر الحكيم ألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام للمؤسسة ورئيس هيئة الجائزة كلمة أكد فيها أن رعاية قادة المملكة للعلم ليست غريبة منذ أن احتضن جدهم الإمام محمد بن سعود حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

وقال سموه في كلمته :

ليس غريبا على قيادتنا الرشيدة أن تكرم العلم والعلماء، وتقدر من قاموا بخدمات جليلة للإسلام والمسلمين، وتقف بكل ما تستطيع مع دعاة الحق والعدل في كل أصقاع الدنيا. فقبل أكثر من خمسين ومئتي عام وقف جدكم العظيم الإمام محمد بن سعود ليستقبل العالم الجليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقلب مفعم بالإيمان، وعقل تغمره الحكمة، فاستل سيفه بشجاعة، وسار أمام قوافل المؤمنين ينشر العقيدة الصافية، ويطهر النفوس والبلاد من أدران الشرك والبدع والخرافات؛ قاصدا بذلك وجه الله، ورفعة دينه الحنيف، وسيادة شريعته الغراء، تحت راية دولة تلم الشعث، وتحقق الأمن.

سمو ولي العهد يهنئ د. حسن الساعاتي بالجائزة



د. لوك مونتانييه يتسلم جائزته



وها هي قيـادتنا الرشيدة اليـوم تؤكد مسيرة الجهاد التـي تبناها الأبناء بعـد الآباء والأجداد . تقف مرفـوعة الرأس بإيمانها ، وتعلن للدنيا بأسرهـا أن دستور هذه البلاد هو كتاب الله الكريم وسنة نبيـه محمد ﷺ ، وتؤكد قولا وعملا أنها أمة تفخر بعقيدتها ، وتلتزم بمنهجها ، وتعتز بصحة سياستها ومسلكها : لا تخاف الحاقدين ، ولا تخشى المرجفين ، ولا تقبل المشككين .

وإنه لقدر هذه البلاد ؛ حكومة وشعبـا ، بكونها قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ورائدة الدعوة السلفية والتضامن الإسـلامي ، وبما تتمتع به قيادتها من احترام دولي ، وما لها مـن ثقل سياسي واقتصادي ، أن تلفت أنظار العالم أجمع إلى قضيـة شعب البوسنة والهرسك ، وأن تحمل المجتمع الدولي مسؤوليـة حرب الإبادة التي يتعرض لها ذلك الشعب من قبل الصرب . وإنني لأنظـر بإعجاب إلى قيادتنا الـرشيدة وشعبنا الأبي وهم يقفون صفا واحدا بجانب الإنسـان المسلم في البوسنة يمدونه بالمال ويعملون معه جـاهدين لرفع نير العدوان الذي يقف منه العالم والأمم المتحدة موقف المتفرج .

وشكر الأمير خالد الفيصل في ختام كلمته سمو ولي العهـد على رعايته هذا الحفل ، وقدم التهنئة الخالصة للفائزين بـالجائزة، الذين وصفهم بأنهم «الصفـوة من الشخصيات التي أهلتها جهـودها العظيمة وبحـوثها الأصيلة لنيل الجائزة هذا العام ، متمنيا لهم المزيد من التوفيق والنجاح» .

تقديم الفائزين ومنحهم الجوائز

عقب كلمة سمـوه قام الأمين العـام للجائزة الدكتـور عبد الله الصـالح العثيمين بتقديم الفـائزين واحدًا واحدًا بنبذة عن كل فائز وتخصصه وجهوده ، وحيثيات منحـه الجائزة ، حيث تسلم كل فائز جائزته من سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز .

كلمات الفائزين

وتجلى الشكر والتقدير والاعتراف بعالمية الجائزة فيما ألقـاه الفائزون من كلمات ، حيث وجه فخامة الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش الشكر لخادم الحرمين الشريفين لرعـايته واهتمامه بما يتحقق من إنجازات لخدمة البشرية ، وأشاد بالأعمال النبيلة التي قام بها الملك فيصل بن عبد العزيـز - يرحمه الله - وأعرب عن تقديره لسمو الأمير خالد الفيصل وأعضاء لجان الاختيار للجائزة .

وقال الـرئيس البوسني في كلمتـه إنه يعتبر جميع مـواطني البوسنـة والهرسك قد فـازوا بالجائزة، مشيرًا إلى الظروف الصعبة التي تمر فيها بلاده مع تواصل العدوان الصربي الذي يستهدف إبادة المسلمين .

وأكد الـرئيس علي عزت أن شعبه ظل يعيـش قرونًا عـدة عند نقطة يلتقي فيهـا الشرق والغرب ، يحاول أن يبني جسرًا من التفاهم والتعايش بين العالمين إلا أنه جُوزِيَ أسوأ جزاء لا لشيء إلا لأنه شعب مسلم .

وقال الرئيس البوسني : «بالرغم من ذلك فالبوسنيون قد انتصروا ، انتصروا بتحملهم وصبرهم على المعاناة في حرب غير متكـافئة مع قـوى الظلام والحقـد والدمـار ، ومن هنا فإنني أعتبر كل مـواطنيّ الذين يعـانون في البوسنة أطفالاً ونساء ورجالاً فائزين بهذه الجائزة» .

☐ أما د . حسن الساعاتي فاستهل كلمته بالإشارة إلى أن هذه المناسبة صارت تقليدًا إسلاميًّا وعلميًّا فريدًا بتكريم من خدموا الإسـلام ومن خدموا العلم . وأكد أن «عالمية جائزة الملك فيصل الخيريـة تدل على سموها على الحدود الـوطنية والقـومية والإقليميـة ، وهكذا تفسـح مجال المنافسـة أمام أكبر عـدد من العلماء من جميع القارات» . واختتم د . الساعاتي كلمته بتوجيه الشكر لسمو الأمير خالد الفيصل وهيئة الجائزة ولجان الاختيار .

☐ وألمح د . لوك مونتـانييه إلى المصادفة الطيبة أن يتزامن تكـريم الفريق العلمي المكتشف لفيروس الأيدز مع مرور عشر سنوات على اكتشاف ذلك الفيروس . وحيا أعضاء الفـريق الفائزين منوهًا بأدوار علماء آخرين شاركوا الفريق عمله .

☐ أما د . جين كلـود شيرمان فألقى كلمـة قصيرة أعرب فيهـا عن فخره بنيل الجائزة مع زميليـه ، والذين يشكلون الفريق العلمي الفرنسي الذي فاز بجائزة الطب هذا العام .

☐ وأسهبت د . فرانسواز باري سنوسي في تقديم شرح لكيفية اكتشاف الفريق لفيروس الأيدز، مؤكدة أن

الـرئيس البـوسني : أعتبر جميـع مواطني البـوسنة فـازوا بالجائزة

د . حسن الساعاتي : عالمية الجـائزة تفسـح مجـال المنـافسـة أمـام جـمـيـع العـلـماء

د . مـونتـانييـه : الجائزة تـزامنت مـع مـرور ١٠ سـنـوات على اكتشـاف الأيـدز

د . سنوسي : الجائزة وأمثالها تشجيع ودعم للدوائر العلميـة والطبية

سمـــو ولي العهـــد يسلم د. شيرمان بـراءة جـائزة الطب



تسليم جـائزة العلـوم لأحـد الفـــائزيْن بها د. شـــو



الحركة الثقافية

الدراسات التي قام الفريق بها كانت نقطة انطلاق لعدد هائل من البحوث في كثير من الأوساط العلمية والطبية على نطاق العالم بأسره في مجال فيروس الأيدز ومكافحته . وقالت د . سنوسي إنها تعجز عن التعبير عن مشاعرها لفوزها بالجائزة مؤكدة أن الدوائر العلمية والطبية في حاجة إلى الدعم والتشجيع .

□ واستهل د . هيربرت فالتر كلمته بشكر المؤسسة ولجان اختيار الجائزة ، وتطرق إلى الحديث عن المجال الذي نال ببحوثه فيه الجائزة مشيرًا إلى أن اكتشاف أشعة الليزر قبل نحو ثلاثين عامًا كان بداية عصر جديد من البحوث المهمة في مجال الطيوف الذرية . كما شكر د . فالتر أسرته لتفهمها ودعمها له أثناء عمله الذي حتم عليه قضاء العديد من الأمسيات والعطلات في المختبر .

□ أما د . ستيفين شو فأشار إلى أنه كثيرًا ما يُنظر إلى عمل الفيزيائي باعتباره عملاً منعزلاً وقاصرًا على عدد محدود من الناس فلا يُفكَّر فيه كثيرًا في الحياة اليومية ، لكن لحسن الحظ فإن التطور العلمي كثيرًا ما يأتي عبر طريق لم يُفكَّر فيه . وقال إنه يشعر بالامتنان والشكر لهيئة الجائزة لتقديرها لأهمية بعض فروع علم الفيزياء الذرية وعلى وجه التحديد تبريد أشعة الليزر وأثر الذرات ومطيافية الذرات الأساسية .

وأشار د . شو إلى أن الاختيار الدقيق للفائزين بالجائزة منذ إنشائها لهو أكبر دليل على أهميتها .

● وبعد انتهاء د . شو من كلمته غادر سمو ولي العهد مقر الاحتفال .

وقد حضر حفل تسليم الجائزة عدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالي الوزراء والعديد من الشخصيات العامة والفكرية والعلمية والأدبية ، يتقدمهم أصحاب السمو الملكي : الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، والأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ، وأعضاء مجلس أمناء المؤسسة الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية ، والأمير عبد الرحمن الفيصل ، والأمير بندر الفيصل ، والأمير سعد الفيصل ، والأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

وقد أقامت المؤسسة ـ بهذه المناسبة ـ حفل عشاء في مركز الخزامى تكريمًا للفائزين والمدعوين .

«الثقافة في مناهج التعليم الخليجية»

أعد مكتب التربية العربي لدول الخليج **دراسة حول إدخال مقرر الثقافة في مراحل التعليم العام بدول الخليج العربية .**

تتضمن الدراسة تحديد مضمون مقرر الثقافة لكل مرحلة من مراحل التعليم العام وكيفية إدخالها ، فضلاً عن تحديد علاقة المقرر بغيره من العلوم الأساسية والربط بين الثقافة والقدرة على ابتكار الحلول للمشكلات المعاصرة .

واستفادت الدراسة من تجارب بعض الدول الأجنبية والدول الأعضاء في هذا المجال ، واعتمدت إلى جانب التحليل النظري لهذه التجارب على نتائج ثلاثة استبيانات ميدانية .

قام بالدراسة بتكليف من المكتب الدكاترة : **محمد محمود مندورة ، وعبد الرحمن سليمان العريني وعدنان صديق نوح .**

موسوعة الأدباء والكُتَّاب

صدرت مؤخرا عن **نادي المدينة المنورة الأدبي «موسوعة الأدباء والكُتَّاب السعوديين خلال ستين عاما ١٣٥٠ ـ ١٤١٠ هـ » .**

أعد الموسوعة في ثلاثة أجزاء كبيرة **أحمد سعيد بن مسلم** ، وتضمن الجزء الأول تراجم الأدباء والكُتَّاب الذين تبدأ أسماؤهم بحرف الألف ، إلى نهاية حرف الزاي ، ويبدأ الجزء الثاني بحرف السين إلى حرف العين ، والثالث من حرف الغين إلى الياء ، تقع الموسوعة بأجزائها الثلاثة في ١٣٢٢ صفحة من القطع المتوسط .

وفاة عثمان حافظ

فقدت الصحافة السعودية في منتصف شهر رمضان الماضي رائدًا من روادها بوفاة الشيخ **عثمان عبد القادر حافظ** الذي توفي عن عمر يناهز ٨٥ عامًا .



عثمان حافظ

وُلد الفقيد في المدينة المنورة عام ١٣٢٨ هـ ودرس في كتاتيبها ومدارسها الأولية ، ثم انتقل إلى المسجد النبوي الشريف وتتلمذ على المشائخ **عبد القادر توفيق الشلبي ، وأحمد الفيض أباري ، وأحمد البساطي ، وإبراهيم بري ، وماجد بري ، والسيد أحمد صقر ، ومحمد الطيب الأنصاري** ، وغيرهم . وعين عام ١٣٥٠ هـ مدرسًا في المدرسة الابتدائية بالمدينة المنورة . وتقلد مناصب حكومية متعددة في مديرية المعارف وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووزارة المالية ووزارة الحج .

وكانت الصحافة حلمه الكبير ، واستطاع بجهده وبالتعاون مع أخيه **علي عبد القادر حافظ** ـ يرحمهما الله ـ أن يؤسسا عام ١٣٥٦ هـ **جريدة «المدينة المنورة» ومطبعتها ، التي سميت فيما بعد « شركة المدينة المنورة» للطباعة والنشر»** . وقد تولى إدارة الجريدة ورئاسة تحريرها خلال الفترة من ١٣٥٦ ـ ١٣٧١ هـ ، ثم أسندت رئاسة التحرير إلى أخيه وبقي هو مديرًا للجريدة .

وحين تحولت «الصحافة السعودية» من صحافة أفراد إلى صحافة مؤسسات عام ١٣٨٣ هـ انتخب نائبًا للمدير العام لمؤسسة «المدينة المنورة» وظل في هذا المنصب لمدة ثلاث سنوات ، عاد بعدها إلى رئاسة تحرير الجريدة عام ١٣٨٦ هـ ولمدة أحد عشر عامًا .

وإلى جانب تأسيس جريدة «المدينة المنورة» قام بالاشتراك مع شقيقه **علي حافظ** بتأسيس **مدرسة في المسيجيد** تعد أول مدرسة ابتدائية تقام في البادية .

ويعد كتابه «**تطور الصحافة في المملكة العربية**

السعودية » من أوائل الكتب التي تناولت تاريخ الصحافة السعودية ومرجعًا لا غنى عنه للباحثين في هذا المجال. وقد جمع ما كتبه من مقالات في الجريدة في ثلاثة كتب منها كتاب « **صور وذكريات عن المدينة المنورة** ».

الإمارات — بينالي الشارقة الأول



د. سلطان القاسمي

تحت رعاية سمو الشيخ الدكتور سلطان ابن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد وحاكم الشارقة افتتح في الثالث والعشرين من شهر شوال الماضي ١٤١٣هـ (١٤/ ٤/ ١٩٩٣م) بينالي الشارقة الأول للفنون التشكيلية.

أقيم البينالي على أرض المعارض الدولية في الشارقة.

معرض دولي للكتاب

نظم المجمع الثقافي في أبو ظبي ــ مؤخرًا ــ **معرض أبو ظبي الدولي الثالث للكتاب**.

شارك في المعرض ٢٥٠ دار نشر عربية و١٤٠ دارًا أجنبية عرضت ٣٥ ألف عنوان باللغة العربية و١٥ ألفًا بلغات أخرى.

مشروع لنشر الكتب

قرر المجمع الثقافي في أبو ظبي البدء اعتبارًا من شهر يونيه المقبل في إصدار كتابين كل شهر.

يرمي المشروع - كما يقول الأمين العام للمجمع **محمد خليفة السويدي** ــ إلى الاهتمام بالبيئة المحلية.

جائزة لقاصة كويتية

مُنِحَتْ **جائزة اتحاد كتاب الإمارات وأدبائها** القاصة الكويتية **منى الشمري** عن قصتها «مواء جنازة».

وتسلمت الفائزة جائزتها في حفل شارك فيه نخبة من المبدعين والمثقفين.

البحرين — معرض للكتاب الإسلامي

اختتمت في الرابع عشر من شهر رمضان الماضي في المنامة أعمال **معرض الكتاب الإسلامي السابع**.

شاركت في المعرض ٢٢ دار نشر بحرينية وعربية، واحتوى على جناح للطفل. وآخر لقضيتي فلسطين والبوسنة.

قطر — فن الزخرفة في المغرب العربي

نظم معهد العالم العربي في باريس بالاشتراك مع المركز الثقافي الفرنسي بالدوحة معرضًا بعنوان «فن الزخرفة في المغرب العربي» وقد استعيرت المعروضات من (المكتبة الملكية الحسنية) في الرباط كنتاج لفنانين مسلمين أجادوا استعمال الزخرفة الإسلامية الفنية بأشكالها وألوانها المتميزة، والتي ما تزال حكرا على قلة من الحرفيين الفنانين على امتداد العالم الإسلامي، وتتألف تواليف المعروضات من عناصر الهندسة والنبات والخط العربي.

الكويت — ترجمة فهرس المخطوطات العربية بالجامعة الكاثوليكية

قام مركز المخطوطات والتراث والوثائق بجمعية إحياء التراث الإسلامي بترجمة فهرس المخطوطات العربية الموجودة لدى الجامعة الكاثوليكية في واشنطن.

يضم الفهرس مجموعة المخطوطات التي نقلت إلى الجامعات الأخرى الموجودة في العاصمة الأمريكية، وقام بترجمته مدير عام المركز **محمد بن إبراهيم الشيباني**.

سدرة

هذا اسم أحدث **مجلة أسبوعية موجهة للأطفال** صدر عددها الأول مؤخرًا.

ترأس تحرير المجلة د. **كافية رمضان**، ويقوم منهجها على تقديم مواد مناسبة للطفل من النواحي العرفية والاجتماعية والنفسية.

ويذكر أن « **سدرة**» تعد ثالث مجلة للأطفال تصدر في الكويت، حيث سبقتها مجلتا «**سعد**» و«**العربي الصغير**».

مهرجان ثقافي

أقيم - مؤخراً - في الكويت **المهرجان الأول لجمعيات النفع العام**، شاركت فيه رابطة الأدباء، وجمعية الخريجين، والجمعية الكويتية للفنون التشكيلية، ورابطة الحرف اليدوية (النادي العلمي)، والجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية، والجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب، ونادي الكويت للسينما، والمعهد العالي للفنون المسرحية، والمعهد العالي للدراسات الموسيقية، ومجموعة من الأدباء والفنانين.

ضم المعرض نشاطات ثقافية وفنية وأدبية متنوعة، منها محاضرات وندوات وأمسيات فضلاً عن معرض مصغر للكتاب.

مصر — مراكز ثقافية لاتينية وأفريقية

تقدمت عشر دول لاتينية وأفريقية بطلبات لافتتاح **مراكز ثقافية لها في مصر** مقابل افتتاح مراكز مصرية مماثلة فيها.

وتدرس السلطات المصرية المختصة هذه الطلبات تمهيدًا لاتخاذ قرار بشأنها.

من ناحية ثانية ينتظر أن يتم في العالم الميلادي المقبل تأسيس **رابطة تضم رؤساء الدول والحكومات والوزراء السابقين والحاليين وكبار المسؤولين من الدول العربية والأفريقية والآسيوية الذين تخرجوا في الجامعات المصرية**.

وتضع وزارة الخارجية حاليًا اللمسات الأخيرة على قائمة الأسماء تمهيدًا لإخطار أصحابها بالمشروع.

خطة للمحافظة على الآثار

بدأت هيئة الآثار المصرية في تنفيذ خطة شاملة للمحافظة على الآثار المصرية.

الحركة الثقافية

تعطي الخطة أولوية في التعامل مع كل أثر على حدة حسب قيمته التاريخية وحالته الحالية. وتقرر أن تبدأ بمجموعة من الآثار المهمة في مقدمتها **جامع عمرو بن العاص** في الفسطاط (جنوب القاهرة).

ويذكر أن الزلزال الذي حدث بمصر في شهر أكتوبر ١٩٩٢ م الماضي قد أصاب العديد من الآثار بالتصدع، وبعضها في حالة سيئة للغاية.

حماية الطفل المسلم من التغريب


عبد التواب يوسف

حذر **عبد التواب يوسف الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي في** مجال أدب الأطفال عام ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م من الأخطار التي يتعرض لها الطفل العربي نتيجة افتقاره إلى وسائل إعلام متخصصة للأطفال.

وقال **عبد التواب يوسف**: إن أكثر من ٤٠ **مليون طفل عربي في حاجة إلى صحافة واعية**، كما إن الإذاعات العربية والإسلامية ما تزال مقصرة في إنتاج البرامج الخاصة بالطفل، مما يعرض أطفالنا لخطر الغزو الثقافي المسموم الذي يستهدف تغريب عقلية النشء.

وشدد على ضرورة عقد مؤتمرات للطفولة تبحث جميع الجوانب المتصلة بتثقيف الطفل المسلم، وتعد البرامج التي تشبع حاجات الأطفال النفسية والمعرفية والدينية.

جائزة البابطين تحتفي بالشابي


أبو القاسم الشابي

قرر مجلس أمناء مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري خلال اجتماعه في القاهرة - مؤخرًا - **فتح باب الترشيح لجوائز الدورة الرابعة** التي يدور محورها حول «**أبي القاسم الشابي**».

اشترطت هيئة الجائزة أن يكون الإنتاج باللغة العربية الفصحى، وأن يرسل المتقدم كامل إنتاجه الشعري بحيث لا يكون قد مضى على أحدث دواوينه أكثر من عشر سنوات في أكتوبر المقبل، ولا يجوز الاشتراك بأكثر من ديوان. واشترطت في مجال نقد الشعر إرسال أهم مؤلف أو مؤلفين للمرشح بحيث لا يكون قد مضى على صدور أي منهما أكثر من عشر سنوات، كذلك لا يجوز للمشترك في جائزة أفضل قصيدة الاشتراك بأكثر من قصيدة واحدة على أن تكون قد نشرت في إحدى الصحف أو المجلات خلال عامي ١٩٩٢ / ١٩٩٣ م.

متحف ناجي

افتتح وزير الثقافة المصري **فاروق حسني** معرض «**متحف ناجي**» في الهرم الذي يعد من المتاحف المتخصصة ذات الطابع القومي.

يضم المتحف أعمال الفنان ناجي أحد رموز الحركة الفنية التشكيلية في مصر، وينتظر أن يتحول المتحف إلى صالون دائم لمناقشة قضايا الفكر التشكيلي.

الأردن

وفاة الشاعر عبد الفتاح حياصات

نعت الأوساط الأدبية الأردنية، الشاعر **عبد الفتاح حياصات** الأمين العام لاتحاد كتاب

محاضرات وندوات

● «**التشبه بالكفار: خطره وأثره**» عنوان ندوة أقيمت في جامع الإمام تركي بن عبد الله في الرياض شارك فيها الشيوخ: **سليمان الحديثي، حسين آل الشيخ، وخالد الرشود**، علّق على الندوة سماحة الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز**.

● «**السنة قبل التدوين**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدعوة والإرشاد في دبي د. **محمد الخطيب**.

● «**رابطة العالم الإسلامي والوضع العالمي الجديد**» عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدراسات العربية الأوربية في باريس د. **عبد الله عمر نصيف**.

● **ديوان الشاعر السوداني محمد الفيتوري «ويأتي العاشقون إليك»** كان موضوع ندوة نقدية نظمتها في القاهرة الجمعية المصرية للنقد الأدبي، شارك فيها كل من د. **محمد عبد المطلب**، د. **وليد منير**، وقدم لها **عبد الناصر حسين**.

● «**من وراء الشفق**» **ديوان الشاعر د. أحمد منصور**. كان موضوع ندوة نظمتها في القاهرة رابطة الأدب الحديث، وشارك فيها الدكاترة: **محمد عبد المنعم خفاجي، محمد السعدي فرهود، زهران جبر، ومحمد الوزير**.

● «**آفاق النقد العربي في المرحلة القادمة**» عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الكوفة في لندن بدعوة من النادي العربي في بريطانيا د. **عبد الله الغذامي**.

● «**البنات. البنات أيها الطيبون**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الأميرة شيخة بالنزهة في مكة المكرمة الشيخ **طلال بن سليمان أبو النور**.

● «**دروس تربوية نتعلمها من القرآن الكريم**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الشعيبي في جدة الشيخ د. **علي الزهراني**.

● «**أدب الرسائل والخواطر**» موضوع ندوة نظمتها في لكنؤ بالهند رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وشارك فيها أدباء مفكرون من تسع دول إلى جانب أكاديميين وأدباء هنود.

● «**قوانين الأحوال الشخصية في بلجيكا**» موضوع ندوة نظمتها في

الأردن وأدبائها الذي توفي عن عمر يناهز ٥٥ عامًا .

وُلد حياصات في مدينة السلط عام ١٩٣٨م، وبعد الانتهاء من دراسته عمل في حقل التعليم ثم مذيعًا ومعدًّا للبرامج في الإذاعة، ومديرًا لمتحف الحياة السياسية في أمانة عمان الكبرى .

ولم يصدر الشاعر الراحل ديوانًا مطبوعًا على الرغم من مئات القصائد التي نشرت له في الصحف أو ألقاها في المحافل الثقافية .

سورية ▼ الفائز بجوائز عكاش

وزعت ـ مؤخرًا ـ على مسرح المركز الثقافي العربي بالمزة **جوائز مدحة عكاش الأدبية** على الفائزين بها في مجالات : القصة، الشعر، والدراسات .



مدحة عكاش

فاز **بجائزة القصة** مناصفة كل من **حسن حميد ونزار نجار، وتقاسم الجائزة الثانية فيصل خرتش وعادل سويدان**، وتشارك في الثالثة **محمد أمين الحسن وعبد اللطيف حسن** .

وتقاسم **جائزة الشعر إبراهيم عباس ياسين وعزت الطيري**، واحتل المركز الثاني مناصفة **زكي قنصل وحاتم عبد الجواد إبراهيم**، وتشارك في الجائزة الثالثة **علاء الدين عبد المولى وفايد إبراهيم** .

أما **جائزة الدراسات** فلقد فاز بالمركز الأول **يعرب نبهان**، تلاه في المركز الثاني مناصفة **عزت السيد أحمد ومحمد منذر لطفي**، وجاء في المركز الثالث **سمر روحي الفيصل** .

تونس ▼ معرض دولي للكتاب

يقام في مدينة تونس في الثاني من شهر ذي القعدة الجاري ٢٣ من أبريل ١٩٩٣م **معرض تونس الدولي للكتاب** .

تشارك في المعرض مجموعة من دور النشر العالمية والعربية والمحلية، وتقام على هامشه ندوات أدبية ومحاضرات وأمسيات شعرية يشارك فيها عدد من المفكرين والأدباء .

كتب جديدة

● **الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات : ثورات ـ حركات ـ كتابات**، تأليف منير شفيق، صدر عن دار البراق في تونس ودار الناشر في بيروت .

السودان ▼ مهرجان للآداب والفنون

استضافت **مدينة بورتسودان المهرجان الأول للآداب والفنون** للولاية الشرقية بالسودان .

شارك في المهرجان حشد من أدباء المنطقة وفنانيها، وتضمن محاضرات وندوات وعروضًا شعبية ومسرحية ومعارض للكتاب والفن التشكيلي والصور الفوتوغرافية والأزياء .

لبنان ▼ كتب جديدة

● **قصة أسعد الشرياق** : تأليف **بطرس البستاني** وآخرين .

● **الغريب في الغرب**، رحلة **ميخائيل أسعد رستم** إلى أمريكا عام ١٨٨٥ ـ ١٨٩٤م الذي يعد أول كتاب يطبع باللغة العربية في أمريكا عام ١٨٩٥م، صدرت طبعته الثانية من إعداد وتحقيق د. **يوسف إيبش** .

القاهرة جمعية القانون الدولي، وشارك فيها كل من د. **فؤاد رياض**، د. **فيلتجين**، د. **جانين كارلير**، وبعض أفراد الجالية الإسلامية في بلجيكا والجالية البلجيكية في القاهرة .

● «**عذاب القبر وأسبابه**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد البحيرة بالشارقة د. **أكرم أوزخان** .

● «**أهوال يوم القيامة في ضوء الكتاب والسنة**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الدريهمية في مكة المكرمة الشيخ **عبد الله حماد الرسي** .

● «**كيف نبني ثقافتنا ؟**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية التربية فرع جامعة الملك سعود في أبها د. **غيثان علي جريس** .

● «**مستقبل طالب كلية الآداب**»، عنوان ندوة أقيمت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض شارك فيها الدكاترة : **أسعد عبده، سعود الضحيان، محمد الهدلق، فهد الطياش**، وأدارها الطالب **مرزوق العشير** .

● «**الحاسوب . . في بحوث العمليات واتخاذ القرار**» عنوان محاضرة ألقاها في دمشق د. **أديب كولو** .

● «**مشكل النسخ في القرآن**» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر د. **الهاشمي التيجاني** .

● «**تعليم المرأة**» موضوع ندوة أقيمت مؤخرًا في ستوكهولم بالسويد شارك فيها أكاديميون ومتخصصون تربويون من عدة بلدان نامية .

● «**الاتجاهات اللسانية الحديثة في اللغة العربية**» عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالرياض د. **محمد الحناش** .

● «**العراق : الدولة والمستقبل**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي **حسن العلوي** .

● «**نظام الرتبة النحوية في الجملة العربية**» عنوان محاضرة ألقاها في جامعة الملك سعود بالرياض د. **مصطفى عمر حميدة** .

● «**ملامح دبلوماسية القرن الواحد والعشرين : مجالها ووسائلها**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي الأشغال العمومية بالرباط في المغرب **عبد الهادي بوطالب** .

● «**جامعة القرويين وإشعاعها الإسلامي**» عنوان محاضرة ألقاها في جمعية فاس للتنمية الثقافية والاجتماعية والسياسية **محمد علال سيناصر** .

الحركة الثقافية

صدر الكتابان السابقان عن دار الحمراء في بيروت .

● **السلوك التصويتي للمجموعة العربية في الجمعية العامة للأمم المتحدة**، تأليف د . **هدى عبد العزيز صلاح** .

● **ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية**، تأليف حسين **توفيق إبراهيم** .

صدر الكتابان السابقان عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت .

● **بسبب غيمة على الأرجح**، قصائد **لوديع سعادة**، صدرت عن دار الجديد في بيروت .

● **عملية الليطاني ١٩٧٨ م : نظرة استراتيجية**، تأليف العميد ركن **ياسين سويد**، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت .

● **الإسلام وفئوية تطور العمارة العربية**، تأليف **حيان صيداوي**، صدر عن دار المتنبي في بيروت .

● **مدخل إلى علم اللغة**، تأليف **محمود فهمي حجازي**، صدر عن مكتبة نهضة الشرق .

● **أعظم الأخطاء في التاريخ**، اقتباس **أوديت نحاس**، صدر عن دار جروس برس في طرابلس .

● **نصوص خارج المجموعة** : **جبران خليل جبران**، إعداد **أنطوان القوال**، صدر عن دار أمواج في بيروت .

● **المياه والسلام**، تأليف الكاتب الصهيوني **أليشع كالي**، صدرت ترجمته إلى اللغة العربية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت .

● **هوامش ثقافية**، تأليف **سعد الله ونوس** . صدر عن دار الآداب في بيروت .

الجزائر

قصبة الجزائر ضمن التراث العالمي

قرر مكتب لجنة التراث العالمي التابع لمنظمة اليونسكو العالمية **إدراج «قصبة» مدينة الجزائر التاريخية في قائمة الحواضر التراثية العالمية** .

و تعد القصبة من المعالم الأثرية البارزة لمدينة الجزائر حيث تنتشر فيها القصور والدور التاريخية التي **تجسد تطور الفن المعماري عند المسلمين قبل نحو ألف عام** .

وتتفق المصادر على أن **أول من بنى القصبة بلكين بن زيري بن منَّاد** أمير صنهاجة في القرن العاشر الميلادي، ثم طورها الأتراك إبان حكمهم تحت قيادة **الأخوين بابا عروج**، ومن بعدهم الدايات .

حقوق الإنسان

هذا هو اسم **أحدث مجلة فصلية** صدر عددها الأول ـ مؤخَّرًا ـ عن المكتب الوطني لحقوق الإنسان في الجزائر .

تضمن العدد مجموعة من الدراسات والوثائق والمقالات باللغتين العربية والفرنسية تدور حول حقوق الإنسان .

كتب جديدة

● **بحيرة الزيتون**، مجموعة قصصية من تأليف د . **أبو العيد دورو** .



مفدي زكريا

● **الزائر**، رواية **لحفناوي زاغر** .

● **إليـاذة الجزائر**، ملحمة شعرية للشاعر الراحل **مفدي زكريا** .

● **الخلية الحية**، تأليف **علي صالح** .

رسائل جامعية

● «**الرضا الوظيفي لدى الموجهين التربويين وعلاقته بأدائهم الوظيفي**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **منصور بن محمد المعمر** .

● «**الجملة النحوية في ديوان الهذليين**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها **حسين بن عثمان الحكمي** .

● «**المرويات الواردة في أحكام الصبيان في الكتب الستة وموطأ مالك وسنن أحمد وسنن الدرامي . جمعًا وتخريجًا**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة تقدم بها **عبد الله مساعد الزهراني** .

● «**دراسات باثولوجية على الوفيات في الدجاج**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الزقازيق بمصر تقدم بها **أنور كمال مهدي** .

● «**التربية الإسلامية في المجلات السعودية : دراسة وتحليل**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج** .

● «**صورة المرأة في أعمال اثنين من الروائيين الأمريكيين في العصر الحديث**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الرياض تقدمت بها **أسماء عبد الله الخليف** .

● «**التطور الاقتصادي والاجتماعي للمملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز ــ يرحمه الله ـ من عام ١٣٨٤ هـ وحتى عام ١٣٩٥ هـ**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الرياض تقدمت بها **ملكة بكر الطيار** .

● «**إدارة الوقت في الأجهزة الأمنية**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض، تقدم بها المقدم **نايف بن عبد الرزاق العتيبي** .

● «**طرق الكشف عن نواتج انحلال وتركيز الرادون في الجو**» عنوان

● **الفعل : زمنه وإعرابه وتصريفه**، تأليف **بدر الدين بن تريدي**.

● **مدخل في المحاسبة العامة**، تأليف **منصور عبد الكريم**.



د. أبو القاسم سعد الله

● **الحركة الوطنية الجزائرية**، جـ ١، تأليف **د. أبو القاسم سعد الله**.

● **الطاقة وأسرارها**، تأليف **جورجيت بارتوليمي**، تعريب **محمد جيجلي**.

● **مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده**، تأليف **طهاري محمد**.

● **أحكام تشييع الجنائز في الفقه المالكي**، تأليف **أحمد بري**.

● **نظرية التعويض عن الضرر المعنوي**، تأليف **مقدم سعيد**.

● **دعائم الفلسفة**، ط٤، تأليف **إدريس خضير**.

●أسس علم النفس الصناعي التنظيمي، تأليف **مصطفى عشوي**.

صدرت الكتب السابقة عن المؤسسة الوطنية للكتاب.

المغرب: كتب جديدة

● **دستور الدعوة الإسلامية، ومع الشباب**، كتابان للشيخ **محمد المكي الناصري**، صدرا عن منشورات الأمانة العامة لرابطة علماء المغرب.

● **يوميات مسلم ألماني**، تأليف **د. مراد ويلفرد هوفمان**، صدرت طبعته الفرنسية عن منشورات الباب في الرباط.



محمدبنيس

● **هبات الفراغ**، شعر **محمد بنيس**.

● **طفل الرمال**، تأليف **الطاهر بنجلون**، ترجمه إلى العربية **محمد شرقي**.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر توبقال.

إيران: ندوة دولية عن «الخوارزمي»

شارك علماء من خمسين بلدًا في الندوة الدولية السادسة عن «**الخوارزمي**» التي نظمتها - مؤخرًا - في طهران مؤسسة البحوث العلمية والصناعية التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي.

ويذكر أن **محمد بن يوسف الخوارزمي** ولد عام ٧٨٠ م في خوارزم (تقع في تركمانستان) ويعد مؤسس علم «الجبر» ومن أشهر كتبه «**الجبر والمقابلة**» وتوفي عام ٨٥٠ م.

ماليزيا: من أحدث الكتب

● **فتاوى معاصرة**، للدكتور **يوسف القرضاوي**، ترجمها إلى اللغة الماليزية **سليمان إبراهيم**، وصدرت عن مطبعة أمان في مدينة كوتابارو بولاية كلنتان.

الهند: وفاة عالم إسلامي

نعت الأوساط الإسلامية في الهند الشيخ **سيد حامد علي**، أحد أشهر علماء المسلمين هناك، والذي توفي عن عمر يناهز سبعين عامًا.

وكان الفقيد - يرحمه الله - مشهوراً بمقدرته السديدة في مجال تفسير القرآن الكريم وعلوم

رسالة ماجستير نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس، تقدمت بها **هدى محمد النعيمي**.

● «**شرح الفارضي على ألفية ابن مالك للعلامة أبي عبد الله محمد شمس الدين بن أحمد الفارضي الحنبلي : دراسة وتحقيق**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية في المدينة، تقدم بها **علي نصّار النصّار**.

● «**سياسة الكويت الخارجية : النشأة والارتقاء من عام ١٦٧١ - ١٩٩٢ م**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في المدرسة الوطنية للإدارة العمومية في الرباط بالمغرب تقدم بها **عبد الرحمن عبد الله الحميدان النجدي**.

● «**إيجاد الطول اللازم غرسه في الخرسانة العالية المقاومة والمحتوية وغير المحتوية على ألياف فولاذية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، تقدم بها **فهد عبد المعطي الجحدلي**.

● «**تحقيق ودراسة ٦٣ ورقة من كتاب إتحاف الخيرة المهمة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **محمد صالح الغامدي**.

● «**القضايا اللغوية للإمام المراغي**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها **خطاب مرزوق العادلي**.

● «**مواقف المعارضة من خلافة يزيد بن معاوية . . دراسة نقدية للروايات**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **محمد بن هادي الشيباني**.

● «**تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . . من سورة القمر إلى نهاية القرآن الكريم . . جمعاً وتحقيقاً ودراسة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض تقدم بها **يحيى ضاوي شطناوي**.

● «**كرامات الأولياء**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الله بن عبد العزيز العنقري**.

الحركة الثقافية

الحديث الشريف ومقارنة الأديان كما كان خطيبًا وصحافيًّا بارزًا .

ولـه أكثر من مائة كتاب وكتيب في مجالات العلوم الإسلامية أشهرها ترجمته كتاب الشهيد **سيد قطب « في ظلال القرآن» إلى اللغة الأوردية** .

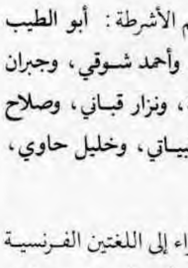
بلغاريا
أشرطة تسجيلية عن الشعراء العرب في التلفاز البلغاري

قام التلفاز البلغاري بتصوير **سبعة أفلام تسجيلية عن ثلاثة وعشرين شاعرًا عربيًا قديمًا ومعاصرًا** كان لهم أثر بليغ في تطوير الشعر العربي .

من الشعراء الذين ضمتهم الأشرطة : **أبو الطيب المتنبي، وأبو العلاء المعري، وأحمد شوقي، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، وعبد الوهاب البياتي، وخليل حاوي، ومحمد الماغوط**، وآخرون .

ترجم حياة هؤلاء الشعراء إلى اللغتين الفرنسية والإيطالية الناقد المصري د. **أبو الدرداء حامد الدمنهوري**، وجسّد الشخصيات على الشاشة الفنان **فرانكو رينادي** .

هولندا
متحف جديد لأعمال فان جوخ


فان جوخ

قررت اليابان تمويل مشروع لبناء **متحف في العاصمة الهولندية امستردام يخصص لأعمال الفنان التشكيلي العالمي الراحل فنسنت فان جوخ**، ويرتبط بالمتحف القديم عبر أنفاق تحت الأرض .

المتحف ينتظر أن يضم لدى افتتاحه عام ١٩٩٤م قاعات للعروض الموسمية لأعمال فان جوخ من خارج المجموعة الدائمة التي تضمها المتاحف العادية .

ويذكر أن المتحف سوف يحاط بحاجز مائي اصطناعي لحمايته من اللصوص .

أسبانيا
مؤتمر لمناقشة الأدب والالتزام

استضافت مدينة ملقة ـ مؤخرًا ـ أول مؤتمر عالمي للأدب والالتزام .

شارك في أعمال المؤتمر مائة كاتب شاب من مختلف أنحاء العالم إلى جانب اثني عشر من كبار القاصين من دول مختلفة، وتوزعت أبحاث المؤتمر على ثلاث مجموعات تتضمن موضوعات متداخلة تشكل جزءًا من مشكلات العصر وتطلعاته هي : الأدب والحفاظ على البيئة، والأدب والتحول الاجتماعي، والأدب والوضع السياسي .

الصين
ثلاثون ألف كتاب سنويًا للطفل الصيني

أوضح الأديب **زونج جي هو** الأمين العام المساعد للجمعية الصينية للبحث في أدب الأطفال أن بلاده تطبع كل عام **ثلاثين ألف كتاب للأطفال** ما بين كتب مصورة وحكايات خرافية وقصص تاريخية وأساطير .

وأضاف أن هذه الكتب تقسم عادة حسب المراحل الدراسية للطفل إلى ثلاثة أقسام، وتتولى طباعتها ثلاثون دار نشر متخصصة في أدب الأطفال فقط، تضع خطة النشر السنوي لها وزارة الإعلام الصينية .

كندا
معرض إسلامي كويتي

استضافت كندا معرضًا بعنوان **«الفن الإسلامي والحياة : كنوز من الكويت»** .

ضم المعرض نحو **٧ آلاف قطعة** من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، من مقتنيات بيت الآثار الإسلامي القديم في الكويت، ويعود تاريخها إلى ما بين القرنين ٨ – ١٨م .

تشتمل المعروضات التي يستمر عرضها حتى شهر تشرين الأول (أكتوبر) المقبل على زجاجيات ونحاسيات وفسيفساء ومجوهرات ومنحوتات ومخطوطات في الرياضيات وعلم الفلك .

من أحدث الكتب

● **الأسلوب الرمزي في الحياة الاجتماعية** ، تأليف **بيرتواربيه وسوزان صنوان**، صدر في العاصمة الكندية .

اليابان
معهد ثقافي فرنسي

تفتتح قريبا في مدينة كيوتو اليابانية **«فيلا كوجوياما»** على غرار معهد الثقافة الفرنسي في روما المسمى «فيلاميديسيس» .

أقيمت الفيلا بهدف **تعريف اليابانيين بالثقافة الفرنسية واستقبال المبدعين الفرنسيين**، وقد استوحى الشكل الخارجي للفيلا من العمارة اليابانية التقليدية بهدف تمتين العلاقات الثقافية بين البلدين .

المكسيك
آثار حضارة المايا

اكتشفت في منطقة **كاباه بيوكاطان** في جنوب المكسيك سبعة مجسمات كبيرة يعتقد أنها لحكام أو زعماء المايا .

ومما يحير الآثاريين أن هذه المجسمات ترتفع إلى نحو مترين ونصف المتر، وهو ما يتناقض مع قصر قامة السكان الأصليين في المنطقة .

ويذكر أن منطقة **كاباه بيوكاطان** شهدت قديمًا حضورًا مكثفًا لقبائل المايا، وقد عثر بها في أوقات سابقة على العديد من المخطوطات والرسومات التي تلقي ضوءًا على تاريخ المنطقة .

الولايات المتحدة
وفاة الفيلسوف سجونس

توفي ـ مؤخرًا ـ الفيلسوف الألماني الأصل **هانز سجونس** عن عمر يناهز تسعين عامًا .

وُلد سجونس عام ١٩٠٣م، وتتلمذ على **هيجل وهوسريل وبولتمان** وغيرهم من كبار الفلاسفة الألمان، وعُرف بمعاداته للنازية حيث

فر من بلاده خلال الحرب العالمية الثانية ولجأ إلى كندا ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي استقر بها حتى وفاته، وعمل في التدريس بجامعة نيويورك عام ١٩٥٥ م. واشتهر بمفهومه الحياتي من خلال علم «**الأخلاق**» وبها دعا إليه من أجل خير الإنسانية.

أحدث الكتب

● **دليل العرب الأمريكيين، ط ٤**، دليل إحصائي عن المنحدرين من أصل عربي، صدر عن دار حلقة الأخبار للنشر والإعلام في كاليفورنيا.

بريطانيا

صحيفة إلكترونية لفاقدي البصر جزئيا

أصدر المعهد الملكي القومي البريطاني للمكفوفين ـ مؤخرًا ـ أول صحيفة إلكترونية يومية مخصصة لفاقدي البصر جزئيًا الذين لم يصلوا إلى درجة العمى الكامل.

يوفر المشروع لهذه الفئة نسخة كاملة من **صحيفة الجارديان** التي اشتركت مع المعهد في تنفيذه، ويتيح لهم قراءة الصحيفة بأنفسهم مستعينين بهوائي تلفازي وأداة خاصة لفك الرموز (الشفرة) وحاسب آلي شخصي، وأداة للنطق الاصطناعي أو شاشة عرض بطريقة برايل.

وتحقيقًا لسهولة استعمال الصحيفة قُسمت إلى مقاطع تبعًا للموضوعات بحيث يتاح للقارئ تصفح العناوين واختيار الموضوع أو المقال الذي يرغب في الاطلاع عليه.

ويذكر أن تكلفة إقامة وحدة الاستقبال المطلوبة تبلغ كحد أدنى نحو خمسمائة جنيه استرليني، ويشمل المبلغ اشتراكا في صحيفة الجارديان لمدة عام.

السويد

معرض لآثار تاريخ السويد

نظمت وزارة الثقافة السويدية ـ مؤخرًا ـ معرضاً بعنوان « **البحث في تاريخ السويد**».

تضمن المعرض آثارًا تاريخية تنتمي لحقب مختلفة منها ما يعود إلى عام ٤٠٠ م ومنها ما يرجع إلى عصر الفايكنج ١٥٠٠ م **والعصور الوسطى** كما احتوى المعرض على بعض الكتب التاريخية بأقلام كبار المؤرخين الأوربيين الذين تناولوا تاريخ الشعوب الاسكندنافية (السويد والنرويج والدانمارك وفنلندا).

فرنسا

تظاهرة للأدب الكاتالاني



سلفادوردالي

احتضن **مركز جورج بومبيدو الثقافي** في باريس ـ مؤخرًا ـ تظاهرة «**٨٠٠ عام من الأدب الكاتالاني**» نسبة إلى منطقة كاتالانيا الواقعة بين أسبانيا وفرنسا وتضم قرابة عشرة ملايين نسمة انضووا في دولة مستقلة بهذا الاسم لها لغتها وأدبها وثقافتها، ومن أبرز أبنائها **الفنان التشكيلي الراحل سلفادور دالي والشاعر جان فوا**.

ويذكر أن هذه التظاهرة أقيمت قبلاً في السويد وبريطانيا وألمانيا وفنلندا واليابان والنمسا وإيطاليا والمجر وهولندا، وتعد اللغة الفرنسية ثاني أكبر لغة أجنبية ترجمت إليها الآداب الكاتالانية

معرض لفناني أوروبا قبل مائة عام

افتتح ـ مؤخرًا ـ في متحف أورسي في باريس معرض « **فنانو أوربا عام ١٨٩٣ م**».

المعرض أشبه بتظاهرة ثقافية فنية تعود بالمشاهدين إلى التيارات الفنية السائدة قبل مائة عام، مما يجعله مؤهلاً لأن يؤرخ لتاريخ الفن في تلك الحقبة.

ضم المعرض ٩٥ لوحة يعود تاريخها إلى عام ١٨٩٣ م بريشة ٨٥ فنانًا من ١٨ بلدًا أوروبيًا ينتمون إلى مدارس فنية مختلفة من أبرزهم **بول جوجان وبول سينياك وموريس دوني وأوفارد مونش** وغيرهم.

جائزة لكاتب مغربي

فاز الكاتب المغربي د. عبد الحق سرحان «بالجائزة الفرنسية للعالم العربي» عن روايته «شمس الظلمات».

ويذكر أن هذه الجائزة أنشأتها هذا العام السيدة **مها دلول** وهي عربية مقيمة في فرنسا، وتبلغ قيمتها ٥٠ ألف فرنك وتمنح سنويًا لأفضل كتاب باللغة الفرنسية عن العالم العربي بغض النظر عن جنسية مؤلفه، وتهدف إلى مد جسور التواصل بين الثقافتين العربية والفرنسية.

وفاة الصحافي هرفيه ميل

توفي ـ مؤخرًا ـ الصحافي الفرنسي هرفيه ميل، رئيس تحرير مجلتي «باري ماتش» و «ماري كلير» سابقًا عن عمر يناهز ٨٣ عامًا.

وُلد ميل في ١١/٩/١٩٠٩م في مدينة اسطنبول في تركيا وبدأ عمله الصحافي عام ١٩٢٩م في صحيفة « **ليكليرور** » التي تصدر في مدينة نيس الفرنسية، ثم تولى رئاسة تحرير عدة صحف من بينها **باري سوار، باري سوار ديماتش، وباري ميدي، ثم مجلتا باري ماتش، وماري كلير**.

أستراليا

رسوم على الصخور عمرها ٤٣ قرنًا

اكتشفت في مزرعة نائية بإقليم أولاري في استراليا **رسوم منحوتة على الصخور عمرها ما بين ٣٠ ـ ٤٣ ألف عام تضم رسومًا للزينة وآثارًا لحيوان الكنجارو الأسترالي**.

تكمن أهمية الكشف في كونه يلغي الفكرة السائدة بأن هذا الفن وُجد أولاً في أوروبا، حيث يزيد عمر هذه الرسوم عن تلك المكتشفة في إسبانيا وترجع إلى ٣٧ ألف سنة.

بلجيكا

أحدث الكتب

● **الكتابة.. الخبر واليقين**، تأليف **توماس جيرجلي**، صدر في بروكسل.

● **أوروبا والعالم العربي: أبناء عمومة وجيران**، تأليف **بشارة خضر**، صدر في فوفان.

على موعد

البحث عن إنسانية الإنسان

سؤال ملح يفرض نفسه على كل إنسان، لكنْ كلٌّ منا حريص على توجيهه للآخرين قبل توجيهه لنفسه في أشكال متعددة ومختلفة باختلاف المصالح والظروف متجاهلا دواخله ومنكبا على أغراضه.

كلما ساءلت نفسي عن نفسي قالت: أنا ثم يأتي بعد ذلك العالم، كلما أعملت تفكيري لا أجد له وجهة إلا ذاتي، كأني أعيش هذه الحياة وحدي، وكلما أجهدت بؤرة العقل ازداد شعورا بالوحدة والاغتراب. وتظل الأسئلة تتدفق وتنهمر على ذاكرتي مطرًا فأجدني في غيبوبة لا أستطيع معها تحديد ملامح للطريق، ولا منهجًا للوصول إلى الهدف دون أن أوقع الضرر بالآخرين.

وتستمر الأسئلة تدق رأسي دقًّا، والضيق يستبد بصدري فيشقه شقا، ولا حيلة لي في كل هذا إلا أن أستسلم لآلية الحياة، أضرب في الأرض أعمرها، تحكمني حلقات آلية أسعى من خلالها لما يقيم حياتي، ثم أروح بعد ذلك إلى رغائبي أسترضيها في اندفاع حيواني يفوق في شراسته عالم الغاب وأهواله.

هكذا أنا خواء في خواء وأنت لا تشعر بي وأنا كذلك لا أشعر بك، ولأنك لا تشعر بنفسك إلا من خلال نظرتك الذاتية الضيقة، ولأنني أنا كذلك أصبحنا على كثرتنا غرباء في موقع واحد وطريق واحد. فإذا حاول أحدنا أن يبحث عن مخرج لا يخرج بحثه عن الكلام الذي لا يتجاوز نظرة صاحبه، وكأن الدنيا كلها على خطأ وهو الوحيد على صواب. ويتصارع داخلنا الإنسان مع واقع شرس ومتعارض برغم أنه من صنع أيدينا. هكذا نتكلم جميعا بينما الشقة تزداد فيما بيننا بُعدا، وأصبح لكل منا عالمه الذاتي الذي يزداد معه الإحساس بالغربة وتنامي السلوك الأناني، ولقد كانت تجربتنا (غزو العراق للكويت) نموذجا صارخا للتعبير عن توجهات فردية تقود الأمة بين الحين والآخر لترديات محزنة، وما كان لأمة يحث دينها السمح وتقاليده العريقة على التعاون ـ كما أمرنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَتَعَاوَنُوا على البرّ والتقوى ولاَ تَعَاوَنُوا على الإثم والعدوان﴾ المائدة ٢ ـ أن تنحدر إلى هوة الاغتراب هذه، وماكان لوطن له كل هذا الرصيد الحضاري أن يتراجع إلى هذه الصورة التي ابتلعت معها أحاسيسنا الجمعية، واغتالت فينا مشاعر التذوق والترفع والنظرة الشفافة لكل ما حولنا، وكان الظن الخاطئ الذي أعجزنا عن التفكير في التفريق بين ما هو حق وما هو واجب أن المادة هي الدفة التي تقود وتوجه مركب هذه الحياة، ولما تخبطت بنا في بحر متلاطم الأمواج علت صرخاتنا ونحن مشرفون على الغرق.

ولأن وسائل الحياة في عصور الازدهار تتواصل من أجل تشكيلها في صورة حضارية عالية القيمة والإنسانية، كانت الفنون جميعا تصب في وعاء واحد هو (أنا) الإنسان من أجل تشكيل كياني من النبل والنخوة والشهامة وكل عناصر الخلق الكريم التي تؤكد بقاء الأمم كما يقول شاعرنا الحكيم:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت . . فإن هُمُ ذهبتْ أخلاقُهُم ذهبوا

وكان الحرص على الارتقاء بالأنا وجعله العنصر السويّ للتكامل الإنساني الذي يقوم على أساسه التحضر والازدهار، فإذا أصابه عطب توجهت حركة الحياة إلى الانحطاط دون أن يسأل أحد عن العطب ولا عن تحديد وسائل العلاج، بينما يقول الرسول الكريم في الحديث النبوي الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى».

لقد تراجع في عصرنا التحام الإنسان بالفنون التي ترتقي بفكره وبكل قيمه حين أصيب إحساسه بالعطب، فتراجعت ثقافته وتراجعت معها حياته وإنسانيته وطغت دكتاتوريته طغيانا قيد كل المقومات الرامية للإصلاح والتقدم، وإذا كان المفكرون قد اصطلحوا على أن الثقافة هي (فن تكامل المعرفة) فإننا نقول (هي فن تكامل المعرفة من أجل ميلاد صورة وصيغة ثقافية بنّاءة خيّرة تلائم كل عصر).

وبعد فإننا في حاجة إلى تكامل معرفتنا الحقيقية بديننا وبأنفسنا وبالحياة التي نحياها على كل المستويات انطلاقا من ثقافة إنسانية رفيعة، لعلنا نستعيد تشكيلنا الإنساني، ولعلنا نرفع عن وجوهنا قناع التردّي الذي أجبرنا وَهْمُ التكالب القبيح على أن نرتديه، ولعلنا ننتقل بحياتنا نقلة حضارية، ندرك من تجاربنا الدرس، وننتقل من ميدان السخرية إلى ساحة الاحترام.

صبري عبدالله قنديل